

من الكتاب الأكثر مبيعاً في صحيفة «نيويورك تايمز»

د. واين داير

أستطيع أن أرى بوضوح الآن

ترجمة: د. محمد ياسر حسكي وزينة حمادي



I Can See Clearly Now



أستطيع أن أرى بوضوح الآن

د. «واين داير»

ترجمة: د. محمد ياسر حسكي
زينة حمامي

حقوق الترجمة العربية محفوظة بالاتفاق مع الناشر:

Copyright © 2012 by Wayne W. Dyer

Originally published in 2014 by Hay House Inc., USA



بناية يعقوبيان بلوك ب طابق 3 - شارع الكويت

المنارة - بيروت - 2036 6308

لبنان - تلفاكس: 009611740110

www.dareelkhayal.com

التفويض الفني دار الخيال

الطبعة الأولى 2015

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل من الأشكال
أو بأية وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أم الألكترونية أم الميكانيكية؛
بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ
المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

د. «واين داير»

أستطيع أن أرى بوضوح الآن

ترجمة:

د. محمد ياسر حسكي، زينة حمامي



إلى كل المُلهِمِين الذين كُتِبَتْ عنهم هنا.

الماس.. والحجارة..

مع الرهبة والامتنان العميق.

إلى أولادي الثمانية، كلّ الماسات:

«تريسي»، «شين»، «ستيفاني»، «سكاي»، «سومر»، «سيرينا»، «ساندس»، «ساجي».

أنتم أنوار حياتي..

يقول «ريتشارد فيلد»: «لو توقّفنا لحظة، من الممكن إدراك نموذج مُعين في حياتنا، ويُصبح المحفّزون الذين أثروا فينا أكثر وضوحاً. نحن قادرون على أن نرى الحياة تتكشف أمامنا من طرفيها على حدّ سواء وصولاً إلى اللحظة الحالية. ولكن ما لم نصل إلى نقطة مُعينة من الإنجاز، فلن يكون الأمر مُمكناً، لأنّ كلّ شيء ما زال يُرى على أنّه سلسلة من الأسباب الظاهرة والنتائج».



• إنه عيد الميلاد من عام 1941، بعد أسابيع قليلة من تفجير ميناء «بيرل» Pearl Harbor، جُرت «أمريكا» إلى الحرب: كان اثنان من إخوة أُمِّي يخدمون في الجيش، أحدهما في «أوروبا» والثاني في المحيط الهادي. لم يُعد والدي مُتواجداً معنا على الإطلاق، فقد دخل إلى السجن في مناسبات عديدة، بسبب صحبه ولهوه الدائم مع نساء أخريات، وإفراطه في الشرب، وصداماته المُستمرة وانتهاكه للقانون، ممّا جعل العيش معه بالنسبة إلى أُمِّي في النهاية مُستحيلاً. لقد تملّص ببساطة من مسؤولياته الأبوية ولم نسمع منه أي شيء مُجدداً. أصبحت أُمِّي وحيدة الآن مع ثلاثة أطفال تحت سنّ الخامسة، وعليها أن تُطعمهم وترعاهم. لقد كانت تأخذ صبيانها الثلاثة إلى منزل والدتها كي ترعاهم الجدة بينما تذهب هي إلى عملها طوال اليوم.

كنتُ وأخوأي الأكبر مني ننتظر مع أُمنا وصول الحافلة إلى شارع «جيفرسون» في الجانب الشرقي من «ديترويت». كُنّا نرتدي معاطفنا الثلجية، قفازاتنا، أحذيتنا المطاطية، أغطية الأذنين، ونقف في موقف الحافلة بجانب ما كان يبدو لنا جبلاً ضخماً من الثلج المجموع حديثاً. لقد غُطيت الطريق بالملح من أجل إذابة الثلج المُتساقط باستمرار، فأصبحت في فوضى كبيرة عارمة. عبرت الشاحنة أمامنا نحن الأربعة، ورشتنا بقوة بالطين إلى درجة أننا أسقطنا من وضعية الوقوف على أقدامنا، وارتمينا بسلام وأصبحنا مغمورين بكومة كبيرة من الثلج.

انهارت أُمِّي لأنّ الملابس التي ارتدتها من أجل العمل تغطّت بالطين المالح والقذر.

لقد أصبحت غاضبة جداً، وكان من الواضح أنّ حياتها خارجة عن السيطرة بسبب مُغادرة زوجها السابق، مع أنّها تبذل ما بوسعها من أجل تغطية نفقاتنا. لقد ساهم الكساد الذي طال أمده تزامناً مع الحرب العالمية في تعقيد وضعها العام. لقد كان من الصعب الحصول على عمل، وكان على والدتي أن تعتمد على المُساعدة الهزيلة التي تلقاها من أسرتهما، الذين أُرهِق كاهلهم أيضاً الانكماش الاقتصادي طويل الأمد. لقد كانت فترة صعبة حتّى في أفضل الظروف، بسبب نقص جميع أنواع البضائع، وتشويش الحرب في حدّ ذاتها.

كان أخواي مُزعجين جداً أيضاً، ولكنّ «جيم» ذي الخمس سنوات كان يُحاول أن يُواسي أمنا، بينما كان «ديفيد» ذي الثلاث سنوات يبكي دون أن تقدر على إيقافه. بالنسبة إليّ، كنتُ أستمتع بكلّ وقت في حياتي. كان الأمر يُشبه حفلة مُفاجئة جميلة مع قلعة ضخمة من الثلج نقف جميعنا في أعلاها. نستطيع أن نمرح! أنا لا أستطيع أن أفهم لماذا كلّ شخص غاضب ومُحبط.

عند ذلك تفوهتُ بهذه الكلمات: «إنّ الأمر على ما يُرام أمّي. لا تبك. نستطيع جميعنا البقاء هنا كي نلعب بالثلج».

لقد كنتُ الطفل الذي نادراً ما يبكي، والطفل الصغير الذي يُحاول أن يُضحك كلّ شخص، ويجعله يشعر بحال جيدة بغضّ النظر عمّا يحدث. كنتُ الطفل الذي يصنع وجوهاً سخيفة كي يُغيّر البيئة حوله من جوّ الحزن إلى البهجة والسرور. كنتُ ذاك الصبي الصغير المُتأكد أنّه يجب أن يكون هنالك مهر صغير في مكان ما، حتّى لو كان صندوق الرمل مليئاً بالروث. لم أعرف كيفية الامتلاء بالحزن، وكان يبدو أنّ سلوكي يميل طبيعياً إلى البحث عن الجانب المُشرق، وقليلاً ما يلتفت إلى الأشياء التي تجعل كلّ شخص كئيلاً.

بالنسبة إلى أمّي، كنتُ أفضل صبي صغير صادفتهُ أمّي وعائلتها في حياتهم من حيث الاستقلالية والفضولية، ومن الواضح أنّي وصلتُ إلى هذه المرتبة بسبب هذا المزاج السعيد السليم. كنتُ سعيداً جداً من أجل وجودي في هذا العالم. لقد كنتُ في عمر تسعة عشر شهراً تقريباً في حجم «ديف» الذي يكبرني بثمانية عشر شهراً. حاولتُ جعل أخي يضحك ويشعر بالأمان، لأنّه كان يبدو خائفاً ومريضاً وحزيناً معظم وقته، وكان

نادرًا ما يتسم حتى. كنتُ أجدُ العالمَ مُمتعاً جداً، وأحبُّ التجوالَ والاستكشافَ.

كلّما كبرتُ، كان يبدو أنّهُ لا يوجد شيءٌ يُزعجني أو يُقلقني. كنتُ أنظرَ حولي وكان كلّ ما أراه يجعلني أصل إلى حالة التعجّب والروعة. كنتُ أريدُ أن يكون كلّ شخصٍ سعيداً، وكنتُ أريدُ أن يختفي كلّ اليأس في عائلتي. كنتُ مُتأكّداً أنّهُ لا يجب علينا أن نكونُ بانسين فقط لأنّ والدنا بهذا السوء. كنتُ أريدُ أن أرى أُمِّي سعيدة في روحها عوضاً عن كلّ هذا البؤس. كنتُ أريدُ أن يتوقّف أخي الأكبر «جيم» عن القلق كثيراً بشأن أُمِّي وبشأن أخويه الصغيرين. كنتُ أعتقدُ أنني لو استطعتُ أن أجعلهم سعداء فيحصلون على بعض المرح، فستذهب كلّ تلك الأشياء الأخرى المُزعجة بعيداً.

لم أكن أستطيعُ استيعاب لماذا يبدو كلّ شخصٍ عنيداً جداً. هناك الكثير من الأشياء التي تُثيرُ الاهتمام. كنتُ أستطيعُ أن ألعب ساعات بملعقة أو صندوق كرتون فارغ. كنتُ أحبُّ الخروج من أجل التنزّه والتحديث في الزهور، الفراشات، والقطعة التائهة التي تُداوم الحضور إلى فناء منزلنا. كنتُ في حالة من الهناء والتقدير والحيرة كلّ الوقت تقريباً. كنتُ أمتلك أيضاً تفكيراً قوياً خاصاً بي، فلا أدع أيّ شخصٍ يُخبرني ما أستطيع فعله وما لا أستطيع فعله، كنتُ أصرُّ على اكتشاف العوائق الخاصة بطريقتي. وعندما يُقال لي لا كنتُ أبتسم ببساطة، ثمّ أتحرك من أجل القيام بما تُمليه عليّ داخليتي، بغضّ النظر عمّا قد يقوله أيّ شخص كبير.

كنتُ أبدو وكأنني في عالم خاص بي كلياً، عالم مُبهج، مليء بالإمكانات والاكتشافات المُثيرة اللامحدودة التي أستطيعُ أن أصنعها بطريقتي. لا يهتم مدى الجهد الذي سيبدله أيّ شخص كي يجعلني حزيناً، فلن يستطيع النجاح أبداً لأنني وصلتُ إلى هنا من النور الإلهي، ولا يوجد شيءٌ يستطيع أيّ أحد فعله من أجل إخماد هذا النور. هذه حقيقة من أكون: روح من الإله الذي لا ينسى أنّ الإله حبّ، وأنا كذلك.

أنا لا أستطيعُ إحصاء عدد المرات التي أخبرتني بها أُمِّي عن قصة كومة ثلج «سلوشي». كانت هذه الذكرى المُفضلة لديها من أجلي، قبل أن تضطرّ إلى وضعنا أنا وأخي «ديفيد» في سلسلة من منازل الحضانة، بينما ذهب أخي الأكبر «جيم» كي يعيش مع جدتنا في الجزء الأفضل من العقد القادم في حياتنا.

عندما أنظر إلى الخلف في الأيام السابقة من حياتي الحالية، أستطيع أن أرى بوضوح أن تلك الحكمة القديمة: لا توجد مصادفات في هذا الكون، هي حقيقة بديهية تُطبّق على نحو صحيح من لحظة خلقنا، وقد كانت قبل ذلك أيضاً. في العالم اللانهائي، ليس هناك في الحقيقة بداية ولا نهاية. إنه فقط شكلنا الخارجي الذي يُولد ويموت، أما الشيء الذي وراء شكلنا فهو غير قابل للتغيّر وهو خالد لا يموت ولا يُولد.

كأب لثمانية أولاد، أنا مُقتنع تماماً أن كلّ فرد منهم قد وصل إلى هنا بشخصيته الفريدة. لقد أتينا من حقل غير مرئي مليء بالإمكانات اللامحدودة. هذا الشيء الذي ليس له شكل، وليس له حدود، هو أنا في هذا الجسد المُتغيّر باستمرار. إن جميع الإنجازات التي ملأت سيرتي الذاتية بدأت بأخذ شكل منذ لحظة خلقي، ثم طوال فترة تسعة أشهر من الوجود الجنيني، ثم منذ لحظة أخذي لأول نفس عند ولادتي وخروجي إلى الحياة. عدتُ بذاكرتي إلى ذلك الطفل ذي التسعة عشر شهراً الراقداً على كومة الثلج، ولم أجد ولا خلية واحدة من تلك التي شكّلت هذا الطفل الصغير باقية على كوكب الأرض، ومع ذلك فإنّ «الأنا» التي كانت في ذاك الجسد هي «الأنا» اللانهائية نفسها التي يراها الجميع بعد مرور سبعين سنة.

حتى قبل أن أستطيع القراءة أو الكتابة، احتجّت أن أكون شخصية مُنسجمة مع الموسيقى التي حضّرت إلى الوجود كي أعزفها. أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنني كطفل احتجّت أن أشعر أنه باستطاعتي الوصول إلى الآخرين ومُساعدتهم كي يتمتعوا بشعور أفضل تجاه أنفسهم وظروفهم. لقد عرفتُ بطريقة أو بأخرى أن السلوك هو كلّ شيء في الحياة، حتى بالنسبة إلى الطفل الرضيع، لذلك فإنّ السلوك الذي وصفته لي أمي والذي ميّز طفولتي كان بطريقة غامضة مُتصلاً مع الرسالة «الدهارما» التي كان عليّ إنجازها خلال حياتي.

في حالة الاستلقاء على قمة كومة من الثلج مع بقية أفراد أسرتي، رأيتهم في حالة عميقة من البؤس، ثم فجأة اتخذتُ قراراً أن أحاول جعلهم يصبرون على بعض الأشياء التي من المُمكن تحمّلها، من خلال جعلهم يضحكون أو دعوتهم إلى الاستمتاع عوضاً عن كونهم تعساء، وهو أمرٌ على درجة من الروحانية تُشبه تأليف الكتب عن

التحرر من فخ التفكير السلبي والاستمتاع بالحياة إلى أقصاها. إنَّ الشكل هو إنسان راشد بجسم أكبر وأضخم، ولكنَّ «الأنا» اللانهائية ذاتها تتواصل من خلال صنف جديد من العيون والآذان.

لقد شاهدتُ تفتح أطفالي الثمانية ونهضتهم. لقد أظهروا جميعهم منذ الولادة شخصياتهم الفريدة، والتي تأتي ربّما من سلسلة الحيات السابقة، والاحتمالات الغامضة التي لا تنتهي. بيد أنني أعلم بكل تأكيد أنَّ العقل الإلهي الواحد المسؤول عن كلِّ الخلق له يدٌ في هذا الغموض المُمْتع. فمن الأبوين نفسهما، والبيئة نفسها، والثقافة نفسها أتى ثمانية أفراد مُتميّزين بسمات شخصية مُتميّزة. أنا أعتقد أنَّ «خليل جبران» قد عبّر عن هذا الأمر بإتقان في كتابه «النبي» حين قال: «أولادكم ليسوا لكم، إنَّهم أبناء وبنات الحياة المُشتاقة إلى نفسها، إنَّهم يأتون من خلالكم ولكن ليس منكم، ومع أنَّهم يعيشون معكم، ولكنَّهم لا ينتمون إليكم».

لدينا جميعاً مُهمّة من نوع مُعين علينا أن نُنجزها في هذه اللحظة، عندما نقوم بنقلة من اللامكان إلى الآن هنا، ومن الروح إلى الشكل. لقد أدركتُ منذ زمن أهمية أن أسمح لأطفالي أن يعيشوا ما تُمليه عليه دواخلهم، مُدركاً بدقّة أنَّ ذلك هو ما قدمته لحياتي كلّها، اعتماداً على القصص التي كانت تُخبرني إياها أُمِّي خلال حياتي كطفل رضيع، ثمَّ وأنا طفل صغير. لم تكن أُمِّي متفاجئة أبداً من الطريقة التي تفتّحت بها حياتي، بسبب ما لاحظته في طفولتي. يمتلك كلُّ طفل من أطفالي خطّة حياة من الإله كذلك، وكان عملي أن أرشدهم، ثمَّ أُنحى جانباً وأدع ما بدواخلهم من تفرّد «مهما كان» كي يقود مسار حياتهم.

أنا أعلم أنني أتيتُ إلى هذا الوجود من أجل إنجاز هدف قرّره مُسبقاً قبل الشروع بهذه الرحلة من الشكل اللامرئي إلى الشكل المادي، ومن الروح إلى التصلب في الواقع المادي. كانت البداية مع أولئك الأشخاص الثلاثة غير السعداء الذين كانوا معي في تلك الحالة المُوحلة، كنتُ أحاول بالفعل إجراء بحث مُبكر، والتمرّن على عيش حياة أستطيع من خلالها المُساعدة والتأثير في حياة الملايين من الناس. عندما كنتُ في تلك الكومة من الثلج كنتُ أحاول حدسياً جعل كلِّ شخص يرى أنّه بيدنا اختيار كيفية نظرتنا إلى



• إنه فصل الربيع من عام 1948 حيث بلغ «ديفيد» تسع سنوات، بينما كنتُ على وشك أن أبلغ الثامنة. أنا أصرخ بالقرب من موظفي الجمارك الذين يتفحصون السيارات الداخلة إلى «كندا» في «سومبرا»، «أونترايو»: «أخي يفرق! أخي يفرق! عليكم أن تفعلوا شيئاً في الحال! في هذه الدقيقة!».

كانت المرة الأولى التي نسبح فيها في نهر «كلير» هذه السنة. في شهر آب الماضي كان هنالك امتداد رملي على بُعد خمسين ياردة بعيداً عن رصيف الجمارك على مقربة من المكان الذي كنا نسبح فيه خلال زيارتنا الصيفية. كان الكوخ الذي نسكنه في «سومبرا» ملكاً لصديق جدتي وزوجها المُستقبلي «بيل دروري». أثناء هذا الشتاء أزاح تيار النهر السريع الامتداد الرملي بعيداً، وكان «ديفيد» مُحْتَجِزاً في تيار النهر السريع دون أن يقدر على الوقوف. كنتُ أشاهد برُعب كيف ينزل رأسه تحت الماء، وكانت يداه بالكاد ظاهرتين فوق سطح الماء. إنه أخي وأفضل صديق لديّ ومُرافقِي الوحيد في رحلات بيوت الحضانة العديدة منذ أن كنّا كلانا طفلين. إنه يختفي تحت السطح وقد شَلَّتْ حركتي لجزء من الثانية من هول الصدمة.

في هذه النقطة ركضتُ إلى كوخ الجمارك حيث كان بيل مُستلقياً، سمعني مُحقق الجمارك لطيف الوجه الذي كان يعرفنا، فركض مُباشرةً إلى قارب مربوط وشغَل المُحرَك وانطلق في اتجاه آخر بقعة شُوهِد أخي فيها. حالما اقترب القارب من تلك البقعة التي أشرتُ إليها، ظهرت يد «ديف» الصغيرة لآخر مرة فوق السطح، ممّا أتاح لـ «بيل»

ومُساعدته الفرصة كي يسحبوا أخي إلى القارب، ثم فتلوه ودفعوا الماء خارج رثتيه وفمه. راقبتُ لون بشرته يعود طبيعياً من اللون الرمادي الشاحب، لقد بدأ «ديف» يُصبح على ما يُرام. أنا مُمتنٌ جداً أنَّ الناس في كوخ الجمارك استجابوا إلى صرخاتي المذعورة في طلب النجدة. أنا مُندهش من السرعة التي شغلوا فيها القارب وأنقذوا أخي.

في ذاك المساء عندما أخبرنا أننا عن هذه الحادثة، كان «ديف» ما يزال واقفاً تحت تأثير الصدمة. في اليوم التالي، رفض أخي أن ينزل إلى الماء، واستمرَّ معه هذا الشعور في المُستقبل المُتوقع.

كانت ردة فعل أخي تجاه تجربة اقتراب الموت من أغرب الأشياء التي صادفتُها. لم يكن «ديف» يتجنَّب السباحة فقط، بل كانت تظهر في جسمه عدة بقع من الطفح الجلدي لو حاول أحدٌ إقناعه بالعودة إلى الماء. راقبتُ أخي بحذر حيث أننا كنَّا دائماً معاً، ولاحظتُ أنه حين يهطل مطرٌ مُفاجيء وهو بالخارج، فإنَّ كلَّ قطرة من المطر تُلامس بشرته تترك بقعة من الطفح الجلدي. كان «ديف» مصدوماً نفسياً على نحو خطير بسبب هذه الحادثة، التي من المؤكَّد أنها ستستمرُّ بقية حياته. في سنِّ البلوغ، استمرَّت قطرات المطر تترك تذكارات سيئة على بشرته عن مُداعبة الموت له في نهر «كلير» عندما كان في عمر التاسعة.

بعد حوالي ثلاثة عقود سريعة من الزمن، أصبح «ديفيد» في الجيش في تمركز الجنود في «كانساس، رايلي». كنتُ في رحلة برفقة ابنتي «تريسي» ذات السنوات التسع، كي أنشر كتابي «مناطقك الخاطئة». كنتُ في «سانت لويز» ثم في مدينة «كانساس»، ولذلك قررتُ أن أقوم برحلة إلى مدينة «جنكشن» في «كانساس»، كي أزور أخي الذي لم أره منذ سنوات عديدة. تمركز أخي في منطقة ما وراء البحار، وقام برحلتين إلزاميتين خلال حرب «فيتنام»، وتلقَّى وسام النجمة البرونزية على خدمته الاستثنائية وشجاعته تحت النار.

تلك هي الطريقة التي وصف بها «ديف» ماحدث معه أثناء زيارتنا، في كتابه «من الظلام إلى النور». لقد توضَّح لي أهمية صراعه مع الموت في عام 1948:

في عام 1976 كنتُ مُتمركزاً في «فورت رايلي، كانساس»، وعشتُ في مدينة «جنكشن». كان «واين» في المدينة يُرَّج أفضل كتبه مبيعاً، والذي كان بعنوان

«مناطقك الخاطئة». كان هو وابنته «تريسي» يُقيمان في «ترافيلودج» في آخر الشارع القريب مني، وقد دعاني إلى السباحة في البركة.

أخبرني «واين» أن أركز أفكارِي على أيّ شيء آخر غير البقع الجلدية بينما كنّا ننزل إلى البركة. كان يُتابع الحديث معي، ولم يكن لديّ فرصة كي أفكر بأيّ شيء آخر غير الذي كان يقوله. في الحقيقة، كان يتحدث بهدوء بالغ إلى درجة أنني لم أكن أفهم ما الذي يقوله، ولذلك كنتُ أواصل الاقتراب منه أكثر فأكثر.

كان «واين» يتصدّد جذب انتباهي إليه. وقبل أن أدرك ذلك، كنتُ في الماء أكثر من نصف ساعة. عندما خرجتُ من بركة السباحة وجففتُ نفسي، لم أجد أيّ بقعة جلدية على جسمي. كانت هذه أول مرة منذ سبع وعشرين سنة لم تُصادفني فيها حالة الطفح الجلدي وأنا أمارس السباحة. مُباشرةً عدتُ إلى الماء مُجدداً مُدّة نصف ساعة إضافية وحصلتُ على النتائج نفسها. منذ ذلك الحين وأنا أستمع بالسباحة ولم أُصادف أيّ بقعة جلدية مُجدداً.

بينما جلستُ على مقربة من الشاطئ أراقب أخي يُسحب بعيداً في تلك الموجات السريعة، شعرتُ بحضور شيء لا أقدر على وصفه على نحو مُلائم هنا أو في أيّ مكان آخر في حياتي كلها. هذا الحضور هو هنا الآن في هذه اللحظة وأنا أكتب عن أهمّ الاحداث الهامة من حياتي. إنه شعور عدم كونك وحيداً والشعور بقوة تدفع الإنسان إلى التصرف فورياً. في ذلك اليوم الربيعي المتأخر لم يكن قد حان وقت «دبف» كي يُغادر هذه الحياة، وكنتُ أنا الشخص المُكلّف كي أضمن استمرار رسالته «دهارما» في الحياة.

لقد بقي ذاك المشهد حقيقياً بالنسبة إليّ حتّى الآن، وأصبح كلّ تفصيل فيه منقوشاً في داخلي. لقد تعلمتُ في تلك اللحظات القليلة عندما كنتُ مُنهمكاً في الحدث، أنّه باستطاعتي جعل الناس يستمعون إليّ، وأنني أمسكتُ في الواقع بقوة الحياة من أجل التغلّب على الموت داخلي. لقد كان التأجيل بمثابة استدعاء المُصيبة، ولم يخطر في بالي خيار أن أفق وأبكّي، أو أدع الخوف يقهرني. لقد شعرتُ بقوة الحياة تدفعني بعيداً عن المشهد الذي كنتُ أراقب ظهوره أمامي، وتجرفني إلى كوخ الجمارك، وتصرّ على أن أصرخ بأعلى صوتي مُنبهاً «بل» المُستلقي.

لا أستطيع أن أقول ما هذه القوة الغامضة، ولكنني أعرف أنها شيء تواجد من أجلي في مناسبات عديدة في حياتي. إنه شيء غير مرئي أستطيع الاحساس به والتحدث عنه في محاضراتي وفي العديد من الكتب الاحدى وأربعين التي ألفتها. إنها المعرفة القوية، التي تُشبه الدليل السماوي الخفي الذي أثق به. إن تجربة صراع أخي مع الموت كانت أول شيء دَلَّني يقيناً على أنني أكثر بكثير من كوني ذلك الطفل ذي السنوات الثمان المُنطلق في الحدث في ذلك النهر في «سومبرا، أوناريو». إنه حضور مُريح أشعر بتكراره أكثر فأكثر في حياتي الآن، وهو شيء لا أتجاهله مُطلقاً.

من منظور أوضح الآن وكلّما عدتُ بذاكرتي إلى ذاك الحدث في عام 1948، ثم إلى ما حدث في عام 1976 في «رايلي»، أستطيع ان أرى الرابط، ومدى ارتباطه بالدور الذي أخذته حياتي. لم أكن أعلم أنّ قصة اقتراب أخي من الغرق وردة فعل جسمه العنيفة ستكون لُرصة بالنسبة إليّ كي أُطبّق ما تعلمته حدسياً عن رابط التفكير مع الجسد وقدرته العجيبة المُذهلة على الشفاء. كنتُ خلال زيارتي لـ«ديف» في بداية استكشافي لقوة التفكير وقدرته على إنجاز مُعجزات علاجية.

إنّ الربع الأول من حياة «ديف» والذي ظهرت فيه البقع الجلدية على بشرته سواء نزل في الماء أو اقترب منه، أمكن التغلب عليه في جلسة واحدة حيث تمّ إخضاع تفكيره للعلاج بدلاً من التفكير المُخيف في الحادثة. من منظور أوضح، أستطيع الآن أن أرى كيف أنّ وجودي على ذلك الشاطئ، والذي أدّى إلى إنقاذ أخي كان وسيلة من أجل إعطائي المعلومات والثقة كي أصبح مُعلّماً ومُمارساً في مُعالجة التفكير المُرتبط مع الجسد. لقد ساعدتُ تجربة الطفولة تلك على إرشاد كلينا، وقادتنا كي نستكشف ونُدرك ونُحقق القوة التي نمتلكها من أجل إنجاز أيّ شيء نُركّز انتباهنا عليه بواسطة اللجوء إلى الحبّ بدلاً من الخوف.

بطريقة غامضة بعض الشيء يبدو كلّ شيء مُترابطاً. لقد أعطتني حادثة غرق أخي فرصة مُساعدته بعد سنوات عديدة، وعلاجه من ردة فعل الصدمة التي سببت له البقع الجلدية الشديدة، وأتاحت لي الإنطلاق في مهنة تعليم التمكين الذاتي.





• في عام 1950، كنتُ في الصف الرابع في مدرسة «آرثر» الابتدائية في «ديترويت». كانت هذه المرة الأولى التي أدخل فيها المدرسة وأنا أعيش مع أسرتي بعد أن التّم شملها.

كلّ يوم وفي تمام الساعة الثالثة إلا ربع عصراً كانت مُعلمتنا السيدة «إنجلز» تقرأ لنا قصة The Secret Garden «الحديقة السرية»، لو تصرّف الصف كلّ خلال اليوم على نحو مقبول دون أيّ كلام خارج الدور. كنتُ أنصتُ بشدّة إليها، وعلى الأخص أنها كانت تروي القصة بطريقة تجعل فيها جميع الشخصيات تبدو حقيقة.

في غرفة الصف، كنتُ أجلس في المقعد المُخصّص لي، أقرأ حركات تُذكر جداول الضرب، وأراجع تهجئة الكلمات الأسبوعية، وأنظر إليّ الخرائط في درس الجغرافيا، وأتدرب على كتابة الأحرف المُتصلة، وكلّ التفاصيل الأخرى المُملّة اليومية في الصف الرابع. بيد أنني في سري كنتُ أتلهف من أجل البدء بالاستماع إلى «الحديقة السرية» في تمام الثالثة الا ربع، وأجلس في مقعدي وأحدّق في الساعة على الحائط. بينما أنا جالس في مقعدي بعد اثنتي وستين سنة، أستطيع أن أرى كلمات «سيث توماس» في خيالي على وجه تلك الساعة في غرفة الصف.

كنتُ أبدو وكأنني الطفل الوحيد في الصف المهووس بمُتابعة قصة بعد الظهر، ولاحظتُ أنّ مُعظم زملائي يغفلون عن حقيقة أنّهم إن لم يُحسنوا التصرّف، فلن يكون هناك قصة. لقد أصبحتُ واعياً أنني في العاشرة من عمري لا أرى العالم بالطريقة التي

يراه بها الأطفال من حولي، واكتشفتُ أنَّ الناس سيستمعون إليَّ لو تحدّثتُ بإقناع، وتعلّمتُ أيضاً أنني أستمتع بقضاء مُعظم وقتي في عالمي الداخلي، مُكتشفاً تلك الأفكار التي لا يبدو أنَّ أمثالي ممّن هم في سنّي يهتمّون بها.

هنا في الصف الرابع الابتدائي الذي تُعلّمه السيدة «إنجلز»، أدركتُ مدى القوّة التي أمتلكها من أجل جعل الأشياء المُهمّة عندي تحدث. كنتُ كلّ يوم أختار دور فرض الصمت بالقوّة، الأمر الذي كانت السيدة «إنجلز» تُلحّ عليه كثيراً. عندما كان الصفُ يُصبح جامحاً قليلاً، كنتُ أترك مقعدي وأذكر المُزعجين أنّهم يُهدّدون وقت قصة «الحديقة السرية»، وأنني لن أستجيب إلى هذا السلوك التخريبي، فيستمعون ويهدّدون، ليس لأنهم يُريدون الاستماع إلى القصة، ولكن لأنني أخذتُ دور السُلطة.

كنتُ أدرك أنَّ هذه التجربة المُضيئة في عمر عشر سنوات قد حدثتُ مُسبقاً في دور الحضانة حيثُ كنتُ أعيش، وهي الآن تتكرر هنا مُجدداً في المدرسة. عندما كنتُ أتحدّث بثقة ولطف، أصبح محل إنصات الأطفال حولي. كنتُ أخضع أيّ طفل يُسيء التصرف بطريقة تمنع السيدة «إنجلز» من القراءة لنا، إلى قانوني دون تهديدات أو قسوة. آه كم أحبّ اغماض عيني فقط والاستماع إلى السّحر الذي كان بالنسبة إليّ حديقتي السرية الخاصة.

هذه القصة التي كُتبت بيد «فرانسيه هودجسون بورنيه» في عام 1911، تحدّثت عن اليتيمة «ميري لينوكس» ذات العشر سنوات، التي أرسلت من «الهند» كي تعيش في «بريطانيا» بعد أن تُوفي والديها من جرّاء وباء الكوليرا. لقد وصلت اليتيمة إلى «إنكلترا» وهي فتاة صغيرة سلبية، مجروحة وقاسية، وتشعر أنّ والديها لم يكونا يُريدانها. تصف القصة اكتشافها عالماً جديداً كاملاً غيّر نظرتها إلى حياتها. هنا أنا صبي في عمر العاشرة وقد أمضيتُ غالبية حياتي أشعر بمشاعر مُشابهة من أنني غير مرغوب، وأنا الآن أستمع إلى قصة تحدّثت عن طريقة أخرى في النظر إلى الحياة، وتسحرنني فكرة وجود مكان سري سواء في هذا العالم أو في دماغ أيّ شخص.

كنتُ أستمع بافتتان إلى مُحادثات «ميري» وصديقها البانس «كولن»، مع الزهور والطائر الذي يُسمّى روبن Robin «أبو الحناء». كانت طيور الروبن تطير حولي أيضاً، وهي تبني أعشاشها وتُغرد من بعيد بينما كنتُ أمشي من المدرسة إلى المنزل في نهاية كلِّ يوم. كنتُ أنشغل بالمُحادثات مع أصدقائي الطيور طوال الطريق إلى المنزل، وأعيش في خيالي الذاتي تلك الحديقة السرية، حيث يختفي المرض والضعف ويكون السلوك الإيجابي هو ترياق كلِّ أشكال المُعاناة. كنتُ أشعر بقوة الكلمات المقروءة من قبل السيدة «إنجلز» بإتقان، وأخلق حديقتي السرية الخاصة كي أهرب إلى عالم تكون فيه جميع الأشياء مُمكنة، وحيث أتحدّث مع الحيوانات والأزهار وأشعر بحضور السحر الحقيقي في حياتي.

لم يكن القدوم إلى هذا المنزل الجديد من أجل العيش مع عائلتي مُريحاً مثل العيش في أيِّ منزل آخر تقريباً. كان زوج أمي الجديد «بيل» يُفرط في الشرب، وكان عندما يسكر، يُصبح مُجادلاً وضيعاً. بيد أنني كنتُ أتدبر الأمر وأبقى مُتغافلاً عن توبيخه، بسبب وعيي الكبير أنني أستطيع أن أخلق في خيالي مساحة سرية تماماً مثل حديقة «ميري لينوكس» في «إنكلترا». في هذه المساحة لا يُسمح لأحد بالدخول دون إذن مني. كنتُ مفتوناً بفكرة أنّ الحياة ليست محصورة بما أرى وأسمع بحواسي. لقد اكتشفتُ أنني أستطيع أن أكون هنا في هذا العالم في جسدي، وأستطيع أيضاً أن أخرج من حدود جسمي المادي، وأعيش داخل عالمي الخاص بي.

كنتُ في الحديقة السرية، أسمع السيدة «إنجلز» تتحدّث عن علاج الناس المُصابين بأمراض خطيرة وأفكر في نفسي أنه إذا كانت «ميري» تستطيع فعل هذا، فأنا أستطيع ذلك أيضاً، وإذا كانت «ميري» و«دايكون» و«كولن» وكلُّ أصدقائها في الحديقة السرية يستطيعون التحدّث مع الحيوانات والاستماع إلى الأشجار، فأنا أستطيع فعل ذلك أيضاً.

بدأ خيالي بالتحليق، وكنتُ أتخيّل نفسي ساحراً يستطيع فعل أيِّ شيء يُركّز عليه، وأرى ما يُرشدني في كلِّ الطبيعة، وأتعلّم كيف أذهب إلى داخلي وأنظف عالمي الداخلي من أيِّ شيء يتدخل في نعيم سلامي الداخلي. لقد اتخذتُ قراراً أنه لن يستطيع «بيل» أن

يُزعجني أبداً بجنونه أو كلامه المُفرط عن الأمور التي تُوجد في عقله الفاسد فقط. أنا أمتلك حديقة سرية خاصة بي، وقد أدركتُ أنني مُرتبط بها منذ سنوات العيش السابقة في بيوت الحضانة.

هنا في هذه البيئة الجديدة، كنتُ مع ثلاثة أشخاص نعيش في بيت صغير يُعتبرون على نحو أساسي من الغرباء بالنسبة إلى الشخص الرابع الذي يقضي أيامه ولياليه بشرب البيرة، وقد حصلتُ على هدية نافعة على نحو مُذهل، وهي الوعي بحديقتي السرية، ذلك المكان داخلي الذي لا يحوي قيوداً ولا عوائق، وحيث أستطيع أن أخلق لنفسني طريقة عيش منيعة من أيّ تأثيرات تُحبطني.

على امتداد السنين القادمة، كنتُ أعيش في بيئة مليئة بالازعاجات اللفظية وغيرها وهي أمرٌ عادي بالنسبة لمن يتعاطى الكحول، ولكنني كنتُ آمناً داخل خيالي في المكان الذي كثرته، وكنتُ أتلهف كي أخبر الآخرين عنه.

إن قراءة السيدة «إنجلز» لقصة «الحديقة السرية» قرابة ثلاثين دقيقة في ختام كل يوم مدرسي يبدو أمراً غير هامّ بعض الشيء بالنسبة إلى الأطفال الآخرين في الصف الرابع الابتدائي، بينما كانت بالنسبة إليّ هبة أشعلت النار داخلي والتي أنا مُمتنٌ لها دائماً. كانت بداية وعي أمتلك بعض الشيء منه داخلي يفوق ما يجري خارج ذاتي، إنها حديقتي السرية حيث كلّ الأشياء مُمكنة.

حتى بعد العقود الستة التي مررتُ بها، غالباً ما أعود بذاكرتي إلى الصفّ مع السيدة «إنجلز» وأفكر كيف كانت العناية الإلهية تعمل بالنيابة عني. بطريقة ما كانت تُرشدني إلى ذلك الصفّ قوّة تُخطط من أجل إشعال نار في داخلي بإمكانها أن تحثني على الكتابة والتحدّث عن أفكار قدمتها تلك الرواية التي كُتبت منذ أكثر من قرن مضى. قبل البدء بكتابة «أستطيع الآن أن أرى بوضوح»، قررتُ أن أتمعن في قراءة «الحديقة السرية» مُجدداً، كي أذكر نفسي بما أشعل هذه المُتعة المُلحّة في نفسي اليناعة. لقد أثار المقطع التالي الذي كتبه المؤلف عن «ميري لينوكس» ذات السنوات العشر انتباهي حقيقة: «كانت مُؤمنة عظيمة بالسحر، وكانت تؤمن في سرها أن «دايكون» يُمارس السحر «من النوع الجيد» بالتأكيد على كل شيء

جانبه، وهذا سبب أنّ الناس أحبته كثيراً، وكانت المخلوقات المُفترسة تعلم أنّه صديقها».

لقد عادت المُتعة التي أثارها هذه الفكرة داخلي في عام 1950 كي تُصبح قوّة دافعة لجزء أساسي من العمل الذي سيشمل حياتي في فترة الرشد بأكملها. في الفترة التي كنت فيها غير واع كنتُ أقضي حياتي في فحص واستكشاف فكرة وجود غرفة مُعزلة داخلنا، لو أهتمنا بها وتذوقناها، فسُعطينا الطاقة كي نعيش حياتنا في مستويات غير عادية. في عالم خالٍ من المصادفات، وعالم مُنسق إلهياً، يبدو لي على نحو واضح أنّ السيدة «إنجلز» مُعلمة الصف الرابع ذات البصيرة، كانت في حياتي كي تُوقظ الشغف في داخلي كي أسلك طريقاً غير اعتيادية. لقد فتحت هذه التجربة حياتي على الشغف إلى العظمة وتحقيق المُعجزات، والإيمان أنّه لا تُوجد حدود لما يستطيع الإنسان انجازه لو أدرك قوى العالم غير المرئي، والتي هي حقّاً منذ ولادتنا.

كطفل في العاشرة من العمر، تعرّفتُ على فكرتين كانتا منارتين في الرحلة التي أصبحت قدرتي. كانت المنارة الأولى أنّ الناس تستجيب إلى المنفعة التي تهّم جميع الأطراف، لو تحدّثت إليهم بثقة وأسلوب عدم الحكم عليهم. بينما كانت المنارة الثانية أنّ هنالك حديقة سرية ترخر بالسحر والمُعجزات مُتوقّرة لأيّ شخص يُقرر أن يزورها.

بالطبع لم أكن أدرك في البداية أن الساعات التي جلستُ استمع فيها إلى قصة الحديقة السرية كانت في الحقيقة تُهيئني من أجل عمل الحياة. كانت تلك الساعات لحظات مُحفّزة بالنسبة إليّ. عندما كان يرّ الجرس وينتهي الدرس، كنتُ أتسكّع في حديقتي السرية طوال الطريق إلى المنزل. لقد كان ذلك شعلة من الشغف وقتها، وما زلتُ أشعر بالدوار على الأغلب عندما أتأمل ما نحن جميعنا قادرون على اكتشافه عندما نسمح لأنفسنا بالوصول إلى قوتنا الذاتية الكامنة.

في سنوات لاحقة، تذكّرتُ صفّ السيدة «إنجلز» بينما كنتُ أقرأ كتاب *Candid* «التفاؤل»، أفضل أعمال «فولتير» المعروفة. بعد تجوالها في العالم ورؤية أسوأ ما في

البشرية، تتحدث شخصية البطولة في نهاية هذه الحكاية الساخرة بامتعاض عن أنّ
عنف ونهب الملوك لا يُمكن مُقارنته بالإنتاجية وحياة السلام عند أولئك الذين يهتمون
بشأنهم الخاص ويُحسنون العناية بحديقتهم الخاصة.

كنتُ كلَّ يوم أقرأ هذه المقطع لـ«فولتير»، وأراني الطفل في عمر عشر سنوات،
الذي يتأمل حديقته السرية الخاصة المجهولة بالنسبة إليه، ويُجهز المنصة من أجل حياة
يُشجّع فيها الآخرين على تجنب الحياة العادية والميل على نحو حقيقي إلى حدائقهم
الخاصة.





• أنا في مدرسة جديدة Marquette Elementary «ماركيت الابتدائية»، وهي مدرستي الخامسة على مدى سنوات عديدة. كنتُ أستمع إلى السيدة «كوبر» وهي تُخبرنا نحن طلاب الصف الخامس، أنها مُستاءة قليلاً ومُنزعجة من طريقة تصرّفنا وسلوكنا. ثم ذهبتُ أبعد من ذلك وقالتُ أننا أسوء صفٍ علّمته في حياتها.

بينما جلستُ في آخر الصف، وجدتُ نفسي مُستمتعاً بردة فعلها الغاضبة. لقد دارت هذه الأفكار في رأسي بينما كنتُ أشاهد امرأة ناضجة تفقد السيطرة على نفسها: كيف أمكنها أن تدع سوء تصرّف مجموعة من الأطفال يكون مصدر إزعاج لها؟ إنها المُعلّمة وهي الرئيسة، والتي من المُفترض أن تكون مسؤولة عن هذا الصف، إنها تسمح لسلوك شخص آخر أن يتحكم بسلوكها. كيف استطاعت أن تصرف طاقتها على أطفال صغار جامحين بسبب أن هذا الصف مُملّ كثير؟ أنا أدرك أنّ مُعلّمتنا تُحاول أن تجعلنا جميعاً نتصرّف من خلال تقنية جعلنا نشعر بالذنب. لقد أدركتُ أنني لست كباقي الأطفال مُطلقاً بالطريقة التي اعتقدتها.

عدتُ في ذهني إلى منزل السيدة «سكارف» في شارع «تاون هول 231» في «مونتانا كليمنتس، ميشيغن»، وهي دار الحضّانة حيثُ عشتُ أقلّ من سنتين. لقد أتى العديد من الأطفال ثم غادروا في الفترة التي كُنّا أنا وأخي «دايفيد» نعيش هناك، بيد أنني أتذكّر فتاة صغيرة اسمها «مارثا» كانت تبكي على نحو هستيري بعد أن تركها رجلان بالغان في الحضّانة. لقد سمعتُ بالصدفة السيدة «سكارف» تُخبر

زوجها: «اذهب وابحث عن «واين»، فهو القادر على جعلها تهادأ».

دخلت إلى الغرفة وأخذت «مارثا» من يدها، وأخبرتها كم هذا المكان جميل وكم ستستمتع بالعيش هنا. وجدت «دايف» ثم أخذناها في جولة إلى قنّ الدجاج، وإلى أشجار الخوخ والكرز وفي جميع أرجاء الحديقة. ثم أخذتها إلى شجيرتي المفضلة، حيث كان يتفتح الليلك، وتنمو زنايق الوادي بالقرب من الأرض. أعطيتها كلا الزهرتين وطلبت منها أن تشتمهما وتُفكر في الحال بأفكار سعيدة. أمام عينيّ، تحوّلت «مارثا» إلى صديقة لعب سعيدة ومُبتهجة.

الآن في غرفة الصفّ مع السيدة «كوبر»، أفكر كيف كان شعوري بالاشتياق إلى أمي كبيراً في تلك السنين، وكيف كان عليّ الاعتناء بأخي الأكبر، الذي كان يتعرّض على نحو متكرر إلى المضايقة من بعض الأطفال القُساء، لأنّه كان بحجم أصغر من عمره نتيجة اضطراب فقر الدم الشديد. أتذكر أنه خلال كلّ تلك السنين، استخدمتُ أفكاري ببساطة كي أحوّل الأحداث الحزينة إلى بركات، بينما أرى هنا امرأة ناضجة تخرج عن طورها بسبب إزعاج فوضوي صغير، ولم تعرف كيف تكون سعيدة عبر استنشاق عبير الليلك وزنبق الوادي الرائعين. إنها تُريدني أن أشعر بالذنب بسبب عدم قدرتها على أن تجد المتعة في كلّ لحظة!؟

لقد كنتُ أعلم أنّه في داخلي معرفة لا يبدو أنّ أحداً من الأطفال كان يعرفها. لقد كان من الواضح عندي تماماً أنّه ما من أحد لديه القدرة كي يجعلني أشعر بالسوء أو يسحبني إلى الشعور بالذنب بسبب ضعفه. كنتُ واعياً جداً أنني مُختلف، وكنتُ أعرف أنني أستطيع اختيار كيف أشعر في أيّ لحظة. كنتُ أسند رأسي على المقعد، وأعي أنني أستطيع اختيار السلام عوضاً عمّا اختارته السيدة «كوبر» لنفسها.

انتهى الدرس وتوجّهنا جميعاً إلى الملعب بعد الغداء. كانت «سو» منزعجة على نحو سيء بسبب الأشياء التي قالتها المُعلّمة للصف، وكانت تبكي هي وصديقتها «جينيس» و«لوان». يبدو وكأنّها شعرت أنّها كانت مقصودة كواحدة من المُحرّضين على الحدث الذي تحدّثت عنه السيدة «كوبر».

بدأتُ بالتحدّث إلى «سو»، مع إدراكي القلبي أنّه لديّ قدرة داخلي كي أجعلها ترى

هذه الحادثة على حقيقتها، عوضاً عن الطريقة التي تخيلتها بها. سألتها: «لم أنت مُزعجة كثيرًا؟، ألا تستطيعين أن تري أنها كانت تُحاول فقط أن تجعلك تشعرين بالذنب؟».

أجابت: «لأنها كانت تنظر مُباشرة إليّ وتقول كم كنتُ سيئة وأنني جعلتها تشعر بالسوء».

— «لماذا كانت تفعل ذلك برأيك؟».

— «كي تجعلنا نُحسن التصرف».

— سألتها: «هل تُريدينها أن تشعر بالسوء حتى نُحسن التصرف برأيك؟».

— «كلا، أنا فقط لم يُعجبني أنها كانت غاضبة مني، وأنها تعتقد أنني سيئة».

— «ما أهمية ما تعتقده هي عنك أنت؟».

— «عندما يكون أحدهم غاضبٌ مني، فهذا يجعلني أشعر بالسوء».

— «أليس كونها مجنونة مُشكلتها وحدها؟» أريد أن أعرف».

— «كلا، لو لم تكن غلطتي لما شعرتُ بالسوء».

«ماذا لو أخبرتك أنكِ كنتِ شجرة، هل ستكونين شجرة؟ وهل ستشعرين بالسوء لأنها فكرت كذلك؟».

«بالطبع لا» أجابت «سو».

أمضيتُ فترة الاستراحة في جعل «سو» تُدرك أن السيدة «كوبر» تُحاول التحكم والسيطرة عليها من خلال التأثير على نقطة ضعفها. كنتُ أريد أن أساعد رفيقتي الطالبة في فهم أنه لا يمكن لأي أحد أن يجعلها تشعر بالسوء دون أن تُعطيه هي الأذن بفعل ذلك.

أثناء عودتنا إلى الصف كان لدى «سو» ابتسامة خفيفة على وجهها، بيد أنني علمتُ في قلبي أنه لديها درب طويل تسلكه قبل أن تتعلم كيف تكون مُستقلة عن حاجتها إلى الاستحسان. كنتُ أعلم كذلك بوجود شيء داخلي يُعطيني حرية لا يمتلكها الأطفال الآخرون. كنتُ أعلم أن ما أشعر به هو شيء أستطيع اختياره في أي ظرف، وأنه لا

أحد يستطيع أخذ هذا الشيء مني، إلا إذا سمحتُ له بذلك. كنتُ أعلم أيضاً أنني أستطيع مُساعدة الآخرين كي يشعروا أنهم أفضل، إذا تحدّثتُ إليهم ببساطة بمنطق سليم بالنسبة إليهم.

عندما أعود إلى تجربة الصف الخامس تلك، أدرك الآن أنني أبدو مُرتبطاً مع تلك التجربة بطريقة لا تُشبه مَنْ هم في عمري. لقد بقي ذاك اليوم عندما كنا في الملعب مع «جانيس»، «لوان»، «سو» مطبوعاً دائماً في ذاكرتي. لقد كان واحداً من أحداث مُماثلة استطعتُ فيها تخطّي ما يحدث ومُراقبة نفسي وأنا أتصرّف بأساليب لم أر أيّ من الراشدين يفعلها من قبل، ناهيك عن مُثلاثي ممّن هم في عمر أحد عشرة سنة. لقد بدت في ذلك الوقت أنها الأشياء التي يجب عليّ فعلها، وقد زاد من شعوري المثالي مسألة عدم سماحي للأشياء الخارجية أن تُزعجني أو تُعيقني عن إحساسي أنني في أحسن حال.

من هذه النقطة المُفيدة، كان واضحاً بالنسبة إليّ أنني في نوع يُشبه مُخيم التدريب كي أصبح مُعلماً نشطاً مع مبادئ منطقية روحانية عالية. كنتُ أعلم أنّ لهذا العالم مصدر طاقة إبداعي يدعمه وهو بالمعنى الحرفي منشأ الأمور كلها. لا شيء يحدث مصادفةً في أيّ مكان، لأن هذا العقل الكوني مُستعد على الدوام، ويسير بطرق عجائبية من الاحتمالات الضخمة غير المحدودة.

تلك الأفكار الداخلية التي كانت تُحفّزني كي أعتمد على فكري الخاص، وأُساعد زملائي في الصف كي يتجاوزوا نظرتهم إلى الأشياء بالطرق العادية، كانت جزءاً لا يتجزأ من خطة مصدر الكون من أجلي. تلك التجارب المُبكرة لا تزال حيّة في ذهني حتّى اليوم.

كانت تلك أرض التدريب الخاصة بي، وكانت تلك خطوات الطفل الذي يقترب في اتجاه حياة تعليم الاعتماد على الذات. عندما أعود بذاكرتي إلى أيامي الأولى على الأرض، أستطيع رؤية أنّ إمضاء العقد الأول من عمري في سلسلة من بيوت الحضانة كان جزءاً من خطة الإله الناجحة من أجلي. لقد كان قدري أن أقضي حياة النضج في التعليم وإلقاء المُحاضرات والكتابة عن الاعتماد على الذات، ومن هنا كان واضحاً أنني أحتاج

أن أتعلّم الاعتماد على نفسي كي لا أصبح في حالة أضطرّ فيها إلى التنحي والابتعاد عن هذا الوعي. أيّ أرضية تدريب أفضل من الطفولة المبكرة من أجل تعليم النفس الاعتماد على الذات، الأمر الذي يتطلب حسّاً من الاستقلالية ويحتاج إلى الاكتفاء الذاتي؟.

في ذلك الوقت، لم أكن واعياً بالتأكيد إلى التضمينات التي قدمتها لي تلك التجارب المبكرة. الآن ومن موضع قدرتي على الرؤية بوضوح أكثر، أعرفُ أنّ كلّ شيء واجهته، وكلّ تحدّ، وكلّ حالة جميعها مواضيع مُذهلة تُشكل النسيج المُزخرف الذي يُمثل ويُعرّف حياتي، وأنا مُمتنّ من الأعماق تجاهها جميعاً.



• إنها سنة دراسية جديدة في مدرسة «ماركيت» الابتدائية، حيث أصبحت في بداية الصف السابع. في اليوم الأول المُخصص لزملاء المدرسة، اقترب مني زميل في الصف، وأخبرني أنه لدينا طالبان جديدان منقولان إلى صفنا، وعلينا أن نتجنبهما. كنتُ متحيراً من المعلومات أن هذين الطفلين الجديدين مُختلفان بعض الشيء ولا يستحقان صُحبتِي. عوضاً عن الحكم على هذين الزميلين الجديدين، كنتُ مفتوناً بمعرفة ما الشيء الذي سيأتي مع قدومهما.

كان أحد الأولاد الجدد صبي اسمه «غاي»، وهو طالب منقول من مدرسة كاثوليكية محلية Our Lady Queen of Peace «مدرسة ملكتنا سيدة السلام». إن حقيقة كونه من مدرسة كاثوليكية، وتورطه ببعض المشاكل في تلك المدرسة وطرده بناءً على ذلك، كان أمراً كافياً لمنع «غاي» من إمكانية الالتحاق بمجموعة أصدقائنا في صفنا السابع. لقد سمعتُ معظم أصدقائي يتحدثون بسوء عن هذا الصبي، مع أنهم لا يعرفون أي شيء عنه مهما كان، غير بضع إشاعات تبادلوها عنه نُقلت من مصدر غير معروف.

كنتُ واعياً كثيراً أنني أسيطر على نحو كبير على زملائي في الصف، فقدرتي على التحدث بصوت عالٍ بلا خوف تجعلني محبوباً لديهم. بالتالي، كنتُ أعلم أنني لو تجنبتُ هذين الطالبين الجديدين، فسيفيان بالفعل غريبين، بينما لو احتويتهما، فسينضم الآخرون إليّ، ويُرحّبون بهما عوضاً عن نبذهما بلا سبب. هذه هي القوة والطاقة التي امتلكتها في كل أمور مدرستي طوال السنوات السبع السابقة.

كان الطالب الآخر الجديد في تلك السنة، فتاة تعيش في نهاية الشارع الذي أسكن فيه، وكان اسمها «رودا»، ولكنني لم أتحدث إليها بعد. استمر رفقائي يأتون إليّ ويهمسون وكأنهم يعطونني معلومات سيئة وممنوعة عن هذه الفتاة الجديدة: «لا تتحدث إلى «رودا» إنها يهودية». لم أسمع تلك الكلمة سابقاً، ولذلك سألت: «ما هذه الكلمة؟» ما الذي نعنيه؟ ما الذي تمتلكه كي يجعلها غير مرغوبة بهذا الشكل؟، ولم يكن يمتلك أي أحد من زملائي جواباً. إنهم فقط يعلمون أنه تمّ تلقينهم شيء ما عن اليهود في مكان ما من شخص ما، وهذا يعني أنهم لا يستطيعون أن يكونوا أصدقاء معهم. إنهم جميعاً عازمون على تجنب هذه الفتاة الجديدة بسبب تصنيف جعلها بطريقة ما منبوذة.

كانت «رودا» تعيش على بُعد نصف كتلة مني في شارع «موروس» في الجانب الشرقي من «ديترويت». في ذاك المساء، قررت أن أكتشف سبب كل هذا الجدل. قرعت الباب، فرحّبت بي أم «رودا» والتي كانت في الحقيقة إحدى زبائني على طريق توزيع الصحف، حيث كنت أسلم صحف «ديترويت» كل يوم بعد الظهيرة على دراجتي الهوائية. اكتشفتُ أن «رودا» مثل بقيتنا، وكلّ ما في الأمر أنها تُمارس مجموعة مختلفة من العقائد الدينية.

لقد اختبرتُ الكثير من التجارب الدينية في بيوت الحضانة التي عشتُ فيها، وكانت مسألة كون الإنسان بروتستانتيّاً، كاثوليكيّاً، أو يهوديّاً، أو أي شيء آخر لا تعني لي مطلقاً أي شيء. لقد كوّنتُ رأياً للتوّ أن ما يُسمّى بالتعاليم الدينية التي اختبرتها لا تعني شيئاً. من أجل ذلك، تجاهلتُ رسالة يوم الأحد المدرسية التي تحمل الخوف والحكم على الناس، ولم أعر انتباهاً لأيّ منها. كنتُ لا أرى حاجة إلى كلّ هذا الجنون في حياتي، وفي وقت لاحق قررتُ ألا أشارك فيها، لأنه في كلّ مرة كان يُطلب مني الذهاب إلى الكنيسة كنتُ أشعر بالسوء في نهاية تلك التجربة، وأنا أريد أن أشعر أنني جيد أكثر من أي شيء آخر.

كانت عائلة «رودا» في غاية اللطف، وعندها قررتُ أن «رودا» ستكون صديقتي المُرحّب بها في الصفّ السابع.

مع قبولي لكلّ من «رودا» و«غاي»، أصبحت تحضيرات قبولهما في الصفّ أكثر

سلاسة، وأصبح كلا الولدين مقبولا كجزء من صفنا، وتوقف استخدام كلمة «يهودي» كعلامة ازدراء مباشرة على ما أعتقد. كنتُ مُرتبكا من استعداد الكثير من أصدقائي للحكم على شخص بناء على ما أخبرهم به أهلهم عن كلمة لم يفهموا معناها حتى. عوضاً عن التفكير بأنفسهم، كانوا يستخدمون أدمغتهم كي يعكسوا ما أملاه الآخرون عليهم كي يفكروا به.

كنتُ محظوظاً جداً، أنه ليس لديّ أشخاص كبار حولي يُخبرونني مَنْ أكره وَمَنْ أرفض وَمَنْ أُدين. برزت هاتان التجربتان مع «رودا» و«غاي» بوضوح عندما عدتُ بذاكرتي إلى بداية حياتي، وأدركتُ الآن أنني كنتُ أتهياً من أجل أن أعلم التعاطف والتحمّل في حياة النضج، على الرغم من أنني كنت غير واع لأهمية هذا الأمر في ذاك الوقت. لم أكن في الحقيقة أشعر بالتميّز أو أنني أكثر تنويراً من الآخرين، كنتُ فقط واحداً من ثلاثين طالباً أو أكثر في الصفّ، وبدا وكأنّ الأشياء التي يجب فعلها تظهر في وقتها.

أستطيع أن أرى الآن بوضوح تامّ أنني أرشد كي أتصرّف بطريقة أو بأخرى، على الرغم من أنني صبي صغير. كانت العناية الإلهية تقود المسرحية التي كنتُ فقط في المشهد الأول منها في ذاك الوقت. لا أستطيع أن أقول لماذا توليتُ القيام بهذا النوع من الأدوار في المراحل الأولى من حياتي، بدلاً عن التخمين بأنّ قوّة عليا كانت تعمل خلال سنوات التكوين. بينما كان العديد من أصدقائي ومعارفي يرغبون في استخدام نعوت الكراهية، كنتُ مُستاءً بالفطرة من تلك اللغة وأقف موقف العداء منها في داخلي عندما أسمعها، ولكنني لم أختَر أن أقوم بثورة غضب كبيرة عندما يظهر سلوك كهذا، لأنني كنتُ أعلم في داخلي تماماً كما تعاملتُ مع الخوف الذي كان يُهدد أخي، أنّ القتال مضيعة للوقت ولا يدفع إلى إنجاز أيّ شيء. لقد سمعتُ أصواتاً مختلفة في رأسي، ومُنادة داخلية تُشجّعني كي أكون أنموذجاً عمّا وجدته صحيحاً.

كان موضوع التعاطف واللفظ تجاه الآخرين معي منذ كنتُ صبياً صغيراً. ربّما كان من بقايا حياة سابقة، وربّما نما من مشاعر مُبكرة من الهجر، حيث أردتُ أن أعطي الحبّ بسبب شعوري أنّ الحبّ لم يكن يأتيّني. من مُنطلق هذه النقطة أرى وكأنّ يد

العناية الإلهية على كتفي تُرشدني كي أتصرف بطرق رحيمة منذ وقت مُبكر كي أستطيع الكتابة والحديث عن أهمية نشر الحبّ إلى الجميع كجزء من رسالة الحياة.

مع ذلك عادت شعلة التحفيز تلك كي تتموضع داخلي، وهنا أريد أن أُعبر عن تقديري من أعماق القلب لها، لأنها لم تُشعل حياتي فقط على نحو غير محدود، وإنما كانت مصدر راحة وشفاء بالنسبة إلى الملايين من الناس في العالم.





• «عندما أستظيف في برنامج The Tonight Show عرض الليلة وأتحدث إلى «ستيف آلن» سوف أكون ممتع أكثر من الذين كانوا في الليلة الماضية».

كنتُ أجري مُحادثة مع أُمِّي وأخوتي في وقت باكر من الصباح قبل أن تستقلَّ أُمِّي باص العمل ونتوجّه نحن إلى المدرسة. في عام 1954 أصبحتُ في عمر الرابعة عشر، وكنتُ أشاهد برنامج «ستيف آلن» التلفزيوني كلَّ ليلة تقريباً، وأُشاهد نفسي هناك في الاستديو أتحدّث مع «ستيف» وأدردش مع شخصياته غريبة الأطوار. لم أكن أعتقد أنني سأكون ضيفاً بل كنتُ أعرف ذلك.

كنا نمتلك شبكة تلفاز صغيرة من نوع Admiral «أدميرال»، وكان الرائي بالأبيض والأسود هو أول تلفاز في الحيّ. على سطح منزلنا الصغير ذي الطابقين في شارع «موروس - 20217» كان هنالك لاقط للإشارة على حسب هبوب الريح. بالنسبة إليّ كان هذا هو أقصى حدّ للرفاهية، وقد أصبحتُ مُدمناً لمتعة الليل المُتأخر بعد أن ينام جميع من في المنزل، أطلتُ السهر قرب تلك الأداة الغريبة وكنتُ أخفض الصوت قدر الإمكان، لأنّ مُنبه أُمِّي مضبوط على الخامسة صباحاً ولا أريد إزعاجها، أو جعلها تنبّه أنني صاح تماماً، بينما تظنني نائماً.

تلك الليالي التي كنتُ أشاهد فيها «ستيف آلن» في عرض الليلة كانت أكثر من مُجرّد مُتعة بالنسبة إليّ. كنتُ في خيالي أدمج نفسي مع البرنامج بأكمله، وفي بعض الأحيان كنتُ أرى نفسي ليس كما في الوقت الحاضر صبي صغير يجلس في غرفة

الجلوس يُشاهد التحولات الإلكترونية، وإنما أرى نفسي في المُستقبل كذلك.

لديّ شعور لا يُصدّق عن كوني مُرتبطاً بما سأفعله في المُستقبل حتى أنني في بعض الأحيان أنظر إلى الشاشة الصغيرة وأرى نفسي جالساً أتحدّث مع «ستيف» كشخص ناضج.

لا أستطيع زعزعة هذه الصورة مُطلقاً. أتحدّث عنها مع القليل من الناس فقط، وفي بعض الأحيان أستطيع الدمج بين الحاضر والمُستقبل، فتُصبح هذه الصور الداخلية عالمي الخاص.

رُبّما يبدو الأمر جنونياً بالنسبة إلى مُعظم الناس، ولكنّه حقيقي جداً بالنسبة إليّ. كنتُ أرى نفسي أستعمل شاشة التلفاز الصغيرة هذه كوسيلة من أجل الوصول إلى الناس وتعليمهم، ليس فقط في مدينتي أو في بلدي، بل في العالم بأكمله.

عندما أشارك هذه الأفكار مع عائلتي وأصدقائي، يهزؤون من قلة خبرتي، ولذلك بدأتُ أتمرّن على إبقاء هذه الصور الداخلية في الداخل فقط. لم تتركني هذه المعرفة أبداً، ليلة بعد ليلة، وكلّما شاهدتُ «ستيف آلن» في برنامج الليلة.

في عام 1976 نشرتُ كتابي Your Erronrous Zones «مناطقك الخاطئة» للعموم، وكنتُ أقوم بجولة محلية على نفقتي الخاصة على نحو عام، وأزور المدينة تلو الأخرى، وأقوم بالمقابلات الإعلامية بقدر ما استطعتُ ترتيب الأمور، لأنني كنتُ شخصية غير معروفة، وكلّ طلب قدمته من أجل الظهور بلقطة على التلفزيون المحلي قوبل بالرفض بحزم. من أجل ذلك، قررتُ أنّ الطريقة الأخرى كي أصل إلى كلّ شخص في «أمريكا» هي أن أذهب إليهم مباشرة.

حزمتُ كُتبي مع ابنتي «تريسي» البالغة من العمر تسع سنين، وقضينا أشهراً عديدة في الطرقات. قمتُ بكلّ مُقابلة استطاع «دونالد غولد» صديقي الخاص والوكيل الإعلامي أن يُرتبها. أخيراً تلقيتُ اتصالاً في شهر آب من رجل أعمال اسمه «هاورد بابوش» يعمل مُنسّقاً للمواهب في برنامج «عرض الليلة مع جوني كارسون»، وكان قد قرأ كتابي «مناطقك الخاطئة» للتوّ، وأراد أن يعرف إذا كنتُ قادراً على أن أحضّر

نفسي من أجل مُقابلة مبدئية من أجل ظهور مُحتمل في برنامج «عرض الليلة». بالطبع قبلتُ مباشرة ووصلت إلى «بوربانك، كاليفورنيا»، إلى استديوهات محطة «إن بي سي». تحدّثنا أنا و«هاورد» ساعات عديدة وأصبحنا في النهاية صديقين مُقربين.

بعد يومين، نلقيتُ مُكالمة من «هاورد» يُعلمني فيها أنني أدرجتُ على الجدول من أجل الظهور مساء الاثنين القادم في برنامج «عرض الليلة» مع الضيف الكوميدي «شيكي غرين»، الذي يُمثل كثيراً في المسلسلات الهزلية في «لاس فيغاس». كانت فرّصتي الأولى كي أتحدّث مع الناس في «أمريكا» عن الرسالة التي أردتُ مشاركتهم إياها في عالم كتابي «مناطقك الخاطئة». كنتُ أشعر بسعادة غامرة ونشوة لا أستطيع التعبير عنها مهما كتبتُ هنا. كان من المقرر أن أكون آخر ضيف، أو كما يُسمّى هذه الأيام «إضاءة كاتب»، وفي آخر خمس عشرة دقيقة من أصل خمسين دقيقة من وقت البرنامج الذي يُبث في الساعة الواحدة إلا ربع صباحاً.

في الليلة التي كان سيُسجل فيها العرض، عندما توجّهتُ إلى غرفة ملابسي، مررتُ على هاتف عمومي، وأجريتُ مكالمة مع السيد «ستيف آلن»، الذي كان ضمن الجدول كي يكون الضيف الأول في البرنامج. قدّمتُ نفسي إلى «ستيف» ومشيتُ إلى غرفة ملابسي ضمن سحابة من الدهول. سأظهر على القناة المحلية على الرائي مع الرجل الذي أعجبتُ به كثيراً منذ أن كنتُ صبيّاً في عمر أربعة عشر عاماً!

انتهى تصوير البرنامج في حوالي السادسة مساءً ومضى دوري مع «شيكي غرين» على نحو جيد. كان «شيكي» مُمتعاً ومُضحكاً ونجح في جعلني مُرتاحاً ومُنسجماً ومُستمتعاً.

توجّهتُ خارجاً إلى مطار «لاكس» في حالة من النشوة الخالصة، وبينما كنتُ على وشك الصعود في الطائرة سمعتُ نداء اسمي عبر نظام النداء العمومي، وأخبروني أنّه لديّ مُكالمة هاتفية طارئة. عثرتُ على هاتف، وكانت المُكالمة من «هاورد» الذي اتّصل كي يُخبرني بعض الأخبار السيئة. للمرة الأولى في تاريخ «عرض الليلة»، تمّ استبدال البرنامج لأنّه في البرنامج الوطني الجمهوري في مدينة «كانساس»، قام المُرشح لمنصب نائب الرئيس «بوب دول» بتجاوز الوقت المسموح له، ولم تُغيّر

محطة «إن بي سي» المشهد، ولذلك فإنّ ظهوري المحلي الأول والوحيد على شاشة التلفاز قد انمسخ. انتقلتُ من شعور النشوة إلى الغضب في برهة!

في اليوم التالي الثلاثاء، اتصل بي «هاورد» وأنا في «ديترويت» كي يُخبرني أنّ «جونى كارسون» يرغب باستضافتي في «عرض الليلة» ليلة غد الأربعاء. يبدو أنّ «جونى» أخير في اجتماع صباح الثلاثاء عن هذا الضيف الجديد الذي كان رائعاً في الليلة السابقة، على الرغم من أنّ العرض لم يُبث.

استملتُ تذكرة طائرة العودة إلى «لوس آنجلوس»، كي أظهر مع «جونى» في ليلة الأربعاء. على الرغم من أنّه مضى وقت طويل من وقت البرنامج تحدّث فيه «جونى» مع «أورسون ويلز» و«روبرت بليك»، ممّا جعل الوقت المتبقي قليلاً لي، من أجل ذلك قال لي «جونى» عليّ الهواة: «أنا آسف لقد أطلنا الحديث هذه الليلة. هل بمقدورك البقاء والظهور مرة أخرى يوم الجمعة، وسنُعطيك وقتاً أكبر من وقت اليوم؟»، قلتُ: «نعم»، وظهرتُ مُجدداً مع «جونى» ليلة الجمعة، ثمّ ليلة الاثنين التالية حيث أعادوا عرض الحلقة التي توقّفت في الأسبوع الماضي والتي كانت مع «شيكي غرين!».

انتقلتُ مباشرة من عدم الظهور على قناة التلفزيون المحلي إلى ثلاث لقطات في «عرض الليلة» خلال خمسة أيام. كانت هذه بداية سلسلة من سبعة وثلاثين ظهوراً عبر «عرض الليلة» خلال السنتين القادمتين، إضافة إلى الظهور الدائم في برنامج «ميرف غريفين»، برنامج «مايك دوغلاس»، برنامج «ذا فيل دوناهو»، برنامج «حديث دينا شور الصحفي، دينا!»، برنامج «جون دافيدسون»، برنامج «اليوم»، برنامج «صباح الخير أمريكا» وغيرها.

كلّما اقتربتُ من مركز الاتصال ذاك، وتذكّرتُ أنني كنتُ على وشك الظهور مع «ستيف آلن» في «عرض الليلة»، تكوّن لديّ شعور مُباشر لا يُقاوم في داخلي أنني صنعتُ مُستقبلي في الحقيقة، من خلال امتلاكي خلفية من المعرفة القوية عندما كنتُ في عمر الرابعة عشر. في الحقيقة، أنا متأكّد جداً أنّ الوقت في حدّ ذاته هو خدعة وأكثر بكثير من أن نكون قادرين على فهمه من خلال ارتباط التفكير مع الجسد.

ربما كانت معرفتي السابقة في عام 1954 أحد احتمالات الحدث المُستقبلي الذي أصبح حاضراً الآن وأفكر فيه على أنه من الماضي. بيد أنه لو كان الوقت وهماً، والوحدانية هي تعريف تجربتنا بالفعل، لكان يجب أن تكون فكرة الماضي والمُستقبل وهماً أيضاً. لو بدا الأمر أحماً ومُستحيلاً بالنسبة إليك، كما بدا كذلك كثيراً بالنسبة إلي، عندها فكر فقط في حالة الحلم الخاص بك. هنا يُمكنك أن تطير، ويُمكن أن يكون جدارك المُتوفيان منذ وقت طويل على قيد الحياة، وتكون قادراً على أن تكون طفلاً صغيراً أو شخصاً كبيراً، أو في أي عمر ترغب فيه لو ركزت انتباهك عليه. تأمل ذلك في ثلث حياتك، فأنت في بُعد اللاوقت وكل شيء مُمكن، والطريقة الوحيدة التي تعرف فيها بالتأكيد أنك كنت تحلم هي أن تستيقظ ثم تنظر إلى الورا إلى منامك.

في حياتي الآن ومن وجهة نظر أكثر يقظة، أعود إلى نفسي في عمر الرابعة عشر، فأرى أنني كنت أمتلك معرفة داخلية قد أصبحت نية وارتبطت مع المعرفة الكلية والخلق الكلي والعقل الإلهي، وسمحت لي أن أصبح ما كنت أركز وعبي عليه، كما كنت أفعل في حالة حلُمي. هذا إيماني بمدى قوّة أفكارنا ونوايانا على طول حياتنا. أرى الآن من وجهة نظر أوضح، أن كل لحظة من وجودنا تحمل عدداً غير محدود من الإمكانيات. إن المعرفة الأكبر في دواخلنا عمّا سنفعله أو سنكون عليه سنعيشها بالفعل هنا وفي الحال، على الرغم من أننا لم نُجربها بعد في حقيقتنا اليومية. إن الفكرة التي تستمر هي فكرة تصطف مع العقل الإلهي، وتُصبح حقيقة ما نُسميه المُستقبل، وهي في الحقيقة جزء من الوحدة التي هي الواحد، فلا تقسيمات، هناك فقط تجربة واحدة، هي «الآن».

تذكر أن كل شيء حدث لك في الماضي قد حدث فعلياً في لحظة الآن، وكذلك الأمر بالنسبة إلى المُستقبل. كل شيء ستخبره في أي وقت سيحدث الآن. نعم، إن «الآن» هو كل ما هنالك، وعندما رأيتُ وشعرتُ بنفسِي في برنامج «عرض الليلة» مع «ستيف آلن» في عام 1945، كانت تلك تجربة «الآن» التي تنتظر أن تظهر فقط. كان على هذه التجربة أن تظهر ولا إمكانيات أخرى، منذ أن امتلكتُ تلك المعرفة عنها.

إنّ ما عرفته من هذه النقطة هو أنّه عندما أمتلك المعرفة المطلقة داخلي بأنّ شيئاً سيحدث، أشعر أنّ لديّ إرشادات متوفّرة من مُعلّمين روحيين يعملون معي ويحرّكون دفّة سفينة حياتي في اتجاه رسالتي الخاصة «دارما» منذ لحظة تجسّدي في هذه الحياة. مع هذا الوعي أنا مُقتنع أنّي في دورة تدريبية على التعليم الروحي منذ بداية مُبكّرة، وأنّ هذه المعارف التي كانت مُقنعة جداً بالنسبة إليّ كصبي صغير كانت في الحقيقة جزءاً من نمط التدريب ذاك. إنّ الماضي والحاضر والمستقبل في بُعد غير زمني تحدث جميعها في الوقت نفسه ببساطة، حتّى وإن رآها بُعدنا المُستند على الزمن بصورة أخرى.

اليوم، أنا أعرف أنّه لديّ إرشاد روحي معي يُوجّهني على طريق الحياة، ويُعلّمني إدراك الإله. ليس لديّ سبب كي أشك أنّ هذه المُساعدة الملائكية نفسها كانت معي سابقاً في عام 1954 عندما رأيتُ نفسي في المُستقبل.

يبدو أنّ هناك حقيقة أساسية في العمل في عام 1976 أرشدتني لاحقاً خلال حياتي كلها. عندما أنظر إلى الوراء وأرى ما كان يحدث عندما كنتُ أروّج كتابي «مناطقك الخاطئة»، أتذكّر أنّي لم أشعر بأيّ إحباط ولا مرة لأنني لم أستطع كسب ظهور على محطة التلفزيون المحلي. لقد قرّرتُ ببساطة الذهاب إلى العديد من المدن والقبول بالعروض المحلية التي استطعتُ تحصيلها مهما كانت، وترك الباقي إلى حيث تُوجّه القوى العليا جهودي. لقد تبعْتُ نداءاتي الداخلية في كلّ أوقات حياتي، وخرج من ذلك الوعي ظهوري ثلاث مرات في أكثر البرامج المرموقة على التلفزيون المحلي خلال خمسة أيام، والانطلاقة إلى الشهرة المحلية بقية حياتي المهنية. لم أكن أطارد النجاح بل كنتُ أتعقّب صورتي الداخلية.

كان كلّ ذلك مُلتفاً في حكمة استشهدتُ بها عدة مرات، كُتبت قديماً في القرن التاسع عشر من قبل أحد أهمّ المُعلّمين الروحيين تأثيراً، والذي أنار طريقي واسمه «هنري ديفيد ثوريو»، لطالما رنّت كلماته بحدّة في شعوري: «لو تقدّم الانسان بثقة تجاه أحلامه، وسعى إلى الحياة التي يحلم بها ويتخيّلها، فسُيقابل نجاحاً غير مُتوقّع في الساعات العادية».

أستطيع الآن أن أرى بوضوح، أن هذه الحكمة كانت تعمل ساعات إضافية في حياتي، وكانت بالتأكيد غير مُتوقَّعة وأكبر من أيِّ احتمال تجرأتُ أن أتوقَّعه. كنتُ أتقدِّم بثقة تجاه حلمي الداخلي الخاص، وأعيش الحياة التي تخيلتها لنفسِي، وأحبُّ كلَّ دقيقة منها. لقد جعلتُ النجاح يُطارِدني، وما زال يفعل ذلك منذ ذلك الوقت. إنَّ الشيء الوحيد الذي كنتُ مُتأكدًا منه أنني أستطيع السيطرة على ما يدخل إلى خيالي، وأنني ببساطة سمحتُ لأيِّ نجاح استمتعْتُ به أن يأتي إليَّ.

في لحظة عرض مرات ظهوري الثلاث في «عرض الليلة» مُدَّة خمسة أيام، كنتُ قد استقلتُ للتوَّ من منصبي بدوام كامل كمُدِّرس برتبة «بروفيسور» في جامعة كبيرة كي أدخل إلى عالم خاص بي، وأُحدِّث إلى كلِّ مَنْ يرغب بالاستماع. حقيقةً، لقد تردَّدتُ كلمات «ثوريو» معي، كلَّما تبعْتُ حلمي وسمحتُ للكون أن يُعالج التفاصيل.





• أقود دراجتي حول كتلة البناء المُتجمعة، مُحاولاً تجنّب المشي في فوضى منزلي. إنّ الحياة في المنزل في عمر الخامسة عشر مليئة بالفوضى، وتُصبح أسوء في نهاية اليوم.

تعمل أُمّي سكرتيرة لصالح شركة «كرايسلر» ومن الصعب عليها الحصول على المال الكافي من أجل دعم صبيانها الثلاثة، حيث أنّ زوجها ليس لديه اهتمام بالقيام بأيّ شيء غير الشرب والثوران العنيف، ممّا جعلها تُقرر أخيراً أنّه يكفي ذلك، فملأت الأوراق من أجل الطلاق من «بل دروري»، مُتأملّة أن تجلب الهدوء وبعض السلام الذي طال انتظاره إلى منزلنا، وأن تستعيد اسمها الأخير كي يكون تماماً كإسمي.

إنّ إدمان زوج أُمّي على الكحول يخرج عن السيطرة، وبنفلة إلى الهجوم المُعتاد الذي يستخدمه مُعظم الثملين: الصراخ العنيف، الصوت العالي، سرعة الغضب. إنّهُ يُضايقني في أيّ شيء يجده مُزعجاً، أيّ شيء على الإطلاق. من أجل ذلك، أركب الآن دراجتي خلال انتظاره كي يستقلّ سيارته «الشفروليه» طراز 1954 السوداء ويتوجّه إلى الحانة. ما زالت كلمات مُعلّمي المُرشد في الثانوية حاضرة في ذهني كلّما دُسْتُ عجالات دراجتي حول كتلة البناء: «أريد أن تحضر أُمك إلى المدرسة وتحدّث مع المدير، وحتى ذلك الحين، أنت مُستبعد عن المدرسة».

عاقبتني السيدة «كاتر» لأنني رفضتُ تعبئة استمارة أنموذج الأفراد بطريقة لائقة. عندما وصلتُ إلى السطر الذي يطلب اسم الأبوين، كنتُ مُرتبكاً عمّا يجب كتابته في الفراغ. هل يجب عليّ كتابة اسم زوج أُمّي، أم اسم والدي الذي لم أره أبداً؟، كيف

سأبرر تغيير اسم أمي؟. شعرت بالانتهاك، ولم أشأ أن أضع أي شيء في هذه النماذج يجعل أمي تبدو سيئة، وكنت أكره أن يسألوني عن معلومات شخصية ترتبط بعائلتي. من أجل ذلك كتبت بحروف كبيرة فوق النموذج: «هذا شأني»، ونتيجة لذلك استبعدتني السيدة «كاتر» وطلبت أن تخسر أمي يوماً من العمل، وتركب ثلاث حافلات كي تجتمع مع المدير السيد «إيروين وولف».

لم أكن أستطيع المشاركة في أنشطة المدرسة ثلاثة أيام، عوضاً عن ذلك، كنت أجلس على مقعد في مكتب مدير المدرسة. على الأقل هناك كتاب مُمتع على مقعد الطلاب المُعاقبين، وُضع هنالك على أمل تغيير المُتذمرين المُشاكسين الذين حُكم عليهم بالجلوس على هذا المقعد.

عدت مرة ثانية إلى المدرسة بعد أن شرحت أمي لمدير المدرسة السيد «كاتر» أنني أحاول حمايتها، ووعدت أنني سأحتوي نفوري من تعبئة النماذج، وأعامل إجراءات التسجيل في كل فصل باحترام. لم أكن أعرف أي شيء عن السبب الذي أجج غضبي تجاه قوانين المدرسة. كان هناك ألم مدفون بعمق من العيش مع «حظّ مُهين» في شكل إدمان كحول، جنباً إلى جنب مع الاحتمال الوشيك لانفصال العائلة من جديد، والخوف من ارسالي إلى دار الحضانة وخسارة التواصل اليومي مع أمي مرة أخرى.

بعد بضعة أشهر، أعلمني مُدرّس العلوم في الصفّ التاسع أنه عليّ عمل دفتر أجمع فيه أنواعاً مُختلفة من أوراق الشجر من الجوار وأعيد له قبل نهاية هذا الفصل، وأني لن أنجح في الصفّ وسيكون عليّ إعادة مادة العلوم لو لم أمتثل لهذا الأمر.

أنا في الخامسة عشر من العمر ولا آخذ المدرسة على محمل الجد، فالشيء الأكثر أهمية بالنسبة إليّ في هذا الوقت من حياتي هو عملي، وهو الشيء الذي يأخذ كامل الوقت إلى حدّ كبير. أعمل كمُساعد مدير، أمين صندوق، مدير إنتاج، لحام، أو في أي شيء مطلوب في متجر «ستال»، وهو مخزن صغير مُستقل يُلبّي طلبات السكان المحليين. كنتُ أعطي جزءاً من كسبي لأمي، وكذلك لأخوتي، اللذين يعملان بجدّ كثيراً في عمليهما، ويتعثران عندما يتطلّب الأمر أن يكونا طالبين ممتازين.

عرّضت عليّ إحدى فتيات صفّ العلوم «ماري جو ميركوريو» أن تقوم بجمع أوراق

الشجر من أجلي، وبذلك لن أمر بحالة خزي الرسوب في مادة العلوم من أجل سبب غير معقول. رفضت ذلك فقد أصبح الأمر مسألة أخلاق بالنسبة إليّ. أنا لست صانع مُشكلات بأيّ معنى في هذا العالم، بيد أنّ هناك شيء داخلي يتصرّف بقوة، بل بعنف تقريباً، تجاه فكرة عمل واجبات تافهة تأخذ الكثير من الوقت بلا فائدة، وأقوم بها لأنّ كلّ واحد من الصفّ سيقوم بها دون أيّ اعتراض أو أسئلة لمسؤول الصفّ بشأنها.

أنا مُحبط من عناد أستاذ العلوم في أمر تجميع وإصاق أوراق الشجر على دفتر القصاصات، ببساطة لأنّ كلّ تلميذ كان يقوم بهذا العمل دائماً. توّسّلتُ إليه ولكن بلا فائدة، فقد بقي على موقفه التالي: قُم بتجميع ورق الشجر أو سترسب في الصفّ، حتّى وإن حصلت على علامات عالية في جميع واجباتك المدرسية، حتى لو برهنت لي أنّك تعرف الاختلاف بين أوراق شجر البلوط وشجر الدردار والأشجار الدائمة الخضرة.

سيطر الإحباط على سلوكي، وتحدّثتُ بقوة: «هذا أمرٌ غبي للغاية. لديّ عمل بدوام كامل، وليس لديّ الوقت من أجل فعل واجب سخيف كهذا. لن أقوم بعمله».

مُجدداً ذهبتُ إليّ مكتب المدير كي أجلس في مقعد الطلاب الجانحين، ثمّ كان عليّ مُجدداً أن أدعو أمّي كي تترك عملها وتأتي من أجل مُقابلة ثانية مع السيد «وولف» كي تسمع لماذا لا يُمكن ولن يُمكن تحمّل وقاحتى.

بينما أنا جالس هناك، رأيتُ الكتاب نفسه الذي لفت نظري قبل أشهر قليلة. كان الكتاب نسخة بغلاف ورقي بعنوان «العيش في الغابات» للمؤلف «هنري ديفيد ثورو». في آخر مرة كنتُ فيها هنا تصفّحتُ الكتاب فقط، والآن، بينما أجلس على المقعد الطويل مُنتظراً موعدى مع الحُكم على رسوبي كي أكون كأني شخص آخر، قررتُ أن أقرأ كلّ شيء.

أنا أحبّ كتابات هذا الإنسان! لقد بتّ مُستغرعاً كلياً في نمط تيار الوعي الخاص بالكاتب «ثورو» حين وصف شعور أن تعيش في البرية وتعلّم عن الحياة من خلال الإصغاء، وأن تكون داخل الطبيعة. لقد ازداد رفضي للمشاركة بما بدى لي امتثالاً أحمقاً من أجل الامتثال للأوامر فقط، بعد قراءة كتاب «العيش في الغابات» أثناء انتظار الفعل التأديبي. أنا مُرتاب قليلاً على نحو لا يُمكنني إنكاره بشأن الموقف الذي

أخذه، لأن الاستمرار به يعني حضور المدرسة الصيفية وإعادة مادة العلوم.

كنتُ أحضر إلى المدرسة كلَّ يوم وأتوجّه إلى المقعد المطلي في مكتب المدير، حيثُ أكمل قراءة قصة «ثورو» عن وقت عيشه في برية «ماساتشوستس». حلمتُ أيضاً بالعيش بسلام في الطبيعة دون قواعد سخيفة تُفرض عليّ. لقد ضعتُ في كلماته وكلَّ ما تعلّمه من القوى الغامضة في الطبيعة، وقررتُ أنّ هذا الرجل الذي كتب منذ حوالي مئة سنة مضت أو أكثر هو بطلِي. لقد تعلّمتُ أنّه ذهب إلى السجن عوضاً عن دفع الضرائب إلى الحكومة التي سمحتُ بالعبودية وشاركتُ في رعب الحرب الأمريكية المكسيكية. إنّهُ مُتمرّد يثور ضدّ القوانين الغبية والسلوك اللاأخلاقي تجاه الآخرين.

أنا مُمتنّ جداً لمن ترك هذا الكنز، ومُمتنّ لكلّ الحكمة التي تتدفق من هذا الرجل الذي يعتقد كما أعتقد أنا في شيء لم أختبره سابقاً في حياتي.

عندما أنهيتُ قراءة «العيش في الغابات»، وجدتُ مقالة في خلفية الكتاب بعنوان Civil disobedience «عصيان مدني». لقد تبقى لي يوم واحد من الجلوس التأديبي على المقعد في غرفة المدير، ولذلك وجب عليّ قراءة هذه المقالة. أنا أكثر من مُتحمّس، بل أنا مذهول! يكتب هذا الرجل إلى قلبي مباشرة. تتحدّث كلّ المقالة عن فكرة أساسية وهي أنّ كلّ شخص لديه حقّ وواجب أن يمثل لضميره، وخاصة عندما تُفرض عليه قوانين غبية ومُرهقة من قبل سلطة الحكومة.

أشعر وكأنني وجدتُ شريكي الروحي الأدبي، والرجل الذي أحترمه. عاش «ثورو» أفكاره إلى درجة قبل فيها أن يُسجن على أن يدفع ضريبة الفرد في مسقط رأسه في مدينة «كونكورد، ماساتشوستس». اتخذتُ قراراً أنني ذات يوم سأزور «كونكورد» وأُغمر نفسي في العالم نفسه الذي يُنتج أناساً لديهم طريقة ثورية في التفكير.

أنا أفترض أنّ موظفي المدرسة، الذين قدّموا لي هذا الكتاب كي أقرأه في هذا المكان المُهمّل، أرادوني أن أتبع المبادئ التي كنتُ أقرأها. أنا مُتشوّق إلى مُشاركة أفكار «ثورو» مع السيد «وولف» في تشاور الغد المُخطّط له مع أُمّي. أعتقد أنّه ليس غريباً جداً أن أجلس هنا للمرة الثانية بانتظار عقوبتي على ذنب إيماني بنفسي، وقدرتي على التمسك بما أوّمن به. أشعر بشعور طيب حيال هذه النصيحة

بخصوص أهمية إطاعة ضميري وممارسة العصيان المدني.

وصلت أُمِّي مُنزعة على نحو واضح لأنها أخذت إجازة من عملها من أجل مُقابلة أخرى في المدرسة. قبل هذا الوقت عشتُ معها خمس سنوات، كانت كفيفة بأن تُكوّن لديها فكرة واضحة جداً أنّ ابنها «واين» لا يُشبه مُعظم الأولاد الآخرين عندما يتعلّق الأمر بإطاعة أوامر سخيّة، أو عندما يتمّ إخباره كيف يعيش حياته. كانت تثق تماماً بقدرتي على صنع قراراتي الشخصية، لأنّ هذا ما فعلته كثيراً منذ أن كنتُ صبيّاً صغيراً.

في هذه الزيارة الثانية للسيد «وولف» أريته ما كنتُ أقرأ في الأسبوع الماضي عندما كنتُ أنتظر قدرتي: «هل يجب على المواطن ولو لحظة أو أقل من ذلك أن يُسلم ضميره للمُشرّع؟ لماذا يمتلك كلّ شخص ضميراً عند ذلك؟ أعتقد أنّه علينا أن نكون رجالاً أولاً، ثمّ رعية بعد ذلك، والالتزام الوحيد الذي من حقي أن أقوم به في أيّ وقت هو ما أعتقد أنّه صحيح».

بورك قلب أُمِّي، فقد دعمت الموقف الذي أخذته، تماماً كما فعلت في الأشهر القليلة الماضية عندما شرحتُ موقفِي الصارم في رفض تعبئة النماذج العديدة التي ستجعلها تبدو بمظهر سيء.

سأقوم بحضور المدرسة الصيفية، ولكنني لستُ مهووراً، أنا مُمتنّ من الأعماق تجاه الأيام التي استبعدتُ فيها من المدرسة، كي أقرأ كلمات هذا الرجل الذي أصبح أحد أكثر الشخصيات البشرية المؤثرة في حياتي. كنتُ أتطلّع إلى أخذ مادة العلوم مرة أخرى في الأسابيع القليلة القادمة.

كان هذان الحدثان اللذان ذكرتهما أعلاه أبرز حدثين حصلوا معي خلال السنوات الأربع كلّها في المدرسة الثانوية. أعود بذاكرتي إلى الغضب الداخلي الذي شعرتُ به عندما توجّب عليّ تعبئة النماذج، كيلا أكشف شقاق الأسرة الذي فضلتُ أن أبقيه سراً، وأستطيع الآن أن أرى غنى الفوائد التي حصلتُ عليها. لقد ساعدتني تلك التجربة بمُفردها أن أصبح والدّاً أفضل لأولادي الثمانية كلّما عارضوا شيئاً من القوانين المدرسية. أستطيع أن أتذكر تلك المواقف مع القواعد والأنظمة التي لم تكن ذات معنى بالنسبة إليّ، ممّا يجعلني أشعر بالتعاطف مع إحباطات أولادي. لقد فهمتُ وأنا صبي صغير جداً أنّ اتباع

القوانين على نحو أعمى فقط لأنها قوانين يجعلك تفقد السيطرة على حياتك كلها.

استطيع الآن أن أرى أن تلك المواقف المبكرة وأنا مرهق في المدرسة الثانوية مع أولئك الذين حاولوا جعلي أطيع، كانت تمتلك مكاناً قبلي، ولذلك رُبما أستطيع أن أكتب وأتحدث عن شكل أعلى من الوعي. في وقت لاحق في الحياة، بدأت أعيش كرجل يحترم حكمة «تاو تي تشينغ»، المكتوبة من قبل «لاو تزو» في القرن الخامس قبل الميلاد، واكتشفت الشكل الأعلى من الوعي المنقول في «التاو». تؤكد هذه الفلسفة أن الفعل يكون من القلب، عندما تكون عظمة التاو «الإله» حاضرة، بينما عندما ينبع الفعل من القواعد، لا تكون عظمة التاو «الإله» حاضرة، ويكون الأمر علامة أكيدة على أن الفضيلة غائبة.

إن تورّطي المبكر في العيش بمجموعة قواعد بدت غالباً غير مهمة، كانت الغذاء الذي سمح لي بالكتابة والتحدث عن أهمية الاعتماد على الذات. إن كوني شخصاً يافعاً لم يتبع الآخرين ببساطة ولم يفعل ما قيل له دون السؤال عن السلطة، أو عن سبب تلك القواعد في المقام الأول، أثمر خلاصة بنظرة مختلفة اليوم. هناك شيء داخلي أدعوه أنا حاضر، وهو رابطي مع مصدر وجودي: التاو، العقل الإلهي، الإله، «كريشنا»، «المسيح»، الوعي ولا يهتم الاسم. إن «حضور الأنا العليا» شيء، يتحدث إليّ بصوت عال جداً، كما يفعل ذلك دائماً، ولم يخذلني أبداً، وعلى الرغم من وجود أوقات استمعت فيها إلى دفاعاته الداخلية، إلا أنه كان يُجيرني أن أواجه مرة أخرى ما يبدو أنها أسهم القدر الشائن، مع أنها بالفعل كانت دروساً عظيمة تجسّدت كي أتعلمها.

إن حضور الأنا داخلي كان مُقنعاً للغاية، وقد كان كذلك عندما كنتُ صبيّاً صغيراً. إنني فقط لم أستطع أن أكون واحداً من القطيع، وعندما كنتُ أرى سلوكاً يُشبه قيادة القطيع كنتُ أدّينه بطريقة تحتوي على الأنا أكثر ممّا أفعل الآن. كنتُ في وقتها صاحباً جداً، أُجذب بعض الانتباه غير المرغوب إلى نفسي كي أتأكد! أستطيع اليوم أن أرى بوضوح أن الاستفزازات الداخلية التي جربتها في المدرسة الثانوية كانت نداءاتي المبكرة من أجل تعليم الآخرين ألا يكونوا ضحايا من خلال اختيارهم عقلية التفكير الجماعية.

كان الصيف الذي أخذتُ فيه مادة العلوم للمرة الثانية، تجربة تذكارية أخرى من سنوات الدراسة الثانوية. كانت مُعلّمتي الجديدة امرأة في الثلاثينات تُدعى «أوليف

فليتشر» احدى أفضل الأساتذة الذين حظيت بهم في أي مكان. لقد أخذت وقتاً كي تتعرف إليّ كشاب صغير لديه كلّ الإمكانيّة، بيد أنّه يمتلأ بالطعنات مع الارتباك ووجع القلب. لقد أخذتني إلى البولنغ، وهنا سقطت أرضاً! فالمُعَلِّمة كانت تهتم بي وأرادت أن تقضي وقتاً تتحدّث معي، بدلاً من أن تُحدّثني. لقد جعلتني السيدة «فليتشر» أنظر إلى داخلي وأقدّر ما أجده هناك. لو لم أمضِ مع مدرسة العلوم المُبدعة ونرمي معاً مجموعة أوراق الشجر، ربّما لم أكن لأحظى بالفرصة كي أعرف هذه المُعَلِّمة المُهمّة الرحيمة التي جسّدت لي نوعاً من المُمارسات التي تبنيتها لاحقاً عندما أصبحت مُعَلِّماً.

كانت السخرية الكبرى في هذه القصة أنّه بعد ست عشرة سنة، أكملت دراسات الدكتوراة وحصلتُ على منصب أستاذ زائر «بروفيسور». كنتُ أدرّس في كلية التربية صفّاً مطلوباً من أجل تخرّج الطلاب الذين كانوا يُدرّبون الأساتذة والذين يرغبون أن يكونوا إداريين في المدارس. هنا على ورقة القائمة كان هنالك اسم مألوف، وهو الرجل نفسه الذي أعطاني درجة الرسوب في مادة العلوم، لقد كان اسمه مُدرّجاً في الدورة التي كنتُ أدرّس فيها! لم يكن الأمر صدفة. لقد استمتعتُ بتخيّل أنني سأرسله إلى «أستراليا» كي يُكمل مهمته في جمع أوراق الشجر، كشرط مطلوب لإنهاء الدورة. في الحقيقة لم أذكر تلك المُصادفة التي مرّت معي في الثانوية نهائياً ولا أعتقد أنّه تذكرها أصلاً. أنا مُمتنّ دائماً تجاه التدخل الإلهي مهما كانت الطريقة التي يتحرّك بها، مثل وضع نسخة من كتاب «ثورو» في مكتب المُدير عندما كنت فقط في عمر الخامسة عشر. لا أستطيع شرح لماذا بدت كلمات هذا الرجل حقيقية بالنسبة إليّ في سنواتي المُبكّرة في المدرسة الثانوية، بيد أنّها كانت بداية حبّ استمرّ مدى الحياة تجاه فيلسوف أمريكي في القرن التاسع عشر أصدر كتابين فقط خلال حياته.

على مرّ السنين، قمتُ بالعديد من الزيارات إلى منازل كلّ من «رالف وول்டو إيميرسون» و «هنري ديفيد ثوريو» في «كونكورد، ماساتشوستس». في الحقيقة، كنتُ مُتحمّساً جداً في احدى الزيارات إلى مدرسة «ثورو» وقد أقنعتُ أمين ذاك المتحف الذي كان ذات يوم مكان دراسة «ثورو» ومنزله، أن يسمح لي بالاستلقاء على سريره

والجلوس على المقعد حيث كتب مقالة «العصيان المدني» التي أثارتنى كثيراً حينما كنتُ مُراهقاً.

من منظوري الشخصي اليوم، أستطيع أن أرى بوضوح أكثر أن «إيميرسون» و«ثورو» كانا نقاط مراقبة ملائكية بالنسبة إليّ خلال مُعظم فترة نضجي، وكانت كلماتهم منارات ضوء في عالم ضبابي. لقد أصبحتُ في البداية واعياً لرسائلهم في التحوّل والوعي الأعلى عندما كنتُ صبيّاً صغيراً جالساً في مكتب المدير، ثم عرفتُ بعد ذلك أنّ شيئاً سحرياً كان يظهر في حياتي.

كانت لديّ قشعريرة في داخلي عندما دخلتُ إلى ذاك الاجتماع مع أمي والسيد «وولف»، لأنّه لديّ حليف صادق عليه مُوظفوا المدرسة! وإلا لماذا تركوا ذاك الكتاب هناك على نحو ظاهر جداً من أجل أن أقرأه في الوقت الذي كنتُ أعاقب فيه على بعض أنواع العصيان المدني؟ لقد شعرتُ بحضور «ثورو» معي عندها، وهو معي الآن وأنا أنقل لكم مدى قوّة تأثير ذوي الوعي الفائق عليّ في فترة المُراهقة في حياتي، وما زالوا حتّى اليوم.

يبدو واضحاً بالنسبة إليّ اليوم أنّ عملاق التفكير المُستقل هذا كان هناك معي بينما كنتُ أشكّل سلوك الاعتماد على الذات أثناء فترة مُراهقتي. كان معي هناك عندما ذهبتُ إلى منزله، واستلقيتُ على سريرهِ، وجلستُ على مكتبهِ وتأمّلتُ في غرفته، وكان هناك معي عندما سجّلتُ البرنامج التلفزيوني المحلي في مسقط رأسه. هو معي الآن و أنا أكتب، يُذكرني أننا لسنا وحيدين أبداً، وأنه بإمكاننا الاتصال في الجوهر الروحي مع أيّ مُعلّم تنفّس على ظهر هذا الكوكب، وأن نُحقق قدرنا بمُساعدته.

أنا أرى بوضوح أنّ المُقاومة التي أبديتها في مُراهقتي أصبحت أساس الطاقة التي لا تقبل التوقّف، والتي أشعر بها في داخلي، وكانت طريقتي كي أقول «نعم!» جواباً على النداء بأن أصبح مُعلّماً عالمياً في الاعتماد على الذات والوعي الأعلى. يعمل التاو الأعظم «الإله» بطرق خفية غامضة، وهذا يعني أنّ «ثورو» نفسه لم يتدخل في مُراهقتي ويضعني على الطريق كي أكمل الرحلة.



► أنا أتحدّث إلى السيدة «أوليف فليتشر»، مُدرسة العلوم السابقة، التي أعطتني درجة «آي» في المادة نفسها التي رستُ فيها سابقاً بسبب اجتماع قوّة لا تُقاوم مع موضوع راسخ وضرورة أن أستسلم له. أخبرتها: «سأكتب روايتي الخاصة هذه السنة، أنا أعلم أنني أستطيع الكتابة، ولديّ فكرة من أجل كتاب أريد أن أجربها».

أنا مفتون بفكرة الوعي الفائق. في رأيي إنها مرحلة من الوعي تسمح للتجلي اللحظي، والاتصال التخاطري، والشفاء الذاتي والقوى غير العادية بالاتصال مع الكائنات الملائكية. أنا أتخيّل شخصية خيالية تمتلك كلّ تلك القدرات الروحية. هذه الشخصية حققت إدراك الإله وتعمل في مهنة استكشاف الحفريات الأثرية. سميتُ كتابي The Anomalous Compatriot «الزميل الغريب»، وكنتُ كلّ مساء أتسلل خارجاً إلى بقعة هادئة وأدع خيالاتي تنسكب، حتّى أصبح المُجلد الذي كتبته بخطّ يدي كبيراً، فخبأته بعيداً في السّر في حقائب ورقية بنية في علية صغيرة في منزلنا. أنا أحبّ تلك اللحظات الخفية المُخبأة حيث أهرب إلى الشخصية الخيالية التي أخلقها.

أنا أحبّ القراءة وتجذني دائماً مُنهمكاً في قراءة كتاب جديد، بينما يكره مُعظم أصدقائي القراءة، ولا يعتبرون الكتابة شيئاً يُمكن أن يقوموا به كمهنة، بل يعتبرون الكتابة بصراحة من وجهة نظرهم للجناء والحمقى.

في صفّ اللغة الإنكليزية كان لدى كلّ طالب مُجلّد من أجل حفظ تقارير الكتب التي قرأوها خلال الفصل. كلّما زادت التقارير، زاد الاعتقاد بأنّ هذا الطالب مُزدهر.

عندما ينفذ مني المال كنتُ اكتبُ وأبيع تقارير الكتب مُقابل خمسة وعشرين سنتاً عن التقرير كي أدمج دخلي. عندما كانت الدرجة المُستحقة عن التقارير أقل من «B» «بي» كنتُ لا أطلب مُقابلاً عن التقارير. أعمل الآن ككاتب وأشعر بالثقة أن لدي مقدرة الكتابة، لقد اختبرتُ ذلك في عالم الربح والخسارة الحقيقي!.

أكتب عن أي موضوع وأعتقد أن كتابتي تلقائية، لأنّ يدي تتحرّك عبر الورقة، ولكنني في الحقيقة لستُ من يقوم بالكتابة. إنه نوع من الارتباط مع الجزء غير المرئي مني يحدث عندما أجلس مع القلم البنفسجي في يدي وأسمح للكلمات أن تتشكل على الورق تحت أصابعي المُتحرّكة. أشعر تقريباً كأنني في المنزل عندما يكون لدي واجب كتابة. أحب امتحانات المقالات، وأدرك أن قدراتي الكتابية ستساعدني كي أتجاوز الهفوات التي قد أرتكبها في المواد التي أكتب عنها.

إنّ كتابتي هي بمثابة وجود صديق معي في كلّ الأوقات. أنا أحبُّ مساحتي حيث أهرب كلّ يوم من أجل جلب شخصياتي إلى الحياة، حتى ولو كانت القصة أقل أهمية، ولكنها فرصة من أجل الجلوس في مكان مقدّس مع قطعة ورق بيضاء فارغة تُحدّق إليّ، الأمر الذي يجعلني مُستمتعاً. عندما أقضي الوقت في كتابة روايتي، أعتقد في نفسي: أن الكتابة ليست شيئاً أفعله، بل من أكون أنا. أنا أحبُّ أن أشعر وأقول وأتذكر أنني أكتب. إنّ الشيء الذي يُعطيني شعور الإنجاز الأعظم هو شعور أنني مُرتبط بما أنا على الأرض من أجله في المقام الأول، وهذا ماتعنيه الكتابة بالنسبة إليّ.

ما زلتُ أرجع على نحو مُتكرر إلى مساحتي الكتابية، كما فعلتُ منذ خمس وأربعين سنة، وأشعر أنني آمن وأقرب إلى مصدر وجودي عندما أكون مُحاطاً بالصور الشخصية والتذكارات في المكان الذي أصفه أنه مساحة كتابتي المُقدّسة.

لقد كنتُ واعياً حتى في سنوات مراهقتي التي لعبتُ الكتابة فيها دوراً كبيراً في حياتي. لقد أصبحتُ حياً في داخلي عندما قرأتُ «ثورو» و«إيميرسون» في المدرسة الثانوية، وأصبح لديّ شعور يُشبه الكمال، وشعور أنني أفعل ما أرسلتُ من أجل ان أفعله أثناء كتابة روايتي، أو مجموعة المقالات الشخصية عن مواضيع مثل «تجنب التفكير الجماعي»، «كل الأشياء مُمكنة»، «كيف تعرف الإله حقيقة وتعيش إلى الأبد». كانت

هذه هوابتي عندما كنتُ يافعاً، والتي أضفتُها بسعادة إلى جدول عملي بدوام كامل، وإلى وقت منهاج المدرسة الثانوية.

أنا أعلم أنني كلما كتبتُ ملخصات عن تقارير الكتاب لأصدقائي بأجر معين، كنتُ أشعر أنّ شيئاً مُميزاً يحدث. عندما كنتُ أكتب مقالات عن مواضيع ترفض أن تهدأ في أفكاري، كانت ردود الفعل التي أستقبلها تتكرر بصيغة «عليك حقيقة أن تأخذ الكتابة في عين الاعتبار»، لقد سمعتُ دائماً أنّ لديّ طريقة في وضع أشياء ذات معنى على الورق.

حالما واصلتُ طريقي والتحقّت بالبحرية ثمّ بالكلية، استمتعتُ أكثر بأنّ كتابتي أعطتني نوعاً من التأكيد أنني لا أحتاج إلى شيء خارج نفسي من أجل أن أكسب دخلي. لقد أحببتُ معرفة أنني حملتُ الأدوات التي احتجتها مهما كانت كي أصبح في النهاية على نحو تام مُكفّ ذاتياً. لقد أردتُ ألا أذهب إلى مكان عمل حيث يتمّ إخباري بما عليّ أن أفعله وأفكر به، وأردتُ الاستماع إلى أصواتي الداخلية وكتابة ما أفكر به بطريقتي الخاصة. لقد كنتُ أعرف أنني أستطيع كسب عيشي دون كلّ المُتطلبات المُرهقة التي تبدو أنها تأتي مع كونك مُوظفاً.

كنت في ذاك الحين مُوظفاً أعمل منذ أسابيع عديدة على نحو جيد حوالي أربعين ساعة، ولم أشعر بالحرية. بيد أنني عندما كتبتُ ودفع الناس لي، وعندما أنهيتُ فصلاً من كتابي، وأدركتُ أنني أستطيع بيع روايتي وأيّ شيء آخر أكتبه، شعرتُ كأنني مدعو إلى الجلوس في حضن الإله حيث أقول فقط ما أريد أن أقوله فأجازي عليه بالمُكافآت! أستطيع أن أرى الآن أنني كنت مُعدداً كيلا يكون لديّ رؤساء عمل، ولا قضاة، ولا مُوظفين ولا قواعد، بل أن يكون لديّ فقط نداءاتي الداخلية الخاصة.

أنظر إلى الوراء إلى أوقات كتاباتي المُبكرة وإلى وعيي الداخلي الذي تحدّث بصوت عالٍ معي عن الحرية التي سأعرفها يوماً. كنت أتبع نداء روعي من خلال مُتابعة مواهبي ومشاعري الطيبة التي تنبثق دائماً عندما آخذ القلم بيدي، ومن خلال اعلاني لنفسي أنني سأكون كاتباً حتى لو لم يُشاركني أحد آخر الرأي نفسه. كان كافياً بالنسبة إليّ أن أدعي ذلك وأعلن نفسي خبيراً بما شعرتُ أنني مُتحمّس تجاهه.





«أنا أكرهك كثيراً. كيف أمكنك الهروب ببساطة من أطفالك وعدم الاتصال ولو من خلال مكالمة كي تتأكد أننا بخير؟ أريد أن أسحق وجهك. أنا غاضبٌ منك كثيراً!».

لقد كان غضبي وألمي يتفجران في أحلامي في كل ليلة أصرخ فيها على والدي. كنتُ أستيقظ كل صباح تقريباً بعرق بارد بعد مُواجهة تلك المنامات المُرعبة، التي أرى فيها أنني في حالة غضب عندما أراه، وأطلب منه إجابات. بقي هذا الرجل الذي لم أره في حياة الاستيقاظ بعيداً وغير مبالٍ، وغير مُزعج من أي شيء أقوله له في أحلامي.

حتى وإن لم تكن لديّ ذكرى عن هذا الرجل غير معرفتي بقصص سوء مُعاملته من أمي وجدي وجدتي، بيد أنني مُتحيّر من لأمبالاته المُستمرة تجاه الأطفال الثلاثة الذين تركهم من خمس عشرة سنة مضت. لقد سمعتُ قصصاً عن سرقة مُجوهرات جدتي، وأنه أمضى وقتاً في السجن بسبب السرقة، ورفضه العمل من أجل دعم عائلته، بالإضافة إلى معاشرته النساء المُستمرّة، ومُعاقرة الكحول والعنف الجنسي. كان الأمر الأكثر فظاعة، أنه ببساطة خرج من حياتنا دون أن يُجري مُكالمة هاتفية حتى كي يرى كيف حال أطفاله الثلاثة وهل سيكونون بخير مع عدم وجود مبلغ بسيط من المال يُفترض أن يُقدمه كي يدعم أطفاله. كلا، لقد اختفى «ميلفن لايل داير» ببساطة ولم يرجع ولو مرة واحدة.

أعيش الآن مع أشقائي وأمناء، حيث غادر «بل دروري» العشّ أخيراً. لم يكن «ديف» و«جيم» مُهتمين بإيجاد والدنا ومُواجهته، بيد أن أحلامي الليلية كانت تعكس شاباً

يتصارع بعمق مع هجران والده. حاولت أن أجعل أمي تصفه لي ولكنها رفضت، واكتفت بالقول إنه كان أحمقاً على نحو مطلق، وإنه رجل مُخادع سريع الكلام، يسرق المال أينما ذهب، ويرفض تحمّل المسؤوليات الأبوية. لقد تذكّرت أمي أنه عمل ذات مرة لصالح وكالة المكفوفين في بيع المقشّات والفراشي مع ايصالها للزبائن، بيد أنهم طردوه عندما تجاهل تسليم النقود التي جمعها.

على الرغم من أنه لم يكن لدى أمي أي شيء إيجابي تقوله عن هذا الرجل الذي هو أبي، بيد أنني كنت أريد أن أعرفه. لقد أصرتْ نغمتي وغيظي على أن أواجهه وأطلب منه رواية القصة من وجهة نظره. كنت أفكر فيه كلّ يوم، وأتخيّل أنني يوماً ما سأركض إليه عفواً، وأتحدّث مطولاً معه عمّا حفّزه كي يُغادر ويترك امرأة جميلة مع ثلاثة أطفال صغار تحت عمر خمس سنوات. كنت أريد أن أعرف هل يعرفني، وهل لديه أي مشاعر حبّ تجاه أولاده الصغار الذين يكبرون بسرعة وينتقلون إلى طور الرجولة.

لقد حاولت أن أجده كي أتحدّث معه، فأجريتْ عدة اتصالات مع أقاربه، وجمعتُ والتقّطُ معلومات قليلة عن أماكن تواجده في مكان ما في عمق الجنوب، بيد أنني لم أصل إلى الاتصال به. كنتُ أتصوّر أنني سألتقي في النهاية مع هذا الرجل الذي خرج من حياتي بغربة، وأنا سنحلّ هذه الأمور الداخلية التي أحملها حول كوني مهجوراً.

سألت الكثير من الأسئلة باستمرار، وكنتُ أستطيع أن أرى أمي متخوفة جداً من فضولي تجاه أبي، فأخوتي لا يسألون، بل لا يريدون ببساطة أن يعرفوا شيئاً أبداً. ربّما يتذكّر أخي الأكبر «جيم» بعضاً من أفعال أبي السيئة مع أمنا ومعنا وهذا يُفسّر عدم رغبته، وربّما يُريد ببساطة أن يضع كلّ ذلك وراء ظهره.

تمتلك أمي الكثير من الحقد الظاهر على أبي، لأنّ أسألتي كانت دوماً تُقابل بأجوبة كهذه: «لم يكن جيداً، من الأفضل لك ألا تعرفه». كنتُ أتوقّف عن مُتابعة فضولي عنه معها، ولكنّ روعي تتطلّع كي تعرف أكثر: أن أتكلّم معه وأسمع وجهات نظره وشروحاته، فقد أكتشف أنّه بالفعل يُحبّني على الرغم من أنّه اختار البقاء بعيداً. كنتُ أعتقد غالباً أنّه ربّما اتخذ قراراً نبيلاً بأن يبقى بعيداً، لأنّه يعرف في قلبه أنّ وجوده في حياتي لن يكون مُمتعاً بالنسبة إليّ، وبذلك يتصف قرار مغادرته بالغيرية عوضاً عن اتصافه بالأنانية.

على أيّ حال، كان غياب الأب في حياتي أمراً كبيراً بالنسبة إليّ كمراهق. أنا فضولي، وأريد أن أجده بشدة. لقد كانت المرارة التي أشعرها تنمو انفعالياً، وتتجلى في الأحلام المسعورة المليئة بالعنف الذي أبدية تجاهه خلال غفوتي. لقد أخذتُ على نفسي عهداً أنه حتى ولو أعتقد كل فرد من عائلتي أنني يجب أن أسقط المسألة وأكون مُمتناً على خسارة هذا الرجل وخروجه من حياتي، بيد أنني سأعقبه ويوماً ما سأحدث إليه رجلاً إلى رجل كي أحصل على الإجابات التي أرغب بها. أنا لستُ مقتنعاً بأن أدع الأمر يمرّ ببساطة، كما يُصرُّ كل من حولي. أنا أريد أن أقابله وأسمع منه مباشرة، وأريده أن يعرف أنني موجود. نعم، أنا أريد منه كثيراً أن يُحبّني.

في عيد الحب عام 1956، رنّ هاتفنا المشترك، وكانت المتصلة هي عمة لنا لم أقابلها ولم أسمع عنها مطلقاً، وكان اسمها «أودري»، وقد فهمتُ أنها الأخت غير الشقيقة لأبي. أخبرتني أنّ جدتي «نورا مابل ويلهيلم» تُوفيت هذا الصباح، وطلبت أن أكون مع أخويّ من حملة النعش في مأتم هذه المرأة. لم أكن أعلم أنّ والدّة أبي على قيد الحياة، بل لم أسمع اسمها يذكر سابقاً، ولكنني وافقتُ مباشرة.

لم يستند قرارني على رغبتني في تقديم الإجلال إلى جدّة لم أعرفها، وإنّما كان قلبي يتسابق إلى احتمال مُقابلة والدي أخيراً. لا بُدّ أنه سيكون هناك في جنازة أمّه، ولن يكون قادراً على الإختباء مني فترة أطول.

أنا خجل من أنني على الرغم من بلوغي السادسة عشرة منذ بضعة أسابيع، بيد أنّ إجازة القيادة التي حصلتُ عليها تسمح لي فقط أن أقود السيارة لو كنتُ برفقة شخص بالغ يحمل رخصة. لقد سمح لي «جيم» والذي كان أيضاً مُساعداً لحامل النعش، أن أقود سيارته إلى الجانب الغربي من «ديرويت» إلى منزل مليء بالغرباء. أنا هنا من أجل سبب واحد فقط: أريد أن أرى من هذا الرجل الذي يكون أبي. بيد أنّه ليس هنا. هناك مراسم دفن في الكنيسة، ولكنّ «ميلفن لايل داير» لم يكن موجوداً. ثم قمنا بجولة قصيرة في المقبرة، حيث ساعدتُ بحمل كفن امرأة هي جدتي، والدّة أبي الغريب عني، وعلى الرغم من ذلك، لم يتواجد «ميلفن لايل داير» في المقبرة.

عُدنا جميعاً إلى المنزل في الجزء الغربي، مكان سكن جدتي الراحلة. كنتُ أتفجّر

بالإثارة، فأنا مُتأكد أنّ والدي الغائب طويلاً سيظهر. حالما دخلنا مُجدداً إلى هذا المنزل من أجل العشاء، توقفت سيارة فجأة عند المنزل وسلّمت بعض الأزهار البائسة مع رسالة موجزة، ثم أعلمنا جميعاً أنّ «لايل» في جنوب «الأباما» أو «المسيسبي» غير قادر أن يكون في هذا الإحياء الأخير لذكرى والدته.

أنا مُكتئب، فقد أصبح والدي مفقوداً مرة أخرى، وكان عليّ أن أقدم الأعذار من أجل «لايل» أمام مجموعة مُتنوعة من أبناء الأعمام والعَمّات الذين لا أعرفهم. أخبرتهم أنّه خائف من أن يظهر، ربّما كيلا ترمي به أمي في السجن عقداً من الزمن بسبب عدم دفعه نفقات دعم أطفاله المفروضة عليه في المحكمة.

استغربُ ما الذي أفعله هنا في مراسم إحياء الذكرى، وألح على أخوتي أن تغادروا. قبل أن نخرج، قالت ابنة عم لي اسمها «دوروثي» أنّ والدي كان لديه زوجات عديدة بعد أن ترك أمي، من ضمنهم شابة علّمها قيادة السيارات في مكان يُدعى «بلومينغ روز»، غرب «فيرجينيا»، وقبل ذلك تزوّج امرأة تُدعى «وانيتا»، مُمرضة وتعيش الآن في «ساندسكي»، «أوهيو». استمعتُ بعناية، ثم ودعتُ هؤلاء الأقارب غير المعروفين، وأدركتُ مُجدداً أنّ هذا الرجل ليس لديه رغبة في التعرّف عليّ ولا على إخوتي، بل إنّ جنازة أمّه لم تكن كافية لإغرائه في أن يظهر في حياتي.

أنا الآن أكثر تصميماً من السابق على أنني سأحصل على هذا اللقاء وجهاً لوجه مع أبي، وقد أصبحت لديّ فكرة جيدة تماماً عن المكان الذي قد يعيش فيه. أنا غير مُتأكد من سبب هوسي الكبير بإيجاد هذا الرجل الذي لا يُريد فعل أيّ شيء معي أو مع إخوتي، بيد أنني مُمتلىء بالتصميم.

بعد أن بلغت السادسة عشرة، اشتريتُ سيارة «بلاي ماوث موديل 1950» بمبلغ مئتي دولار وفرناتها. لقد وضعتُ خططاً كي أقود إلى «بوون كاونتي»، غرب «فيرجينيا»، وأقوم بزيارة مُفاجئة لأبي وسائقة السيارات الشابة التي سمعتُ أنّه تزوّجها. عندما حان وقت الإجازة الصيفية، طلب مني رئيس العمل في Stahl market «سوق ستال» حيث كنتُ أعمل منذ ثلاث سنوات، أن أستلم العمل بدوام كامل كمُساعد مُدير، يتضمن ذلك إغلاق المخزن والتعامل مع الدفعات والايصالات. توافقت هذه الفرصة مع امتلاك

حساب وتأمين السيارة، ومع رغبتني في أن أكون مع صديقتي الجديدة، ممّا قادني إلى تأجيل رحلتي، وقررتُ عوضاً عن ذلك أن أبحث عن الزوجة السابقة المدعوة «وانيتا» في «ساندسكي»، «أوهيو».

قدتُ ثلاث ساعات إلى «ساندسكي» وقابلتُ زوجة أبي التي تعمل في مشفى محلي وتحدثت بحزم ودون أي تردد. قالت بعنف: «لقد كان والدك رجلاً سيئاً، وكلّ ما أخبرتك أمك عنه صحيح، بل إنه أسوأ من ذلك. لقد رفض العمل كي يدعم زواجنا، وكان دائماً يمتلك مشاكل مع القانون، ولم يكن لديه حسّ بالصواب والخطأ، وكان يُفرط في الشراب، وكان دينياً وفاسداً عندما يكون ثملاً، الأمر الذي كان يتكرر كثيراً. أنصحك بأن تُقلع عن رغبتك باللقاء معه. إنه انسان كاذب، وأنت افضل بكثير دون وجوده في حياتك».

أمضتُ «جوانيتا داير» كلّ اليوم برفقتي، وكان أكثر جزء مُخيب للأمل في هذا الأمر هو إجابتها المباشرة عن سُؤالي: «هل قال لك شيئاً ذات مرة عن صبيانه الثلاثة الذين هجرهم، وهل ذكر مرة ابنه الأصغر، «واين»؟». نظرت إليّ بعينين مُهتمتين كامرأة تعمل مُمرضة في مشفى، وترى المآسي كلّ يوم: «لم أكن أعلم حتى أنّ لديه أطفال، على الرغم من أنّ زواجنا استمرّ سنين عدة».

يالها من غصة! لديّ أب لم يذكر أطفاله الثلاثة لزوجته؟ أي نوع من الرجال هذا؟ ألا يُحبّ هذا الرجل أحداً؟ كيف أكون على هذه الدرجة من الاختلاف عن رجل هو والدي البيولوجي؟. إنّ قلبي مليء بالحُبّ تجاه الكثير من الناس في حياتي: أمي، إخوتي، أصدقائي، والبؤساء خاصة، بل تجاه أبي أيضاً. لقد غادرتُ «ساندسكي» مُصمماً على سحق رغبتني في إيجاد أو فهم «ميلفن لايل داير».

عدتُ إلى «ديترويت» وصيبتُ اهتمامي على حياتي كمُساعد مُدير في مخزن بقالة محلي، حيث كنتُ أكسب دخلاً جيداً وأُساعدُ أمي مادياً. لقد واجهتُ عدداً لا يُحصى من العقبات في محاولة إيجاد هذا الرجل الهارب، الذي كان يترك حسرة أينما استقرّ مؤقتاً، بيد أنّ الحنين إلى معرفته لم يخمد أبداً. لقد استمرت الأحلام المُزعجة سنوات كثيرة.

مرّت عشرون سنة قبل أن أكون قادراً على اعتباره مُعلّمي الأعظم. بقدر ما أردت أن يظهر أبي ويُحبّني عندما كنتُ صبيّاً صغيراً، أنا أقدر غيابه كأحد أئمن الهدايا التي مُنحت إليّ. إنّ عناده وهجره لي كان في الحقيقة جزءاً من قدومي إلى هنا من أجل تعليم الاعتماد على الذات، الذي هو فكرة حياتي الأساسية والوحيدة. لقد كنتُ أقوم بذلك بدقة منذ أن كنتُ طفلاً، وغلب هذا الأمر على عمل حياتي كلها.

من الواضح جداً أنه ليس هناك أخطاء في هذا الكون، فالنجوم جميعها في انتظام، وتقع الشمس على بُعد مُحدد من الأرض «بالميليمتر» كي تخلق وتُعزز الحياة. هناك نظام في هذا الكون، سواء نظرت بالتيليسكوب أو المايكروسكوب، يتحدّى الاستيعاب العقلي. كلّ ما في الكون تامّ حتى أصغر جزيء ذري داخلياً، وحتى أبعد جرم سماوي خارجياً. يدخل في هذا النظام كلّ ما يأتي في طريقنا كذلك، ومع ذلك ما يزال فهمنا لـ «لماذا» ليس واضحاً على نحو مُتكرر.

لقد احتجّت أن أكون في موضع الاعتماد على نفسي، كي أنجز هدفي الخاص، وأعيش رسالتي «دهارما» في أن أكون مُعلّماً روحياً في الاعتماد على الذات. لقد زوّدتني سنواتي التي قضيتها في بيوت الحضانة بالفرصة كي أتعلّم ذلك مباشرة. يجب عليّ الاعتماد على نفسي، فلم يكن هناك أحد كي يفعل هذا الشيء عني.

إنّ علاقتي بوالدي كانت العلاقة الوحيدة الأكثر أهمية في حياتي. إنّ رغبتني بأن يظهر من أجلي على جدولي الزمني، عندما اعتقدتُ أنني كنتُ أحتاجه حاجة ماسّة، كان عبارة عن عمل الأنا عندي. كلّ شيء يظهر في الوقت الإلهي، ونحن نحصل على ما نحتاجه على جدول قوّة أكبر بكثير من أنفسنا. هذه القوّة الخفية تُحرّك الأجزاء حولنا بطريقة الخاصة، كي تُحقّق الانسجام مع النظام الكامل، الذي يُحدد كلّ إنش مُكعب من المكان والزمان.

قد يبدو الأمر بعيد الاحتمال بالنسبة إلى البعض، ولكنني أوّمن أنّ حياتي دون منفعة وجود الأب كانت مثالية في كلّ شيء. من وجهة النظر هذه أرى أنّ كتبي، مُحاضرتي، تسجيلاتي جاءت لأنّ والدي كان غائباً من حياتي. لقد كانت «الأنا» عندي تُريده، ولكنّ روحي عرفت أنّ لديّ هدفاً أبعد وأعظم كي أنجزه.

تلك السنين التي أمضيتها في صراع مع لماذا وكيف يُمكن أن يكون هذا الرجل مُتبدل الشعور كثيراً، وقاسياً جداً، وبعيداً جداً دائماً، انتهت بأنه ليس لديّ أيّ خيار آخر غير الذهاب إلى الداخل وحلّ القضايا من أجل نفسي، أو العودة إلى نوع جديد من الحبّ الإلهي الممارس من قبل خبراء روحانيين عظماء، ومن قبل الإله ذاته، الحبّ الغارق في التسامح. لقد أتى كل شيء احتجته كي أبقى في مسار حياتي، على الرغم من أنّ الطفل الذي كنت عليه لم يستطع أن يعرف ذلك في وقته.

اليوم، ومن منظور ماضي حياتي، أستطيع أن أرى أنّ كل شيء كان مثالياً كلياً. لقد كنت ودون معرفتي بذلك في نوع من التدريب منذ البداية. ربّما وافق والدي أن يأتي إلى هذا العالم من عالم الروح ويعيش حياته الخاصة بهذه الطريقة، كي يتعلّم ابنه الأصغر كيف يعيش حياة الاعتماد على الذات كطفل صغير، ثم كمراهق، ثم كشاب راشد.

إنّ كوني أعطيتُ الفرصة كي أرسل الحبّ والتسامح إلى أبي عن كلّ سلوك سيء، ومُتقلب، كان ربّما مرحلة تدريب من أجل مُساعدة الملايين من الناس كي يُبدلوا حياتهم مع نظرة مُنحازة إلى منظور فهم وتحقيق الإله في الحياة. أنا أشعر بوجود أبي على نحو مُتكرر، وكلّما أحسستُ به قريباً، يبدو الأمر كطيف لطيف من الحبّ غير المحدود، عوضاً عن عواصف القلق والغضب العنيف التي ملأت أفكاري سابقاً عن هذا الرجل.

نعم، لقد كان مُعلّمي الأكبر. أنا أعلم على نحو أكيد أنّ الإله يعمل بطرق خفية، وليس عن طريق المُصادفة. في الحقيقة، إنّه كذلك، وقد كان دائماً كذلك، كاملاً في كلّ شيء. أنا مُمتنّ جداً.



• في عام 1958 كان احتمال سحبي إلى الجيش والخدمة العسكرية كجندي مشاة أحد أكثر الاحتمالات المروعة التي أستطيع تخيلها لنفسي. إنَّ كوني عامل مصنع في أحد شركات السيارات في «ديترويت»، حيث يعمل العديد من الشبان في عمر الثامنة عشر من جيراني بعد إكمال المدرسة الثانوية، هو أمرٌ يمتلك درجة قليلة من الإغراء بالنسبة إليّ. من أجل ذلك، اخترتُ أن أشارك في سلاح البحرية، كما فعل أخي «جيم» في السنتين الماضيتين، وها أنا بعد أسبوعين في «غريت ليكس» في «إلينوي»، أشعر بمرض في معدتي، وأتعجب، ما الذي فعلته بنفسي؟

في سريري المغلف في الصباح الباكر، أخذتُ أفكر في حياتي الجديدة. في الليلة الماضية واجهتُ العديد من الصراصير تزحف فوق ملابسي، شراشفي، وأغراض النوم، وعلى أشياء يُمكن ذكرها إلى ما لانهاية لو أردت. تُسيطر هذه الحشرات على المكان، وتعيش في الصدوع حتى يختفي الضوء، فتنتقل أسرابٌ منها كي تأكل الفتات وتعيش أقذارها الليلية. أنا أتقيأ من منظرها وهي تنزل على وجهي، بيد أن تلك الصراصير هي مُشكلة ثانوية.

لقد عشتُ في أماكن عديدة وتعلّمتُ مبكراً في حياتي ألا أحكم على ظروفي. ليس لديّ حساسية، ولا يوجد طعام لا أريد أكله، ولا أشياء أكرهها في الوظائف الجسدية. لم يكن الأمر أنني أواجه صعوبة في التأقلم على العيش في مساكن ضيقة مُتلاصقة مع مئات الرجال في ثكنات Company 417 «كومباني 417» «السرية 417» هنا في المحطة

البحرية «غريت ليكس». لقد كانت الصراصير ورائحة الحمامات الكريهة لا شيء مقارنة مع ما كان مطلوباً مني كعضو خدمة نشيط بدوام كامل في القوات المسلحة، حيث تحكم القواعد.

كانت القواعد تقتضي ألا أفكر في نفسي مُطلقاً، وأن أطيع أي أمر يُعطى إليّ من أيّ مُشرف وألا أتساءل عن هذا الأمر. لقد كانت عواقب عدم الطاعة خطيرة، بما في ذلك الاحتجاز في السجن. هنالك سلسلة من الأوامر تعمل طوال الوقت، وعليّ تقبل كوني الأدنى في الرتبة أفعل ما أوّمر به، كما على كل شخص آخر أن يفعل أيضاً. لا توجد فردية هنا، إذ يجب عليّ أن أقول ببساطة: «حاضر، سيدي»، وأطيع الأوامر.

إنهم يُخبرونني في أيّ وقت أنام، ومتى أستيقظ، ومتى وماذا أكل، وماذا ألبس، وهو الشيء نفسه الذي يرتديه كلّ واحد هنا. يجب أن أحلق شعري بالكامل، وأن يكون حداثي لامعاً، وأن يكون وجهي نظيفاً، وأن أكون حليق الذقن، إذ يتم فحص ذلك عدة مرات في اليوم من المُشرف الذي يصرخ في وجهي أنني قزم ضعيف، وعليّ أن أرد على هذا بجملة «حاضر سيدي!»، يجب أن أتحمّل غضبه المُختلق وأعطى بعض أنواع العقوبة السخيفة.

على الرغم من أنني في هذا الوقت الراهن لا أفكر بهذا المنطق، إلا أنني أعتقد لدرجة ما أنّ هذا المكان ربّما لن يكون مكاناً لشخص تجسّد في هذا المجال الأرضي كي يُعلّم الاعتماد على الذات.

لا مهرب من هذه العقلية العسكرية. لقد علموني أنّه لا وجود للذات، وأنني سأعتمد على مَنْ هم أعلى مني وعلى قواعدهم من أجل كشف أيّ شيء قد أحتاجه، وأنني سأرتدي الزي نفسه في السنوات الأربع القادمة، وأنني إمّا أن أطيع أو أذهب دون إذن، الأمر الذي ستكون عقوبته إمضاء فترة طويلة في سجن البحرية وإقالة غير مرغوب بها. لقد اخترتُ أن أقبل هذا القدر مع إدارتي أنني أكثر من مُجرّد جسد، وأنّه مهما قرروا أن يفعلوا بجسدي، فلديّ خيار أن أكون في حالة من السلام في داخلي. أنا أستطيع العيش مع القواعد.

لقد اخترتُ أن أكون مُطيعاً، بل أستطيع أن اعترف بالحاجة إلى هذا النظام في مُنظمة

صُمِّمَتْ كي تعمل في شؤون الحرب. أن تفعل ما يُطلب منك دون أن تُفكّر أو حتى تسأل هو شيء ضروري عندما يكون تدمير العدو هو الهدف الإجمالي. لقد قررتُ أن أذعن إلى هذه القوانين خارجياً، ولكنني لن أقبل بها في الداخل. سأكمل هذه السنين الأربع بشرف، ولكن لن يكون لي أعداء داخل نفسي، بل سأبقى ثابتاً، ومُقتنعاً أنني رجل سلام، أقدر وأحترم شخصية كل فرد.

أنا في سلام مع طريقة العيش الصارمة هذه، وأثق بقدرتي على أن أكون مُعتمداً على ذاتي بينما ما أزال في مُهمّة ضمن المؤسسة العسكرية. أنا أمقت التنظيمات السخيفة والرقابة، وأعرف نفسي جيداً بما فيه الكفاية كي أكون مُتأكداً أنني في النهاية سأكتشف طريقة كي أتجنبهم دون أن يعرف أيّ أحد ما أنا عليه الآن. إنّ كلماتي الداخلية آمنة، وسأقوم بتقبّل الأمر على أنّه لعبة مرحة كي ألتفّ حول جنون هذه الطريقة في الحياة.

أنا مُتحيّر عموماً ممّا أراه عند الزملاء البحارة الشباب، فحينما يُعطون لحظات قليلة من الراحة، لاحظتُ أنّ هؤلاء الشباب الناضجين سعيّدون بقراءة كتب هزلية مثل «سوبر مان، كابتن مارفل، بات مان روبن، آرشي». لقد كان لدى مُعظمهم مُستويات قراءة واهتمامات مُختلفة تماماً عن اهتماماتي، ومع ذلك فهؤلاء هم الناس الذين أعيش معهم ليلاً ونهاراً.

في فترة إجازتنا الأولى، كانت لدينا الفرصة كي نقضي عطلة نهاية الأسبوع في «شيكاغو»، مع موعد مُحدد كي نرجع إلى القاعدة في يوم الأحد في العاشرة مساءً. ذهبْتُ مرتدياً بزتي النظامية إلى المدينة بالقطار وأمضيتُ وقتي بالمشي فيها. تحدّثْتُ مع العديد من التجار الذين كانوا قلقين من جنبي ربح من هؤلاء الشبان المتروكين حديثاً والذين يتذوّقون طعم الحرية لأول مرة منذ شهرين.

تزخر المدينة بصالونات الوشم على الجسد «التاتو»، الحانات، العاهرات، الهدايا التذكارية الرخيصة، والتي رأيْتُ زملائي يتشاركونها على نحو واسع مع حريتهم الجديدة. عدتُ إلى القاعدة في «غريت ليكس» مُبكراً، ثمّ بدأت الثكنات تمتلئ ببضع مئات من البحارة الثملين كثيراً. لقد وشم ثلاثة من أربعة من زملائي البحارة أجسامهم بوشوم كبيرة دائمة، وكان جميعهم يشتم ويصرخ بأغان عنصرية في حالة

خارجة عن السيطرة من الشرب والإقياء. تساءلتُ باستغراب: هل يقرأ أحدهم كتباً؟ هل سيصبح هؤلاء فعلاً أصدقاءً ورفقائي في السنين الأربع القادمة من حياتي؟

كنتُ أعلم أنه من المُستحيل بالنسبة إليّ أن أشوّه جسمي على نحو دائم برموز بحرية الولايات المتحدة، أو أي شيء آخر. لقد ازدريتُ منذ زمن سلوك شارب الخمر، وأنا الآن مُحاط به. أنا أكتب روايتي الخاصة، ومع ذلك أنا غارق الآن في عالم يزخر بالكتب الهزلية، والكتب التي تمتلئ بالتدليس والانحياز. أنا أحتقر العنف من أي نوع، ولكنني أتحمّض الآن كي أكون أداة قتل، وأحمل سلاحاً أثناء خدمة الحراسة، وأحصل على شرف إبادة الأعداء المُحددin. لقد أصبحتُ أكثر ميلاً إلى الانعزال.

لقد سألتُ نفسي مرات ومرات: «ماذا أفعل هنا بحقّ الجحيم؟. هذا ليس ما وُجدتُ كي أفعله في هذا العالم. أنا أفهم سبب وجود الخدمة العسكرية، ولكنّ هذا ليس دوري. أنا مثل سمكة خارج الماء. أنا أريد أن أكون شخصاً يعمل في خلق عالم تُصبح فيه الأسلحة والبارجات والأحقاد والأعداء أمراً مُنقرضاً».

أنا مُتَحيرٌ لأنني صنعتُ هذا الخيار برغبة شديدة مني. لقد بدا ذلك وكأنه بدقة الشيء الصحيح الذي أفعله عندما أخرج من المدرسة الثانوية، ولكن لم تكن لديّ أي فكرة عن أنّ نمط حياة الخدمة العسكرية مُصمم من أجل كبت كلّ أشكال التفكير المُستقل. أنظر إلى الوراء إلى كلّ تلك الأوقات التي كنتُ فيها في صراع مع رموز السلطة الذين دفعوني بإصرار إلى عقلية التفكير الجماعي. كنتُ أفكر في اقتباس من E.E. Cummings «إي إي كامينغز» والذي أذكره من صفّ الإنكليزية في المدرسة الثانوية: «أن تكون لا شيء غير نفسك، في عالم يفعل ما بوسعه ليل نهار، كي يجعلك أي شخص آخر، يعني أن تُقاتل في المعركة الأصعب التي يستطيع أيّ إنسان القتال فيها، وألا تتوقّف عن القتال»، وها أنا ذا عالق في منظمة اخترعتها بحرية، تتمحور حول مبدأ جعل كلّ شخص يُشبه أي شخص آخر.

خلال فترة تسويتي كي أصبح مُعتاداً على مُتطلبات الحياة العسكرية الصارمة، شعرتُ وكأنني ارتكبتُ أكبر خطأ في حياتي في التسجيل على رحلة أربع سنين من هذه الخدمة العسكرية. من وجهة النظر البعيدة، بدا كلّ الأمر صافياً وشفافاً وواضحاً بالنسبة إليّ.

بينما كنتُ أتخذ قرار الالتحاق بالقوات المسلحة في عمر الثامنة عشر، أستطيع تذكر شعوري أنني وبطريقة غامضة مُوجّه من يد غير مرئية. لقد كنتُ أعلم سلفاً أنّ هذا النوع من الحياة المُنظمة سيكون لعنة كبيرة عليّ، لأنني دائماً أيدتُ حق أن أصنع خياراتي بحرية دون أن يُخبرني أيّ أحد كيف أعيش وماذا أفعل. مع ذلك كنتُ أتحدّث مع مسؤول توظيف البحرية في مدينة «ديترويت» وأوقع اتفاق التجنيد في الأسابيع القصيرة القادمة. كان ذلك وكأنني قطعاً يجب أن أدخل في هذا الاندفاع المجنون، على الرغم من أنني علمتُ أيضاً أنّ المسألة ستكون صراعاً هائلاً بالنسبة إليّ.

ما أعرفه بالتأكيد أنّه من أجل أن يفهم الإنسان شيئاً فكرياً، يجب عليه دراسته، تحليله، التفكير به، تفحص ما قاله الآخرون عنه، مُراجعة صيغ عنه، وأخيراً تصل إلى الخلاصة وتُقدّم الامتحان فيه. بيد أنّه من أجل أن يصل الإنسان إلى معرفة وفهم شيء ما روحياً، يجب على الإنسان أن يختبره، وليس هنالك أيّ طريقة أخرى.

أستطيع ان أكتب تفاصيل لا نهاية لها عمّا يُشبه نكهات «الأفوكادو»، مُقارناً طعمه مع أنواع أخرى من الطعام، وأقدم لك في النهاية مُحاضرة مكتوبة عن هذا الموضوع، ومع ذلك فإنّ الطريقة الوحيدة من أجل معرفة إحساس طعم «الأفوكادو» هي أن تُجرب أكله. حالما تأكله تُصبح واحداً معه، وتعرف ما وراء الشيء الذي لا إمكانية لإيصال تجربته إلى أيّ أحد آخر. أنا أعلم أنني لا أحب أن يُخبرني أحد كيف أعيش حياتي، وأعلم أنني احتججتُ ضدّ السُلطة التي تُملى عليّ، ولكن من أجل أن يتضح لي الأمر روحياً، ويصنع ذلك تأثيراً هائلاً عليّ، ويُرسلي في الاتجاه الصحيح من أجل تعليم الاعتماد على الذات والإدراك الذاتي كمُهمّة في الحياة، يجب عليّ أن أختبره مباشرة.

لقد استشهدتُ دائماً بفكرة أنّ عواصف حياتنا، نقاط الضعف، الأوقات الصعبة، هي أشياء يجب عليّ أن أكون شاكراً لها. لقد عاش أخي «ديفيد» أكثر من خمسين عاماً على إدمان الكحول، وعلى إدمان النيكوتين القهري، والخجل الذي لا يرحم، والشكّ بالنفس، والنظرة الإلحادية إلى الحياة، ثمّ في عمر الثامنة والستين تمّ تشخيص إصابته بمرض «باركينسون»، وأخبر أنّه لا أمل في شفائه، وأنّ المرض سيؤدي به إلى الحياة كشخص عاجز، الأمر الذي قلب أموره إلى الأحسن.

لقد قرر أخي أن يتوقف عن الشرب والتدخين، وبدأ بالكتابة كل يوم، وتخلص من سمات شخصيته الخجولة، وبدأ يتحدث إلى العموم أمام حشد كبير من الجماهير. لقد وجد الإله وتطوع كي يخدم الآخرين ممن هم أقل حظاً، ونشر كتابه الذي عزا فيه كل هذه التحولات في حياته إلى مرض «باركينسون» مُعلِّمه الأكبر.

أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنه بالنسبة إليّ، ومن أجل الاستمرار بحزم على الطريق التي أمشي عليها في هذا التجسد، يجب عليّ أن أختبر وأعرف حقيقة الشيء الذي لا أحبه. إن تلك السنين في الخدمة العسكرية حيث كنت أتوقع أن أنسجم وأصبح فقط كأني شخص آخر، قد أعطتني فرصة حقيقة كي أختبر الشيء الذي لا أحبه بعناد كبير، وأن أبحث وأعيش من منظور معرفة ما الذي عليّ فعله عندما كان ذلك الوقت الصارم صعباً بالنسبة إليّ. أنا مُمتن جداً تجاه تلك التجارب المُبكرة.

إنّ كرهِي الشديد تجاه كل هذه الأشياء الاستبدادية دفعني كي أكون مُتحمساً للعيش وتعليم ما أحبُّ وأؤمن به. من هذا المنطلق، أعرف أنه يجب التعبير عن الامتنان تجاه أيّ أمر، حتّى تجاه الفريق الذي بدى لا يُطاق أبداً في وقت ما. لقد كان هناك سبب في دفعي إلى هذا الاتجاه، وكلّ يوم أنا مُمتن لذلك. في الوقت الحاضر، مع تشخيص إصابتي باللويميا «سرطان الدم»، أنا قادر على الترحيب به وأعرف أنه سينقلني إلى مكان أعلى، تماماً كما فعلت تجاربي في الخدمة العسكرية منذ خمسين سنة مضت.



• إنَّ المعسكر خلفي، أنا في «بينبريدج، ميريلاند»، أحضر دورة في المدرسة مدتها ستة أشهر كي أصبح فني راديو ومستخدم أنظمة الكتابة السرية. إنَّ الدراسة مُجهدة، فالدروس اليومية من الصباح الباكر وحتى وقت متأخر من المساء، ويتطلَّب الأمر دراسة ليلية أيضاً. تمضي أوقات الصباح في تعلم شيفرة «مورس»، وتحويل أصوات «الخط - النقطة» إلى حروف، ولدينا امتحان يوماً بعد يوم. تتضمَّن الدروس أيضاً دراسة في اختصاصات الاتصالات، الالكترونيات، الفيزياء، تعلِّم تشغيل أحدث المعدات، التشفير وفك التشفير، إجادة الطباعة. يتعلَّم عقلي الباطن كيف يستجيب آلياً عندما أسمع الأصوات في سماعات الأذنين.

أنا ملتزم كلياً بمتابعة مغامرة أكاديمية الستة أشهر هذه بتفوق، وأنا منتبه إلى أنني عندما أختار أن أتقدِّم بنفسني فأنا أستطيع حرفياً أن أتقن أيَّ نظام. بالعودة إلى المدرسة الثانوية، عندما كنتُ أحبُّ مادة دراسية فإنني أحصل على علامة A دائماً، وعندما أكون غير مُهتَم، أنسحب ببساطة، ولا يهتمني سواء أخذتُ درجة النجاح أو الرسوب. هنا في مدرسة فني الراديو أنا بخار شاب مُصمَّم ليس فقط على اجتياز الدورة التدريبية، بل على أن أفعل ذلك بدرجة امتياز. عند التخرُّج، كنتُ الأول على صفِّي.

لقد كان صديقي المُفضَّل في «بينبريدج» شاب في التاسعة عشر من العمر اسمه «راي دادلي» من «شيكاجو». كنَّا ندرس معاً ونرتبط كأخوين، وأصبحنا مُتلازمين على نحو أساسي، وعندما كنَّا نغادر القاعدة من أجل الذهاب إلى «بالتيمور» أو

«واشنطن دي. سي.» في عطلة نهاية الأسبوع، كُنّا نفعل ذلك معاً.

نعود أنا و«راي» إلى القاعدة بعد عطلة نهاية الأسبوع في «واشنطن». إنها الساعة العاشرة مساءً يوم الأحد ويتوجّب علينا أن نكون في القاعدة في «بينبريدج» قبل مُنتصف الليل. قررنا أن نتوقّف في بلدة «هافر دو غريس» الصغيرة في «ماريلاند»، وناول طبقاً من الأرز المقلي، لأننا لم تناول شيئاً طوال اليوم. إنها وجبة رخيصة بالنسبة إلى بحارين جاعين بريّ بحرية «الولايات المتحدة» قبل انطلاق المركبة كي تقطع عشرة أميال إلى القاعدة.

دُهِشْتُ عندما سمعتُ: «عذراً أيها الفتيان لا نستطيع أن نُقدّم لكما الطعام في هذا المطعم». سألتُ النادلة لماذا، فالمطعم يفتح حتى مُنتصف الليل، وهناك العديد من الجنود العائدين يأكلون. نظرتُ إليّ بخجل وهزّت كتفيها ببساطة وأشارت إلى صديقي المفضل، جنديّ البحرية الأمريكية الذي يخدم بلاده فرداً من القوات المسلحة، ثمّ أشارت على وجهي مباشرة، وكأنّ شخصاً عاقبني بضربة باطلة. إنّ «راي» هو أمريكي أفريقي وفي هذه البلدة الصغيرة في «ميريلاند» لا يخدمون الناس إذا لم تكن بشرتهم بيضاء.

طلبتُ أن أتحدّث مع المُدير، ولكن لم يظهر أيّ أحد ذو سلطة إلينا. لا تُريد النادلة أن تُشاهد مشهداً بغيضاً، أنا غاضب ومُخرج من أجل صديقي. لقد عاش «راي» مع هذا النوع من التحيز كلّ حياته، فأوماً إليّ أن تُغادر بهدوء من أجل تجنّب أيّ احتمال صراع خطير.

لم أختبر مُسبقاً رعب تحيز عرقي كهذا. أنا مُتحيّر، وحزين بعمق، ومجروح كثيراً من أجل صديقي، بل أكثر من ذلك، أنا غاضب بسبب حماقة رفض تقديم الطعام لإنسان يرتدي بزة القوات المسلحة لبلده، ومُستعد أن يذهب إلى الحرب ويموت كي تُصبح فرصة الحياة والتنفس بحرية محفوظة لكلّ فرد، حتّى بالنسبة إلى مالكي المطاعم، والنادلات اللاتي يعملن هناك.

اعتذرتُ إلى «راي» ونحن نتوجّه إلى ثكناتنا في قاعدة «بينبريدج» البحرية، وأخذتُ عهداً على نفسي أنني أبداً ونهائياً لن أقيم أيّ شخص على أساس مظهره. أنا مهزوز حتى الصميم. لقد تعيّرْتُ إلى الأبد. سأكرّس حياتي من أجل غربة العالم من مثل هذا التفكير المُغفل. كنتُ كلّ يوم أقضي بقية وقتي في «بينبريدج»، وأنا مهووس بما أستطيع فعله

كرجل واحد من أجل القضاء على هذا النوع من السلوك الساذج. إنها مهمة حياتي. أنا ملتزم بأن أكون رجلاً لا يُصدر أحكاماً على أي شخص.

ما تزال ليلة الأحد في «هارف دو غريس» تبرز كاحدى أكثر الليالي تأثيراً في حياتي، على الرغم من أنها كانت منذ أكثر من خمسين سنة مضت. تلك اللحظة التي نظرتُ بها إلى عيني صديقي «راي» ورأيتُ الألم الذي يستطيع أن يُسببه التحيز، ألهمني أن أعاهد نفسي على إلغاء الأحكام المُسبقة من طريقتي الخاصة في الحياة، وأدخل الحبّ تجاه كل البشرية كحجر الزاوية في عمل حياتي.

من تلك الليلة فصاعداً، أصبحتُ واعياً كلياً بميولي إلى عدم تصنيف الناس بناء على عوامل خارجية، وبدأتُ أشقّ الطريق التي كنتُ قادراً فيها على أن أرى تكشف الروح في كل شخص قابلته. في كثير من النواحي التي صادفتها كبَحّار في التاسعة عشر من العمر كان هناك تنسيق إلهي. كان عليّ أن أكون هناك كشاهد ومُشارك غير مقصود من أجل أن أشعر برُعب هذا النوع من السلوك العائد إليّ.

لقد كانت تلك النادلة البائسة تتصرّف بطريقة طبيعية فُرضت عليها من ظروف التربية عندما كانت طفلة. لقد شاهدتُ سوء التعامل مع الناس ذوي البشرة الداكنة وقبلتُ ذلك على أنه الشيء الذي يجب فعله. لقد كانت أيضاً موظفة من نوع «أفعل ما أخبروني بفعله، إنه عملي». هذه العقلية كانت القوة القيادية وراء الأفعال الشائنة غير المنتهية على مرّ القرون. من أجل أن تُستبدل هذه العادات بسلوك التعاطف عوضاً عن التحامل، يجب على الناس أن يُفتشوا كيف تبرمجت عقولهم الباطنة، ثم يدوّوا بتغيير هذه الطرق الاعتيادية الموجودة.

بالعودة إلى عام 1959 بدأتُ أفعل ذلك بدقة. لقد سمعتُ كثيراً ألفاظاً مثل «الزنجي، الاسباني، اليهودي، الاندونيسي، البولندي» حينما كنتُ أنمو في الأعوام ما بين 1940 و1950، ومع ذلك لا ذاكرة لديّ عن أنني استعملتُ هذه اللغة أبداً في حياتي، بيد أنني شهدتُ هذا بانتظام ولم يُثر الأمر أي شعور بالغضب داخلي. لقد غيرتني تجربتي مع «راي دادلي»، فبدأتُ أتحوّل تدريجياً إلى الإعراب عن ازدرائي لمثل هذه اللغة دون ثورة غضب. لقد بدأتُ أقرأ كتباً عالجت موضوع التعصّب والكراهية، وأدنتُ

سياسات البحرية حيث كان التمييز العنصري سلوكاً مُقرراً. عندما أنظر إلى الوراء إلى أهم موضوعين من مواضيع كتاباتي المُتتابعة وإلى تطوّر نضجي، أجدُ أنهما يتجذران في تلك الليلة المُؤلمة في «ميريلاند».

أول هذه المواضيع هو تعليم الناس كيف يكون لديهم تفكير خاص بهم، مُستقل عما تعلّموا تصديقه. عندما أعلم أنّ الأمر خاطيء ولا ينسجم مع الحبّ الإلهي المُعتنق من قبل المُعلّمين الروحانيين المُوقرين، يجب بغضّ النظر عما تعلمته، أن أفكر من أجل نفسي وأنطلق دوماً من مكان الحبّ. عندما أخبرونا أنّ الإله هو الحبّ، فلا يجب أن نقول ذلك فقط من مُنطلق عبادتنا أثناء الصلاة الدينية الأسبوعية الشعائرية، بل علينا أن نعيش هذا الحبّ.

يتضمّن الموضوع الثاني العقل الباطن حيث تتجذر عادات البالغين، وقد كتبته عندما كنتُ في مدرسة الراديو أتعلّم شيفرة «مورس». لقد تدرّبتُ وتدرّبتُ حتى تحوّلت الشيفرة من العقل الواعي إلى مكان دائم في عقلي الباطن وأصبحت عادة. لم أستخدم شيفرة «مورس» أكثر من نصف قرن، بيد أنّ كل جزء من البرمجة استمرّ كي يكون حاضراً في وجودي، فأنا أستطيع أن أصل إلى أيّ كلمة أو جملة على الفور في تفكيري باستخدام النقاط و الخطوط التي كانت هنا منذ عقود عديدة.

على نحو مُشابه، جميعنا لدينا أفكار أخرى تُسمّيها عناصر السلوك المنقولة، وهي تقود سلوكنا اليوم، وعلى الرغم من أنها قد لا تخدمنا، ولكنها ما تزال تعمل هنا، تماماً مثل نقر شيفرة «مورس» الموجودة اليوم في اللاوعي الخاص بي. تلك النادلة في المطعم في «هارف دو غريسفي» عام 1959 كانت تتصرّف انطلاقاً من هاتين الفكرتين. لقد كانت تفعل ما أخبروها أن تفعله، على الرغم من أنّ لغة جسدها كانت تقول: «أنا لا أشعر حقيقة بهذه الطريقة، أنا أنفذ عملي فقط». لقد كانت أيضاً تتصرّف انطلاقاً من السلوك المنقول الذي لم تأخذ الفرصة كي تُصحّحه وتستأصله تماماً من عقلها الباطن.

مازلتُ أستطيع ان أرى النادلة وصديقي الأمريكي الإفريقي «راي دادلي» في دماغي وأنا أكتب هذه الكلمات. أنا أوّمن أنهما أرسلتا إليّ حياتي في ليلة الأحد تلك من أجل مُساعدتي ليس على رؤية النور فحسب وإنما كي أعلم من مُنطلق أكثر إضاءة.

• إنه منتصف شتاء عام 1959، لقد كُلفتُ مؤقتاً بمُهَمّة القيام بجولة مُوجزة في المحطة الجوية البحرية في نهر «بوتكسنت»، بالقرب من «ليكسينغتون بارك، ميريلاند». قررتُ ارتداء بذتي والسفر إلى بيتي في «ديترويت» كي أزور أُمِّي، وصديقتي «ليندا»، التي التحقت بجامعة «ميشيغان» في «آن أربور». إنها مسافة حوالي خمسمئة وتسعين ميلاً تقريباً، وهي تأخذ عادة اثنتا عشرة إلى أربع عشرة ساعة. إن إرتدائي الزي الرسمي يعني عموماً أنّ أي شخص يُمكن أن يقف ويُقلني بغضّ النظر عن المكان الذي تركته.

لقد قمتُ بهذه الرحلة مرات عديدة، وأنا واثق أنني أستطيع الوصول إلى المنزل صباح السبت، وأمضي يوماً ونصف في المنزل، ثم أسافر مُتطفلاً عائداً إلى القاعدة من أجل أن أقوم بحظر تجوّل في مُنتصف الليل في يوم الأحد. إنها مسافة طويلة وتحتاج وقتاً طويلاً من الركوب المجاني على الطريق، ولكن لا بأس من ذلك فالحنين إلى المنزل يستحقّ هذا العناء، وأنا البحار المُتيم الذي بدأ يعتاد على أن يكون بعيداً عن منزله فترات طويلة من الزمن.

بدأتُ رحلة عطلة نهاية الأسبوع ووجدتُ مركبة تقلني على طول الطريق إلى «واشنطن د. س.»، وبعد تنقلات عديدة وصلتُ إلى مدخل «بريزوود» إلى حاجز «بينسلفانيا». اقترب وقت مُنتصف الليل وانخفضت درجة الحرارة على نحو كبير. في مرارة البرد قررتُ أن أستقلّ مركبة مُتجهاً غرباً، بيد أنّ السائق أعلمني أنه ذاهب فقط إلى

«باتلر، ينسلفانيا». إنه لا يريد أن ينزلني عند المخرج في منتصف الليل، لأنني سأعرض لخطر الهلاك والتجمّد حتى الموت، فالحرارة تحت الصفر والرياح تعصف بشدة. أنا أرتدي معطف البحرية الكحلي، وأقف في الظلام على نحو غير مرئي بالنسبة إلى السائقين المُتوجّهين غرباً على الطريق الرئيسة وهذا قد يكون أمراً كارثياً أيضاً. يُصرّ هذا السائق الودود على إنزالي عند مواقف مطعم «بلازا» على الشارع الرئيس قبل المخرج من أجل التقدم بضعة أميال إلى الأمام، وقد وافقتُ على ذلك.

تقدّمتُ إلى المطعم حوالي الساعة الثالثة صباحاً، وتناولتُ فنجاناً من الشوكولا الساخنة، ثمّ توجّهتُ كي أجرب حظي باللحاق بمركبة مُتجهة غرباً في مُنتصف الليل، وفي وسط ما تشعر أنّه اللامكان، والجوّ الأبرد الذي صادفته في حياتي، في طريقي إلى المُنحدر في الظلام المُتجمد، تجاوزتُ بحاراً آخر يمشي عائداً إلى المطعم، بعد أن لم يُصادفه الحظ في تأمين مركبة وقد أخبرني: «إنه برّد قارس هنا في الخارج يارفيق. لم أستطع الوقوف مُطوّلاً هناك أيضاً، قد تُصاب بالتجمّد بسهولة إذا لم تكن حذراً».

شكرته وتمنيتُ أن يكون بخير، وتوجّهتُ إلى الشارع الرئيس. وقفت هناك مُدّة خمس عشرة إلى عشرين دقيقة ولم يُحالفني الحظ، وقد تجمّدتُ تقريباً، فقررتُ أن أعود كي أشعر بالدفء. عندما دخلتُ المطعم كان هناك شخص واحد فقط في المكان وهو البخار الذي تحدّث إليّ قبل بضع دقائق وحذرني ألا أبقى خارجاً وقتاً طويلاً. تخيل دهشتي عندما عرفتُ أنّ هذا البحار هو أخي!

لقد تعيّن أخي في «نورفولك، فيرجينيا»، وقد قرر أيضاً أن يجد مركبة مجانية تُقلّه إلى المنزل كي يرى أمّنا وخطيبته «مارلين» في عطلة نهاية الأسبوع. لقد نزل هو أيضاً في البقعة نفسها تحديداً. لم تكن لديّ فكرة عن أنّ غواصة «جيم» كانت في الميناء، فأنا لم أقم بأيّ تواصل مع أخي منذ شهور، فأماكن تواجده في الغواصة كانت تُعتبر معلومات سرية. تحدّث أخي إليّ وحذرني كي أنتبه دون أن يعرف مَنْ أنا. وقفنا معاً في حالة من الصدمة وعدم التصديق بتلك القوى الخفية التي كانت تعمل من أجل أن يُصبح هذا المشهد حقيقة.

التقينا بسائق العربدة ذات الثمان عشرة عجلة والتي تعمل بالغاز وأخبرناه عن «الصدفة» المذهلة التي حدثت للتو. لقد أثر هذا التزامن الذي جمعني مع «جيم» في منتصف اللامكان تحت هذه الظروف المستحيلة بسائق الشاحنة الذي أوصلنا بعيداً عن طريقه مباشرة إلى باب منزلنا الأمامي في شارع «موروس» في «ديترويت»، باكراً صباح يوم السبت.

لا أستطيع البدء كي أخبركم عدد المرات التي شاركنا فيها تلك القصة أنا و«جيم» في الخمسين سنة الماضية، والخلاصة هي دائماً نفسها: إنها فقط إحدى تلك الصدوف الغريبة التي تظهر وتتحدى الشرح المنطقي. كان هذا الحدث يحمل معنى عميقاً بالنسبة إلى ذلك البحار في عمر التاسعة عشر الذي كنته. لقد أدخلني ذلك إلى عالم من التزامن، والفيزياء الكمّية، وفكرة أنه لا توجد هناك صدوف في عالم يُدار من العقل الإلهي.

اليوم أعود بذاكرتي إلى كلّ تلك الأحداث التي كان عليها أن تأتي مع بعضها على نحو تام، بالنسبة إليّ وإلى أخي كي نحصل على هذه المصادفة في منتصف الليل منذ سنوات عديدة مضت، أنا لم أعد مُستغرباً أبداً. لقد أصبحت حياتي مُزدحمة وملئية بهذه الأنواع من المصادفات، ولكن كانت هذه هي الصدفة الأولى الكبيرة التي شدّت انتباهي حقيقة، وغيّرت الطريقة التي نظرتُ بها إلى الأشياء إلى الأبد.

أستطيع أن أرى بوضوح أنه كان عليّ أن أحرر نفسي من كلّ الشكوك عن إمكانية حدوث الأشياء مع بعضها بترتيب إلهي وفي الوقت الإلهي. لقد سيطرتُ فكرة التزامن هذه على كتابتي وحديثي، وهو مُصطلح ابتدعه «كارل يونغ» كي يشرح ماسماه «الصدف ذات المغزى». إنّ الحدث المُتزامن الذي جذب انتباه «يونغ» حدث أثناء جلسة مع زبون كان يقصّ حلماء رآه، وقد عبر عن أهمية الخنفساء في الحلم، وقد توافق ذلك مع زبونة أخرى حيث سمع كلاهما ضجيجاً، واتضح أنها خنفساء على النافذة تجذب انتباههما. أنا أرى الآن أنّ هذا الحدث المُتزامن مع أخي، والذي يذهب أبعد من التفكير المنطقي ويُقوي من فكرة الغرائب المدهشة أمام الأحداث بالصدفة، كانت له ضرورة كي أستطيع أن أفتح نفسي على إمكانية أنّ كلّ الأشياء مُتصلة من أجل غرض

مُعَيّن. لقد احتجّت شخصياً أن أكون مُتحرراً من عقليتي الخاصة المُبالغ فيها في ذلك الوقت من حياتي.

من أجل أن أكتب في النهاية وأتحدّث عن عالم الروح، احتجّت أن أعرف في عمر مُبكر في سنّ التاسعة عشر، أنّه لا توجد حوادث مُصادفات في الكون الذي يُخلق ويُسرّ من قِبَل قوى خفية لا تحتاج إلى الشرح العقلي. أنا أرى الآن أنه ليست لدينا فكرة كيف يُخلق أيّ شيء في هذا العالم المادي، وأنّ كل شيء مُتأصل من شيء يُدعى الروح، والتي لا يستطيع أحد أن يُعرّفها أو أن يقترب من شرحها بما في ذلك عقولنا العلمية العظيمة.

هنالك أسباب كثيرة كي تُؤمن بوجود عقل وراء الحياة. كما ذكر «ماكس بلانك» العقل العلمي العظيم الذي حاز على جائزة «نوبل» في الفيزياء: «إنّ كل مادة تُولد وتُوجد فقط بحكم قوّة تجلب جزئيّ النواة إلى الاهتزاز وتحمل في الوقت نفسه هذا النظام الشمسيّ المُصغر للذرة. علينا أن نفترض أنه خلف هذه القوّة يوجد عقل ذكي واع، وهذا العقل هو منشأ كلّ هذه الأشياء». هكذا يكون الوجود، فذاك العقل فطري في كلّ خلق من هذا العقل، وهذا يعني أنه موجود في كلّ شيء وفي كلّ شخص وأنه يُدير المسرحة بأكملها.

هذا العقل غامض على نحو عظيم، وهو قادر على أن يخلق عوالم ومجرات على نحو فسيح يُذهل أكثر خيالات التفكير المُنفّتح. يستطيع هذا العقل الحفاظ على الكون بأسره في توازن تامّ ويخلق الزهرة من السماد. إنّه العقل الذي يكمن في كلّ الأشياء وهو «الروح التي تُعطي الحياة» كما قال «المسيح». يستطيع هذا العقل الخفي أن يخلق المُعجزات في كلّ ثانية من كلّ يوم. إنّ جلب أخوين معاً في منتصف الشارع الرئيس في «بينسلفانيا» هو إنجاز صغير مُقارنة مع خلق الحياة من اللاشيء وتجميع عدد غير محدود من المخلوقات السماوية كي تشغل الكون بأكمله. لا أستطيع تصوّر ساعة يد دون صانع ساعات، ولذلك فمن المُستحيل بالنسبة إليّ أن أؤمن أنّ هذا الكون موجود من غير وجود عقل هو منشأ كلّ الأشياء وهو الخالق.

عندما أنظر إلى الوراء إلى تجربة التزامن تلك التي حدثت عام 1959، يبدو وعلى

نحو واضح بالنسبة إليّ أنه يجب أن أفتح عينيّ على إمكانية التصميم الإلهي الذي يُساهم بمفاتيح تحلّ ألغاز أقدارنا. شعرتُ عندها أنّي وأخي «جيم» مُشاركين بتعاون مع القدر، وأنني بدأتُ أفهم مُشاركتي بوعي. لقد أردتُ أن تصطف حياتي بموازاة مع هذه الطاقة الخفية الخارقة، وبدأتُ أختار التفكير الذي يعي أنني أكثر بكثير من مُجرّد شكل إنسان، وأنني الروح نفسها، وأنّ الحياة داخلي إلهية حقيقة. حالما تراجعتُ من مكان إجمالي المعتقدات، ولاحظتُ روعتي الخاصة واتصالي بهذه الروح الخفية العظيمة، بدأتُ أكون مُشاركاً في خلق أحداث مُترامنة أكثر وأكثر.

كانت هذه التجربة الاولى التي أستطيع فيها تذكّر كم أدهشتني رؤية أنّ الحياة ليست مادية وواقعية فحسب. كنتُ وما أزال مُقتنعاً أن الأحداث في هذه الطبيعة، ليست مُصادفة عرضية. منذ ذاك اليوم فصاعداً بدأتُ أفكر بطرق جديدة، ومع أنني لم أشارك هذا الوعي المُتيقّظ الجديد مع أيّ أحد في ذاك الوقت، بيد أنني عرفتُ أنني كنت ضمن شيء أكبر بكثير من المرور خلال إشارات الحياة كما لو أنها مُسلّمة إليّ.

لقد بدأتُ أسمع الصمت الذي بدا وكأنه يهمس برفق عن حياتي الداخلية والأحداث التي تبدو عجابية. لقد بدا واضحاً بالنسبة إليّ، أنّ هناك رابط تزامن لكلّ شخص وكلّ شيء، وأنّ كل ما في الحياة مُرتبط داخلياً. لقد فكرتُ في السائقين اللذين أنزلاني و«جيم» عند موقف المطعم الرئيس وبدأتُ أراهم كجزء من «دراما» حياتي، وأرى نفسي جزءاً من حياتهم. كان هذا تفتحي نحو الوعي بالقوّة الإلهية التي تتحرّك من خلال حياتنا.

من وجهة نظري عندما أنظر إلى الخلف إلى ذلك الحدث بعد مرور الكثير من السنوات، أرى بوضوح أنني كنت بدأتُ أحرر نفسي من الترتيب الزمني لطريقة «السبب - نتيجة» التي تدرّبتُ على التفكير بها. لقد بدأتُ أشجع التفكير المُنتفتح بحق على كلّ شيء، والذي لا يتعلّق بأيّ شيء. لقد بدا أنني في عمر التاسعة عشر رحّبتُ باكتشاف هذه الفكرة التي ستغلغل في النهاية في عمل حياتي، مع الاستسلام لتلك المعرفة بأنّ كلّ ذلك هو الطريق التي يجب أن تكون.

كان «ألبرت أنشتاين» مُصيباً في قوله: «هناك طريقتان فقط كي تعيش حياتك.

الأولى أنه لا شيء يُعتبر مُعجزة، والثانية هي أنّ كل شيء مُعجزة»، أو كما قال «بوذا»: «لو استطعنا رؤية مُعجزة زهرة واحدة بوضوح، فستتغير كلّ حياتنا». هذا الحدث الإعجازي سمح لي أن أرى بوضوح وأبدأ بالمشاركة في صنع حياتي الخاصة، وأُعلم الآخرين كيف يُشاركون في صنع حياتهم أيضاً. عندما أنظر الآن إلى الوراء، أرغب في التعبير عن الشكر لكلّ المشاركين الذين تعاونوا في إحداث هذه الروعة التي استيقظتُ في داخلي.



► إنه صيف عام 1960، أنا أخصائي اتصالات على متن أكبر سفينة في العالم واسمها USS Ranger «يو. أس. أس. رانجر». كنا مُتمركزين في ميناء «آلاميدا، كاليفورنيا»، بعد رحلة ستة أشهر إلى القواعد البحرية والنقاط الساخنة في غرب المحيط الهادي، تتضمن «اليابان»، «هونغ كونغ»، «الفليبين»، «هاواي»، والآن عدنا إلى البر الرئيس للولايات المتحدة الأمريكية.

فجأة، أذيع هذا الإعلان بدويّ عالٍ عبر مكبرات السفينة: «توجّهوا إلى ظهر السفينة وقفوا كي تُشكلوا عبارة: «هاي آيك» أي «مرحباً رئيس الولايات المتحدة»، حيث أنّ الرئيس «إيزنهاور» يطير فوق سفينتنا في الحوامة.

أنا في حالة من الغضب من أن يجتمع عدة آلاف من زملائي ويُشاركون في هذا المشهد العبثي كي ينظر رجل واحد من الأعلى ويرى هذه الرسالة المُشكّلة من قبل مجموعة من البحارة الذين يرتدون قبعات بيضاء. من المُستحيل أن أكون واحداً من مجموعة تتصرّف كسرب من الإوز يُنفذون الأوامر من أجل سبب غير منطقي لا أستطيع فهمه.

أنا أحتقر هذه العقلية، وأجد هذه النشاطات التافهة مُهينة بعمق وتحطّ من كرامتي. أنا ضابط صغير من الدرجة الثالثة، مُحترف وموهوب وأحمل مسؤوليات ضخمة، ولكنني غير قادر كلياً على أن أساق إلى مجموعة وأقف تحت حرارة الشمس كي أشكّل حرف «آي» في «هاي آيك» من أجل أن أصنع عرضاً سياسياً من أجل الحزب الجمهوري أثناء هذه السنة الانتخابية.

إنه صراع دائم بالنسبة إليّ أن أحافظ على فرديتي بينما لا أزال أعمل ضمن منظمة تفعل كل شيء تستطيعه كي تقمع أي أفكار فردية. إن اسم هذه الطريقة هو التفكير الجماعي، والقواعد هي: افعل كما يُخبرونك ولا تسأل أي أسئلة، انس كبرياءك وذاتك وورغبتك بأن تحصل على تفكير خاص بك، أطع جميع الأوامر، اقمع أي أفكار عصيان مهما كانت الأوامر مُزعجة. أنا أعلم أنه تبقى لديّ أقل من سنتين في الخدمة، ثم سأكون حراً من هذه العقلية. أنا أريد أداءً مشرفاً، وأريد أن أذهب إلى الكلية وأصبح معلماً. أريد أن أصنع هذا من خلال ما تبقى من تطوعي في الجيش مُتجنباً أي مُجابهاة تمس كبريائي الداخلي. بيد أن الأمر كبير الآن ولا أستطيع أن أسمح لنفسي ببساطة أن أشارك في هذه التمثيلية.

لقد نجحت في السنتين الماضيتين في تجنّب معظم التدريبات العسكرية التي تُسبب الاستياء لروحي، وتعلّمت كيف أكون في أماكن أخرى على نحو شرعي عندما كانت تُجرى عمليات التفتيش المهينة، ولم أتحدّث عن ذلك مع أي أحد. كنتُ أعرف كيفية عدم إثارة الأمواج وعدم جذب الانتباه إلى نفسي، وكنتُ أدعو ذلك أن تكون فعلاً بهدوء. كنتُ أعرف ما الشيء الذي يُغضب روحي، ولا أحتاج إلى أن أعرّض إلى ذلك الغضب. أنا أحتقر عمليات التفتيش، ولذلك كنتُ أكتشف موعد البدء بها وأوظف نفسي من أجل القيام بشيء آخر بينما يأخذ التفتيش مجراه. عندما كانوا يُخبرونني أنّه عليّ أن أحمل مسدساً وأقف في مُهمّة حراسة، كنتُ آخذ ورقة إذن وأكون في مكان آخر، فأنا أحتقر المُسدسات وأدوات الموت، ولا أريد أن أجري حديثاً عنها، بل أنا ببساطة لا أريد امتلاك أدوات القتل الدنيئة تلك شخصياً في أيّ وقت. أنا مسرور من نفسي من جرّاء اكتشاف كيف أبقى داخل النظام، بينما أتجنّب أجزاء النظام التي تُدنس معايير شخصيتي الداخلية.

بينما توجه ألفان من البحارة المُجندين إلى سطح السفينة كي يتم إخبارهم كيف يقفون من أجل تشكيل عبارة «هاي آيك». توجهتُ إلى الاتجاه المُعاكس إلى أسفل ظهر السفينة، حيث أستطيع أن أجلس في عزلة ريثما يهدم هذا الجنون فوقي. هناك الكثير من الناس ولن يتفقدونني، ولن يعرف أحد أبداً أنني غير موجود، كما لن يعرفوا مدى الازدراء الذي يُحدثه هذا الأمر في داخلي.

أنا فقط لا أستطيع فهم كيف يستمرّ الناس الذين يشعرون بالقوّة مثلي بهذا، ويسمحون

لأنفسهم أن يتم استخدامهم بهذا الأسلوب. من ناحية أخرى، أنا أفكر، لو أن كل شخص تعامل مع هذه الأنواع من المواقف كما فعلت أنا، فسيكون من المستحيل بالنسبة إلي أن أفعل ما أفعله الآن. إذاً وبطرق كثيرة وعديدة أنا مُمتن تجاه كل هؤلاء الذين يستمرون ويُطيعون. يسمح لي ذلك أن أهرب عن الأنتظار وأبقى غير مُلاحظ وأحافظ على ذرة من الكرامة دون التعبير عن نفسي أمام الناس الذين اختاروا أن يُطيعوا.

أنا أمارس التأمل بهدوء، وأقرأ رواية هي حالياً على لائحة الكتب الأفضل مبيعاً. أنا مُستغرق في قصة «أتيكوس فينش» الذي يُقاتل النظام ويكافح التعصب. هذه قراءتي الثالثة لكتاب «هاربر لي» بعنوان *to Kill a Mockingjay* «أن تقتل الطائر المُقلد»، وعلى الرغم من أن الكتاب صدر منذ أشهر قليلة، إلا أنه ليس كتاباً تقرأه مرة ثم تضعه جانبا.

كان «أتيكوس فينش» فرداً ذي نزاهة عالية، مُحامياً بطولياً من أبناء الجنوب في «ألاباما»، وقد وقف ببطولة مع كل ما هو صحيح. لقد أسرني موقفه عندما كان يُخبر ابنته «سكاوت» أنه لن يستطيع رفع رأسه مُجدداً أمام أطفاله مرة أخرى إن لم يريح هذه القضية، ثم شرح أنه يجب عليه أن يربحها حتى وإن اعتقد أي شخص آخر أنه على خطأ. عندما كنتُ أُعيد قراءة «أن تقتل الطائر المُقلد» تحت ظهر السفينة، كنتُ مسروراً من نفسي بسبب عدم تعاوني مع سرب البحارة في الأعلى. كنتُ أشعر بشجاعة خياري في أن أستمع إلى ذلك الصوت الهادئ الداخلي والذي يقول: «ليس عليك أن تكون كأي شخص آخر، هناك طريقة أخرى».

لا أزال أستطيع أن أرى نفسي أجلس في غرفة المرحل تسعة المعزولة تحت ظهر السفينة أقرأ كتاب «هاربر لي». كنتُ وأنا ابن العشرين عاماً مُتَعَجِّباً من الشخصية الخيالية التي تتحدّى الضغط عليها كي تُصبح كأي أحد آخر، وتستمع بدل ذلك إلى الصوت العنيد داخلها الذي يدعوها أن تتبع قلبها وتكون الشخص المُقدّر لها أن تكون.

إن موضوع قصة «هاي آيك» يعرض نفسه من خلال كل المواضيع في سيرتي الذاتية منذ أكثر من أربعين عاماً الماضية. أنا أشعر أن النداء الداخلي المُلح والمُستمر كي أقاوم الطاعة كان مُصمماً إلهياً كي يُظهر لي هدف حياتي. لم أعرف أي شخص بعد التحدث إليه ساعة أو أكثر، لا يشعر أن لديه مُهمّة مُوحاة إلهياً. لقد شعرتُ بذلك على نحو عميق خلال

حياتي، وأعرف الآن أنّ التجربة التي اختبرتها مع رواية «هاربر لي» الحائزة على جائزة «بوليتزر»، وأنّ تدمري وهروبي من المشهد الظاهر على ظهر سفيتي كان لحظة بارزة في حياتي. إنه أمر واضح بالنسبة إليّ اليوم بعد خمسين سنة أو أكثر، تماماً كما كان عندما رجعتُ إلى مهاجع النوم بعد أن أصبح كلّ واحد منبواً من مهمته المُضحكة في الأعلى.

غالباً ما أفكر في كلمات «بول»: «لا تتكيف مع هذا العالم، بل كن مُتغيّراً مع تجدد عقلك»، (انجيل الرومان 12:2)، وأفكر بالتعاليم الصوفية العظيمة التي تُرشدنا «أن نكون في العالم، ولكن ليس من العالم». لقد كتبتُ غالباً عن الفكرة أننا لسنا أجسامنا، ولكننا وجود غير محدود يسكن جسداً جديداً في كلّ لحظة من كلّ يوم نعيشه، وبينما كنتُ أهرب من المُتطلبات التافهة التي تزرعها الخدمة العسكرية على جسدي، فإنّ جزءاً مني كان يعرف أنني موجود أيضاً في العالم كجسد، بيد أنني لم أكن في عالم الجسد والأشكال، بل كنتُ أذهب ما وراء الشكل، في عملية تحوّل هناك على متن سفيتي.

أستطيع أن أرى أنّ تلك المُحفّزات القوية كي أكون فعّالاً بهدوء، وأتجنّب النشاطات التي بدت خرقاء بالنسبة إليّ، كانت تمرينات تدريب مُبكرة من أجل تعليمي الثقة الذاتية بالنفس. في هذه النقطة، أنا مُمتنّ من الأعماق أنّ رواية «هاربر لي» «أن تقتل الطائر المُقلد» ظهرت في وقتها، ومُمتنّ تجاه القرار المأخوذ من قبل القوى التي كانت تقود مراسم «هاي آيك»!. لقد احتاج إدراكي تلك الحوادث كي يُلهمني البدء في كتابة مقالات أصبحت أخيراً كتباً تُشجّع ملايين الناس حول العالم كي يكون لديهم الشجاعة فيستمعوا إلى نداء صوتهم الداخلي.

منذ عقد مضى، عندما أصبح ابني في الثالثة عشر من العمر، كتبتُ له رسالة عمّا يعنيه أن يصل إلى هذا العمر ويُصبح رجلاً، كما يُعلّم ويُذكر في الكثير من الأعراف الروحية. أنهيتُ رسالتي بإعطائه هذه الحكمة الراجحة: «لو اتبعت القطيع، سينتهي بك الأمر أن تطأ الروث»، وقد قصدتُ بالروث هنا أن تعيش مع نفسك وتجاهل ما تعرف أنه صواب وصحيح، وتتبع عوضاً عن ذلك توجيهات «الفضلات» من الآخرين الخائفين من أن يُغادروا القطيع ويُريدونك أن تكون مثلك مثل أيّ شخص آخر.

• تعينتُ في منصب في جزيرة «غوام» في جنوب المحيط الهادي مُدّة ثمانية عشر شهراً على الأقل من فترة تطوعي، وترقيتُ إلى رتبة ضابط صغير من الدرجة الثانية وأنا مشرف على مركز وحدة البحرية في مدينة «آغانا».

كنتُ أقرأ قصص وافتتاحيات صحيفة الأخبار اليومية «غوام»، عن سياسة التمييز في القاعدة البحرية. كان المواطنون الذين يعملون في مخازن التجزئة يمتلكون امتياز التسوّق من تلك المنافذ، وبذلك فهم قادرون على أخذ فرصة الاستفادة من الحسومات الكبيرة المُقدمة إلى كلّ الأفراد العسكريين في الخدمة العملية، بيد أنك إذا كنتَ مُوظفاً مدنياً وصدف أنك من أصل «غوامي»، لا تعود تنتفع بهذه الميزة. إذا كانت بشرتك داكنة وكنت «غوامياً» تُصبح مُستبعداً. مرة أخرى ظهر هذا النوع من التمييز في حياتي، وفي هذه المرة كان مُصادقاً عليه من قبل بحرية الولايات المتحدة التي أعمل فيها أيضاً. في صباح السبت، لاحظتُ هذا الإعلان على الصفحة الخلفية من الورقة:

هذه دعوة كي تُعبّر عمّا في نفسك. الجائزة الأولى خمس وسبعون دولاراً للرسالة الاربعة التي تتحدّث عن إدانة سياسة البحرية الأمريكية في التسوّق من المنافذ البحرية والتمييز الحاصل بحقّ المُوظفين المدنيين الذين هم من أصل «غوامي».

أعلم أنني سأربح الجائزة لو دخلتُ هذه المسابقة، وستكون هذه مكافأتي الأولى على شيء كنتُ أفعله يومياً في السنوات العديدة الماضية. أنا أمتلك مجموعة شاملة من المقالات التي كتبْتُها عن تشكيلة واسعة من المواضيع.

إن كتابة المقالات هو أكثر من هواية بالنسبة إليّ، فقد أصبح شغفاً. أنا أكتشف المواضيع في كلّ مكان. فقد يجذب انتباهي مثلاً سلوك لا أستطيع حتى ولو بعد بلايين السنين أن أشارك به بنفسي، ومثال ذلك، مقطع اخباري عن أناس يرتدون قبعات سخيفة ويترنمون بإسم مُرشح في مؤتمر سياسي، يقفزون على أقدامهم في خط ويهتفون! هذا المقطع يتطلب مقالة عن ميل الناس العاديين إلى التصرف بحماقة عندما يكونون مع آخرين يفعلون الشيء نفسه.

أشعر أنه من المُهم جداً أن تثق في شخصيتك الفردية وتعيش من منظور كونك استثنائياً وليس عادياً. لقد كتبتُ بضع مئات من المقالات دون وجود أي فكرة عما سأفعله بها، أو حتى لماذا أكتبها. إنه ببساطة شغفي، وهذا النداء الداخلي يعمل دون ارادتي في داخلي، وأنا أنهي خدمتي هنا على هذه الجزيرة في جنوب المحيط الهادي.

أرسلتُ اشتراكي إلى مُسابقة كتابة الرسالة في وقت مُبكر من المساء. بعد أسبوعين تلقيتُ مُكالمة من الصحيفة الاخبارية تُعلمني أنني قدّمتُ الرسالة الرابعة. أخذتُ على نحو واضح موقع الداعم لمواطني «غواما» المحليين وأدنتُ سياسة البحرية في استبعاد أناس عن امتيازات خاصة على أساس أصلهم ولون بشرتهم. استلمتُ جائزة الخمسة وسبعين دولاراً، وظهرتُ صورتي على الصفحة الأمامية من صحيفة أخبار «غوام» اليومية بزيّ البحرية الرسمي حاملاً جائزتي، ثم حدثت فجأة أسوأ الأمور على الإطلاق.

استلمتُ العشرات من المُكالمات الهاتفية الغاضبة، من ضمنها مُكالمة تهديد بالموت. يبدو أنّ المواطنين الذين مُعظمهم أقارب وتابعين لموظفي خدمة القوات المسلحة الذين على رأس عملهم، مُنزعجون جداً من فكرة أنّ المواطنين الغواميين سيُعطون الاستحقاقات نفسها التي يتمتعون بها. لقد ظهر التعصب العرقي من خلال النعوت التي وجّهت إليّ بسبب دعم هؤلاء «الهمجيين» «غير الأمريكيين».

أنا مصدوم، فقد وقفت رسالتي ببساطة مع الحقوق المُتساوية التي يضمنها الدستور، مثلها مثل أي شيء عادل. لماذا ينبغي أن يمتلك أي أحد فوائد مُميزة ويُرفض اعطاءها للآخرين ببساطة بسبب مكان ولادتهم؟ لو كانت ستُمنح إلى المواطنين، فينبغي أن تُمنح إلى الجميع. يبدو ذلك واضحاً جداً وبسيطاً بالنسبة إليّ.

لقد قام القائد العسكري للقوات البحرية في جزر «الماريانا» باستدعائي، وأخبرني أنني انتهكت القانون الموحد للقضاء العسكري، والذي يقتضي أن أتقدم بآرائي إلى المشرفين عليّ من أجل الموافقة عليها قبل نشرها على العموم. لأنني توجهت مباشرة من نفسي وعبرت عن رأيي الذي تعارض مع سياسة البحرية الموجودة، ولأنني ظهرت في الصورة بالزي الرسمي، ولأنني تلقيت المال لقاء كتابة ذاك الرأي، فقد يتم عرضي على محكمة عسكرية مُحتملة، أو رُبما تُخفض رتبتي العسكرية، أو رُبما يتم تسريحني بأقل من مرتبة الشرف من القوات المسلحة. كل ذلك بسبب رسالة بسيطة عبّرت فيها عن رأي كان بمنتهى الوضوح بالنسبة إليّ.

لديّ أسبوعان فقط كي أتغلب على هذا الأمر قبل أن يتخذ القضاء العسكري للقوات البحرية قراره، لذلك انطلقت مباشرة إلى التصرف. كتبت رسائل إلى المُحررين في جريدة أخبار «ديترويت» وجريدة حرية الصحافة في «ديترويت»، الصحيفتين اللتين سلمتهما باليد عندما كنت في عمر العاشرة، وقد فصلتُ فيها ما يحدث هنا في «غوام». لقد كتبتُ أيضاً رسالة مطولة إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، «جون كينيدي»، مُوضحاً سياسة التمييز الموجودة هنا في «غوام»، وأخبرته كيف تمّ تهديدي لأنني وضحتُ الآراء التي تحدّث عنها هو ببلاعة في خطابه الافتتاحي منذ سنة مضت. لقد أخذتُ نسخاً عن هذه الرسائل، ولم أرسل أيّ منها بالبريد الإلكتروني.

لقد تمّ استدعائي من قبل شاب حامل للراية وهو مُساعد العميد البحري القائد العسكري للقوات البحرية هنا في جزر «الماريانا». بدأ بإعطائي مُحاضرة عمّا قد يحدث لي، وأخبرني أنني اقترفتُ انتهاكاً خطيراً وأنهم فكروا بتوبيخي جدياً وفي عقوبة إضافية مُحتملة.

أنا مهذب ولكنني مُصمم بشدة. أنا أوّمن كلياً أنّ البحرية هي وسيلة من أجل الخروج عن الصفّ وممارسة التمييز، وهو شيء تعهد القائد العام بأن يقضي عليه في بلدنا، وأنا أفترض أنّه يقصد القضاء عليه في القوات المسلحة أيضاً. أخبرتُ هذا الضابط أنني لستُ خائفاً من تهديداتهم، مع أنني لا أريد أن أعرض موعد تسريحني القادم للخطر، ولا أتمنى قطعاً أن أخضع إلى مُحكمة عسكرية من أجل أنني ربحتُ

مسابقة كتابة رسالة عن أن هذا النوع من الانحياز غير مُلائم وغير شرعي، بيد أنني لن أراجع.

أرِيتُه نسخاً عن الرسائل التي كتبتها وأخبرته بهدوء وحزم أن الأمر قد يُصبح قبيحاً جداً، ليس فقط بالنسبة إلى قائد البحرية العسكري، بل بالنسبة إلى بحرية الولايات المتحدة الأمريكية بأكملها، والتي ما زالت إلى ما قبل سنة تُمارس سياسات التمييز العنصري على متن سفنها في البحر وفي قواعدها خارج البلاد، وأني كنتُ شاهداً على هذا الانتهاك من خلال تطوعي. أخبرته أنه لو تمّ إحالتي إلى القضاء، فسأرسل هذه الرسائل حتماً عند إجراءات البدء.

قل كل هذا الكلام في جو لطيف جداً وبيئة ودية. أنا مُقتنع أنه لا توجد نية إطلاقاً عند المُشرّفين عليّ من أجل تنفيذ أمر الإحالة إلى المحكمة العسكرية. أنا أثق أنهم يقومون بتخويفي بسبب الكمّ الكبير من الشكاوي التي استلموها عن بخار مُتطوع كانت لديه الجرأة كي يتحدّث أمام العموم عن سياسة راسخة في البحرية.

غادرتُ مكتب حامل الراية ولم أسمع أيّ كلمة عن هذا الأمر بعد ذلك أبداً، على الرغم من أن التهديد عبر المُكالمات الهاتفية والرسائل استمرّ يقصّ مضجعي.

على الرغم من أنني كنتُ في أول العشرينيات من عمري، كنتُ مُتوجّهاً كي أكون شخصاً يُمكن أن يصنع التميّز ويقف في وجه السلطة من أجل ما يؤمن به، وبفعل ذلك دون خوف. تذكّرتُ غضبي بسبب طريقة مُعاملة أقلية من الناس على نحو غير عادل، وكنتُ أتعلمُ نتيجة اعتراض الدخلي في المسائل التي تحتاج إلى «نعم»، فشخص واحد بضمير يقدر على أن يكون ودوداً ويُحدث التغيير. نعم، عندما عدتُ إلى «ديترويت» كطالب جامعي جديد، استلمتُ رسالة من صديق يُخبرني أن سياسة التمييز تجاه المواطنين الغواميين قد أُلغيت، وأنهم حصلوا على الامتيازات نفسها كسائر الموظفين المدنيين. كانت هذه تجربة هائلة في تطوّر الشخصيّة برزت حتى اليوم بعد خمسين عاماً، كأحد الدروس العظيمة التي كان عليّ أن أتعلمها. ثم بعد كلّ شيء، صاغت هذه التجربة عندي مهنة التحدّث والكتابة بأكملها.

بطريقة ما، تعاون الكون في وضعي في «غوام» في آخر ثمانية عشر شهراً النهائية

من مهنتي البحرية. لقد شعرتُ على تلك الجزيرة بمعرفة غامرة أنني لا أستطيع أن أكون كاتباً فحسب، ولكن بإمكانني أن أكسب عيشي من خلال الكتابة أيضاً. عندما أرسلتُ مشاركتي في مسابقة أخبار «غوام» اليومية، لم يكن لديّ أدنى شك أنني سأربح الجائزة المالية. لقد أحسستُ بمصدر طاقة خفي معي عندما كتبتُ مقالتي عن سياسة البحرية الخاطئة وسوء المعاملة تجاه الأقليات. عندما أعلمتُ بربح الجائزة، قلتُ لنفسِي: «أستطيع فعل أيّ شيء بقوة القلم، وليس تغيير السياسات فحسب، بل أستطيع التأثير في حياة الناس بكتابتي أيضاً». تلك المسابقة الصغيرة على تلك الجزيرة البعيدة رسمت لي طريقاً كي أنخرط في الكتابة بطريقة كبيرة.

من خلال مهنة التحدّث والكتابة، كنتُ أخبر الجمهور قبل كلّ شيء أن يثقوا بأنفسهم، وأن لا يسمحوا لأيّ قوّة خارجهم أن تُبعدهم عمّا يشعرون أنه حقيقتهم. عندما كنتُ واقفاً في الغرفة الخارجية للعميد البحري أقدم حجتي أمام ذلك الموظف البحري الشاب، كان الأمر المفتاحي في الدور الذي يجب أن أعبه. كان الأمر وكأنّ مصدر وجودي يقول لي: «هذا قرار حياتي حاسم، فأنيّ طريق تمنى أن تُمضي حياتك فيه؟». لم يكن الأمر شيئاً أفعله كي أصنع مرحلة، بل كان نقطة تحوّل من أجلي، ولم يكن هناك مجال كي أنسحب وأستسلم إلى الخوف.

لقد ساهمت هذه التجربة بدفعي إلى مهنة الكتابة. أنا أشعر أنّ حامل الراية الشاب وُضع هناك كدليل إلى كلّ ما كان مُقدراً أن أتباه في المُستقبل. راقبتُ وجهه عندما ابتسم من عدم خوفي من خططه في التعامل معي بأسلوب عسكري فظّ. عرفتُ أنه حليف لي، وشعرتُ بتيقن أنه سيفعل ما طلبته ويجعل هذا الأمر السخيف يختفي.

في نهاية تطوعي في الخدمة العسكرية، أُعطيتُ الفرصة كي أكتب في صحيفة ويدفعون لي عن ذلك، إضافة إلى اختبار عزمي وتصميمي. أُعطيتُ الفرصة كي أختبر قوّة جرأتي وعدم رغبتني في تسوية القيم، وأن يكون لي دور فعال في قلب سياسة لا أخلاقية. كثيراً ما أقدم الشكر إلى كلّ الافراد الذين انحازوا كي يجلبوا كلّ شيء ويطلقونني إلى العمل الذي كنتُ أقوم به منذ سنين عديدة، وإلى الشخص في صحيفة أخبار «غوام» اليومية الذي قرر أن يُجري هذه المسابقة، وإلى القوى التي حثمت أن أتعيّن في ذلك

المكان المعزول، وإلى الناس الذين اتصلوا كي يُهددوني، وبالتالي كُثفوا من عزيمتي، وإلى الشاب حامل الراية، وإلى كل شيء.

من وجهة النظر هذه، أستطيع أن أرى بوضوح أنه كان مُقدراً لي أن أفتح تلك الصحيفة في صباح السبت في «غوام» وأقبل التحدي في مُسابقة كتابة رسالة. أنا مُمتنّ جداً تجاه كل لحظة من تلك التجربة التي علمتني: «لا تستسلم أبداً، ثِق بنفسك، تعلم أنه بإمكانك تغيير العالم، لا تخف، تواصل واخُدم هؤلاء الذين هم في حاجة إليك، لا تدع أي أحد يُحدّثك عمّا تشعر به بعمق داخلك، وخاصة عندما يُحاولون تهديدك».



• إن الجلوس المُفرط أثناء العمل مع مُعدات الاتصالات مُترافقاً مع الرطوبة الاستوائية سبب لي ألماً شديداً، وظهر بعض التورم في قاعدة عمودي الفقري، والذي تمّ تشخيصه على أنه كيس شعري، وهو أمر شائع عند الشباب. في الحقيقة، هذا التشخيص أكثر شيوعاً لدى الذكور تحت سنّ الرابعة والعشرين، وهناك حسب الطبيب البحري الذي التقيتُه في «غوام»، شريحة كبيرة من الشباب يُعانون من هذه المصيبة.

قدمتُ طلباً إلى المشفى في «آغانا»، حيث تمّ تعييني هناك ثلاثة أيام من أجل إجراء العملية الجراحية البسيطة لي. كانت واجباتي أن أساعد في مُعالجة الشبان الآخرين الذين أجروا عملياتهم: أساعد في تنظيف الجروح، تغيير الضمادات، وأساعد البحارة الضعفاء في الحمام المقعدي.

في الصباح الأول، تعينتُ للعمل مع بحار شاب أجرى عملياته في اليوم السابق. وقف أمامي وأرخى ثوبه، ورأيتُ مشهداً لن أنساه. لقد أُجريت الجراحة له على جانبي الردفين، وكان اللحم المسلوخ مكشوفاً في قاعدة عموده الفقري. لقد أخبروني أن أُجفف وأنظف الجرح بعد مساعدته في حمامه المقعدي، ثم أضع مرهماً على اللحم العاري بواسطة ضمادة. كان هنالك على الأقل عشرة رجال أو أكثر، وكلّهم أُجريت لهم العملية نفسها في الأيام القليلة الماضية، وكان أولئك الذين يُعالجون ويشعرون بقليل من الألم يُساعدون أولئك المشلولين عن الحركة.

انكملتُ من مشهد كلّ تلك الجروح ومن كمية اللحم التي قُطعت تاركةً عاهات

دائمة على أجسام المرضى. كان كل ما لديّ هو ألم وقليل من الانتفاخ، بيد أنني أنظر إلى ما يبدو لي نظام عمليات جراحية جذرية ستترك ضرراً دائماً عندي لو أُجريت عمليتي خلال يومين. لقد اتخذتُ قراراً هنا وفي الحال أنّ هذه العملية ليست لي، وأنني لن أدع سكين الأطباء الشباب السعيدة تعمل على مؤخرتي.

تركتُ جناح الكيس الشعري وقابلتُ رئيسة الممرضات، وأعلمتها أنّ التورم الذي كان لديّ قد اختفى وليس لديّ ألم، وأنني لن أحتاج إلى تدخلهم الجراحي الآن ولا بعد ذلك. رأيتُ الطبيب وأخبرته القصة نفسها، وقد أصرّ على أن أبقى ليلة أخرى كي يرى هل سيستمرّ شفائي الأعجوبي المفاجيء إلى اليوم التالي بعد الفحص. بقيتُ طوال تلك الليلة، وأنا أتصوّر أنني شفيت. إنّ فكرة أن أجرح بهذا الشكل العنيف حفزني كي أمضي في القيام بمغامرتي الأولى في الشفاء الذاتي.

في الصباح التالي أخبرتُ الممرضة والفريق الطبي أنني شفيت، وأنه ليس لديّ أيّ أعراض مهما كانت. رفضتُ أن أسمح لهم بفحصي مرة أخرى، وصددتُ جهودهم من أجل حملي على توقيع نموذج إذن جراحي. لقد تحررتُ ونقلتُ بسرعة إلى الحافلة، وأرسلتُ إلى محطة الاتصالات البحرية من أجل أداء الواجب. طول طريق العودة في الحافلة كانت مؤخرتي لا تزال تؤلمني، بيد أنني كنتُ ألاحظ تناقصاً هاماً في الأعراض التي أوصلتني إلى مشفى المجانين ذاك في البداية.

خلال الأسابيع القادمة أُجريتُ حمامات مقعدية خاصة، وتدرّبتُ على نوع من تقنية التخيل التي قرأتُ عنها في كتاب نُشر مؤخراً استعرتُه من المكتبة، عنوانه Psycholinguistics Control «علم التحكم النفسي» ألفه طبيب اسمه Maxwell Maltz «ماكسويل مالتز»، فرضيته الأساسية أنّ اتصال العقل مع الجسم هو جوهر الشفاء الذاتي الناجح. لقد حتّ المؤلف مرضاه بعد الجراحات التجميلية على أن يسعوا إلى النتائج الإيجابية من خلال التخيل الشديد، وأكّد على أنّ تعديل الشخصية يستطيع أن يخلق شفاءً أعجوبياً.

مارستُ بجد المبادئ التي عرضها د. «مالتز» في كتاب «علم التحكم النفسي». خلال أربعة أيام اختفى كيبي الشعري وأصبحتُ خالياً من الأعراض، وغير محتاج لأيّ علاج طبي بعد الآن.

لا أستطيع أن أخبركم عدد المرات التي عبّرتُ فيها عن امتناني تجاه ذلك الكيس الشعري الذي ظهر في منطقة العصعص عندي عام 1961، وتجاه الشبان الثلاثة الذين كان عليّ علاج أسفل ظهورهم خلال يومي الوحيد في المشفى البحري في «غوام». كان الأمر مدخلاً إلى القوّة التي يستطيع التفكير أن يؤدّيها في شفاء كلّ حالات التشخيص الطبي. لقد أصبح كتاب د. «ماكس مالتز» بمثابة كتاب مقدّس بالنسبة إليّ خلال تلك الأزمنة.

أعود إلى التفكير كيف أنني شفيتُ نفسي تماماً من خلال استخدام التخيل المُركّز، وأستطيع أن أرى أنّ كلّ الناس المُشاركين في حياتي خلال تلك التجربة في «غوام» كانوا حقيقة من أكثر المُعلّمين أهمية بالنسبة إليّ. لقد أصررتُ بعد تلك الازمة على أن أستخدم تفكيري كي أتصوّر نفسي صحيحاً وخالياً من الأمراض، وأبقى بعيداً عن العقلية الطبية إلا في الظروف الأكثر إبلاماً.

أستطيع أن أرى بوضوح أنني احتجت تلك التجربة المُرعبة في المشفى من أجل أن اكتشف القوى العجيبة والغامضة الكامنة في وعينا. كنتُ أشاهد العديد من أصدقائي الشباب ينصرفون إلى مأزق العملية الجراحية، فأتحدّث إليهم عمّا تعلمتُه من «د. مالتز» وأخبرهم: «غيّروا نظرتكم عن أنفسكم، بإمكانكم أن تُشفوا أنفسكم! لقد فعلتُ ذلك حقيقة من خلال رؤية نفسي مُعافاً. جرّبوا ذلك». بيد أنهم غالباً ما كانوا يرفضون الاستماع بسبب الصورة التي يحملونها عن أنفسهم أنهم غير بارعين وغير كفّولين عندما يتعلّق الأمر بقدرات الشفاء الذاتي لديهم.

أستطيع أن أرى بوضوح أنّ التجربة التي وصفتُها في مشفى البحرية عندما كنتُ بحاراً في عمر أحد عشر عاماً كانت مُهمّة للغاية كي أصبح في النهاية مُعلّماً في العلاج بقوّة ارتباط العقل مع الجسد. حالما ترسّخ ذلك على نحو تامّ داخلي، أمضيتُ الجزء الأفضل من الخمسين سنة في حياتي مُستخدماً هذه التقنيات في الشفاء الذاتي من خلال التخيل. لقد شجّعتُ الكثير من الناس كي يُغيّروا مفاهيمهم الذاتية ويبدأوا برؤية أنفسهم بداية المُعجزة الإلهية. على نحو واضح، كنتُ مُعدّاً كي أوّمن وأعلّم غيري أنّه مع الإله كلّ الأشياء مُمكنة.

شاركت المراحل حول العالم مع أطباء مُدرّبين ببراعة ممّن انضمّوا إليّ في تعليم رابط العقل مع الجسد. بالتدريج بدأ حقل رابط العقل مع الجسد يُحكم السيطرة، وأصبح الناس أكثر استعداداً كي يعتمدوا على قدراتهم الذاتية قبل مُتابعة الأدوية، الجراحة، وغيرها من الإجراءات الاجتياحية. بالنسبة إليّ، عاد هذا الحقل المُذهل من الاستفسار هنا في «غوام» حيث حصلتُ على الهام إلهي بينما كنتُ أهدق في دماء مؤخرة بحار شاب بعد عملية جراحية، فاتخذتُ قراراً أنه يجب أن تكون هنالك طريقة أخرى.

أنا أقدم الشكر إلى هذا التجلّي والالهام الإلهي، وكذلك إلى «ماكس مالتر» على نشر كتابه «علم التحكم النفسي» تماماً في الوقت الصحيح في حياتي. بعد أكثر من خمسين سنة وبعد تشخيص إصابتي بسرطان الدم «اللوكيميا»، ما أزال أستخدم التقنيات التي تعلمتها هناك في «غوام» عام 1961، وأنا أوّمن وأعلّم قوّة العقل على شفاء أيّ شيء نضعه في خيالنا مع ادراك مُنتظم للإله. لقد أكّدت على هذا الدرس أثناء تربية أولادي الثمانية كذلك.

عندما أنظر إلى الوراء، أستطيع أن أرى بوضوح لماذا كان عليّ أن أخوض تلك التجربة المُخيفة في ذلك الوقت، واليوم أوّكد من جديد أنّ ما عرفته كان صحيحاً: كلّ شيء يظهر في حياتنا من أجل سبب، على الرغم من أنه قد يبدو من المثالية أن ترى الأمور بهذه الطريقة.



• إنه صيف عام 1961، وأنا على وشك ركوب طائرة الدعم العسكرية من أجل عبور المحيط الهادي. إنّ خالي «بل فوليك»، مُعلّم في مدرسة «هايوارد»، «كاليفورنيا»، يُودعني بعد إجازة إسبوعين، قضيتها معه ومع عائلته.

كنتُ خلال الأسبوعين الماضيين مع خالي الذي يعمل فنيّ راديو على سفينة مُهدمة في المحيط الهادي خلال سنين الحرب العالمية الثانية العنيفة. استمتعتُ برفقته ومراقبة أسلوب تدريسه، فهو المُدرّس الأكثر شعبية في مدرسته لأنّه جعل المادة الدراسية حيّة. كنتُ أحبُّ مُشاهدته يُدرّس ورؤية التأثير الذي يُبدیه طلابه نحوه. كنتُ في حالة ذهول. إنه مرح وذكي، ومُلتزم بعمله بعمق، تماماً كطلابه الصغار.

أمضينا ليالٍ معاً نتبادل الاختبارات في كلّ أنواع المواضيع. تبادلنا المزاح جيئةً وذهاباً، وقد حاولتُ أن أربكه هو وزوجته «باربرا» بالألغاز التي اخترعتها. كنتُ أحبُّ تبادل الألغاز الفكرية والفلسفية كلّ مساءً، وأحبُّ الجو الذي أكون فيه برفقة أناس واسعي الاطلاع ومُحفّزين، وأحبُّ خالي، الرجل الأكثر تأثيراً في حياتي إلى حدّ بعيد. لقد كان بالنسبة إليّ قدوة فكرية، بل كان بمثابة الأب.

قبل الصعود، أخذتُ عهداً على نفسي، وقلّته بصوت عالٍ: «سأُضَي الثمانية عشر شهراً القادمة في «غوام» أحضّر نفسي من أجل الالتحاق بالجامعة كي أصبح مُعلّماً».

أنا أعيش في داخلي التوقّع والإثارة. أنا أريد أن أدرّس، وسوف أدرّس. سأذهب إلى

الكلية وأحصل على الشهادات الضرورية من أجل جعل هذا الحلم يُصبح حقيقة. لا شك أنني وجدتُ ندائي، وكان خالي «بل» هو مُلهمي.

لدي سنة ونصف في «غوام» كي أجهّز نفسي لما سأقوم به عندما يحين موعد التسريح في الرابع من أيلول 1962. هناك ثمانية عشر شهراً كي أكتشف طريقة من أجل الحصول على قبول الجامعة، الأمر الذي سيكون تحدياً كبيراً، لأنّ صورة المدرسة الثانوية لا تُنبئ، أنني جاهز لامتحان القبول في الجامعة. ألزمتُ نفسي على اكتشاف طريقة تجعلني قادراً على دفع نفقات الكتب والمُحاضرات، إضافة إلى إقناع الجامعة أنه عليهم التغاضي عن سجلات مدرستي الثانوية، وأن يُخاطروا ويعترفوا بي كطالب بدوام كامل.

قررتُ في يومي الأول على الجزيرة أنني سأوفّر تسعون بالمئة من مُرتبي خلال بقية وجودي في البحرية، وأعيش بالعشرة بالمئة المُتبقيّة، فجميع وجبات طعامي مدفوعة، وليس لديّ أجرة أدفعها أو ملابس أشتريها، كما أنني لا أشرب الكحول ولا أدخن السجائر. أنا مُصمم على أن أدخر مالاً كافياً من أجل تغطية كلّ مصاريف المُحاضرات مُدّة أربع سنوات من دراسة الجامعة، بالإضافة إلى أن أكون قادراً على شراء سيارة مُستعملة عند تسريحي. أنا مُتأكد أنني سأكون قادراً على الحصول على عمل بوقت جزئي عندما أدخل الكلية.

استلمتُ وصل أول راتب وذهبتُ إلى مدينة «آغانا»، وفتحتُ حساب توفير، وأودعتُ كلّ المبلغ ما عدا العشرة بالمئة من الدفعة. أنا أرعش من الفرح، أنا في طريقي! أنا أرى نفسي كطالب في الكلية، وأعلم أنني لن أرتدع عن هذا الالتزام.

كلّ شهر من الشهور الستة عشر القادمة كنتُ أمضي خلال هذه الطقوس، وأراقب حسابي المصرفي ينمو، وأحصل على وقت مُمتع من إثباتي لنفسي أنني قادر على تكديس الثراء حتى من راتبي كمُتطوع في البحرية. أنا أراقب باهتمام كيف يُسرف الكثير من زملائي البحّارين في صرف أموالهم، فيسكرون ويعيشون خارج إرادتهم، وبالكاد يصلون من راتب إلى آخر. هذه ليست طريقتي، أنا أعيش حقيقتي الخاصة المُستقلّة في عالم مُختلف كثيراً عن كلّ الناس الذين أعمل معهم في مركز اتصالات البحرية في «غوام». أنا أعيش في الرؤية التي أمتلكها لنفسي.

تزوّدني المكتبة الصغيرة في قاعدة البحرية بمصدر كتب أستعيرها وأقرأها أثناء وقت فراغي. أقرأ بشوق، وأدوّن باختصار الكلمات التي لا أستطيع تعريفها. في الليل وقبل أن أذهب إلى النوم أستخرج تعريف الكلمات وأدوّنّها في ملف تطوير المفردات الخاص بي. أنا مُتَشَبِّه بهذا النشاط، وملفي يُصبح أكبر. أنا أمضي الليالي في تكرار وقراءة لائحة شرح الكلمات الآخذة في النمو بتمعن، وألاحظ أنّ الكلمات الجديدة تبدأ بالظهور في مقالاتي وفي الرسائل التي أكتبها على الصفحة الرئيسة. أنا أبدو يوماً بعد يوم كشخص مُثَقَّف اجتاز التعليم الثانوي.

أنا أمضي وقتاً طويلاً من الزمن في المكتبة وأقرر أنني سأقرأ خمسمئة كتاب على الأقل أثناء تواجدي في «غوام» وأحصل على قائمة مراجع تنمو بسرعة. أنا أقرأ بشراهة كل شيء، تحتويه المكتبة، وقد أصبحت مساحة النوم خاصتي في الثكنة مُحَمَّلَةٌ بكل الكتب التي أقرأها.

أنا لا أقول شيئاً عن نواياي لأيّ أحد من أصدقائي. إنهم يرونني «دودة قراءة»، وأنني نوع خاص من المُثَقَّفين. أنا أتصرّف بناءً على صورتي الداخلية وأحضر نفسي من أجل دراسة الجامعة. أنا أرى نفسي كمُعلِّم، وأستاذ جامعي، وأتصرّف بناءً على تلك الصورة الداخلية كلّ يوم.

لقد قرأتُ كتباً عن كلّ مادة يُمكن تخيلها، وحضّرتُ نفسي من أجل فحص الدخول إلى الجامعة التي حملت اسمي من باب الصدفة Wayne State University «جامعة واين ستيت» في موطني في «ديترويت». كنتُ أستمع بالقراءة على نحو خاص عن الناس الذين تخطّوا كونهم أناساً عاديين من الكتاب العظماء، الشعراء، الفلاسفة، العلماء، المُخترعين، الموسيقيين، الرياضيين، والذين يبدو أنّهم ليسوا خارج المعايير. إنّ فكرة العيش في ظروف غير عادية والتفوق والعلو فوق «العادي» تبدو أكثر جاذبية بالنسبة إليّ.

أنا أقضي القسم الأكبر من وقت فراغي في الكتابة، ولقد جمعتُ مجموعة كبيرة من المقالات عن مواضيع مُتعددة. تبدو هذه المقالات وكأنها تكتب نفسها من خلالي، فأشعر أنّ القلم يُسرّع عبر الصفحات متزامناً مع ازدياد المُتعة في داخلي من فكرة أن أصبح كاتباً بنفسِي. لم أكن أشارك مقالاتي ومُفرداتي المُتزايدة مع أيّ أحد، فهذه

مُغامرتي الشخصية الخاصة. يبدو أنني اكتشفتُ طريقة كي أخرج من اللحظة الحالية، وأنا أشعر بالفعل وكأنني أعيش الحياة التي أتخيلها بإشراق كبير في دماغي. أنا كاتب، ورجل مُثقف. أنا مُعلّم.

في النهاية، أصبح العديد من أصدقائي المُقربين مُهتَمين بِمُحتوى قراءتي اليومية وكتاباتي. أصف بعضاً من الأفكار التي تتسلل إلى داخلي، وأذكر من بين الكثيرين على الأخص: «ويليام بليك»، «إيميلي ديكنسون»، «أفلاطون»، «فريدريك نيتشه»، «هنري ديفيد ثورو»، «رالف والدو إيميرسون»، «توماس وولف». أتحدّث عن حياة هؤلاء المُفكرين العظماء وما ينقلونه في كتاباتهم، وأتحدّث عن الفلسفة الوجودية، والفلسفة المثالية، وغيرها من المذاهب الغريبة مع مجموعة أصدقائي الصغيرة. لقد بدؤوا ينظرون إليّ كخبير في هذه المجالات، وأنا لا أفعل أيّ شيء كي أعكر ثقتهم بي. أنا خبير لأنني قادر على أن أتحدّث كخبير عن اهتمامي بهؤلاء الخبراء المشهورين!

بناءً على طلب أصدقائي، أرتب من أجل إدارة مُحاضرة أمام مجموعة صغيرة. أتى ستة شبان، وقمنا بِمُناقشة قدّتها عن «ألبير كامو»، الفيلسوف والكاتب الفرنسي الذي تُوفي مؤخراً. تحدّثنا عن The Myth of Sisyphus «أسطورة سيزيف» والفكرة التي قدمها «كامو» عن أن «كلّ الحقائق والأفكار العظيمة لها بدايات سخيفة، وكثيراً ما تُولد الأعمال العظيمة في زاوية شارع أو في الباب الدوار لمطعم». ناقشنا العظمة الكامنة فينا كلنا.

كنتُ مُندهشاً أنّ أصدقائي أرادوا المزيد. في الأسبوع التالي حضر إثنا عشر شخصاً، بما فيهم ضابط ليس من المفترض أن يختلط مع صفوف المُتطوعين. لقد بدا ببساطة أنني فيلسوف مُقيم في قاعدة البحرية، بسبب إرادتي أن أعيش دون خوف، أو أضيّع نفسي بأعمال مُتوقّرة لكلّ شخص ضمن المكتبة في القاعدة. كنتُ أحبّ هذه المُحاضرات المسائية حيث نستطيع التحدّث عن أفكار تُلهمني وتدلني على عظمتي الداخلية.

حالما اقترب وقت تسريحتي، تعرّفتُ على ضابط الثقافة في مركز اتصالات البحرية، والذي كتب رسالة إلى قسم القبول في جامعة «واين» يطلب فيها أن يسمح لي أن أتقدّم إلى امتحان القبول الجامعي هنا في «غوام» وأن يُدار الامتحان ويُراقب من قبله في مكتب الثقافة.

بعد عدة أشهر من الجدل «قبل وجود الهواتف الجواله أو الكمبيوترات» والمُكالمات الخارجية، تمّ عمل الترتيبات وأُضفت على الجدول من أجل امتحان يوم كامل. في نهاية يوم الاختبار كنتُ أشعر بالثقة فعلياً أنني أحسنتُ صنْعاً. لقد كانت فعلياً كلّ أسئلة المفردات هي كلمات ظهرت في ملف تطوير المفردات الضخم الذي كنتُ أجمعه.

بعد شهر، استلمتُ ردّاً من مكتب القبول في جامعة «واين» التي تحدثتُ وتراسلتُ معها خلال الستة أشهر الماضية أو ما يُقارب ذلك. لقد أبلّيتُ بلاء حسناً في امتحان القبول، مع أنّ سجلاتي في المدرسة الثانوية لا تُنبئ على امكانية النجاح في مستوى الجامعة. كانت الخلاصة أنني يجب أن أحضر كلية المجتمع، ثمّ أتقدّم بطلب النقل فور إكمال المنهج الدراسي مُدّة سنتين. لم يكن هذا هو الرد الذي تصوّرته.

تحدثتُ إلى ضابط الثقافة الذي أرسل توصية فائقة المديح إلى مكتب القبول مُفصّلاً العمل الذي كنتُ أقوم به. لقد وصف مجموعة الدراسة التي كنتُ أقودها وأعلّمها، ومدى التزامي بالتعليم العالي. أجريّتُ مُكالمة خارجية أخرى وتناقشتُ مع مكتب القبول ذاته الذي كان يتعامل مع قضيتي، وبعد كمّ هائل من الجدل والمُفاوضات، استلمتُ برقية تُعلمني أنهم سيقومون باستثناء لأنني جندي عريق وقد أصبحتُ مصدر إزعاج كبير. سيعترفون بي على أساس مشروط، ثمّ سيُعيدون تقييم حالتي بعد ثلاثة أرباع السنة الأكاديمية.

أنا مقبول، أنا في قمة السعادة!

عندما أنظر إلى الوراء أستطيع أن أرى بوضوح أنّ الثمانية عشر شهراً التي قضيتها في «غوام»، والتي سبقَت تسجيلي كطالب كلية بدوام كامل، كانت فعّالة على نحو مُذهل في صنع الحياة التي كانت أمامي.

كان هناك شيء في ضوابط حياتي حطّ بي في شمال «كاليفورنيا»، حيث قضيتُ العديد من عطل نهاية الأسبوع ووقت الإجازة في منزل «بل» و«باربرا فوليك». لقد كان وقتي الذي أقضيه مع أصغر إخوة أُمّي مُرتباً بطريقة إلهية، وأنا الآن مُتأكد من هذا. كانت هذه دروسي الافتتاحية في قوّة فكرة النية. لم أكن أريد أن أصبح مُعلماً إلى أن

راقبتُ خالي «بل» في الحديث وفي عملية التعليم، ومنذ ذلك اليوم أصبحت قادراً على أن أعلن ذلك كحقيقة حاضرة وأعيشه من خلال هذا العقل الداخلي.

لقد كانت هذه النية في رؤية نفسي مُعلِّماً إلهاماً من قبل خالي «بل»، وقد سمحت لي أن أذهب بعيداً وأعلن نفسي مُعلِّماً عندما وصلتُ إلى «غوام». لقد كان الأمر بالنسبة إليّ حقيقة تدفعني برفق كي أتقدم بطلب الالتحاق إلى الجامعة، بينما أنا فعلياً أعلمُ صغفراً في القاعدة. لقد زوّدت النية ذلك الدافع كي أنظّم حياتي كلّها حول فكرة زرعها في وعيي عندما كنتُ بحاراً في عمر عشرين سنة يمتلك شهادة الدراسة الثانوية فقط. بعد آلاف المحاضرات العمومية عن كلّ أنواع المواضيع المُغطاة في واحد وأربعين كتاباً التي كتبها، لا أزال أرى كلمات النية التي عقدتها في عام 1961 مطبوعة على شاشتي الداخلية: أنا مُعلِّم.

لقد ظهر أنّ العقل العالمي يعرف أنّه يجب أن أكون مُحققاً على نحو كبير، وأنني في دهشة من طاقته السحرية داخلي الآن ودائماً. لقد كان تعليم الناس كي يتصرفوا كما لو أنّ ما يرغبون بتجليه هو حقيقة حاضرة هو الموضوع الرئيس في عمل حياتي. عندما حملتُ فكرة كوني مُعلِّماً في خيالي، كان الشيء الوحيد الذي استطعتُ فعله هو العمل على تلك النية. أنا مُمتنٌّ بعمق تجاه تلك القوى التي جمعتني مع خالي «بل» في ذلك الوقت الحاسم من حياتي. لقد كان من المُقدر لنا أن نكون صديقين مدى الحياة. أنا أيضاً أقدر حقيقة أنني كنتُ قادراً على مكافأة هذا الرجل الجميل على ما قدمه إليّ عندما كنتُ بحاراً شاباً ذاهباً إلى جزيرة في المحيط الهادي حيث كنتُ سأخضع إلى تحوّل هائل وأنقل من الاتجاه الذي كان عليه مسار حياتي.

لقد تصرّفتُ في «غوام» بصبر وثبات انطلاقاً من تأكيدتي الداخلي أنا مُعلِّم، وكانت رحلتي النصف شهرية إلى البنك كي أوفّر تسعين في المئة من مُرتبي تتحد مع تلك النية. مع حلول الوقت التي تركتُ فيه البحرية جمعتُ كلّ المال الذي سأحتاجه كي أحضر الكلية. لقد كنتُ قادراً على شراء سيارة Studebaker Lark «ستوديبكر لارك» مستعملة، والتي بقيت معي حتى إكمال درجة الماجستير. إنّ الأمور كانت أكبر من ذلك، فقد تبنيتُ فلسفة تجاه المال والإدخار وضعتني على طريق الاستقلال المادي في

الحياة. لقد كان الكون بطريقة ما يُعلمني كيف أعيش وأنجز رسالتي الروحية «دارما» دون السماح لنفسني بأن أصبح مُثَقَلًا بالديون، لقد كان هذا الدرس نافعا في أن يُقيني مُركّزاً على الهدف عوضاً عن اكتشاف كيفية تسديد الديون الأمر الذي قد يُشوشني عن مُهمتي هنا في هذه الحياة الحالية.

بالعودة إلى «غوام»، كنتُ مدفوعاً من قبل العقل الكوني، الذي أوصى أن الحكمة لا علاقة لها بعظمة إمكانيات الانسان. أن تُصبح خبيراً يعني أن تكون غير خائف من أن تُعلن نفسك واحداً، ثم تتصرّف على أساس ذلك التصريح الداخلي. لقد كانت هذه المُحاضرات المُبكرة ومجموعات الدراسة عن مذهب الوجودية والفلسفة مُقدّمة لمهنة تجعلني قادراً على أن أقف أمام الناس وأنحدّث بمنطق سليم، وكنتُ أعرف أن الأمر حقيقي في أعماق داخلي. كنتُ مُوجّهاً من قبل قوّة خفية هناك في عام 1961 عندما سعيْتُ بثبات كي ترتقي نيتي إلى مستوى تأكيدٍ داخلي أنا مُعَلِّم. رفضتُ أن أقبل أي ردّ ما عدا جملة تهانينا! أنت مقبول في جامعتنا.

لا أستطيع تحديد تلك الشعلة التي لم تسمح لي أن أستسلم، بيد أنني أعلم بالتأكيد أنها جزء من الإله. كنتُ أشعر أن «ضابط العَلَم الروحي» يرفض أن يتراجع في قراره، حتّى عندما كان كلّ شيء حولي يقول: «تراجع عن ذلك، واين!»، وكان ذلك الدافع الداخلي يدفعني ويدفعني من خلال حياتي، ليس لأنني مُميّز، ولكن لأنه يتلقّى أوامره من النية التي في خيالي. كان مُهندس العمل يتصرّف بناء على ما اعتقد أنه حقيقة حاضرة الآن، وبناء على ذلك، لا يُوجد استسلام بسبب القدر الذي يجب أن يُنجز أو يكون.

عندما وصلتُ إلى الجامعة في أيلول عام 1962 من أجل التسجيل كطالب جامعي جديد، ذهبتُ إلى مكتب القبول وبحثُ عن الموظف الذي كان لطيفاً جداً في إخضاع القوانين كي تتناسب مع الاعتراف بي كطالب بدوام كامل. كنتُ دائماً أفكر بشجاعة ذاك الرجل النبيل الذي قام بعمل استثناء والسماح لي أن أدرس في الجامعة. لقد أخبرني أنه كان ببساطة يتصرّف من خلال شعوره الباطني. إنّها إشارة خفية وإذا لاحظتُ، فإنّ تلك القوّة الخفية نفسها التي كانت تدفعني هناك في «غوام» كيلا أستسلم، كانت تدفعه أيضاً كي يتغاضى عن القواعد. بعد انقضاء ربعي الأكاديمي الأول أُزيلت حالتي

المشروطة، ولم تعد هناك أي علامات نجمية جانب اسمي بعد الآن.

ثم في الرابع من أيار عام 1970 في اليوم نفسه الذي ظهر فيه الرعب في جامعة «كينت ستايت» في «أوهيو»، حيث قُتل أربعة طلاب وجُرح تسعة من قبل قوات الحرس الوطني التي أطلقت الرصاص الحي على تجمع طلاب شباب كانوا يحتجون على الإخفاق في «فيتنام»، اجتزت امتحاناتي النهائية وأصبحت د. «واين داير»، عضو هيئة تدريس مساعد في جامعتي. لقد تحولت خلال ثمان سنوات من طالب جامعي جديد إلى أستاذ جامعي برتبة «بروفيسور».

مع امتناني تجاه كل ما حدث، كنت قادراً بعد أربعة عقود أن أرهن مليون دولار كرأس مال منحة جامعية من أجل الطلاب «غير المؤهلين» كي يدخلوا الجامعة، وبذا كرّتي موظف القبول الذي فعل الشيء نفسه من أجلي. ما الذي أعرفه على وجه اليقين؟ ليست هناك صدف في هذا الكون اللامتناهي، والذي تقود فيه الروح صنع كل القرار.

عندما استلمت توجيهاتي كي أغادر من سفيتي «يو إس إس رانجر» كنت على ظهر السفينة فترة أقل من سنة، ولم يكن وارداً أن يُنقل المجدد في البحرية بعد هذه الفترة القصيرة من الخدمة، وخاصة أنه تبقى لدي وقت قصير من خدمتي الإلزامية وهو ثمانية عشر شهراً. لقد بدا واضحاً أن يد القدر الخفية تقوم بعملها، وكان مقدراً لي أن أقضي السنة ونصف الأخيرة في «غوام»، حيث أصبحت وجهاً لوجه مع مستقبلتي، والذي كان بطريقة غامضة مقررًا ومنتهياً، وكل ما عليّ فعله كان الاستماع، والسماح لنفسني بأن ألحق به على الطريق.

في الكون، حيث يحدث كل شيء في الحال، ليس هناك ماض ولا مستقبل، وكل شيء موجود في الوقت نفسه. لم أعرف في ذاك الوقت، ولكنني كنت أعيش ما عبّر عنه «لاو تزو» بإيجاز كبير: «أنت لا تفعل أي شيء، أنت فقط ما يفعل به». أنا أتصور أن يدا ضخمة وصلت إلى الأسفل وانتزعتني من السفينة وهبطت بي إلى «غوام»، حيث اجتمعت مع كل ما احتجته كي أنجز رسالتي الروحية «دارما» والتي وقعت عليها منذ فترة طويلة قبل أن أظهر على هذا الكوكب في عام 1940. لو أنني بقيت بعيداً على متن سفينة «يو إس إس رانجر»، كنت عشت رسالة روحية أخرى، وما كنت لتقرأ هذا الكتاب.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أكبر أن كل شيء كان ويكون وسيكون في قمة الكمال، كما قال الرومي: «بغ ذكاءك واشتر الحيرة». كنتُ مُتَحِيرًا وأشعر بالرعب من كمال قضاء أربع سنين من تطوري في مُنظمة عسكرية مثلت النقيض تماماً لكل ما تعلمته وناضلتُ كي أكون عليه. بيد أن الكمال الإلهي وضعني أيضاً في جزيرة جنوب المحيط الهادي حيث استطعتُ تعزيز جاهزيتي من أجل طريق جديدة في الوجود.

لقد وصلتُ من وجهة نظر أوضح بكثير، إلى معرفة أنه لا توجد طرق خاطئة إلى أي مكان. لقد واصلتُ النظر إلى الوراثة بروعة واستغراب من كمال كل شيء.



• أنا الآن جندي عريق في عمر الثانية وعشرين عاماً أحضر مُحاضرات الكلية للمرة الأولى، ويبدو ذلك أسعد وقت في حياتي كلها. أنا أحبُّ المشي بين الصفوف على أرض الجامعة، ناظراً إلى كلِّ الأبنية في قلب المدينة حيث ترعرعتُ. إنه شرف عظيم لي بعد أن أمضيتُ السنوات الأربع السابقة على متن سفينة، أو في ثكنة منشأة عسكرية. أنا أشعر بما هو فوق النشوة. أنا أحبُّ حضور المُحاضرات ولا أستطيع تخيّل أنني أريد تفويت أيّ دروس. أصلُ مبكراً كلَّ صباح وأُمضي جزءاً كبيراً من الوقت في المكتبة الضخمة، وكذلك في البحث عن مساحة من أجل موقف السيارة كلَّ يوم!، ولكن ليس لدي أيّ شكوى.

إنَّ الشيء الذي أشعر به أكثر هو الفخر. لم تكن فكرة حضور تعليم عال مطبوعة في وعيي أبداً من قبل عائلتي، ولم يكن هذا توقعاً. لقد كان ذلك اختياري الشخصي الخاص أن أسلك هذا الطريق في هذا الوقت من حياتي.

يجب عليّ إنهاء عمل بدوام كامل كأمين صندوق لصالح شركة «كروجر» لتوريد البقالة بالتجزئة. أنا مُمتنّ تجاه فرصة العمل مساءً، إذ أدرس لوقت متأخر في الليل، وأحضر الكلية أثناء النهار. إنَّ مُحاضراتي مدفوعة بالكامل، وقد جمعتُ ما يكفي في ادخاري كي أُغطي نفقاتي الجامعية حتّى أُنخرّج.

إنَّه ربعي الأكاديمي الثاني في جامعة «واين ستيت». على الرغم من أنَّ هذه الأرباع الجامعية تستمرّ مدّة أحد عشر أسبوعاً فقط، إلا أنَّ هناك مواضيع كبيرة مُزدحمة فيها.

في الربع الماضي حصلتُ على درجات فوق المتوسط في كل من المُقررات الأربعة التي أكملتها، والتي تتضمن الإنكليزية 101، الأدب الأمريكي حيث أحببت اكتشاف «تيودور ترايزر»، «ويليام فولكرز»، «إرنست هيمينغواي»، «مارك توين»، «إف. سكوت فيتزجيرالد»، والآن أدرس الإنكليزية 102، وهو صفّ الإنشاء. أشعر أنني لن أواجه أي مشاكل مهما كانت، فأنا «مهما يكن» كاتب!، أكتب منذ أن كنتُ مُراهقاً، ولقد أتممتُ رواية، ولديّ ملف مُمتلئ بالمقالات التي كتبتها.

مع ذلك، فإنّ هذا التألق من التوقع الحماسي أن تكون كتابتي مُجازة من قبل بروفيسور جامعة يُدرّس في جامعة كبيرة كان قد بهتَ على نحو كبير، عندما أعلن زميل مُتخرّج حديثاً تعيّن كي يُدرس مادة الإنكليزية في صفّ المُبتدئين هذا: «يجب عرض كل شيء، تكتبه حسب نمط الجمعية النفسية الأمريكية «إي بي إي»، ستخسر درجات عند أي تناقض، في أي وقت تستخدم كلمة «ممتع» ستنال درجة الرسوب على ورقتك. يجب أن تكون المقالات الأسبوعية المطلوبة لهذه المادة مع هوامش ومدعومة بشيء آخر كتبه شخص ما».

إنه غير مُهتم بما يُفكر به ويكتبه الطلاب في هذا الصفّ؟ يجب أن يُرشد الطلاب من كُتيب صُمم كي يجعل كل شخص يكتب ويبدو تماماً كأَي شخص آخر؟ لا إبداع، لا آراء؟. لقد وجدتُ الأمر يستحيل على التصديق، ولكن يبدو لي أنّ «يواكيم رايس»، الذي يُدرّس هذا الصفّ، مهووس بكُتيب النشر الخاص بالجمعية النفسية الأمريكية، فكل ورقة يجب أن تتوافق مع المعايير الصحيحة الموضوعية في الكُتيب. يجب أن يتقيّد كل شيء من القواعد، التقييم، الشواهد المرجعية بشكل معين، ولا يُسمح بإبداء أي آراء من الطلاب.

كانت ورقتي الأولى عبارة عن شرح قصيدة، وقد حصلتُ فيها على علامة رسوب. كان هنالك علامات شطب حمراء على أخطائي التي أنقصت درجة الورقة كما رآها السيد «رايس» مثل الحاشية، علامات التقييم، الهوامش غير المُناسبة، ثم كانت لديّ الجرأة كي أشرح معنى القصيدة بطريقة وجدها السيد «رايس» غير صحيحة.

أنا غاضب، وأكره أن يُتقد كل شيء، أكتبه ويُرفض بسبب ما يبدو لي لغواً فارغاً. كتبتُ رسالة إلى مؤلّف القصيدة، وهو بروفيسور في جامعة «ويسكونسن»، ووضعتُ

معها نسخة من ورقتي التي تُفَصِّل شرحي الشخصي عمّا أراد إيصاله من خلال قصيدته. أنا شاعر أيضاً، وقد كتبتُ العديد من القصائد أثناء سنواتي في «غوام». أنا مُهتَمٌّ بعمق بأعمال «الرومي» و«حافظ»، الشاعرين الصوفيين من بلاد «فارس» واللذين جلبت كلمتهما إكسيراً مُهدّناً لروحي.

استلمتُ رسالة حارة من بروفيسور مادة الشعر يُهنئني فيها على شرحي. لقد أحبَّ المقالة وتأثر بما فهمته من قصيدته. كان هذا الرجل مُتحمساً في رده على رسالتي، من الواضح أنّ الشعراء لا يتلقون الكثير من الرسائل!

أخذتُ الردّ من الشاعر إلى السيد «رايس»، الذي كان على نحو واضح مُتزعجاً جداً مني، فأنا طالب الكلية الجديد غير الخبير الذي تجرّأ كي يشكّ به وينظام تصحيحه. لم أُقَرِّب نفسي إلى مُعلّمي، الذي يراني وقحاً ويرفض حتى أن يُفكّر في تغيير علامتي.

مرّ أسبوعان، ومن أجل امتحاننا النهائي، كان يجب أن نُقدّم ورقة بحث إلزامية في آخر الأسبوع من الربع الدراسي. كتبتُ مقالة عن الثورة الهنغارية عام 1956 والدور الذي لعبه «جانوس كادار»، المُتعاطف مع الشيوعية في هذا الصراع. كان عندي اهتمام خاص بهذا الحدث، لأنّه عندما حصل كنتُ طالباً في عمر السادسة عشر في المدرسة الثانوية، وكنتُ أحاول تتبع هذا الحدث أفضل ما استطعتُ. أنا فخور بهذه المقالة وأعتقد أنها مكتوبة على نحو جيد، وقد اتبعتُ فيها نمط الجمعية النفسية الأمريكية في الكتابة.

ما يزال السيد «رايس» مُستاءً من محاولاتي كي أحصل على تحسين درجتي على مقالتي الأولى. لقد شعر وهو الخريج المُساعد بالاستياء من فكرة أنّ أحد طلابه الجدد سيأخذ استثناء على أيّ من بياناته أو إجراءات وضع العلامات. لقد أخبرني الآن أنّ مقالة بحثي ذات السبع وخمسين صفحة عن دور «جانوس كادار» في الثورة الهنغارية الحالية ليست من كتابتي الأصلية. لا بُدّ وأنني انتحلّتها في رأيه، على الرغم من أنه لا يملك أيّ دليل على مُخالفة كهذه. لقد وضع لي علامة «D» «دي» على البحث، وعندما استلمتُ درجتي النهائية بالبريد بعد أسبوع وجدتُ أنّ لديّ درجة «دي» للمادة أيضاً، وهي درجة تجاوز الامتحان، بأقلّ من درجة مقبول.

أنا أكثر من غاضب. لم أتحل أي شيء. كنت أكتب مقالات ورواية لأكثر من ستة أعوام. لقد عُوقبتُ على شيء اعتبره كفاءة عالية في الكتابة.

أجريت محاولات عدة كي ألتقي بالسيد «رايس» في الربع الدراسي التالي، ولكنه رفض. طلبتُ من رئيس القسم أن يستمع إلى قضيتي، فسمع بانتباه. أريته مقالة بحثي وحدثته عن الاتهام بالسرقة الأدبية، ولكنه أعلمني أنه لا يستطيع فعل أي شيء. إنه ليس في منصب يُمكنه من قلب الدرجات التي يُعطيها موظف، لقد أخبرني أنني أستطيع إعادة أخذ المادة واستبدال درجة «دي» بدرجة العلامة التالية.

عدتُ إلى التفكير بدفتر أوراق الشجر السابق وتذكرتُ أنني أعدتُ أخذ مادة العلوم، وأني تركتُ كبريائي يُزعجني فقط كي أثبت أنني كنتُ على حق. لقد قررتُ أن أترك الأمر، فوقفت علامة «دي» على أنها العلامة الوحيدة غير المُقنعة عبر فترة السنوات الثمان منذ كنتُ طالباً جامعياً جديداً وحتى إتمام الدكتوراه.

لقد علمتني أيامي كطالب جامعي، وخاصة تلك الأيام المبكرة، درساً قوياً اخترق كتابتي وكلامي خلال حياتي. لقد تحدثتُ غالباً عن الاستعارة في عبارة «ذيل القارب»، حيث أن خلفية القارب ليست أكثر من ذيل يُترك في الخلف، ولا قوة لديه في الحاضر، ولا يُمكنه أن يقود القارب. إنه ذيل وليس لديه تأثير على القارب مهما كان.

لقد علمني الحضور والتفوق في صفوف الجامعة تلك أكثر مما تعلمته من المواد التي درستُها. لقد أصبحتُ وأنا أمشي في حرم الجامعة واعياً أنه ليس على ماضي أن يُعلمي عليّ مُستقبلي. كانت الحماسة التي أشعر بها والنجاح الذي أحصل عليه في مُحيط الجامعة غير مُتوقع بالتأكيد اعتماداً على ماضيّ أنا. من خلال استخدام القارب كرمز حياتي، لم يكن ذيل القارب هو القوة التي تقود حياتي. لم أعد أحتاج تاريخاً شخصياً بعد الآن: إن ماضيّ كان فقط «ماضي» ولم يُعد عاملاً بالنسبة إليّ بعد الآن. كنتُ أتصرف على نحو جيد بغض النظر عما أشار إليه سجلي في المدرسة الثانوية، وعن حقائق خلفيتي وتربيتي. لقد احتجتُ أن أعرف هذا مباشرة بالتجربة، وبطريقة أو بأخرى كنتُ مُنقاداً إلى هذا الإدراك.

من يومي الأول في الحرم الجامعي لم أنظر إلى الوراء، وفهمتُ أنني أستطيع أن أكون

أيضاً كي أقوم بالكتابة بالطريقة التي وصفها قلبي لي. لقد كتبتُ حسب الاقتراحات، ولكنَّ خيالي كان يتغذى كلَّ يوم برغبتِي كي أكتب بالطريقة المُعاكسة تماماً للطريقة التي أجبرتُ أن أكتب بها من أجل مُتطلب الكلية من قِبل طالب مُتخرِّج عنيد. لقد بدا أنَّ هذا الرجل اختار أن يشرب كلَّ شراب «كول ايد» المؤسَّساتي، وأنَّ هذا العمل الجاد قد أسر روحه.

من بعيد أستطيع أن أرى بوضوح أنَّ حادثتي مع البروفيسور والشاعر «ويسكونسن» كانت نتاج حياتي تقريباً، وعلى نحو خاص من مُنطلق الأنا «الإيغو» في ذلك الوقت. لقد أردتُ بشدَّة أن أبرهن أنني كنتُ على حق، على الرغم من أنَّ كلَّ جهودي كانت مُخرَبة للذات على نحو واضح. عوضاً عن كونها آتية من مكان الفهم والحب، اخترتُ أن أضع كلَّ جهودي كي أجعل أستاذي في الجامعة خاطئاً. إنَّه من عمل الأنا المُسيطرة الحمقاء! تسعى الأنا إلى التحدُّث بقسوة مع الشرطي بالزِّي الرسمي عندما يُوقفك من أجل مُخالفة مروورية، بغضِّ النظر عمَّا إذا كنتُ على حقٍّ أم لا. لقد كنتُ غاضباً جداً من أنَّ هذا الرجل وجد شرحي للقصيدة خاطئاً، فكانت ردة فعلي عن طريق وضع إشارة عليه وحتى مُحاولة إخراجهِ عن طريق إعطائه دليلاً على تفوقي.

أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنني احتجتُ أن أمتلك سلسلة من أنواع الحظوظ السيئة خلال حياتي. في النهاية فهمتُ الرسالة التي كانت موضوعاً مركزياً في عمل حياتي: عندما يكون لديك خيار أن تكون على حقٍّ أو تكون لطيفاً، اختر اللطف دائماً. إنَّ العيش من إحساسك الروحي الأعلى هو خلاصة ما يعنيه أن تكون شخصاً مُحققاً لذاته.

كنت أنظر للسيد «جاكيم رايس» على أنه عدو وعليَّ أن أغلبه، حتى ولو كانت النتيجة الوحيدة انتصاراً باهظ الثمن. لقد تعلمتُ في البحرية أن أكون فعّالاً بهدوء، وقد نفع هذا معي دائماً. في جامعة «واين ستايت» كنتُ مشغولاً بالصراع في معركة خاسرة ضدَّ المنظومة. ما أعرفه الآن هو أنني يجب أن أعامل كلَّ شخص بالحب واللطف، حتى وإن تصرَّف بطريقة لا أحبُّها. عليَّ أن أتعلَّم كيف أسمح للأنا العليا الداخلية عندي أن تُصبح السلطة المُهيمنة في حياتي، وكانت الطريقة الوحيدة التي استطعتُ أن أفهم بها هذا الدرس هي أن أروض الأنا عندي.

علي أن أعترف أنني شعرتُ بالعظمة وأنا أثبتُ لنفسي وللسيد «رايس» أنني كنتُ على حقٍّ في هذا الأمر. بيد أن كوني على حقٍّ كان يجب أن يأخذ مكاناً خفياً وراء كوني لطيفاً، وأن أبقى عيني على أهدافي الحقيقية في صفِّ الإنكليزية، والتي تضمّنت إتمام الصفِّ بعلامة جيدة، وإزالة عقبة إضافية من طريق هدفي الأكبر في تحقيق أنا موجود، والتي أعلنت عن نفسها من خلال أنا مُعلّم! مع هذه الأنواع من النكسات كنتُ أتدرب على تدريس «سخف الاعتماد على الأنا»، وكم هو حقيقة خيارٌ سيء أن تفعل ذلك.

الآن أستطيع أن أعطي تقديري الصادق بخصوص علامة «دي» الوحيدة التي بدت مثل بقعة من السمِّ المختلف كلياً عن سجلي اللامع في الكلية. أستطيع أن أرى بوضوح أنني كنتُ أستحقُّ هذه الدرجة غير مُقنعة كلياً. لقد أحدثتها وكان عليّ تحمّل المسؤولية عنها على نحو كامل. لقد حرّضتُ هذا الرجل، ونظرتُ إليه كمنافس وتهديد لصورتي الذاتية ككاتب كفوء. لقد وضعته في مكان سيفعل منه أي شيء يستطيعه كي ينتقم من شخصيتي المُتفطرة.

نعم، لقد حصلتُ على درجة «دي»، وعلى الرغم من أن هذا الأمر كان منذ نصف قرن مضى، فإنَّ وجود هذه الرسالة القرمزية على سجل الكلية بقي كرسالة تذكير ثابتة كي أختار دائماً البدء من اللطف والحب.

لو كان لـ «واين داير» في السبعينيات أن يتحدّث إلى «واين داير» في العشرينات، كان سيذكره بالحقيقة العظيمة التي كان يُدرّسها خلال مهنته الاحترافية: عَش كَمَا لَوْ كُنْتُ مُنفصلاً عن النتيجة. افعل الأمر برمته لأنه يتناغم مع أنك العلياء، ويستجيب إلى توسل الصوت الداخلي، وليس بسبب المُكافآت التي ستأتي في طريقك. إنَّ درجة «دي» في السجل غير مُتصلة كلياً مع شخص يعمل بكفاءة. كنتُ سأنصح نسختي في عمر الثانية والعشرين أن يكون سعيداً بمعرفته أنّه كتب مقالة عظيمة وأن يأخذ بهجة الشعور الذي يأتي مع فرح الكتابة والتعبير عن نفسه. هذا درس كان عليّ أن أتعلّمه بطريقة صعبة.

نعيش في عالم يضع قدراً هائلاً من الضغط على تعريف النجاح من خلال المُصطلحات الخارجية. لقد قضيتُ الكثير من السنين في مهنة حيث كان هناك الكثير من المُطاردة بعد النجاح في مُصطلحات الأنا «الإيغو» المُحددة: ما مقدار المال الذي أكسبه؟ ما

موقع كتابي على لائحة الكتب الأكثر مبيعاً، كم عدد الأسابيع التي بقي فيها هناك؟ هل تليقُ ترقية؟ هل حصلتُ على العمل الذي سعيْتُ إليه؟ ما الذي يعتقده الناقدون عن كتابي، وكم عدد النسخ التي بعْتُها؟ لقد كانت هذه والمئات غيرها من الأفكار التي تقودها الآن «الإيغو» أنموذجية بالنسبة إلى المؤلفين الذين يركزون على مؤشرات النجاح الخارجية. على مدى خمسين عاماً كنتُ مغموراً في عالم الأعمال هذا، وتعلّمتُ أن أترك الأمور تمضي.

إنّ انشغالي بتلك العلامة السوداء غير المرضية على سجلي، كان تجربة تعليمية كبيرة. إنّ ترويض الآن التي تُعرّف نفسها على أساس السمعة والانجاز والملكية، كان أحد أفضل الدروس في حياتي. الحقيقة أنّ تجربتي كطالب جامعي جديد في عمر الثانية والعشرين في صفّ إنشاء الإنكليزية يدلّ على أهمية أنّ محاولة كبح مُتطلبات الآن لعبت دوراً في حياتي.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ درجة «دي» تقلّصت في الأهمية من مسافة مراقبة خمسين سنة. الحقيقة أنني استطعتُ شرح قصيدة وفهمها كما أشار إليها الشاعر، وأنّه كانت لديّ الطاقة والإرادة كي أستثمر نفسي في كتابة مقالة بحث علمية اعتقد أنّها مُتحلة لأنها كانت مكتوبة على نحو جيد، وحلّ ذلك مكان العلامة السخيفة على سجلي والتي لا علاقة لها بمن أكون، أو بما أنجزته في هذه الحياة.

لقد احتجّتُ أن أتعلّم هذا الدرس جيداً. وكان الانفصال عن النتيجة هو هدفي النهائي، وكانت هذه التجربة المُبكّرة أحد الحوادث الهامة التي احتجّتُها من أجل أن تصل هذه الرسالة إليّ بوضوح، حتّى أستطيع في النهاية أن أصبح مُعلّماً في تحقيق الذات.



• أنا أقود سيارتي «ستيودوبيكر لارك» إلى المنزل عائداً من الجامعة بعد يوم كامل من الدروس. أنا أقرب من نهاية سنتي الدراسية الثانية بعد أن حضرت الكلية الصيفية. كنتُ أريد أن أخرج بأسرع وقت مُمكن كي أتقدم إلى طموحات التدريس، ومن أجل ذلك، أنا آخذ صفوفاً إضافية كلَّ ربع، وأخطط كي أحضر الكلية بدوام كامل على مدار السنة كي أجعل هذه الفكرة حقيقة.

إنها فترة بعد الظهر من يوم الجمعة، الثاني وعشرين من تشرين الثاني عام 1963. أنا أقرب من الطريق السريع «إدسل فورد - آي - 94» على شارع «كرين» وكنتُ تماماً على مدخل الطريق المنحدر عندما سمعتُ الأخبار المروعة في السيارة عبر الراديو «نقاطع هذا البرنامج كي نعلن لكم أنّ رئيس الولايات المتحدة الأمريكية أُصيب بطلق ناري في «دالاس» منذ بضع لحظات. من المُتوقع أنّ الحادث مُميت».

وقفتُ جانباً على مدخل الطريق المنحدر وجلسْتُ في صمت مذهول. تدرجتُ الدموع إلى أسفل خديّ. كنتُ أشعر وكأنّ رصاصة اخترقت داخلي وتركنتي مُتهشماً لا أستطيع القيادة. لم أستطع إلتقاط نفسي. لقد استقبلتُ الأخبار المُدوية عبر الهاتف على نحو شخصي جداً، فقد أحبيتُ هذا الرئيس كثيراً. لقد تحدّثتُ ببلاغة كبيرة عن الكثير من المظالم التي أراد أن يُصححها، وأخذ موقفاً من أجل القضاء على الرعب الظاهر من التمييز العنصري والذي أثر بي عندما كنتُ أقضي سنواتي الأربع في الخدمة العسكرية. لقد أظهر الأمل في عالم أفضل، وكان قادراً على أن يتحدّى القوى التي

أرادت أن تُبقي التحيزات القديمة نفسها والكرهية قائمة. تعجّبتُ من الشجاعة التي أظهرها في حملته عندما وعد بتنفيذ القيادة الأخلاقية والتشريعية من أجل مُقاومة التمييز العنصري والفصل العنصري في المدارس.

فقط قبل أشهر من الآن شاهدتُ بفخر، كيف كان الحرس الوطني في «ألاباما»، بناءً على توجيهات الرئيس «كيندي»، يتدخلون من أجل حماية طالبين زنجيين كي يدخلوا البناء في جامعة «ألاباما» ويسجلوا. لقد راقبتُ حينما وقف مُحافظ «ألاباما» «جورج والاس» جانباً، وبدأ عهد جديد من المُساواة بالظهور.

في الحادي عشر من حزيران عام 1963، سمعتُ الرئيس كيندي يُلقي هذا الخطاب على التلفاز:

إنّ قلب السؤال هو هل سيعطى كلّ الأمريكيين حقوقاً مُتساوية وفرصاً مُتساوية، وفيما إذا كنا سنُعامل التابعين الأمريكيين تماماً كما نريد أن نُعامل. لو أنّ أمريكياً لا يستطيع تناول الغداء في مطعم مفتوح للعموم لأنّ بشرته داكنة، ولا يستطيع إرسال أطفاله إلى أفضل مدرسة عمومية مُتوفرة، ولا يستطيع التصويت من أجل المُوظفين العموميين الذين سيمثلونه، ولا يستطيع باختصار التمتع بالحياة الكاملة الحرّة التي يُريدها جميعنا، فهل سيكون أحدٌ من بيننا سعيداً بتغيير لون بشرته والوقوف في مكانه؟.

لقد وضع هذا الخطاب نقطة تحوّل لبلادنا، وبداية القيادة نحو إصدار قانون أصبح فيما بعد قانون الحقوق المدنية لعام 1964.

جلستُ في سيارتي على مدخل الطريق المُنحدر إلى الطريق السريع وأنا أتذكّر كيف بدا هذان الطالبان الزنجان عندما ذهبا من أجل التسجيل في الصفوف. تذكّرتُ صديقي «راي دادلي» الذي حُرّم من مقعد في مطعم في «هارف دي غريس» عندما كان مُرندياً زيّ البحرية الأمريكية الرسمي منذ بضع سنين مضت. أنا حزينٌ على خسارة تلك الآمال التي قدّمها الرئيس.

لقد قرأتُ عن بطولة «جون كينيدي» خلال الحرب العالمية الثانية في كتاب «النقطة 109» للمؤلف «روبرت دونوفان»، وكيف أنقذت أفعاله الطاقم بعد أن قُطعت

سفينته نصفين من قبل طوربيد ياباني. لقد التهمتُ كتاب «كينيدي» الخاص «لمحات في الشجاعة»، والذي ركّز فيه على سير حياة ثمانية سيناتورات في كونغرس الولايات المتحدة الأمريكية والذين أبدوا شجاعة في مواجهة الضغوط التأسيسية. كان لديّ آمال كبيرة أن يُطبق هذا النوع من الشجاعة على العديد من القضايا الاجتماعية في بلدنا المُقسّمة في العمق. تذكّرتُ الخوف الذي اجتاح الأمة خلال أزمة الصواريخ الكوبية، وكيف قاوم هذا الرئيس الشجاع الشاب رئيس الوزراء السوفيتي «نيكيتا خروشوف» وتجنّب وقوع كارثة نووية.

أنا أو من بهذا الرجل. لقد شعرتُ بالقرب منه، وقد كتبتُ له خلال ارتبائي في حادثة «غوام» حيث كانت إهانة التحيز ترفع وجهها البشع في حياتي. كان «جون كينيدي» ذاك الرجل الذي اعتقدتُ أنه سيُصحح هذه الفوضى لو أعلم بها. بدأتُ أرفع السرعة ببطيء وأدخل الطريق السريع، متوجّهاً شرقاً إلى منزلي حيث كنتُ أعيش مع أمي، إلى حين حلول زواجي في السنة القادمة.

بينما كنتُ أعمل في مخزن «كروجر» في المناوبة المسائية من الرابعة وحتى التاسعة، رأيتُ أنّ كلّ شخص يدفع لديّ عند آلة المحاسبة كان في صدمة، وكان القليلون فقط قادرين على الكلام. نظرتُ إلى عيني امرأة بينما كنتُ أسلمها باليد باقي نقودها، وعندما التقتُ أعيُننا، انهار كلانا بالدموع. لقد اخترق الصمت كلّ شيء، ولم يستطع أحد الكلام من غير أن يذرف الدموع. أنا متأثر بهذه المأساة بطريقة غريبة عني كلياً. يبدو كأنّ حياتي ستحدث نقلة كبيرة نتيجة أحداث هذا اليوم.

لقد كنتُ ضمن هذا الحدث التاريخي لأنه أثر في اتجاه حياتي الشخصية والعملية. ذاك اليوم في نوفمبر 1963 صنع تحولاً هائلاً بالنسبة إليّ بطرق عديدة. حتى ذلك الحين، فعلياً كان كلّ شيء في حياتي يُؤثر في مُستقبلي ذي طبيعة شخصية. كانت تجاربي في بيوت الحضانة، في دار الأيتام، في المدرسة الثانوية، في البحرية بالنسبة إليّ «لحظات واين داير» من اليقظة إلى اتجاه جديد ووعي جديد في حياتي الشخصية. أما الاغتيال السياسي للرئيس «كينيدي» فلم يقتل فقط رجلاً أعجبتُ به جداً، بل قتل شيئاً في داخلي أيضاً.

لقد بدأت هناك أفكر في خطة حياة يكون لها تأثير تاريخي وعالمي، ولم يعد الأمر فقط يخص مستقبلني الوشيك كمعلم. لقد بدأت أفكر في مصطلحات كيف يمكنني أن أؤثر في وعي الكوكب كله؟. لقد رأيت نفسي منذ ذلك اليوم فصاعداً رجلاً مع صوت الرحمة من أجل الخير الأعلى. لم أكن أعرف كيف أو ماذا قد يكون دوري، ولكنني عرفت أن شخصاً واحداً بضمير يستطيع أن يحدث فرقاً وأنا كنت ذلك الشخص. لم لا؟ فكرت كما فكر «جون كينيدي» قبل أن أسمع هذا الرجل بزم طويل. ارتعشت عندما فكرت بإعطاء صوت لهذه الأفكار، وأن أجعل هذا الصوت مسموعاً حول العالم. بدأت أرى نفسي قائد العالم «ليس قائداً سياسياً» بل شخصاً مليئاً بالرحمة تجاه كل شخص، وشخصاً يرغب الآخرون بالاستماع إليه.

عندما أنظر إلى الوراء إلى حادثة اغتيال الرئيس «كينيدي»، الآن وبعد خمسين سنة، أستطيع أن أرى أنه كان مقدراً له أن يتنازل عن حياته من أجل أن يتم رسالته الروحية، وإلا لم يكن قانون الحقوق المدنية سيتوجه نحو الإقرار عام 1963. كانت أرجحية «جون كينيدي» في انتخابه مُجدداً تقلص، لأن الجنوب كان يتمرد على نظرتة العنيدة تجاه التعصب العنصري وحقوق الناخب. كانت العرقلات من قبل أعضاء مجلس الشيوخ الجنوبي مضمونة تقريباً، ولكن عندما مات «جون كينيدي» ونعت الأمة هذا الرجل العظيم، تبدل المزاج الكلي في البلاد. تحت قيادة الرئيس الجديد، الذي أعيد انتخابه بأغلبية ساحقة في عام 1964، بدأت رياح التغيير تعصف بقوة.

لقد بدأ السياسيون الذين تعهدوا بأن تكون «العنصرية إلى الأبد» يتبدلون تحت ضغط الشعب اليقظ والمتنور، وصوتوا بالفعل من أجل الحقوق المتساوية، والتحرك في اتجاه مجتمع أعظم. أنا أو من أنه لا توجد مصادفات في هذا الكون المرتب روحياً. إن موت الرئيس «كينيدي» في ذلك اليوم قد فتح الباب أمام حقوق مدنية طال انتظارها، حقوق الناخب، الرعاية الصحية لكبار السن، المدارس المحسنة، الوعي أن الحقوق المتساوية ليست فقط كلمات يُتحدث عنها، ولكنها أفعال يجب أن نقوم بها كلها. كانت هذه الطريقة الوحيدة كي يتغير وعي بلادنا.

لقد كنت مأخوذاً في هذا الوعي الجديد. لقد رفع المد المتصاعد كل القوارب، وقد

شعرتُ مجازاً أنني ارتفعتُ بواسطة هذا الحدث المأساوي. لقد تظاهرتُ كالكثيرين من أجل الحقوق المدنية وعارضنا أن تلوح الحرب في الأفق في «فيتنام». كمُعَلِّم داخل مدينة «ديترويت»، وفيما بعد كمُتحدِّث من أجل إنهاء مجاعة العالم من خلال «مشروع الجوع»، سعيْتُ كي تتغيَّر شخصياتنا غير العادلة وغير الضرورية. لقد ركَّزتُ في حياتي ككاتب ومُتحدِّث على رفع تفكير الناس بأنفسهم كعاديين ومحدودين، كي يثقوا بوعي جديد أنه داخل كلِّ فرد يُقيم شخص غير محدود يستطيع إنجاز أي شيء يضع انتباهه عليه.

إنَّ رؤية الرئيس «كينيدي» للدولة التي يجب أن تكون مأهولة بمواطنين يُريدون أن يعطوا ويخدموا أكثر من أن يأخذوا ويستقبلوا، هي رؤية أشترك فيها أيضاً. لقد كان عليه أن يموت من أجل أن ينقل البلاد كلها إلى اتجاه جديد أكثر رحمة وهذا جزء من كمال كوننا، الأمر الذي يُمكن مناقشته على نحو لا نهائي، بيد أنه كذلك في الحقيقة. لقد مات، وجميعنا أصبحنا أناساً أفضل نتيجة لذلك. لقد بدأتُ أنا أيضاً رحلتي في اتجاه أن أكون شخصاً أفضل، وأمارس مهنة تتركِّز على الخدمة والتعاطف والحبِّ تجاه كلِّ شخص. ربُّما كانت حياتي تمتلك تركيزاً مختلفاً واتجهاً آخر، لو أنَّ الأحداث في «دالاس» في ذاك اليوم لم تحدث.



• أنا في فصلي الدراسي الأخير في الكلية. لقد حضرت ما يقارب من مئة مُحاضرة في السنوات الأكاديمية الأربع، ولم أفوت أيّ درس ولا مرة. أنا ملتزم بنظام الطالب بدوام كامل، وسعيد جداً، وفخور، ومحظوظ بكوني هنا في موضع حيث تفويت حتى درس واحد لم يؤخذ أبداً في عين الاعتبار.

في حين أحببتُ جوّ هذه الجامعة المبنية على نحو صحيح في مُنتصف مدينة داخلية كبيرة ومُزدحمة، كنتُ مُندهشاً بما يبدو لي أنه نوع من اللامبالاة من ناحية كلية التعليم. من النادر أن تجد أساتذة جامعيين مُتحمسين حقيقة لمادتهم التعليمية، أو مُهتمين بالهام الطالب. لقد لاحظتُ مدى عدم الاهتمام الكبير في العديد من المواد التي أخذتها. كانت أفكار كهذه تتدفق إلى وعيي على نحو مُتكرر: يبدو لي أنّ كلّ هؤلاء الأساتذة الجامعيين كانوا فقط يقومون بحركات من أجل القيام بعملهم، مع الكثير من الملل، والقليل من المُتعة لما يُدرّسونه.

أعود إلى التفكير بخالي «بل فوليك»، الذي كان مُلهم رغبتني في أن أصبح مُعلّماً. لقد كان صفّه مُبهجاً بسبب الضحك والمُتعة التي أثارها. لقد أحبّ «بل» طلابه، وأحبّ مادته التي يُدرّسها، وكان يعيش رسالته الروحية الخاصة بينما يستمتع كلّ طالب عنده بوقته. إنّ الكلمة المفتاح هنا هي الحبّ. أعتقد، أنّ هذا ما بدا مفقوداً في هذه الدروس. كلّ أستاذ كان يقوم بحركات: لا يُوجد حبّ هنا. كان الطلاب يأخذون الملاحظات عن المواد بإخلاص قد يظهر في الفحص النصفّي أو النهائي، ولكن من

ناحية أخرى إنهم غير مُبالين على نحو واضح بهذا العمل برُمته والمُسَمَّى مجازاً التعليم العالي. لم يكن المُعلِّمون يُعلِّمون، بل يُقدِّمون المادة وببساطة عبر حركات. إنهم يقومون بعملهم، ويتظاهرون مُعظم الوقت، على الرغم من أنهم غالباً يختصرون الدروس بأنفسهم، وهذا يبدو واضحاً من الملل الذي يتغلغل الصف بأكمله.

لاحظتُ هذا النقص في الحماسة من قِبل كلِّ شخص تقريباً من ضمن ما يبدو أشبه بلعبة قد انتهت. أنا أراقب وأسأل نفسي: ألا يستطيعون رؤية أنه لا أحد مُتحمس لما يقولونه؟ وأن الطلاب يشعرون بالأسر في الحضور، إذ عليهم أن يكونوا هنا ولا يُغادروا حتَّى ينتهي الدرس. لماذا لا يجعل المُدرسون الجامعيون هذه المادة وهذا الصف يُصبح حيّاً؟

أنا أتخيل نفسي أحصل على امتياز بارز كي أكون أمام الصف مُعلِّماً مع هذا الحضور الأسير. كنتُ أمثل هذا الخيال في عقلي تقريباً كلَّ يوم عندما أكون في غرفة صفّ مليئة بالطلاب الذين يستحمّون في بيئة تعليم دافئة. كنتُ أتخيل نفسي أجعل الغرفة تعود إلى الحياة وأقدّم المادة بنمط مُطوّع. كنتُ أرى نفسي أُعلِّم الطلاب كي يكونوا مُتحمسين ومُلهمين ويتعلّمون المنهاج الدراسي، حتَّى وإن كانوا يعتقدون المادة غير مُهمّة. هذا هو الخيال الذي أختبره كلَّ يوم.

راقبتُ المُدرسين ببعض الإزدراء، بالطريقة نفسها التي فعلتها قبل بضع سنين في المدرسة. كنتُ أشعر بالأسف فعلياً من أجلهم لأنهم يريدون واقعين في شرك نمطيتهم يوماً بعد يوم، وسنة بعد سنة. في المدرسة الثانوية كان هناك الكثير من المُعلِّمين في نهاية مهنتهم يقضون وقتهم حتَّى حلول التقاعد. كنتُ أرى البعض يقومون بالشيء نفسه في الجامعة وأنعّجب: أين كبرياؤهم؟ كيف يستطيعون أن يكونوا أمام الصف ولا يريدون أن يمتعوا طلابهم ويجعلونهم مُتشوقين من أجل تعلّم هذه المادة؟

لقد وعدتُ نفسي أنني لن أكون هكذا أبداً، فأنا أحبُّ جعل الناس يضحكون، فكلُّ المُعلِّمين الجديرين بالذكر الذين كانوا لديّ، امتلكوا قدرة عجيبة على أن يغرّسوا تعاليمهم من خلال المُزاح. كنتُ أعدُّ نفسي أنني عندما أتحدّث أمام مجموعة «أيّ مجموعة كانت» فإنّ الجمهور سيُحبُّ وجوده معي. لن أقوم بحركات فقط، ولن أقوم بعملٍ من أجل أن أتلقّى وصل دفع الراتب كلَّ أسبوعين. سأبقي الحبَّ حيّاً، الحبَّ

لما أعلمه، الحبّ لطلابي، وأيضاً على نحو خاص ملحوظ، الحبّ الذي أكنّه لنفسي. أنا مُصمم أن أحترم مَنْ أكون عليه وألا أصبح أبداً مُعلّماً أقوم بعملِي على شكل تمثيلية باهتة لا تُحدث فارقاً. إنها صورة مُجحفة ساكرها عندما أعرض نفسي لمثل هذا العار.

كلّ يوم، في الصفّ بعد الدرس، أشعر أنني مأسور بتأملي التخيلي الخاص عن كيف سأجعل هذه المادة تبدو حيّة. أنا مدفوع برغبة قوية كي أجلب المتعة، المرح، والمُزاح إلى تجربة التعلم.

في النهاية تعيّنُ في ثانوية «بيرشينغ»، في نظام المدراس العمومية في «ديترويت»، كي أقوم بتعليم الطلاب آداب الاقتصاد لمجموعة مؤلفة من خمسة وثلاثين من الخريجين الكبار، وكان أستاذي المُشرف هو السيد «زيغmond بويتور». لقد كنتُ سعيداً بحق، فالسيد «زيغ بويتور» مُعلّم خبير، وهو رجل يُجسّد كلّ ما أطمح أن أكون عليه. إنه محبوب من قبل طلابه ويُعتبر أفضل مُعلّم في الكلية بشهادة رئيسه.

بعد الأسبوعين الأولين، أطلق «زيغ» لي العنان، فأصبحتُ المُعلّم الوحيد بقية الفصل. يُمكن أن يكون علم الاقتصاد مادة مُملة على نحو لا يُصدّق، أو على الأقل كان كذلك بالنسبة إليّ في الصّفين اللذين التحقْتُ بهما كطالب قبل التخرّج. بيد أنه لديّ الآن فرصة كي أطبّق ما كنتُ أتخيّله خلال السنوات الأربع السابقة بينما كنتُ جالساً في العديد من غرف الصفّ المُملة. أنا في الجنة!

أنا أحبُّ هذا الفصل أكثر من أيّ شيء حتّى هذه النقطة. أنا أحبُّ هذا الصفّ، أحبُّ الطلاب، بل بدأتُ أحبُّ الاقتصاد! لقد شعرتُ بسعادة غامرة عندما أحضر الطلاب لي حقيبة جلدية وبطاقة جميلة مُعبّرين عن حماسهم للدرس ولي أيضاً «كمُعلّم»! أنا مُتأثر في العمق. أنا مُتحمّس. أنا مُعلّم، وأنا في طريقي كي أكون خطيئاً أيضاً.

بينما كنتُ أجلس في مجموعة غير منتهية من الصفوف حيث بدا عدم الإكتراث هو السائد من جهة الأستاذ ومن جهة الطلاب أيضاً، لم أكن أدرك أنّ هذا الأمر هو أرضيتي المُبكرة في التدريب. لم أدرك أنّ هذا الطريق كان أساس تدريبي المُبكر كي أكون خطيئاً عاماً. عندما أعود إلى الورا، أستطيع أن أرى نفسي بوضوح جالساً في غرفة

الصفّ يُساورني الشكّ بسبب الملل الذي بدا غير ضروري أبداً. لماذا، كنتُ أستغرب: أليس المُعلّم من يجعل هذا مُمتعاً؟ أليس واضحاً كم يبدو الأمر مُملّاً لكلّ واحد في الصفّ؟ الآن أعرف من بعيد، أنه كان عليّ أن أشعر بهذه المشاعر من الإحباط، التي كانت تُوقظ شيئاً داخلي لا يُمكن إسكاته أو تجاهله. لقد كان مُقدراً لي أن أقوم بدور الخطيب في حياتي.

لقد احتجّت أن أَسْتَعِدّ في ذلك الوقت، وكانت الطريقة الأكثر تأكيداً في تحضيرِي هي أن أكون في مكان وأشارك في شيء بغيضٍ بالنسبة إليّ. مرة أخرى، إنه ذلك الموضوع القديم من وجوب اختبار ما لم أكن أريده أن يكون، من أجل أن أعرف حقيقة ما الشيء الذي أردتُ أن أفعله. لقد كان الأمر مثل أيّ تجربة في حياتي عبارة عن نعمة وفيرة مُتكررة. هذه التأمّلات الداخلية التي كنتُ أسمع وأشعر بها كانت نداءات الاستيقاظ الخاصة بي.

عندما تحدّثتُ إلى زملائي عن هذه المشاعر، نظروا إليّ بتعابير مُتحيّرة. لقد كان هذا هو النظام بالنسبة إليهم، وكانت المُحاضرات المُملّة جزءاً من الكلية. كنتُ قليلاً ما أعرف أنّ استيائي الداخلي كان صوتاً من الكون يقول لي: «راقب هذا بحذر، اشعر بالألم، قُم بالالتزام بناء على ما تشعر أنك ستتعلم منه كي تُصبح خطيباً بارعاً مُمتعاً ومُقنعاً».

بعد أن تحدّثتُ في المنتديات العامة حوالي أربعة عقود، حيث كان الحضور يدفعون مالا يُحصّلونه بشقّ الأنفس كي يحضروا، أشعر بالسعادة من جراء حصولي على الفرصة كي أكون في صفوف المدرسة الثانوية والجامعية، التي حفّزت تلك الأصوات الداخلية التي تقول: «انتبه والتزم بأن تجعل رسائلك تُصبح حيّة. كن مُتحمّساً وراقب جمهورك واجمع الأدلة كي ترى هل ينتبهون ويُمَتّعون أنفسهم، وإن لم يكونوا كذلك، عليك أن تُغيّر ما تفعله في الحال».

على مدى السنين كتبتُ وتحدّثتُ غالباً عن أهمية العاطفة في مُهمّات الإنسان. أن تكون فاتراً بالنسبة إليّ فهذا يعني أن تفقد الاتصال مع مصدري: إن الشخص الذي يقف أمام جمهور دون حماسة لما يُقدمه، تكون أفعاله مُنفصلة عن روحه، وعن الإله في

الداخل. في الحقيقة، إن جذر معنى كلمة حماسة هو «الإله في الداخل».

عبر عقود من التحدّث أمام مجموعات كبيرة من الناس، تعلّمتُ أنه عندما أستسلم وأسمح لنفسي أن تتوجّه من قبل المصدر الإلهي، يبدو كلّ شيء في مكانه. عندما كنتُ أتقدّم كمُتحدّث على وشك أخذ مكبر الصوت، كنتُ أكرّر هذا السطر من «دورة في المُعجزات» لنفسي: «إذا عرفتَ مَنْ يمشي جانبك في كلّ الأوقات على هذه الطريق التي اخترتها، فلن تستطيع مُطلقاً اختبار الخوف أو الشكّ مرة أخرى». كانت هذه تذكرة لي كي أتمسّك بصورة انحيازي إلى مصدر إبداع الكون، وكي أتحدّث من شغفي.

ما كان يحدث لي في غرف الصفّ التي كانت بلا أحاسيس، هو أنني كنتُ مُحفّزاً من قبل رוחي كي أبقى على صلة بإحساسي الداخلي بالروعة والتقدير تجاه كلّ ما أنا عليه، ومن خلال ذلك، استطعتُ أن أصبح مُتحدّثاً يُريد الناس سماعه.

استطيع أن أتذكّر أنني كطالب قبل التخرّج كنتُ أفكر أنني سأحبّ التفوّق مهما كلفني الأمر وخاصة في الكتابة والتحدّث. لقد سمعتُ أنّ الكتاب لم يكونوا عموماً مُتحدّثين عظماء، وأنّ أولئك الذين تفوّقوا في فن الخطابة كانوا عموماً غير عظماء في التعبير عن أنفسهم على الورق. لقد تعلّمتُ خلال السنوات أنّ العظمة تتبع حقيقة ما أختار أن أوّمن به عن نفسي وقدراتي. أنا أعرف أنّ لديّ القدرة على التفوّق في أيّ شيء أختاره.

ليس هناك شيء منقوش على الحجر يقول إنّ كوني خبير بحث مُحترف يعني أنه يجب أن تنقصني الكفاءة في التحدّث أمام الجمهور. لقد لعبتُ التنس في عمر واحد وثلاثين عاماً، وقررتُ في أول يوم لعبتُ فيه أنني أحببتُ هذه اللعبة وبإمكاني أن أصبح لاعباً بمهارات عالية لو خصصتُ وقتاً لذلك، وقد فعلتُ ذلك على مدى خمس وثلاثين سنة. على نحو مُشابه، في المدرسة الجامعية عرفتُ أنّ قدرتي على الوصول إلى أيّ مرحلة من الشهرة كان مُطلقاً. أستطيع أن أعيش شغفي، وأكون مُحبباً لما أفعله، ولم يكن هناك شيء يُرجعني إلى الوراء ما عدا مُعتقداتي الخاصة عن قيودي.

أستطيع أن أرى شيئاً واحداً بوضوح كامل عندما أنظر إلى الورا إلى نفسي في تلك الصفوف مُراقباً الملل يظهر على وجوه من حولي. من هذا المنظور أفهم أن كل تجربة من حياتي، بغض النظر عن الكيفية التي اخترت أن أعالجها بها في ذاك الوقت، كانت شيئاً قيماً جداً يُعلّمني. هناك دروس في كل لحظة، وأنا الآن أعلم بالتأكيد أنه لا يوجد شيء اسمه مادة غير مُمتعة أو لحظة اعتيادية. هناك فقط أناس غير مُستمعين. لقد تعلمتُ عبر العديد من الأمثلة منذ عدة سنين مضت ألا أكون واحداً من هؤلاء الناس غير المُستمعين. أن يشعر الإنسان بالضجر هو إهانة للأنا العليا عنده، والتي هي بالتعريف «الإله في الداخل».



• في سنة 1968 كنتُ متزوجةً ولديّ طفلة عمرها سنة اسمها «تريسي»، التي وُلدت في خضم أعمال الشعب التي دُمّرت جزءاً كبيراً من مدينة «ديترويت». أنا أيضاً في برنامج الدكتوراه في جامعة «واين ستيت» بعد إكمالي درجة الماجستير منذ سنتين.

منذ أن حصلتُ على درجة البكالوريوس والماجستير من «واين ستيت»، كان أحد مُتطلبات برنامج دراسة الدكتوراه، أن أكمل فصول مُتعددة في جامعة «ميشيغان»، كي تُعطيني بعض التنوع في تدريبي التعليمي عموماً. أنا مُسجّل حالياً في صفّ المدرسة الصيفية المُسمّى «علم نفس الإدراك»، وفيه تركيز كثيف على فرصة استخدام التنويم المغناطيسي في مُعالجة ضعف الإدراك الحسي. استخدمتُ أنموذج التنويم المغناطيسي الذاتي كي أتخلص من عادة التدخين التي اعتدتها في المدرسة الجامعية، وأنا أطمح كي أتلقي تعليمات التنويم المغناطيسي وتجربة التدريب العملي.

إنّ بروفييسور هذا الصفّ، نشيط للغاية وباحث مُختص، وقد قام بتطبيق التنويم المغناطيسي الجماعي علينا بالأمس. كنتُ في حالة من النعيم، وكان عقلي في حالة تعزيز وشعرتُ بالسلام. كنتُ واعياً كلياً لكلّ شيء يحدث ولم أشعر أنني توقفتُ عن التحكّم، ومع ذلك وجدتُ نفسي أتبع مُقترحاته طوعاً، وأفعل كلّ شيء اقترحه عليّ دون السؤال عن أيّ شيء. شعرتُ أنّه لم يكن عليّ عمل ما أخبرني أن أفعله، ولكنني فعلته على أيّ حال.

اليوم، سنشهد تجربة تحكّم التفكير بالجسد. إذ وافقت امرأة في بداية الأربعينيات

من عمرها على أن تخضع كطالبة إلى تجربة التنويم المغناطيسي من أستاذنا الذي سيقوم بإجراء الاختبار. وضعها على كرسي أمام الصفّ ثم أدخلها في حالة التنويم، ثمّ شرح أنّ الجسم البشري لا يستطيع القيام بتمييز واضح بين درجات الحرارة الباردة جداً والحارة جداً. لقد أخبرنا بوجود المرأة المُنومة، والتي تبدو طبيعية تماماً وغير متأثرة بأيّ إحياء تنويمي، أنّ شخصاً معصوب العينين تمّ لمسه بأداة فائقة البرودة، أو بأداة مُلتهبة لا يستطيع إخبارنا عموماً عن نوع اللمس الذي تلقاه، ثمّ شرح لنا أنّ الحرارة الفائقة والبرودة الفائقة يُمكن الشعور بهما على نحو مُتمائل.

كنا جميعاً مُهتَمين بينما أكمل الأستاذ شرح علم نفس الإدراك واستجابة الجهاز العصبي ببساطة. إنّ الساخن والبارد هما مجرد اختلافات إدراكية تعتمد على بنية الشخص الملموس.

قام بعصب عينيّ المرأة وتقدّم كي يلمسها بأداة معدنية باردة جليدية، وأداة أخرى ساخنة الملمس. أولاً الباردة ثمّ الساخنة، ثمّ تشكيلة من المُحاولات المخلوطة. كانت المرأة دقيقة في تخمينها بنسبة خمس وسبعين في المئة أثناء التجربة، ثمّ نزع الغطاء عن عينيها، وناقش النتائج مع الصفّ.

لاتزال المرأة في حالة التنويم. أخبرها أنه سيُريها أيّ أداة حرارة سيستعمل، وعلمّها أن تقول ببساطة حار أو بارد بسرعة عندما تشعر بها. أراها أداة مُتجمدة، ثمّ دبوساً مُلتهباً وقال أنه سيلمس ذراعها الداخلية، وأنه عليها أن تقول بصوت مرتفع كيف أثرت فيها كلّ لمسة.

وضع الغطاء على عينيها مرة أخرى وأخذ المعدن البارد، وقال بلطف بالغ: «هذه الأداة الباردة، أخبريني كيف يبدو الشعور»، أجابت إنه بارد ومُروع قليلاً. ثمّ أخذ الدبوس المُلتهب ووضعه بالقرب من وجهها حتى تستشعر الحرارة، وقال: «سألمس ذراعك قليلاً فقط، وأريد أت تُخبريني عن استجابتك مُباشرة». بعد أن وضع الدبوس بالقرب من وجهها، اقتنعت المرأة أنه على وشك أن يلمسها بالشيء المُلتهب. وضع الأستاذ الدبوس المُلتهب على منفضة سجائر زجاجية على الطاولة أمامه، وبدلاً عنه لمس ذراعها بممحاة في نهاية قلم رصاص أخذه من جيب قميصه. كانت المرأة في حالة من

الرعب وتشكّلت تقرحات على ذراعها، على الرغم من أنها لمست فقط بممحاة قلم رصاص بدرجة حرارة الغرفة.

قال زميل مُتَعَجِّب: «هل رأيت ذلك؟ إنه أمرٌ لا يُصدّق. لا أستطيع أن أصدّق أنها فعلت ذلك بتفكيرها». أنا مُندهش، وعينا مفتوحتان على مصراعيهما وكذلك فمي، عندما راقبت مباشرة قوّة التفكير المُذهلة على الجسم، إذ كانت المرأة بإيمانها فقط وليس بأي شيء آخر، قادرة على أن تُنتج آثار الحرق على ذراعها!.

شرح الأستاذ أنّ الكثير من نشاطنا الإدراكي مُسيطر عليه من مُعتقداتنا التي نحملها. ثم وصف تأثير الدواء الوهمي، حيث أُجريت التجارب على استخدام حبوب السكر مع الذين يُعانون من التهاب المفاصل والذين يعتقدون أنه دواء للمفاصل، وقد قامت حبوب السكر بتخفيف الالتهاب!.

كانت هذه التجربة هي لقائي الأول في سنّ البلوغ مع فكرة أنّ مُعتقداتنا تستطيع أن تكون مفتاح شفاء، بل أكثر من ذلك حتّى، أنا مُتَعَجِّب من أنه إذا كان الخارج أو الأفكار المجرورة ثقافياً غير مُرتبطين مع العقل القوي اللامحدود عندنا، ربّما كما أتفكّر، بإمكاننا أن نُقع أنفسنا بقدرتنا الخاصة على اظهار أي شيء.

كان ذاك اليوم الصيفي من عام 1968 نقطة تحوّل في حياتي. لقد وضعني على عتبة حقيقة واحدة آمنتُ بها مُدّة ثمان وعشرين سنة، وخطّ بي في مكان مُمتليء بالإمكانات التي لا يُمكن تخيلها.

على الرغم من أنه كان حقلاً مُمتلئاً بالاستفسارات الجديدة نسبياً، إلا أنني أنهيتُ قليلاً من القراءة في موضوع رابط العقل مع الجسد، وخاصة في مجال الطبّ. مع ذلك، لم يُعِدني تساؤلي الفكري عمّا شهدته في غرفة الصّفّ في جامعة «ميشيغان» في ذلك اليوم. أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنني احتجّت أن أكون هناك كي يكون هذا الوعي الجديد مغروساً بثبات في كلّ من العقل الواعي والعقل الباطن. أن تقرأ عن شيء ما هو أمر، بينما عندما تُجرّبه مباشرة فهو أمرٌ آخر مُختلف تماماً.

كنتُ أتعجّب من ذلك اليوم في الصّفّ: إذا كان الأمر مُمكنًا، فماذا يقدر التفكير على

تحقيقه أيضاً ممّا يعتقدّه الناس مُستحيلاً؟. هذا الحدث الوحيد في جامعة «ميشيغان» في ذاك اليوم الصيفي من عام 1986 كان مكان ولادة تدريسي عن شيء أصبحت أُسمّيه: «حياة بلا حدود» بعد سنوات قليلة على طريق حياتي. بعيداً عن كوني مُعلّماً كتب وتحدّث بشغف عن موضوع أنّ الإنسان غير محدود بسبب الطاقة اللامحدودة في أدمغتنا وتفكيرنا على تخيل أي شيء ثم جعله حقيقة، فقد ترك تأثير هذه التجربة مع الممחה و«فقاعة الحرق» أثراً لا يُنسى عليّ شخصياً.

لقد هيأت تفكيري على أنني قادر على خلق أي شيء أضعه في خيالي وأحفظه هناك بحماسة. قررت أنه ليس عليّ أن أصاب بالبرد، أو التعب، أو حالات عجز مادية، وبالنسبة إلى الجزء الأكبر من الحياة كنت قادراً على أن أظهر إلى حدّ كبير كل شيء تخيلته. لقد كان ذلك كما لو أنّ مصباحاً انطفأ داخلي عندما رأيت النظرة المصعوقة على وجه المرأة عندما شاهدت ما الذي حققه إيمانها القوي.

فكرت أنها عندما آمنت بقوة شديدة بشيء، فقد استطاعت خلق أثر «فقاعة الحرق» بهذا الإيمان، فلا يوجد سبب كي لا أبدأ بتدريب عقلي على الإيمان بكلّ أسلوب من الإنجازات المُذهلة.

كنتيجة لتلك الحادثة من التنويم المغناطيسي، أدرجت فيما بعد هذا المبدأ في مُحاضراتي العمومية. لقد شجعتُ الناس على زراعة طريق من الاعتقاد يتغلّب على الاعتقاد المشروط في حدودهم.

لقد شعرتُ دائماً أنّ يداً كبرى من القدر وضعتني في ذلك الصفّ في عام 1968. بينما أنا جالس هنا أكتب اليوم، وقد مضى أكثر من أربعين سنة منذ ذلك الشرح في بداية سنوات دراستي في الدكتوراه، لديّ صورة واضحة عن كلّ الذي اتّضح في ذلك اليوم، وكأنه حدث فقط هذا الصباح. لقد كان ذلك تغيّر الحياة من أجلي لأنني عرفتُ أنني أستطيع أن أنشيء أثر «فقاعة الحرق» في دماغي الخاص. لم أكن أعرف عندما مشيتُ نحو ذلك الصفّ في ذلك اليوم أنّه سيُزودني بصورة ستؤثر في حياتي مهنيّاً وشخصياً من الآن فصاعداً.

كانت هذه الصورة قوية جداً بحيث أنها تركت أثراً عليّ، بحيث تربي كلّ أطفالي

على أن يكون لديهم تفكير مفتوح على جميع الإمكانيات، وكذلك كل طلابي العديدين وملايين القراء بسبع وأربعين لغة حول العالم. لقد بدا أن ذلك الصف قد أثار موجات نحو اللانهاية، وأثر في عدد غير محدود من الناس كي يثقوا في أنفسهم وقوة تفكيرهم على جعل أي شيء يحدث.

فكرت في ذلك الوقت أنه لو وصلت مجموعة كافية من الناس إلى إمكانية التفكير غير المحدودة، فإن مسار سلوك البشرية بأكمله سيتغير نحو الأفضل. لم لا؟ يبدو أن عقلنا غير المرئي يؤثر في كل شيء في العالم المادي، ولذلك لماذا لا نحلم حلماً كبيراً ونعمل نحو عالم تملؤه أعداد هائلة من الناس الذين يفكرون بحق ويتصرفون بهذه الطريقة الجديدة؟ أعلم أن هذا الأمر يبدو مُبالغاً فيه قليلاً، ولكن هذا ما كان يدور في خلدي في ذاك اليوم عندما غادرت الصف وتغيرت كطالب دكتوراه وشاب مثالي.

نعم، أرى بوضوح من هذه النقطة المفيدة أن الجسد هو خادم الدماغ. لقد سمعتُ وقرأتُ عن ذلك، وأبديتُ قليلاً من الاهتمام بهذه الفكرة الهائلة، حتى اختبرتها حقيقة أمامي. حتى الأحداث في حياتنا التي تبدو عادية، إذا كنا قادرين على أن نوجه الاهتمام وتتعجب، يُمكن أن تؤثر على حياتنا وحياة الآخرين. إن حدث الفقاعة من أثر الحرق والممحاة كان تجربة هائلة أثرت في كل ما كنتُ سأحدثه في السنين القادمة.

لقد بدأتُ من هذا اليوم فصاعداً أصبح أكثر وعياً بكيفية استخدام أفكاري، لأنني شهدتُ مباشرة قوة الفكرة في خلق أثر مادي. لم أستطع إخراج الفكرة من دماغي أن كل فكرة لديّ تحتوي نوعاً من فرصة التغيير الهائلة. أتذكر أنني مشيتُ إلى سيارتي بعد ذلك الدرس، مُفكراً أنني يوماً ما سأكتبُ كتاباً كاملاً عن هذه المادة. لم اعرف حينها أن الإثبات الذي حصلتُ عليه كان طرفاً سيُطلقني كي أكتبُ مكتبة صغيرة عن قوة أدمغتنا وتفكيرنا المذهلة. إن صورة المرأة في الصف لم تتركني أبداً، وما زالت تقريباً نصف قرن من الزمن تتلأل على شاشتي الداخلية.



• بعد أن أتممتُ درجة الدكتوراه، توظّفتُ كمُستشار توجيهي في ثانوية «ميرسي» في «فارمينغتون»، «ميشيغان». كنتُ أحبُّ هذه المدرسة حيثُ كانت هنالك ألف فتاة مُسجّلين في الكلية التحضيرية للمناهج التعليمية التي تُديرها الأخوات الراهبات في «ميرسي». لقد أُحببتُ عملي وهو التزويد بخدمات الإرشاد والمشورة لحوالي ثلاثمئة طالبة من الصفّ التاسع حتى الصفّ الثاني عشر.

إنه يوم الأربعاء بعد عيد العمال من عام 1968. تحدّثتُ في قاعة الاحتفالات ليلة أمس إلى الآباء وقدمتُ خطط المدرسة للسنة الدراسية. إن فرصة أن أقدم خطاباً وأمتع الحضور في أمسية مُقنعة جعلني أشعر بالتحليق.

أخبرتني «نانسي آرمسترونغ»، إحدى طالباتي: «لقد سمعتك أُمّي تتحدّث ليلة أمس، وأرادت مني أن أعطيك هذا الكتاب كهدية تقدير، ووصتني أن أقول لك إنها أحببت خطابك إلى الآباء». شرّحت «نانسي» أنّ أمها عضوة في نادي كتاب الشهر، وقد تلقت هذا المُجلد الضخم كهدية بعد شرائها عدداً مُحدداً من الكتب. لا تعتقد السيدة «آرمسترونغ» أنها ستقرأه أبداً، وبسبب مضمون حديثي في الليلة السابقة، كانت مُتأكدة أنني سأستمع باقتنائه في مكتبتي الخاصة.

كان عنوان الكتاب The World of Psychology volume 2 «عالم علم النفس»، المُجلد الثاني، الهوية والدوافع، من تحرير «ج. ب. ليفيتاس»، من منشورات «جورج برازيللر» في عام 1963. إنه مُلخص إحدى وأربعين مقالة كُتبت من مجموعة مُتنوعة من

المؤلفين، من ضمنهم «أفلاطون»، «ويليام باتلر ييتس»، «فريدريك نيتشه»، «ألدوس هكسلي»، «مارغريت ميد»، «كارل يونغ» والعديد من المُساهمين البارزين. كان المزيج مُمتعاً: شعراء، علماء نفس، أعلام من الأدب، وفلاسفة. إنه يصبّ تماماً في مساري، حيث كنتُ مُستمعاً بقراءة الشعر، المقالات، التعليقات وما شابه ذلك، في طريق الهواية التي مارستها في العديد من أشكال الكتابة منذ كنتُ طفلاً.

اتصتُ بالسيدة «آرمسترونغ» وشكرتها على هديتها المدروسة. ثم أدركتُ أنه لديّ أربع ساعات حرة قبل أن أحتاج كي أكون في حرم جامعة «واين ستيت»، كي ألقي مع المُستشارة من أجل رسالتي في الدكتوراه، د. «ميلدريد» «ميلي» «بيترز»، من أجل مُناقشة خطتي من أجل العمل في السنتين ونصف المُتبقيتين من دراسات الدكتوراه. لقد قررتُ للتوّ الاتجاه الذي أريد أن أسلكه. أحتاج ببساطة أن تُوافق د. «بيترز» على خطتي، والتي تُحدد كلّ عمل الصفّ القادم، تدريبي العملي، مُتطلبات فترة التدريب، موضوعي في أطروحة الدكتوراه. أنا مُهتَمّ بطريقة علاج «كارل روجرز» المُعتمدة على العميل، وكذلك بعمل «ب. إف. سكينر» المُتركَز على السلوك، وقد قررتُ مُتابعة مجالات البحث التي تركز على طريقتيهما.

التقطتُ المجلد الذي أعطني إياه «نانسي» هذا الصباح، وقلبت على الجزء السابع وكان عنوانه «الرجل الكامل»، ورأيتُ أنّ هناك اقتراحات مُقدمة من «جون ستوارت ميل»، «رالف والدو إيمرسون»، «روبرت براونينغ»، «س. إ. مونتغمري»، ولكنّ أحد المقالات لفت نظري بصورة خاصة عن «الأشخاص المحققون لذواتهم»، تأليف «أبراهام ماسلو». غرقتُ في هذه المقالة لسبب غير مفهوم، وهي عبارة عن ثمان وعشرين صفحة، وتتطلب ساعتين من الوقت من أجل قراءتها بعمق. أطفأتُ الهاتف بعد قراري أنه يجب عليّ قراءتها قبل اجتماعي في السابعة مساءً مع د. «بيترز». بعد أن قرأتها، حصلتُ على أغرب إحساس بأنّ حياتي على وشك الانتقال عبر تحوّل جذري.

تصف المقالة أشخاصاً يُسمّيهم د. «ماسلو»: «المُحققون لذواتهم». وقد عرّف هؤلاء الأشخاص النادرين والمُتفردين بهذه الطريقة:

ما يستطيع الإنسان أن يكون عليه، يجب أن يكون عليه. هذه الحالة التي قد ندعوها التحقيق الذاتي، تُشير إلى الرغبة بالرضا الذاتي، أي النزعة من أجل أن يُصبح مُتحققاً في مقدراته الكامنة.

وصف «ماسلو» النداء الداخلي الفطري لهذا النوع من الناس كي يُصبحوا كل شيء يقدرون أن يكونوا عليه، وكم هو صعب بل مُستحيل بالنسبة إليهم أن يكبحوا هذه الرحلة. عندما تابعتُ القراءة، وصف الكاتب على نحو مُفصل الصفات المُحددة لمُحققِي الذات المُختلفون على نحو كبير عن الناس العاديين. اقترح «ماسلو» أنهم غالباً مُصنفون كأنانيين أو غير تقليديين، أو كما بدا لي، أن أفعالهم وشخصياتهم يجب أن تكون سامية وممدوحة بدلاً عن كونها مقموعة أو مُحبطة.

لاحظ «ماسلو» أن الشخص المُحقق ذاتياً لديه رغبة قوية في الخصوصية، يكتسب المُقاومة بشدة، ولكن لديه دائماً عذوبة في التقدير، ولديه رغبة عبقرية في مُساعدة الجنس البشري. مع ذلك، «عندما يصل الأمر إلى حدوده، بطرق أساسية مُعينة يُصبح مثل الغريب في أرض غريبة. هناك أناس قليلون جداً يفهمونه حقيقة، ومع ذلك فإن الكثير قد يُحبّونه».

أنا مفتون بتسليط الضوء على المادة كلها تقريباً. أشعر وكأنني أقرأ عن الصفات التي شعرتُ بها دائماً داخل نفسي، والتي غالباً ما كانوا ينتقدونني عليها. أنا مفتون جداً بما أقرأه وأشعر كأنني وسط تجربة صوفية مُحيطية. إنه هو. هذا هو الاتجاه الذي أريد أن تأخذه دراساتي المُتقدمة.

عندما قرأتُ الخاتمة عرفتُ أنني أيضاً يجب أن أكون ما أستطيع أن أكونه، وأتعجب من تزامن تلقّي هذه الهدية قبل إنهاء خططي مع مُستشارتي في الدكتوراه. أيضاً وعلى مُستوى آخر أعرف أن إحصار «نانسي» لهذا الكتاب من أمّها مُرتبط ببعض الشيء مع حاجتي إلى قراءة هذه المقالة اليوم. أعدتُ قراءة خاتمة د. «ماسلو» مرة بعد مرة، وأعرف أنني لا أريد بعد الآن أن أركز على ما كنتُ مُتأكداً منه قبل قراءة هذا المقال. أنا مُتأكد قطعاً ما أريد دراسته الآن.

أخذتُ نسخة من آخر مقطع من أجل اجتماعي مع د. «بيترز».

في هذه المقالة، كما في طرق أخرى، يكون الناس الأصحاء مختلفون تماماً عن الناس العاديين، ليس فقط في الدرجة العلمية، ولكن في النوع كذلك، وهما يخلقان نوعين مختلفين من النفسيات. لقد أصبح واضحاً أكثر فأكثر أنّ دراسة الأشخاص المُقعدين، الضعفاء، غير الناضجين، المُعتلين يُمكن أن يُنتج فقط علم نفس وفلسفة مُقعّدة، وأنّ دراسة الأشخاص المُحقّقين ذاتياً يجب أن تكون أساس علم نفس أكثر عالمية.

إن قلبي يخفق بشدة: أشعر وكأنني على وشك دخول طور جديد في حياتي. أريْتُ د. «بيترز» خطتي في العمل وكانت كلها مطبوعة وجاهزة للتوقيع منها، ثم أخبرتها عمّا قرأته للتوّ. أنا مدفوع بحماسة من فكرة التركيز على الأشخاص الأعلى أداءً، ورسمتُ استنتاجات عمّن سنكون عليه، ليس اعتماداً على الأشخاص العاديين، بل على الأشخاص الفائقين المُحقّقين ذاتياً.

أريد أن أكتب عمّا فهمته للتوّ. أنا أرى العديد من سمات شخصيتي غير العادية والميول في وصف «ماسلو» عن الأشخاص المُحقّقين ذاتياً. لقد كنتُ دائماً مُستقلاً عن الآراء الجيدة للآخرين، وتبعْتُ ميولي، وكنتُ خارج الصندوق بتفكيري حسبما أتذكّر. أنا أحبُّ فكرة الحصول على معايير عالية والتي لا تستند على ما تُمليه التربية، بل تستند على ما أشعر في داخل نفسي أنّه مُمكن.

سألتُ د. «بيترز»، والتي كانت إحدى أكثر الأشخاص تحقيقاً لذاتها ممّن سررتُ بمعرفتهم، فهي امرأة حصلت على درجة الدكتوراه، بينما كان هنالك عدد قليل من النساء يُؤخذون لمثل هذه الحالة العلمية الرفيعة، لقد شجّعني هذه المرأة دائماً كي أتبع مواهبي بغضّ النظر عمّا يُمليه النظام. سألتها إن كنت أستطيع أن أغيّر خطة العمل الموجودة على مكتبها، وأتابع مجال التحقيق الذاتي في دراسات الدكتوراه خاصتي. أجابت من غير ارتباك: «نعم». مرّتنا الخطة القديمة، وبدأتُ فصلاً جديداً كلياً في حياتي.

لقد كان عمال القدر يعملون وقتاً إضافياً في سبتمبر 1968. تحدّثتُ بهذا الحديث إلى الآباء لأنّ مُديرة المدرسة كانت تشعر بالمرض وطلبتُ مني أن أحلّ محلها في آخر دقيقة. لو لم يحدث هذا، كانت حياتي بأكملها ستبدو على الأغلب مُختلفة كثيراً ممّا كانت انطلاقاً من هذه النقطة المُواتية وإلى خمسة عقود لاحقة.

عندما سلّمتني «نانسي» ذاك المُلخص عن تعاليم الأساتذة الروحيين العظماء، شعرت أنني مسحوب إليه بسبب غير مفهوم. عندما انتهت المدرسة في حوالي الساعة الثانية، جلستُ على مكنتي أفكر ما إذا كنتُ سأتوجّه إلى الأسفل إلى مكتبة الجامعة، أو أراجع خطة عمل الدكتوراه مرة أخرى في مكنتي. لقد بدا ذاك الكتاب الأسود القابع على مكنتي وكأنّ لديه طاقة بكلّ ما فيه تحثني: خُذني وافرأني، لديّ شيء مهمّ جداً أقوله لك. عندما صادفتُ مقالة د. «واسلو» عن الأشخاص المُحقّقين ذاتياً، تحدّثتُ إليّ كذلك: «افرأني وافعل ذلك في الحال».

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ هذه الأنواع من النداءات المُتهوِّرة تقريباً، كانت من عمل شيء أكبر من نفسي، شيء مُتصل به أنا بشغف. لقد أصبحتُ أثق في هذه الرسائل وفي التعاون المُتزامن مع القدر.

في الوقت الذي كان يحدث فيه كلّ ذلك مضيتُ ببساطة إلى ما أقاد إليه دون إعطاء الأمر الكثير من التفكير. أنا واثق اليوم أنّ «نانسي آرمسترونغ» إلى حدّ ما، والدتها، مُديرة مدرستي، الشخص الذي قرر اهداء هذا الكتاب كجائزة، والكثيرين بطريقة غامضة تمتنع عن التعريف بالنسبة إلى فهمي العقلي، كانوا مُشاركين في جعلي أشاهد طريقي. أنا أوّمن بذلك وأثق به، والآن من هذه النقطة أنا أكثر قدرة على أن ألتقط الرسالة بينما تحدث. لم يأخذ الأمر مني سنوات بعد هذا الأمر حتى حصلتُ على الرؤية بأنّ كلّ شخص وكلّ شيء مُتصل ببعضه البعض، ومتصل مع «التاو» أو العقل الكوني الواحد الذي تنشأ منه كلّ الأشياء وتعود إليه.

بعد ذلك الاجتماع القدري مع مُستشارتي الجميلة د. «بيتريز»، كانت قد خلقت بالفعل منهاجاً جديداً كلياً في برنامج الدكتوراه من أجل أن أستطيع إنجاز ما شعرتُ أنه يحترق بحرارة داخلي. لقد صمّمتُ البرنامج الجديد من أجل العديد من طلاب الدكتوراه القادمين، وقد سجّل على الأقل اثنا عشر شخصاً فيه. كنتُ قادراً على أن أكون جزءاً من برنامج التدريب على الدكتوراه الذي ركّز على استخدام جلسات مُعالجة استشارية لمجموعات صغيرة من أجل تدريب الناس الذين كانوا يميلون في اتجاه احتضان مبادئ عمل «ماسلو» الرائد في التحقيق الذاتي. لم أَعُد أريد ببساطة

التماهي مع مُتطلبات درجة الدكتوراه، فلديّ تركيز ملأني بالشغف.

لقد أصبح «أبراهام ماسلو» رمزاً كبيراً في حياتي، وألهمني كي أنظر إلى علم النفس من منظور يختلف مئة وثمانين درجة. بدلاً من دراسة ما كان ضعيفاً، عاجزاً، أو محدوداً في العملاء، وصنع تخمين يعتمد على التغلب على الأمراض، بدأت أنظر إلى الصفات الأعلى في التحقيق الذاتي وأشجع العملاء «على نحو أساسي المُستمعين والقراء» على أن يطمحوا إلى عظمتهم الفطرية ويتوقوا إلى هذه الذرى. فكرت أنه لو كان البعض بيننا يستطيعون أن يحققوا ذاتهم، عندها أستطيع أن أكون كذلك أنا وأي أحد آخر ممّن فهموا أنّ الأمر مُمكن. لقد أصبح هذا هو التركيز الجوهري في حياتي المهنية، والبوصلة التي ضبطتها من أجلي كي أعيش المبادئ التي صوّرها «ماسلو» بدقة في كتابته.

لقد فضى د. «ماسلو» حياته يبحث عمّا يُشكّل الصحة الفكرية الإيجابية، بينما اهتمّ معظم ما جاء في علم النفس الذي درسته قبل مدخلي إلى كتاباته بالشذوذ العقلي والمرض. في دراسات الدكتوراه خاصتي وفي كلّ كتاباتي تقريباً، أصبحت فكرة تحقيق الذات وعلم النفس الإنسانية هي التركيز الأساس. لقد كان مُقدراً لي أن أنشر هذه الفكرة إلى كلّ شخص له القدرة على تنمية الروعة الخاصة به أو بها.

لقد شعرت طوال حياتي أنّ لديّ شيئاً فريداً داخلي، وعندما قرأتُ مقال «ماسلو» كنتُ أعرف أنني يجب أن أجعل هذا الأمر نقطة محورية لدراستي في الدكتوراه وما بعدها. أستطيع تذكّر إحساسي بالآلفة مع ما وصفه بخواص الأشخاص المُحققين لذواتهم. فيما بعد، عندما كنتُ أكتب «السماء هي الحدّ»، خصصتُ مقاطع بأكملها من أجل تعليم الأفكار التي كانت مُستوحاة من مُعلّمي الخاص الذي تحدّث إليّ من خلال مُحاضراته وخاصة كتاباته. لقد كتبتُ ما الذي تُريده حقاً من أجل أطفالك؟ كدليل للآباء الذين يُريدون أن يزدوا من عدد الأطفال المُحققين لذواتهم ويصبحوا كباراً تُوجّههم الإنسانية. كلّ ذلك استند على ما علّمني إياه ذاك الرجل.

توفي د. «ماسلو» إثر نوبة قلبية في الثامن من حزيران 1970، وقد تلقيتُ درجتي النهائية في اليوم نفسه، وأصبحتُ منذ ذلك اليوم أعرف بالدكتور «واين داير». كان ذلك وكأنه مرر عصا القيادة إليّ وقال: «لقد شرحتُ فكرة تحقيق الذات إلى العالم

الجامعي، خذ العصا الآن وعلم هذه الفكرة إلى الجماهير».

لقد ألفت الكثير من الكتب وأعطيتُ الآلاف من المحاضرات فيما بعد، ولكني لا أزال أرى نفسي ألتقى من عالم علم النفس، المجلد الثاني كتاب والد «نانسي آرسترونغ»، ثم أدع نفسي ألتقى الإرشاد من تلك القوى التي تعمل دائماً في كل جوانب حياتنا وفي كل الأوقات. لقد استمر هذا الكتاب كي يكون كنزاً قريباً على مكتبي بينما أجلس وأكتب بعد خمس وأربعين سنة.

هذه المجموعة من الملاحظات العميقة التي قدّمها بعض العلماء الأكثر محبة وتبجيلاً عندي، ألهمني كتابة نوع مشابه من الكتب أنتجته في التسعينيات سُمي the Wisdom of ages «حكمة العصور». كتبتُ ستين مقالة تعتمد على اقتراحات ستين عالماً بارزاً خلال القرون الخمسة وعشرين الماضية، وعن كيف أن تعاليمهم تستطيع التأثير في القارئ، حتى اليوم. لقد كان العديد من هؤلاء الناس الضليعين مُساهمين في الكتاب الذي تضمّن تلك المقالة عن تحقيق الذات لـ «أبراهام ماسلو». لقد أصبح كتاب «حكمة العصور» برنامجاً تلفزيونياً خاصاً عُرض في كل مكان من البلاد في الوقت الرئيس سنين عديدة، وشُهد من ملايين الناس. لقد حصل كل ذلك بسبب الأحداث التي حصلت في مكتبي سابقاً في عام 1968.

من الواضح جداً لي اليوم أن كل شيء، وكلّ حدث، وكلّ شخص، مُتصل بطريقة لا يُمكن تفسيرها. بل لا يوجد وقت، فعام 1968 وعام 2018 كلاهما واحد، على الرغم من أن تفكيرنا الجسدي يراهما مُنفصلين بفارق خمسين سنة. نحن جميعنا مُتصلون بكلّ شخص وكلّ شيء، في الكون. ما أفعله يؤثر في كلّ شخص، وكلّ أفكاره وأفعالي ليست مسموعة من «التاو» العظيم فقط، وإنما تصنع تأثيراً مُستقلاً عن حدود الزمن. أنا لا أستطيع البدء بإعطاء شرح خطي أو كتابي عن كيف ولماذا حصلت الأحداث الموصوفة في هذا المقطع، بيد أنني من هذه النقطة أستطيع أن أرى بوضوح أنها لم تكن فقط رحلة حياتي، ولكنها حياة الملايين من الناس الذين تأثروا بقراءتي لمقالة د. «ماسلو» بعد ظهر شهر أيلول.

اليوم، في أيّ وقت أشعر فيه أنني مُضطّر إلى فعل شيء ما «شيء أختبره بشغف» فأنا

أعير ذلك كلّ الاهتمام. عندما أُميّز أنه نداء من روحي، أعرف بالتأكيد أنه شيء يجب أن أفعله. إنه الإله يُناديني بطريقة فريدة وغامضة على نحو مُذهل. إنه ذاك النداء الذي انتبهتُ له والذي يدفعني كلّ يوم كي أكتب هذه المقالات القصيرة.

أنا مُنصل بك عزيزي القارئ، وعلى الرغم من أنّه قد لا يكون بيننا أيّ رابط مادي، إلا أنه هناك طاقة تتدفق بيننا. لا أحد بيننا يعلم ما التغيّر الذي قد يحصل من جراء هذه الطاقة، أو ما هو البُعد الذي سيصله مداها. أنا أعلم ذلك بالتأكيد كلما رأيتُ بوضوح أكثر فأكثر.



• إنها السنة الأخيرة من دراسات الدكتوراه. من أجل التدريب العملي، أنا أقود طلاب دكتوراه مُبتدئين في مجموعة استشارية بينما أقوم في الوقت نفسه ببحث من أجل نشر أطروحة الدكتوراه خاصتي.

الدكتور «جون فريند»، عضو جديد نسبياً في هيئة التدريس في جامعة «واين ستيت»، وهو أيضاً عضو في لجنة مناقشة رسالتي للدكتوراه. لقد حصل د. «جون فريند» على درجة الدكتوراه في جامعة «نيويورك»، حيث كان مُشاركاً في منهج للمشورة والعلاج سُمي «العلاج العقلي الانفعالي» المُدرّس من قبل «ألبرت إليس»، الذي كتب العديد من الكتب، وقاد ورش عمل وتدريب في معهد «ألبرت إليس» في الشارع الشرقي 65 في مدينة «نيويورك».

سَلَمَني د. «جون» كتاباً وقال: «أريدك أن تقرأ هذا الكتاب ببطء وإمعان شديد، لأنه سيبدّل آراءك عن كيفية مُساعدة الناس بطريقة مُستنيرة وجديدة». كان الكتاب الذي أعطاني إياه د. «جون» هو Guide to Rakonal living «الدليل إلى العيش العقلي»، واحد من أكثر من خمس وسبعين كتاباً ألفه د. «إليس» للعموم.

شعرتُ وأنا أقرأ الكتاب الصغير وكأنه يتحدّث إليّ، وكأنه لا شيء آخر في تدريبي وعملي الدراسي، لإذ يوضح كيفية قراءة الشخصية في مُصطلحات كيف تُساعد العملاء في تحقيق ذاتهم العليا. إنها الذات نفسها التي كتب عنها د. «ماسلو» على نحو مُقنع ومؤثر جداً. ما يجذبني أن د. «إليس» يأتي بالمواصفات من أجل تعليم الناس كيف

يُحققون قمة هرم «ماسلو» للاحتياجات: وهي التحقيق الذاتي.

إنَّ جوهر العلاج العقلي الإنفعالي هو الفهم الأساسي بأنَّ المُعتقدات غير الواقعية وغير العقلانية تُسبب مُعظم المشاكل العاطفية، وتكون مُهمّة المُعالج هي مُساعدة العميل كي يكافح ويُغيّر المُعتقدات غير العقلانية، ويتحدّى التفكير المُنهزم ذاتياً، ويُرَوِّج الحديث الذاتي العقلاني على نحو فعّال. إنَّ جوهر المُعتقدات غير الواقعية التي يحملها مُعظم الناس من فترة الطفولة إلى سنّ البلوغ والتي تُسبب الاضطرابات العاطفية تتضمّن:

- (1) يجب أن أُوَدِّي على نحو جيد كي أكون مقبولاً من قِبل أيّ أشخاص آخرين
- (2) يجب أن أعامل بإنصاف، وإلا فإنّها مُصيبة ولن أستطيع تحمّلها
- (3) يجب أن تماشي الظروف معي، وإلا فإنّ ذلك سيكون مُروعاً وسأكون بائساً وغير قادر على تحمّل ذلك.

أنا ألتهم هذا الكتاب وموضوعه الرئيس: نحن مسؤولون عن الطريقة التي نشعر بها، ولدينا في داخلنا القدرة على تغيير الطريقة التي نرى بها الأحداث في حياتنا. بلغة بسيطة منطقية يُقدّم د. «إيس» أدوات علاجية تُبرهن للعملاء والمُعالجين أنه ليس ضرورياً أن تكون مُضطرباً عاطفياً أو قلقاً. لقد أكّد على نحو مُتكرر أنّ الأفكار التالية: يجب أن أتعامل على نحو جيد، يجب عليك أن تُعاملني على نحو جيد، يجب أن يكون العالم كما أريده، أن يكون، هي أفكار عصابية جمعها تحت تصنيف «نزعة الوجود».

أنا مأخوذ كلياً بالبساطة والمنطق اللذين يُعلّمهما د. «إيس». أعدتُ تشغيل التسجيلات المُسجّلة له والتي يشرح فيها جلسات علاج الناس الذين يُعانون من كلّ أنواع الإضرابات العاطفية الخطيرة، وبدأتُ في استخدام هذه التقنيات مع العديد من عملائي في الجامعة وفي المدرسة الثانوية، وكانت النتائج مُذهلة.

لقد كنتُ أحاول عمل مشورة تتضمّن مُعالجة تتمحور حول العميل، ونظرية تحليل نفسي إذ أكون مُستمعاً تأملياً على نحو أساسي. إلى الآن، كنتُ أشعر بالإحباط من أجل عملائي، ومن أجل نفسي أيضاً، ولكن حالما بدأتُ أكون تفاعلياً، وأقدّم البدائل إلى عملائي، حدثت تغييرات إيجابية على الفور تقريباً.

أشعر أنني أكثر سعادة وأنتي قادر على أن أحدث نفسي بالفعل بعيداً عن بعض نماذج التفكير الدائمة التي لا تخدمني. أخذت هذا الكتاب معي أينما ذهبتُ وقرأته مرات ومرات، ودرستُ فيه المنطق ورأيتُ أنَّ معظم الاضطرابات العاطفية تحدث بسبب مجموعة من المُعتقدات الجنونية، والتي عندما تتغير ينتج عنها اختفاء حالة الاضطراب. أنا مأسور بكيفية نسج د. «إليس» لعاليم د. «ماسلو» عن التحقيق الذاتي، مع «بوذا» و«لاو تزو» وكلّ الفلاسفة الشرقيين، و«أبكييتوس» و«ماركوس أوريليوس» من العصور الرومانية القديمة. هذا الكتاب الصغير هو أكثر الكتب التي تفحصتها تأثيراً وقوة.

د. «فريند» الذي قدّم هذا الكتاب إليّ، لم يكن فقط عضواً في لجنة الدكتوراه، وعضو هيئة في دراساتي الاحترافية، بل أصبح صديقاً مقرباً كذلك. إنه يُعطيني الدليل «بل أكثر من ذلك»، يُعطيني الإذن كي أدخل في جدالات لطيفة مع عملائي حول طبيعة ما يُزعجهم، وأريهم دون خوف كيف أنّ تفكيرهم هو فعلاً السبب في اضطرابهم العاطفي. من أجل ذلك أنا أخبرهم: «غيروا تفكيركم، هاجموا المنطق الذي يدعم انزعاجكم المُستمر، غيروا فلسفتكم على نحو أساسي، وسوف تُحسنون كلّ شيء عن حياتكم. من خلال تغيير الطريقة التي تُعالجون بواسطتها أيّ حدث، بل كلّ الأحداث عندما تهض في حياتكم، تستطيعون أن تعيشوا حياة سعيدة مُنجزة خالية من الاضطراب العاطفي».

أخذتُ ملاحظات من هذه الطريقة الجديدة في مُساعدة الناس ومُساعدة نفسي، وجلبتُ هذا المنهج إلى تعليمي، مشورتني، جلسات تدريبي في الجامعة أثناء التدريب العملي، تشرّبته، عشتُ فيه. كتبتُ ملاحظات لنفسي عن كتاب أحبّ كتابته يوماً ما كتابته يجمع بين التحقيق الذاتي، ونظرية العلاج العقلي الانفعالي، والفلسفات الغربية والشرقية القديمة التي كنتُ أدّرسها قرابة عقد من الآن. أنا مُمتنّ كلّ يوم تجاه الدكتور «جون فريند»، الذي أحضر هذا الكتاب المُذهل إليّ، وأصرّ أن أقرأه ببطء وتمعن.

أنا الآن واضح جداً في الطريق الذي سيأخذه مُستقبلي الاستشاري، تعليمي، وكذلك كتابتي، بل أكثر من ذلك، أنا مُتحمّس لأنه لديّ أداة جديدة من أجل حياتي الشخصية، فلن ألوم أبداً بعد الآن أيّ أحد عن أيّ اضطراب عاطفي أختبره. لقد غادر اللوم حياتي.

أنا أعلم أنني لو غيّرت الطريقة التي أعالج بها أيّ حدث، وقد كانت لديّ هذه القوّة دائماً حتى عندما كنتُ طفلاً صغيراً، عندها أستطيع تصحيح نفسي مباشرة على الأغلب.

لقد وُضع كتاب «الدليل إلى العيش العقلي» بين يديّ للتوّ من قبل رجل تحوّل من كونه مُعلّمي وزميلي إلى أعزّ أصدقائي، فهو الرجل الذي أرسل إليّ على نحو دقيق في الوقت الصحيح من حياتي. بعد عدة سنين أخبرني «جون» أنه شعر بأنه مُجبر على نحو غير مفهوم على أن يُقدّمني إلى فكرة العلاج العقلي الانفعالي عندما كنت أحد طلابه في دراسات الدكتوراه. لقد كانت لديه رؤية أنها ستؤثر في كتاباتي المُستقبلية عندما غادرتُ المنطقة المألوفة في جامعة «واين ستايت» وباشرتُ بتنفيذ ندائي الاحترافي الخاص.

لقد حملتُ اقتباس «آلبرت إيلس» المُفضّل عن «ماركوس أوريليوس» في محفظتي سنوات عديدة، واستخدمتُ هذه الفكرة في كتاباتي وخطاباتي على مدى أربعين سنة: «إذا كنتَ حزيناً بسبب أيّ شيء خارجي، فإنّ الألم ليس بسبب هذا الشيء نفسه، ولكن بسبب تقييمك الشخصي له، وبهذا فإنّه لديك القوّة من أجل الإلغاء في أيّ وقت». هذا يُعتبر إلى حدّ بعيد مفارقة مع ما علمته المدارس السلوكية والتحليل النفسي، والتي قالت إنّ اضطراباتنا يُمكن اعادةتها إلى عوامل عائلية وثقافية، ونحن غالباً عاجزون عن التغلب على هذه التأثيرات الخارجية، ولذلك يجب علينا أن نتعلّم التعديل والعمل من خلال هذه الصدمات المُبكّرة.

لقد كنتُ غارقاً جداً في نوع التفكير الذي يقول إننا مسؤولون عن كيفية علاج الحدث الخارجي، إنه ما عرفتهُ حدسياً سابقاً في المدرسة الابتدائية عندما جادلتُ أصدقائي بالألا ينخدعوا بجهود الكبار من أجل السيطرة عليهم عاطفياً. لقد تمّ تعريفني الآن على طريقة ونظرية تفاعلية من أجل مُساعدة الآخرين كي يختاروا عظمتهم الخاصة. لديّ حالياً ثلاث مجموعات مُذهلة من الأفكار تنتشر داخلي: التعاليم الفلسفية العظيمة للشرق والغرب، مبدأ التحقيق الذاتي والعيش في مراحل رائعة وحقيقة خلق المُعجزات، نظرية ومنهجية لتأويل كل ذلك بطريقة عملية، من أجل أيّ شخص ومن أجل إحداث أيّ تغييرات مرغوبة والتغلب على أيّ من «بل على كلّ» العقبات المُتأصلة.

بدأت أفكر بتأليف كتاب في المستقبل يمزج كل هذه الطرائق ويكون جذاباً للجماهير. استطعت أن أرى أن هذا كان أكثر من مجرد The Power of Positive Thinking «قوة التفكير الإيجابي» لـ «نورمان فينسينت بيل» الذي قرأته للتو. لقد شعرت أنني امتلكت طريقة في تقديم الأفكار المنطقية بحيث يستطيع أي شخص راغب استعمالها في تغيير السلوكيات الانهزامية لديه والعيش انطلاقاً من عظمتة الخاصة. إنه يحتاج فقط أن يرغب بتغيير الطريقة التي يفكر بها، ويتصور نفسه قادرٌ على تفعيل عظمتة.

عندما أنظرُ إلى الوراء إلى الأشخاص والأحداث المُساهمة في تشكيل تفكيري، يبرز شخصان: أولهما «أبراهام ماسلو» وفكرته الجوهرية أن هنالك أشخاص بيننا يصلون إلى حالات سامية من الوعي ويعيشون حياة مُمتعة تُؤثر في العالم الذي يعيشون فيه والأشخاص حولهم. عندما قرأت «ماسلو»، أردتُ أن أكون أحد تلك الأرواح الجليلة التي سمّاها المُحققة ذاتياً. مع ذلك، آمن «ماسلو» كنتيجة لبحثه أن هذا الوضع السامي في أعلى هرم الاحتياجات كان محصوراً على قلة مُختارة. لقد أغلقت نظرية العلاج العقلي الانفعالي لـ «آلبرت إليس» الفجوة الموجودة في وعي حول من يستطيع أن يصبح مُحققاً ذاتياً.

بعد قراءة ودراسة «الدليل إلى العيش العقلي»، كنتُ مُقتنعاً أن هذا النداء النبيل مُتوفر للجميع. لقد أصبح واضحاً على نحو مُتزايد بالنسبة إليّ أننا ببساطة نحتاج أن نخرج فقط من طريقتنا الخاصة، ونتغلب على الظروف التي أصبحنا مُعتادين أن نُؤمن أنها تتحكم بكيف نُصبح حياتنا كما من المُفترض أن تكون. عندها بإمكاننا إعادة برمجة مبادئ أنفسنا والعيش من وجهة نظر جديدة. حالما نقضي على الأفكار الخاطئة، من المُمتع أن نبدأ باختيار عظمتنا الخاصة وهي حقنا المُتأصل منذ الولادة إذا رغبتنا في ذلك. أنظر إلى الخلف بامتنان عميق واحترام تجاه كل ما تعلمته من عمل د. «إليس»، بينما كنتُ على وشك إطلاق نفسي إلى عالم النشر والخطابة.

على الرغم من أنني لم أضاها نمطه العلاجي القاسي والصريح غالباً، إلا أنني كنتُ متأثراً بفخر بمنطق د. «إليس» وكل ما امتلكه كي يُعلمنا تجاوز العقبات العاطفية إلى

حياة تحقيق الذات. كنتُ أشعر أنّ ملاكاً حارساً همس في أذن «جون فريند» كي يضع ذلك الكتاب مُغيّر الحياة بين يديّ منذ خمس وأربعين سنة. منذ ذلك الوقت لم آخذ أبداً باستخفاف أيّ كتاب بدا وكأنه يظهر في حياتي، خاصة إذا شعرتُ بنوع من الطاقة الخاصة المُرتبطة بالكتاب في ذلك الوقت.

يعمل الإله بطرق خفية غير منظورة، وما يبدو أشبه بحدث غير هام، يُمكن أن يكون قوّة دفع إلى تحوّل هائل نتيجة لما يظهر على أنه فعل غير منطقي للعطاء. من هذه النقطة الهامة، أستطيع أن أرى أنّ هدية «جون» لي كانت إحدى تلك اللحظات السحرية التي غيّرت الحياة.



► أنا في الربع الجامعي النهائي من دراساتي للدكتوراه في عام 1970. أنا على لائحة إكمال كل المتطلبات الكثيرة لدرجة الدكتوراه. لقد اكتملت أطروحتي تقريباً، وسأقوم بمناقشتها في حزيران بعد حوالي تسعين يوماً تقريباً من الآن.

أنا في دورة متقدمة عن تشخيص ومراجعة الحالات المرضية، وهي مادة مطلوبة من أجل إكمال درجة الدكتوراه. هناك ستة طلاب في هذه الدورة يلتقون كل مساء خميس من السابعة إلى العاشرة. أستاذنا هو الرجل الأكثر شهرة في حرم الجامعة، وإنه لشرف حقيقة أن أكون جالساً معه. لقد أخذتُ مقررين دراسيين معه سابقاً ووجدته أكثر الأساتذة البارزين في سنواتي الثمان السابقة في تعليمي العالي.

أنا أعتبر نفسي محظوظاً في هذه الدورة، لأنها الدورة الأكثر طلباً في الجامعة، ويكون الدخول إليها بالقرعة لأنه هنالك العديد من مئات الطلبات وهي دورة تُقدّم مرة واحدة في السنة. أنا متأكد تقريباً أنّ مستشارتي د. «ميلدريد بيترز»، صديقة هذا الأستاذ المُقربة، قد فعلت شيئاً في الحقيقة كي أكون رابع القرعة المحفوظ.

نُقدّم كل أسبوع حالات دراسة إلى الناس في الدورة الجالسين حول طاولة كبيرة. يُقدّم الطلاب أفكارهم وتخميناتهم التشخيصية، ثم يُعطي الأستاذ بعد ذلك تقييمه. كنا نأخذ جميعنا الملاحظات بنشاط بينما يتحدث الأستاذ، وكنا في هيبة من هذا الرجل ذي الشهرة العالمية بسبب معرفته الواسعة وذكائه التشخيصي.

كان الرجل «بأحرف كبيرة» الذي يُدرّس هذه الدورة هو الدكتور «فريتز ريدل»،

والذي يُعرف بلقب «أبو التثقيف النفسي الحديث». لقد أصدر العديد من الكتب، أكثرها شهرة هي مجموعة «الأطفال الذين يكرهون» وكتاب «الضوابط من الداخل».

ولد د. ريدل في «كلوس»، «النمسا» في عام 1902 وحصل على درجة الدكتوراه في جامعة «فيينا»، ودرس مع «آنا فرويد» و«أوغست إيكورن»، وقد ترك «النمسا» في أواخر الثلاثينيات بسبب الاحتلال النازي وطريقة تعاملهم مع الطلاب عندما احتلوا البلاد. إنه يُعرف أيضاً بعمله مع الصبية الجانحين وتعليمه أن الحب والعاطفة هما مُتطلبان أساسيان في علاقة المُعالج مع المريض. تحقيقاً لتلك الغاية، أخذنا كي نزور منزلاً رائداً وجده في «ديترويت» كمرکز مُعالجة سكني للصبية الصغار التائهين نفسياً واجتماعياً.

لقد كبرتُ كي أحب هذا الرجل بطرق عديدة. إنه ينضح عاطفةً، ودائماً يُقدم المُتعة ويستخدم المزاح في عروضه التقديمية. لقد استبدت بي كتابته وأشعر أن لدي علاقة مُميزة جداً معه. لقد أخذني تحت جناحه، وكان يزورني على نحو مُتكرر كي نلتقي بمُفردنا معه ونناقش بعض القضايا التي أقدّمها في الدورة.

هنا في هذه الدورة الأسبوعية، تظهر العبقرية الحقيقية لهذا الرجل مساء كل يوم خميس. أنا كذلك أحبّ وقتي مع هذا الأستاذ العظيم الذي جلب بصيرة مُذهلة لكل حالة دراسة قدمناها في الدورة. كان يتحدث مع الإشارة إلى عمل «أبراهام ماسلو» ويُشجّعني كي أفكر بكلّ شخص بمُفرده على أنه كائن إلهي قادر على تحقيق الذات لو تَمّت مُعاملته بالحبّ والعاطفة، حتى ولو لم يكن يستحقّ ذلك. خلال الفصل بأكمله، أكّد د. «فريتز ريدل» على هذا الأمر على نحو مُتكرر: حتى ولو لم يكن يستحقّ ذلك.

د. «ريدل» رجل لا يُمكن التنبؤ به، معروف جيداً بحسّه الفكاهي غير العادي. لقد كانت صفوفه ودوراته مرحة دائماً ومُمتعة ويغلب عليها الالتزام بالحبّ والعاطفة أيضاً كعنصرين أساسيين من العلاقة العلاجية.

في منتصف الربع الجامعي، وجدنا هذه الكلمات مكتوبة على السبورة:

هذا امتحانك النصفى. لديك ثلاثين دقيقة كي تكتب إجاباتك التي ستُحدد إن كنت ستبقى في هذه الدورة المُتقدمة.

نظر إلينا نحن الستة، وكنا جميعنا جالسين هناك مع كتبنا الزرقاء المفتوحة، جاهزين بإخلاص من أجل الكتابة في مُدَّة ثلاثين دقيقة، وقد سلّمنا مقطعاً يقول:

وصل رجل مُحقق لذاته إلى حفلة عشاء يرتدي فيها كلّ شخص الزي الرسمي: فساتين السهرة، البذلات الرسمية وأربطة العنق، يلبس الرجل سروالاً، حذاء تنس، كنزة بأكمّام قصيرة، قبعة بيسبول. ماذا يفعل؟

نظر إلينا د. «ريدل»، وأخبرنا أنه سيعود خلال ثلاثين دقيقة، وغادر الغرفة فجأة.

نظرنا كلنا الستة إلى بعضنا نظرات فضولية، وبدأنا الكتابة بنظرات مُتَحيرة على وجوهنا. بعد ثلاثين دقيقة بالضبط، عاد مُعلّماً إلى الغرفة وطلب من كلّ شخص أن يقرأ بصوت مُرتفع ما كتبه. جميعنا قلنا الشيء نفسه إلى حدّ كبير، مُحاولين أن نبدو علميين ونسترجع ما تعلّمناه عن هذه فكرة التحقيق الذاتي: لن يُحمّل الأمر أكثر مما يحتمل، ولن يُعبّر عن نفسه، بل سيتصرف ببساطة وكأنه لا شيء يُضايقه. سينشغل بالمُحادثة وسيكون نفسه على الرغم من أنه ليس مُرتدياً مثل أيّ شخص آخر. لن يحكم على الحالة أو يشعر بالارتياح منها، لأنه لا يحكم على الآخرين أو على نفسه بالمظاهر. لن يكون مُتضايقاً من أنه مُختلف حقيقة، لن يعتذر أو يُبرر نفسه. كلّ كتبنا الزرقاء نقلت إلى حدّ كبير هذه الأنواع من الاستجابات لسؤال الامتحان النصفّي.

بعد أن استمع د. «ريدل» إلى كلّ واحد منا، التقط حقيبته الجلدية وضربها بعنف على طاولة الدورة بسُخط مُتكلّف وعصبية من إجاباتنا: «لقد رستم جميعكم في هذه المادة. لم تتعلموا أيّ شيء. كلّ ما كان عليكم فعله هو أن تكتبوا ثلاث كلمات على أوراقكم»، ثم أخذ طبشورته بيده، واستدار إلى السبورة، وكتب بحروف كبيرة: هو لن يُلاحظ. ثم ترك الغرفة خمس دقائق بينما جلسنا نبتسم بخجل ونُحدّق في بعضنا البعض.

عاد د. «ريدل» إلى الغرفة وجلس وأعلن أنه ليس هناك امتحان نصفّي حقيقة في هذه الدورة! أمضينا الساعتين التاليتين بمُناقشة الفارق الهائل الموجود بين الأشخاص الذين يُصنفون كأناس عاديين وأولئك المُحقّقين لذواتهم.

لقد كان الأمر جيداً أكثر من أربعين سنة منذ أن أخذتُ هذه الدورة، ولم أنس أبداً

الدرس في تلك الكلمات الثلاث التي كتبها د. «فريتز ريدل» على السبورة مساء يوم الخميس ذاك: هو لن يُلاحظ. لقد التصفت تلك الكلمات وأثرت بي بعدة طرق، وتوغلت في مع مرور الوقت، وبعد كل تلك السنين أستطيع أن أرى بوضوح الآن كيف اخترقت كتابتي، تعليمي، وروحي أيضاً.

يرى الناس المُحققون لذواتهم تجلي الإله في كل شخص يلتقون به، ويذهبون إلى ما وراء المظاهر. إنهم أصدقاء مع أي وكل شخص بغض النظر عن الطبقة، الثقافة، المُعتقد السياسي، العرق، الانتماء الديني. كما أشار «ماسلو»: «في واقع الأمر، يبدو دائماً وكأنهم غير واعين لهذه الاختلافات التي تبدو بالنسبة إلى الشخص العادي واضحة جداً ومُهَمّة».

عندما غادرت الجامعة وكنت أقود إلى المنزل في تلك الليلة، أخذت عهداً على نفسي أن هذا سيكون طريقي في الحياة. سأفعل كل ما أستطيعه كي ألغي أي أحكام أسستها على المظاهر. أكّد د. «ريدل» دائماً على ضرورة الاتصاف بالحب، القبول، المودة تجاه الجميع، في العلاقات العلاجية وفي حياتنا الخاصة. لقد اعتاد أن يقول لنا أن المُعالجة هي إمّا إلى الأفضل أو إلى الأسوأ، ولو كنا نحاول المساعدة ونحن في مستويات روحية أدنى من عملائنا، فلن نكون فقط غير قادرين على مُساعدتهم، بل سيتركون جلسات الاستشارة في حال أسوأ ممّا كانوا سابقاً.

بعد تلك التجربة لما سميتُه «امتحان النصف الزائف» أدركت أنني تعلمت من هذا التدريب الصغير أكثر ممّا قد أتعلمه من قراءتي أو بحثي. كانت هذه لحظة توقيع بالنسبة إليّ، أو ما قد سمّاه «فريتز»: «تجربة الذروة». في المدرسة الثانوية حيث كنت مُوظفاً، كان لي الفخر بأن أكون عضو هيئة التدريس الوحيد الذي لم يكن لديه أيّ أحكام تجاه أيّ من الطلاب. لقد كان المهوروسون، المُشاغبون، الهمجيون مُرحب بهم في مكنتي مثل الطلاب الذين يبدون كالنجوم اللامعة التي يُغلف منظرها ورائحتها وأداؤها هالة من التميّز الوردية. لقد توقفت عن مُلاحظة أيّ اختلافات بينهم، وبقي الشيء ذاته حقيقة في جميع تفاعلاتي. لقد زهوت دائماً بنفسي لأنني أتجنّب إصدار الأحكام ولأنني مُتحرر من التحيز، ولكنني أدرك الآن أنني كنت ألاحظ المظاهر على نحو كبير.

من خلال سنواتي الجامعية واجهتُ الكثير من سلوك تفحص الحركات علي جزء من الكلية وزملائي الطلاب وكان حافزي أن أكون مُختلفاً، وبطريقة ما كنتُ أعرف الأمر على أنني أفضل. لقد كانت مُقابلة «فريتز ريدل»، هذا النجم الروحاني العالمي من «النمسا»، نوعاً من تجربة الذروة بطريقة مُعاكسة. كنت مُتيمناً بحضور حقيقة هذا الرجل، وأحببتُ مُحاضراته كثيراً، حتى أنني حضرْتُها في الحقيقة عندما لم أكن مُسجلاً في تلك الصفوف. كنتُ أتعلّم منه من تواجدي في حضوره فقط، فطاقته العالية كانت مُؤثرة جداً. لقد جعلني أريد أن أكون مُعالجاً أفضل، ومُعلّماً أفضل، والأكثر أهمية، إنساناً أفضل. لقد كان ذاك الرجل الذي يهتمّ بالناس، وخاصة المظلومين. لقد أمضى مُعظم وقته في الوصول إلى المُحتاجين وإلى أولئك الذين وُصفوا بالجانحين.

لقد كانت دروس د. «فريتز ريدل» واضحة من خلال كلّ كتاباتي، وبعد سنة من عام 1971، مع إصدار كتابي التدريسي الأول. لقد كان بارعاً سواء كان الأمر أمام مجموعة من ألف طالب في قاعة مُحاضراته الكبيرة، أو مع مجموعة من ستة طلاب دكتوراه، أو حتى خلال مُحادثة خاصة في مكتبه. لقد أحبّ عمله، وأحبّ موضوعه، وأحبّ بحق أولئك الذين كان يرى أكثر من أمرين سلبيين عندهم.

لقد رأى حقيقة العظمة الكامنة في كلّ شخص، وكان دائماً بعيداً عن الخارج، يُمعن النظر في ذلك الفضاء الداخلي حيث تقوم الروح بالعمل. لقد كان عملاقاً من الإنسانية، ورجلاً أردتُ مُحاكاته بطرق كثيرة جداً. لقد علّمني أحد أعظم الدروس في حياتي: «أن أرى تجلّي الإله في كلّ شخص، وعندما يتعلّق الأمر بالمظاهر الخارجية، أن أكون مُعلّماً إنسانياً لا يُلاحظها حتّى».

أنا دائماً مُمتنّ كثيراً تجاه حضور هذا الرجل في حياتي، وتجاه الطريقة التي أرى فيها بوضوح أكبر وأكثر بسببه. فلتُرقد بسلام، يا مُعلّمي الحبيب.



• إنه عام 1971. لقد استمتعتُ طوال السنوات الأربع الماضية بالعمل كمُستشار في مدرسة ثانوية رائعة، حيث كنتُ أحياناً أقوم بدور المدير بالنيابة. كان مُرتبي مُرضياً، وكنتُ أستطيع أن أزيد دخلي عن طريق اعطاء برنامج المُرشد في التعليم في المساء وفي أيام العطل.

لقد أكملتُ جميع مُتطلبات درجة الدكتوراه، وكنتُ أستطيع أن أبقى بسهولة في «ديترويت» كي أمارس المهنة بمُستقبل رائع. لو بقيتُ هنا كنتُ ترأستُ القسم الاستشاري في النهاية، وحصلتُ على عمل اضافي يعود عليّ بمردود أكبر من عملي بدوام كامل، وزادت السعادة بكوني أستاذاً مُساعداً في جامعة «واين ستيت» بدوام جزئي. كنتُ أدرّس صفوف التخرّج من الجامعة مرة في الأسبوع، وكنتُ أحبُّ شعور أنني البروفيسور «داير». لقد كنتُ منذ وقت قصير طالباً جامعياً جديداً، أطوف حول الحرم الجامعي مُحاولاً اكتشاف إجراءات التسجيل المُربكة في الجامعة التي تضمُّ أكثر من خمس وأربعين ألف طالب، أما الآن فقد مُنحتُ درجة «البروفيسور»، مع كلّ المزايا المُرافقة لمنصب رفيع كهذا «كنتُ أشعر أنه رفيع بالنسبة إليّ على الأقل».

لقد درّستُ في جامعة «واين ستيت» بدوام جزئي في الأرباع الجامعية الأربعة الماضية، ولديّ علاقة جيدة مع رئيس القسم. كانت تقييماتي رائعة وتقدّمتُ إلى منصب بدوام كامل، ولكن لم يكن يُوجد شاغر في هذا الوقت. كنتُ أيضاً مُسجلاً

على قائمة التعيين «حالمًا يوجد شاغر» كأستاذ في جامعة كبيرة في «ويسكونسين». اتصل بي رجل نبيل اسمه «بوب دويل» كي يُخبرني: «لقد حصلت على عرض كي تشغل منصب تدريس بدوام كامل كأستاذ جامعي مُساعد في جامعة «سانت جون». هل ترغب بالانتقال إلى مدينة نيويورك؟». كنتُ أعرف بالتأكيد أنني أريد أن أدرس في مُستوى كلية، الأمر الذي كان يعني أنني على أعتاب فرصة كبيرة، وقرار حياتي رئيس. لقد كان قبول هذا العرض من د. «دويل» رئيس قسم الاستشارة التعليمية في جامعة «سانت جون»، يُمثل إلى حدّ بعيد صراعاً بالنسبة إليّ.

لقد كانت «ديترويت» هي المكان الوحيد الذي عرفته في حياتي، ما عدا سنواتي الأربع التي قضيتها أجوب العالم في البحرية. كانت «ديترويت» هي المكان الوحيد الذي أسميته وطنًا. أنا مُتزوج ولدي ابنة عمرها أربع سنوات، ويعيش أخواي وأمي أيضاً هنا. لم تكن زوجتي مُتحمسة بشأن اقتلاع نفسها من عائلتها والانتقال إلى مدينة بعيدة. كانت زوجتي تعمل مُساعدة طبيب أسنان، وتكسب مالاً جيداً، وكانت هي أيضاً تعرف «ديترويت» فقط كموطن لها على مدى إحدى وثلاثين سنة من حياتها.

كنتُ أعلم أنني أدعى إلى مرحلة جديدة في حياتي، والتي كنتُ أعمل في اتجاهها منذ قررتُ الدخول في الحياة الجامعية، ولكن كان هناك جزء مني يُريد البقاء حيث أنا، كي أعمل في البيئة التي طالما كانت مألوفة بالنسبة إليّ. كنتُ أتصارع مع هذه المُعضلة كل يوم. كنتُ أعتبر انتقالي إلى مكان لا أعرف فيه أيّ أحد، مُقابل مرتب أقلّ بكثير ممّا أكسبه الآن من أجل مُتابعة حلمي، أمرٌ يعتبره كل شخص غيري خياراً أحمقاً. كنتُ مُرتبكاً ليلاً ونهاراً، وكان لديّ أيام قليلة فقط كي أقرر وإلا فإنتي العرض.

كان سوق العمل ضيق جداً في هذه المرحلة من الوقت، وكانت هنالك فرص قليلة في الجامعات من أجل الأساتذة في أيّ مكان في البلاد. لم يكن هنالك أحدٌ يحصل على وظيفة، وها أنا لديّ عرضين في جعبتي بعد مُقابلة واحدة فقط مع كلا هاتين المدرستين الهامتين. كنتُ أشعر بالسعادة، ولكنني أعيش الصخب الداخلي كل يوم. كنتُ في حال فوضى بسبب ترددي وشكّي، وكان الشيء الأسهل فعله أن أخبر نفسي: إنس أمر تغيير

الأماكن، فهو مُجهد جداً، بالإضافة إلى ذلك، لديك كل شيء يمشي في طريقه في «ديترويت»، فلماذا تُفسد كل هذا عن طريق اقتلاع نفسك وعائلتك كي تتبع حلمًا هو ببساطة صعب التحقيق إلى حد كبير؟.

المعضلة الثانية التي واجهتها بشأن اختيار العرض التدريسي هي امتلاك الجرأة الكافية كي أقرر في النهاية أنني سأرتحل بعائلتي، وأفعل هذا الشيء الذي يُسبب لي الكثير من الضغط. أنا مُعتاد جداً على الغرب الأوسط، ومدينة «ويسكونسن» أكثر قرباً إلى بلدتي من مدينة «نيويورك» البعيدة. عرضتُ مُعضلتي على مُديرتي في المدرسة الثانوية، فأضافت المزيد من القلق إلى الوضع من خلال عرضها أن تُقدّم لي زيادة كبيرة في الراتب لو فكرتُ في البقاء في منصبي الحالي. الآن عليّ أن أقرر هل سأعمل كبروفيسور في الجامعة، وإلى أيّ مدينة سأذهب، أم يجب عليّ فقط أخذ تلك الزيادة الكبيرة في الراتب ونسيان أمر كلّ الحماقات الأخرى كي أصل في النهاية إلى الاستقرار مرة وإلى الأبد؟ بدأ الوقت ينفد، ويجب عليّ أن أتخذ قراراً حتى يوم الغد.

ذهبتُ إلى غرفة شبه خصوصية في مكتبة الجامعة كنتُ أستخدمها يومياً تقريباً خلال سنوات دراساتي العليا، حيث أستطيع الدخول إلى مكان هادئ، داخل نفسي والتأمل ساعة أو أكثر. عندما عدتُ فجأة إلى الوعي العادي، وجّهني صوت داخلي كي أعبر الشارع وأتحدث مع الدكتورة «ميلدرد بيترز». لقد كانت معي كلّ الطريق خلال دراساتي الدكتوراه، وأعادت ترتيب منهج برنامج الدكتوراه من أجلي في السنوات الأربع الماضية، وكانت مثل الوالدة والدليل بالنسبة إليّ.

ذهبتُ كي أرى «ميلي» وأشرح لها ماذا يحدث. استمعتُ إليّ بطريقتها الجميلة والحنونة وسألتني سؤالين حلاً كلّ مُعضلتي حقيقة على الفور: «هل ستكون قادراً على العيش مع نفسك «واين» إذا لم تأخذ الخيار الذي يُمثل التحدي الأكبر؟ إنه الشيء الذي تفعله دائماً، إنه نداؤك، لماذا أنت في حرب مع ذاتك العليا؟».

أنا أدرك أنّ السبب الوحيد في مأزقي هو أنني سمحتُ للخوف أن يحتلّ عالمي الداخلي. لطالما عرفتُ في قلبي وأكّدتُ أنا مُعلّم. أنا أحبُّ أن أكون أستاذاً جامعياً. لقد عرفتُ أنّ ذلك قدرتي منذ الوقت الذي ذهبتُ فيه إلى مُقابلتي الأولى مع «بوب دوبل»

في المؤتمر الوطني لجمعية التوظيف والتوجيه الأمريكية في الربيع. لقد عرفتُ أن درجة التدريس الجامعي ستعرض عليّ حتى قبل مُقابليتي، ولو كان عندي أيّ شك، فقد زال بعد لقائنا الأول معاً.

لقد كان الأمر محسوماً، بيد أنني في تفكيري بدأتُ بصنع مُصيبة حول العواقب المُحتملة من تركي ما كان مألوفاً جداً بالنسبة إليّ. كتبتُ مقالة عمّا أسميته «الخوف من المجهول»، حيث كنتُ هنا الآن أعيش ذاك الخوف بدلاً من الثقة في الشعور المُحبب الذي اختبرته عندما تصورتُ نفسي أستاذاً جامعياً في مدينة «نيويورك».

عندما ذكرتني «ميلي» أنني أحبُّ فكرة التحدي، أدركتُ أن ذلك بالضبط ما تُمثله «نيويورك» بالنسبة إليّ. سمعتُ داخلي كلمات الأغنية الشعبية التي تقول: «إن استطعتُ فعلها هنا، فسأفعلها في أيّ مكان». إنه شعور شاطح، فمدينة «نيويورك» هي التحدي الأكبر الذي أستطيع أخذه. إنها التفاحة الكبيرة، وأنا ذاهب كي أفعلها هناك!.

اتصلتُ بزوجتي من هاتف «ميلي» وسألتها هل تُريد القيام بهذا معي. كانت مُترددة ولكنها مُوافقة، لأنها تعرف أنه شيء يجب أن أقوم به.

بعد شهرين من ذلك كُنّا نعيش في «نيويورك». أنا في أكبر مدينة في البلاد أعلم طلاب درجة الماجستير في قسم الاستشارة والتوجيه التعليمي أثناء الدورة الصيفية. أنا مُتحمّس كي أحصل على مكتبي الخاص، وجدول كامل من الصفوف، وموقف خاص لسيارتي!. لقد كان تركي الحياة الوحيدة التي عرفتُها خلفي أحد أكبر التحديات في حياتي. لقد تجولتُ في المجهول، وأنا مُتحمّس لأنني في النهاية استجمعتُ الشجاعة كي أترك المألوف خلفي.

أذكر أن جدي كان يعمل في المصنع نفسه، ويعيش في الشارع نفسه مُدّة حياته بأكملها، ومع ذلك أستطيع لمس ذلك الشعور العميق داخله بعدم الانجاز أو التحقيق. استرجعتُ فكرة العمل كمُعَلِّم في «ديترويت»، وإجراء مُحادثة مع صديق يُخبرني أنه تبقى لديه ثلاث عشرة سنة فقط من العمل في المدرسة ثمّ يستلم ساعته الذهبية وفوائد تقاعده. استرجعتُ الشعور السقيم الذي شعرتُ به عندما فكرتُ بفعل الشيء ذاته ثلاث عشرة سنة كي أتقاعد براحة فقط.

أنا مسرور جداً أنني صنعتُ هذا التحوّل العملاق في حياتي. إنّ الحياة هنا في مُجملها غريبة جداً عني، حركة السير، العادات، اللهجات، الصخب، وضجيج كل ذلك، بيد أنني في سلام وأعلم أنني أستطيع فعلها هنا.

عندما أنظر إلى الوراء إلى تلك الأيام عندما شعرتُ بكثير من التوتر الداخلي أكبر من قدرتي على صنع القرار من أجل ترك المؤلف والتوجّه نحو المجهول. أستطيع أن أرى بوضوح أنه كان هناك شيء قوي جداً يعمل داخلي لا يُمكن تجاهله. أتيتُ هنا مع موسيقا أعزفها، وفكرة الوصول إلى نهاية حياتي والموت مع هذه الموسيقا بقيت تدوي داخلي على نحو أكبر ممّا أستطيع تحمّله. أنا أثق بهذه المشاعر الداخلية وأؤمن أنها تتضمن نوعاً من الإرشاد الإلهي الذي في هذا المثال أرسلني إلى الدكتور «بيترز».

عرفتُ «ميلي» بدقة ما تقوله لي في ذلك الوقت، وكأنها هنا تُوجّهني وأنا أكتب هذه الكلمات. أشعر بحضورها كل يوم تقريباً، تبسم لي على الرغم من أنها تركت هذا العالم المادي منذ سنين عديدة. لقد علمتُ أنه كانت لديّ رسالة روحية كبيرة في الحياة وأني يجب أن أعيشها: في الحقيقة، كانت غالباً تُخبرني أنه لديّ نوع من العظمة داخلي وأنه مُقدر لي أن أكون صوتاً كبيراً من أجل التحوّل في عالمنا. في الحقيقة إنها الآن ملاك أتحدّث إليه عندما يكون لديّ قرارات كبيرة عليّ اتخاذها، وأعلم أنها كانت ملاكاً راسخاً من أجلي طوال سنواتي كطالب دكتوراه في الستينيات.

أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنّ هناك ملائكة أو صيّا يظهرُون في حياتنا في أوقات مصيرية. من هذه النقطة من الواضح بالنسبة إليّ ولو أنني لم أدرك ذلك حينها، أنّ الدكتور «ميلدريد بيترز» أرسلت إليّ بواسطة قوى إلهية علمتُ أنني سأحتاج إلى نور يُوجّهني أثناء اتخاذ القرارات الكبيرة في حياتي. لقد استرجعتُ مرات عديدة كيف فكّرتُ بالتراجع عن أفكار السامية، بينما كانت «ميلي» تظهر وتُوجّهني في الاتجاه الصحيح الذي يتطلبه قدرتي.

في ذاك اليوم من عام 1971 كنت في اضطراب داخلي حول أين سأذهب وكيف سأجعل كلّ ذلك يحدث، بينما تلك المرأة التي أحلف أنها امتلكت قدرة النظر إلى

المُستقبل، أبعَدَت كلَّ تحفظاتي بنظرتها الثاقبة ووضعتني على الطريق المُستقيمة. كانت نتيجة ذلك القرار حتى هذا التاريخ واحد وأربعون كتاباً منشوراً، عشرة عروض في التلفزيون العام، وأكثر من ألف مُحاضرة للعموم، والمئات من البرامج المُسجلة التي ساعدت الملايين من الناس في تحسين حياتهم. أستطيع أن أراها كلّها من هنا، مثلما أرى «ميلي» تبسم لي الآن. لقد كنتُ سعيداً ليس فقط بأن أحظى بمُستشارة مُحترفة قديرة للغاية، ولكن بوجودها جانبي بقية أيام حياتي.

هنالك شيء ما أعرفه اليوم ولم أكن واعياً له في السنوات الأربعين الماضية وهو التعليم المُكتسب من دورة في المُعجزات. تُعلِّمنا هذه الدورة أن نصنع قرارات عن طريق سؤال أنفسنا: «هل أقوم بفعل هذا بدافع من الخوف أو الحب؟»، عندما نكون في حالة خوف، فلا مكان للحب، وعندما نكون في حالة حب، لا مكان للخوف. عندما أزلتُ الخوف من عالمي الداخلي، شعرتُ بشعور عميق من السلام. بكلمات أخرى، كنتُ قادراً على أن أنطلق من الحب. كنتُ قادراً دون خوف على النظر إلى مدينة «نيويورك» على أنها مُغامرة عظيمة أكثر من كونها شيئاً مُفزَعاً.

إن الخوف هو مُمارسة عقلية واستجابة اعتيادية بقيت في العقل الباطن من الطفولة المُبكرة، تظهر عندما نستيق المجهول. أعرف من منظوري الآن أن الحب هو ما يتبقى عندما أدع الخوف يرحل. لقد طبَّقتُ هذه الحكمة من «دورة في المُعجزات» في اتخاذ قرارات هامة خلال حياتي. عندما يأتي شعور الشدّ والدفع والذي يتضمّن التردد والشك، أذكر نفسي أن القلق هو استجابة شعورية، وهو قادم لا بُدَّ إما من الحب أو من الخوف، بيد أن الحب غير مُجهد، ولذلك فإن من يتحكَّم الآن هو الخوف. ثم أذهب ببساطة إلى مكان مُحبب داخلي، فيتبدد التردد. لقد وجدتُ أنني لو تركتُ نفسي تهدأ وتأمل في القضية، فإن التوجيه المُحب سيظهر، ولقد كان هذا التوجيه الحبيب بالنسبة إليّ يأخذ غالباً شكل شخص له وجود سماوي في حياتي.

من الواضح من بعيد حيث أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنه كان عليّ أن أذهب إلى مدينة «نيويورك». بينما لو ذهبتُ إلى «ويسكونسن» أو بقيتُ في «ديترويت»،

لاختلفت حياتي بل وحياتك أيضاً عما هي عليه اليوم. لقد سمح لي قهر الخوف أن أتبع حلمي عندما ظهرت تلك العوائق الفكرية.

أنا أعيش حسب القول المأثور القديم الذي فهمته بصدق اليوم: «قرع الخوف الباب، فأجاب الحب، ليس هناك أحد». لقد لاحظ شخص من أعظم مُعلّمي وهو «رالف والدو إيميرسون» ذات مرة: «ينتصر مَنْ يُؤمن أنه يستطيع»، و «لم يتعلم درس الحياة بعد مَنْ لم يعلو على الخوف كل يوم». في ذلك اليوم، تعلمت واحداً من أعظم دروس الحياة.



• أنا أستاذ جامعي بدوام كامل، أعلم طلاب مُتخرّجين في جامعة «سانت جون». هذه سنتي الثانية، وما أزال أحبّ البقاء في هذا العالم الجامعي. أنا حرّ في تعليم صفوفي كما أختار، وأدرّس غالباً مُعلّمي المدارس المُهمّتين بأن يُصبحوا مُستشارين مدرسين، وأشرف أيضاً على خمس أو ست طلاب دكتوراه كمُستشار لهم وأوجّه أبحاثهم نحو أطروحات الدكتوراه. أنا أمتلك مُمارسة استشارية خاصة كذلك، وأمضي الجزء الأعظم من وقتي في كتابة مقالات من أجل الصحف المُتخصصة.

أخبرني رئيس قسمي الدكتور «بوب دويل»: «من أجل أن تتلقّى ترقية وتحصل على منصب أساسي، عليك أن تُظهر كفاءتك الجامعية عن طريق النشر في صحف مُتخصصة وكتب جامعية». إنه عام 1973، وأنا جزء من نظام يُعرف بـ «انشر أو تهلك». إذا لم يكن لديّ أرصدة من المنشورات سأخسر عملي، وأعمالي التخصصية هي أدنى من مُعدلها المُعتاد.

أقوم بنوع من الكتابة كرهته عندما كنتُ طالباً جامعياً جديداً، عندما كنتُ أكتب بنمط الجمعية النفسية الأمريكية من أجل أن أُرضي مُساعد مُعلّم مُتخرّج في مادة الإنكليزية 102. كنتُ أريد أن أكتب إلى الجماهير، وأن أنشر كتيبي الخاصة عن عيش حياة تحقيق الذات، وكان لديّ مليون فكرة تجري في دماغي عمّا يُمكن أن يصنع الكتاب الرائع والأفضل مبيعاً. أنا مُنجذب على نحو خاص إلى كتابة كتيب يدعو الناس الذين يرون أنفسهم أناساً عاديين كي يخلقوا رؤية جديدة لأنفسهم. أريد أن أشجّع القراء

كي يكشفوا إمكانياتهم من أجل عيش مستويات استثنائية من الوعي. لقد كتب الدكتور «ماسلو» عن هذه الإمكانية في كتابه «نحو علم نفس الوجود»، الذي نُشر منذ عقد مضى، والموجود دائماً معي في حقيتي الجلدية. بالإضافة إلى ذلك، أرسل بإخلاص مقالات إلى العديد من الصحف، وأجمع سيرة ذاتية مثيرة للإعجاب من الكتابة المحترفة.

تقدّمتُ إلى ترقية لمنصب مُساعد أستاذ جامعي بعد إنهاء سنتي الجامعية الأولى، ولكن تم رفض ترفيتي، إلا أنني تلقيتُ التشجيع من اللجنة التي تأخذ في عين الاعتبار طلبات كهذه كي تُتابع في المجال نفسه. أنا مُحبط من نوع النشاط هذا في حياتي. أنا أُحبُّ مسؤولياتي في التعليم، وأنا محبوب من الطلاب. لقد وضعتُ قسطاً عظيماً من الحبّ والجهد في نشاطي التعليمي، فأنا أُحبُّ أن أكون أمام صفٍّ. أنا أمارس العهد الذي قطعته على نفسي منذ عقد مضى، عندما جلستُ في كثير من المحاضرات الرتيبة، وأفعل كل ما أستطيعه من أجل جعل صفّي يُصبح نشطاً ويتمتع بالحيوية. أنا أستخدم المرح والنكات، وأعرض نوعَ الاستشارة التي أُحبُّ أن أرى طلابي المُتخرّجين يُمارسونها. أنا أُحضّر أشرطة تسجيل لمُعالجين مشهورين وأجعل صفّي مكاناً ممتعاً عموماً. لقد كان حجم صفّي ثلاثين طالباً تقريباً، ولكن لم يكن من النادر أن يظهر لديّ ستون شخصاً في الصفّ، لأنّ صفّي كان يجذب العديد من الضيوف المدعوين من طلابي المُتخرّجين.

بدأتُ بتسجيل مُحاضراتي عليّ أشرطة تسجيل، وكنتُ في خلفية تفكيري أعلم أنّ المادة التي أدرّسها والنظريات التي أوظفها ستجذب الجمهور العام، بالإضافة إلى مُعلّمي المدراس الراغبين في أن يُصبحوا أساتذة جامعة مُساعدين في مجال الاستشارات. كنتُ أريد أن يكون لديّ تسجيل لهذه المُحاضرات الرائجة من أجل استعمالها الشخصي عندما أكون جاهزاً كي أكتبها، بدلاً عن النشرات الدورية المكتوبة المُملّة. كنتُ أتأمل فعل ذلك في المُستقبل القريب.

أُكملتُ سنتي الجامعية الثانية، وفي هذه المرة قرّرت لجنة الترقية أنني جدير بلقب أستاذ جامعي مُساعد. شاركتُ في التأليف مع زميلي في «ديترويت» الدكتور «جون فريند»، فألفنا كتاباً مع مجموعة من الأساتذة الجامعيين الآخرين بعنوان counseling

Effective in groups «الاستشارة الفعالة في مجموعات». أنا الآن كاتب ناشر، وقد سمح لي رصيد النشر هذا بأن أدعى «أستاذ جامعي مُساعد في علم النفس الاستشاري». في السنة التالية ألّفت كتاباً جامعياً آخر مع «جون»، نُشر من قبل صحيفة جمعية الإرشاد والتوظيف الأمريكية، وهي الجمعية المُحترفة للعلماء والمُحترفين في هذا المجال، وهي مُنظمة مرموقة ضمن المجتمع الجامعي. كان الكتاب بعنوان Counseling techniques that work «تقنيات الإستشارة الفعالة»، وكان من المُتوقَّع أن يُلاقى قبولاََ حسناً إذ أنه كُتِبَ مطلوب في فصول التخرج في الدراسات العليا في كل أرجاء البلاد.

أنا مشغول بكتابة كتاب دراسي ثالث وافقْتُ على التعاون في كتابته مع «جون فريند». أنا أكتب بانهماك في كل لحظة فراغ، وأرسل المُسوّدة الكتابية الأصلية مقطّعةً بمقطّع إليه من أجل التحرير، ولكنني لم أستطع حمله على الاستجابة، فقد أصبح «جون» أكثر انشغالاً بسبب إدمانه على الشرب. عندما كنتُ أتصل به من أجل مُناقشة المُسوّدة الكتابية، أجده في الغالب غير مُتماسك ويتحدّث بنوع من الحديث المخمور الذي أذكره من أيام زوج أُمِّي منذ سنوات كثيرة مضت.

كُتِبَ الكتاب بأكمله والذي كان بعنوان Group Counselling for personal mastery «الاستشارة الجماعية في الإتقان الذاتي»، ولكنني لم أستطع جعل الرجل الذي وافقْتُ على الكتابة معه يتعاون معي فيما اعتبره جدولاً حساساً. قررتُ أنني لا أريد أن أكون في موقع الاعتماد على شخص آخر من أجل إكمال كتابتي بعد الآن. أنا الفعل الوحيد ولن أقيم شراكة بعد الآن مع أي أحد.

تخلّيتُ عن فكرة نشر هذا الكتاب في هذه الفترة، وبدأتُ أركّز كلَّ طاقتي الذهنية على تأليف كتابي الخاص، ليس من أجل المجتمع الجامعي، بل من أجل الجمهور العام. لقد قرأتُ لـ «ديل كارنيغي»، «نابوليون هبل»، «نورمان فينسنت بيل»، وشعرتُ أنني أستطيع تقديم كتاب يذهب أبعد من إلهامهم ونُصحهم. لقد أُحِبْتُ وأعجبتُ بكل هؤلاء الرجال وبما قدموه، فأنا أراهم رُواداً في نادٍ ساحرٍ أنوي الانضمام إليه.

كُتِبَ ثلاثة كُتُبات، لم يُنشر الأخير منها بعد، ولكنني أعرف أنه سيُنشر يوماً ما.

كتبْتُ حوالي خمس وعشرين مقالة ظهرت في صُحف تخصصية، كما أنني شاركتُ في إنتاج اثنا عشرة سلسلة على شريط كاسيت بعنوان «استشارة الجماعة في الإتقان الذاتي». لقد شعرتُ أنَّ هذه المرحلة من رحلتي قد اكتملت، وأنَّ رؤيتي قد تغيَّرت.

كان العالم الجامعي بما يخصَّ التحفيز والمُكافأة، يُصبح غير كافٍ أكثر فأكثر. أنا أحبُّ الصفَّ والطلاب، بيد أنَّ سياسات الحياة الجامعية تركني جامداً. لقد كانت اجتماعات اللجنة، سياسات المكتب، الضغوط من أجل تولي منصب، المُتطلبات الإدارية التي تبدو سخيفة، وجبل من العمل الورقي والمُلاحظات في صندوق الداخلي، جميعها تُخمد جوهر إبداعي. لقد انتهيتُ من الكتابة التي تتوجَّه إلى جمهور محدود، والتي أقرم بها من أجل منزلة أو ترقية، بدلاً من أن أقوم بها كي أُحقق الإنجاز والرضى الذاتي. كنتُ أشعر أنني أُخمدتُ في نواح عديدة من الحياة، وأدرك أنني أحتاج أن أخرج بعيداً عن هذه البيئة على نحو مُؤقت.

أنا أعلم أنَّ عملي خرافي وقد يُقدِّم البعض أيَّ شيء من أجل الحصول عليه، ولكنني شعرتُ أنني أنادي إلى فصل جديد في حياتي. كنتُ أعرف الإشارات، وأعلم أيضاً أنني لا أستطيع تجاهلها دون دفع ثمن باهظ، وتذكَّرتُ أنني قرأتُ سؤالاً يُنادي ضميري الآن: هل عشتُ خمس وسبعون سنة، أم عشتُ سنة واحدة خمس وسبعون مرة؟.

كنتُ على أعتاب نقلة وتحول لا أستطيع ولن أتجاهلهما، ولم أكن أريد فعل الشيء نفسه مراراً وتكراراً، مُجمَّعاً سيرة ذاتية من التكرار. كنتُ أريد أن أتوسَّع، وأحتاج أن أمرَّ خلال الكثير من التجارب. كنتُ أحتاج على نحو خاص أن أكون حُرّاً من التفاهة، ومن المُتطلبات غير المُشوّقة التي فُرضت عليّ بالضرورة كوني حاصل على امتياز الأستاذ الجامعي.

عندما أنظرُ إلى الخلف بذاكرتي إلى السنين التي كنتُ فيها أستاذاً جامعياً، أعرف الآن كم هو مُهمُّ أن تتجنب شرك تقييم النجاح والسعادة على أساس المقاييس الخارجية.

لقد حصل كلُّ شيء في صالحي منذ البداية وحتى بلوغي مُنتصف الثلاثينيات، فقد حصلتُ على عمل وكنتُ على نحو مُؤكَّد سأحصل على منصب، والذي يعني عملاً مضموناً في الحياة في مهنة تعتبر مثل هذه الضمانيات شيء نادر. كانت لديَّ تقييمات

عديدة من جميع طلابي ومن المُشرفين في الجامعة، وكان عميد الجامعة يذكرني على نحو مُتكرر بكثير من التقييم والتقدير من أجل التميّز الذي كنتُ أجلسه للجامعة. لقد جمعتُ سيرة نشر ذاتية أحسد عليها، مع عقود كتيبات مُستقبلية موجودة على مكتبي في انتظار توقيعي. وكان لديّ نظام عمل يتمتع بأقصى قدر من الراحة يُمكن للإنسان أن يطلبه، فقد كان مطلوباً مني أن أكون في حرم الجامعة يومين في الأسبوع فقط، وكنتُ أتمتع بعلاقة عظيمة مع زملائي، وأحصل على تدريب رائع في العلاج.

لقد كانت ظروف عملي مُمتازة بالتأكيد، ومع ذلك كان هنالك شيء يحترق داخلي، ويتطلب انتباهي الكامل. لقد بدا عالمي الخارجي عظيماً، بيد أنّ عالمي الداخلي حيث أقوم بكلّ معيشتي، شعر بعدم الكمال وعدم الراحة.

تذكرتُ شخصية «ليو تولستوي» المذكورة في قصته الشهيرة «موت إيفان إيليتش». على فراش موته، نظر «إيفان إيليتش» إلى عينيّ زوجته، المرأة التي يكرهها لأنها قامت بالعديد من ترتيبات حياته دون استشارته أو مراعاة مشاعره، وتساءل: «ماذا لو كانت حياتي بأكملها خاطئة؟».

أرسل هذا المشهد رعشة من خلالي، فلم أستطع تخيّل حياتي وأنا أكتب للجامعة، وأتساعد في الكتابة مع رجل قلبه ليس في العمل، وأعلم دورات في غرف الصفّ نفسها، وأحضر اجتماعات منهج الكلية نفسها مدى الحياة. عند ذلك كان يُمكن أن تكون حياتي حقيقة «خاطئة»، كما خشي «إيفان إيليتش» على فراش موته. لم أكن أعرف ذلك حينها، بيد أنّ ذاتي العليا كانت تُحاول جذب انتباهي بجهد كي تجعلني أعيش دون خوف.



• عرَضْتُ جامعة «واين ستيت» برنامج تخرّج في علم النفس الاستشاري من أجل الأفراد العسكريين المؤهلين وذويهم في «ألمانيا». كانت فكرة البرنامج الحالي أن يجلب الجامعة إلى الطلاب، بدلاً عن جعلهم يأتون إلى الجامعة. سألوني إن كنتُ أفكرُ في التدريس في برنامج ما وراء البحار هذا مُدّة رُبعين جامعيين، فأجبتُ بالموافقة. إنه ربيع عام 1974 وأنا في إجازة تكليف من جامعة «سنت جون» في مدينة «برلين» المُقسّمة.

هذه هي المرة الأولى لي في «أوروبا»، وأنا أتمتّع تماماً بالحرية التي أشعرُ بها بعيداً عن كلّ المُتطلبات المُزعجة المُرتبطة بمنصب جامعتي هناك في «نيويورك». أنا أدرّس منهجاً جامعياً كاملاً في «برلين»، وأُحبُّ هذا العمل وهذه المغامرة بطريقة كبيرة جداً.

لطالما سحرتني «ألمانيا»، فأخوة أُمّي الاثنين كانا مُشاركين في الحرب العالمية الثانية كلاهما: خالي «ستيوارت»، الذي عشتُ في عمر الثامنة معه ومع أطفاله الأربعة، كان سجيناً نازياً في الحرب مُدّة سنتين. وكذلك أيضاً خالي «بيل»، مُلهمي في الذهاب إلى الكلية وفي أن أصبح مُعلّماً، والذي خدم في المحيط الهادي في المُدمّرة البحرية. لقد سمعتُ قصص الرعب عن المحرقة، وشاهدتُ الأفلام عن مُعسكرات الموت، ووجدتُ دائماً أنه لا يُمكن استيعاب أنّ شراً كهذا قد حصل يوماً، وخاصة في فترة حياتي. ربّما في العصور القديمة، ولكن ليس عندما كنتُ صبيّاً صغيراً في دار الأيتام. هل يبدو مُمكناً أنّ هناك مُعسكرات نُصبت بهدف إبادة شعب بأكمله من البشر، فقط بسبب اختلافاتهم الثقافية والدينية.

كنتُ أصارع فكرة أنّ هذا البلد المليء بالناس المُتَحَضِرِينَ سمح لمثل هذا الحقد أن يسري بوفرة بينهم. كنتُ في كلّ مكان أذهب إليه أتحدّث مع الألمانين وأسأل السؤال نفسه: «لقد كان ذلك منذ بضعة سنوات فقط، كيف حدث هذا؟»، ولكن لم يتحدّث أحد عن ذلك. كان هناك عارٌ جماعي واضح لدى جميع الرجال والنساء الذين عاشوا هذه الفترة.

قررتُ أن أتعلّم المزيد عن هذا. كنتُ أشعر بالشك والجنون من أنّ سلوكاً عديم الضمير كهذا أمكنه التأثير في شعب بأكمله. ما الذي كانوا يُفكّرون به؟ لماذا لم يكونوا قادرين على إنهاء هذا الجنون قبل وصوله إلى مثل هذه الأبعاد الأسطورية؟. كان هذا أنموذجاً عن عقلية التفكير الجماعي الذي كرهته كثيراً وكنتُ على مستوى فردي صغير أتصارع مع مدى الفظاعة التي يُمكن أن يُصبح عليها.

اشتريتُ ما ألفه «ويليام شيرر» عن تاريخ ألمانيا النازية، بعنوان «صعود وهبوط النظام النازي، والذي نُشر لأول مرة عام 1960. قرأتُ الكتاب كلّ في غضون أيام قليلة وأصبحتُ الآن حزينا أكثر من قبل. يبدو أنّ مسار تاريخ البشرية امتثل بطاعة عمياء إلى قواعد الفضيلة العليا عند التفكير النازي الألماني، وكنتُ ألاحظ ذلك في كلّ مكان. يبدو أنّ كلّ شخص فعل ما أمر به، ولم يسأل أحد عن السلطة المُفترضة. هناك قواعد وعلى الجميع أن يُطيعها من غير سؤال. كنتُ أرى هذا الخضوع الآلي في كلّ مكان، ولم يكن يبدو أنّ هناك أحد في «ألمانيا» يسأل عن أيّ شيء أبداً.

لقد منحني جدول تدريسي وقتاً من أجل السفر، فأمضينا أنا وزوجتي أيام عطلة نهاية الأسبوع في زيارة أماكن في منطقتنا في رحلات مُختصرة بالقطار. ذهبنا إلى «بافاريا»، «الدنمارك»، «السويد»، «النرويج»، «النمسا»، «فرنسا»، «هولندا»، «سويسرا». كنتُ أمتلك رتبة ضابط عسكري، ولذلك أستطيع زيارة شرق «برلين» وجميع مدن شرق «ألمانيا» المحكومة شيوعياً. كانت الاختلافات بين الشرق والغرب مُطلقة، ولم أستطع أن أخرج من دماغي صور المحرقة التي سحقت كلّ الأدلة على الشخصية الفردية، وقمعت البشر بما فيه الكفاية، وجلبت جنون التطهير العرقي، وجعلت الإبادة الجماعية

حقيقة مقبولة. أنا أكثر من مهووس بهذه القصة، ويجب أن أرى ذلك بنفسى. أخذت قراراً أن استقلّ القطار إلى «ميونيخ» وزيارة «داخاو».

فور وصولي أخبرتُ سائق سيارة الأجرة أنني وزوجتي نرغب بالذهاب إلى مُعسكر الموت السابق الذي حُفظ كتذكّار عمّا حدث منذ حوالي تسع وعشرين سنة، كيلا ينسى العالم ما حدث أبداً. كان سائق سيارة الأجرة رجل في الخامسة والخمسين من العمر أو ما يُقارب ذلك، وقد رفض أن يأخذنا إلى المُعسكر. من الواضح أنه شارك بطريقة ما بجزء من تلك الأهوال في العشرينيات من عمره، وكان العار والخزي عظيمان إلى درجة أنه اختار أن يخسر الأجرة على أن يزور هذا المكان.

أخذنا سائق أجرة آخر وأوصلنا إلى «داخاو» مكان أول مُعسكر للقوات العسكرية افتُتح في «ألمانيا»، والذي بُني في عام 1933 من أجل السجناء السياسيين، ثمّ تحوّل فيما بعد إلى محرقة جثث ومكان للقتل الجماعي وصور الشرّ التي قام بها الحزب النازي. بدلاً من التفكير بأنفسهم، فعل الشعب الألماني ما طُلب منه أن يفعله على نطاق واسع حيث أخذ الملايين منهم من أجل تنفيذ أوامر شريرة لرجل مجنون ورجاله المُخلصين.

غمّرني شعور بالحزن و اليأس بينما كنا نمشي عبر أراضي «داخاو»، وشعرتُ بألم الحقد الذي نُفذ هنا في الأفران وغرف الغاز، وحيث ذُبح البشر يوماً بعد يوم سنين عديدة على مرمى البصر من مدينة مُزدهرة تبعد كيلومترات قليلة فقط. كانت هذه النتيجة النهائية لأناس جرى غسيل دماغهم كي يحطّوا من قدر الآخرين الذين يُفكّرون أو يعبدون أو يتصرّفون بطريقة تختلف عن الأغلبية.

شعرتُ أنّ تنفّسي من الهواء يُصبح أصعب وأصعب، وكأنني أريد أن أتقيأ. إنّ الخوف واليأس ما زالا هنا في هذه المهاجع القديمة، وأكشاك الاستحمام، والأفران، وحتى في أرصفة الشوارع التي أمشي عليها. شعرتُ كأنني هنا من أجل سبب مُعين.

كان التشويش الداخلي أكبر من ردة الفعل العادية على مشهد رعب كهذا، لقد عرفتُ أنني تغيّرت إلى الأبد. كنتُ أتخيّل اليوم الذي بدأتُ فيه هذه الحرب في الأول من أيلول 1939، عندما غزا «هتلر» أراضي «بولندا». لقد وُلدتُ بعد هذا التاريخ بتسعة

أشهر، في العاشر من أيار 1940. شعرتُ أنني بطريقة غامضة مقصودٌ في كوني هنا، ولم أستطع إخراج هذه الفكرة من دماغي. لقد دُعيتُ إلى هذا المكان الضائع والذي هو الآن مُتحف المحرقة التذكاري كي يترك انطباعاً دائماً في نفسي.

بعد أسبوع من هذا الحدث استقلتُ قطاراً إلى «أمستردام» وزرتُ المنزل حيث اختبأتُ («آن فرانك») في المُلحق السري، وكتبتُ يومياتها الشهيرة التي أصبحت ظاهرة حول العالم عندما قارب جنون الحرب العالمية الثانية على الانتهاء. صعدتُ على الأدراج وشعرتُ مرة أخرى بالألم الذي ما زال ينبعث من سياجات السلاالم الحديدية ومن الأرض ومن البناء بأكمله، وكأنّ هذه الطاقة المُخزّية لم تختفِ بعد. ما تزال الطاقة هنا في المنزل الذي هو الآن مُتحف في ذاكرة عائلة «أوتو» و«إديث فرانك» وكذلك بالنسبة إلى عدد لا حصر له من الضحايا الذين دُبحوا خلال السنوات نفسها التي كنتُ فيها صبيّاً صغيراً أنمو بسلام في بيوت الحضانة وراء المُحيط. لستُ فقط أنظر إلى الصور وأقرأ التذكارات، بل أتصل مع خوف أولئك الذين عاشوا هنا. مرة أخرى، شعرتُ أنّ الهواء كثيف ولم أستطع التنفّس، وكان عليّ الخروج كي أحصل على بعض الهواء النقي. بطريقة ما شعرتُ أنني مُتصل مع كلّ هذا، فقد حصل ذلك عندما كنتُ على قيد الحياة.

لا أفهم رغبتِي العميقة كي أعلم عن كلّ هذا، بيد أنّ الأمر أكثر من فضول. أنا في هذا الإعداد مُجبر على زيارة الأماكن المُروّعة الأخرى حيث نُفذت الأعمال الوحشية بمُساعدة استعداد شعب كامل غُسل دماغه من قبل خطيب مُقنع بثّ الشر والكرهية، وأقنع مجموعة واسعة من الناس أنه من واجبه أن يتصرّفوا بهذه الطرق الحاقدة، على الرغم من أنها دَنست طبيعتهم الأصلية. لقد سمحوا لأنفسهم طوعاً أن يُدنّسوا إحساسهم الداخلي الخاص بالحبّ تجاه إخوانهم البشر. كيف أمكن أن يحدث هذا؟ لا يُمكن تخيل أنّ هذا حصل في فترة حياتي. أنا مصدوم، وأشعر بنداء كي أتحدّث عن الأمر جهراً، وأكتب بطريقة تجعل مثل هذا الأمر لا يحدث مرة أخرى أبداً.

غادرتُ «ألمانيا» كي أقوم بمُهمّة تعليمية في «كارامورسيل»، والتي تقع في شمال غرب «تركيا» على خليج «إزميت» على بحر «مرمرة». لم أستطع التخلص من الصور

التي رأيتها، وبقيت متأثراً بتجربتي في العيش في «ألمانيا» والتي كانت منذ أقل من ثلاثين سنة في حرب مع العالم.

أثناء الركوب الطويل في الحافلة من «إستانبول» إلى «كارامورسيل» شعرت كأنني انتقلت إلى وراء إلى العصور التوراتية القديمة. رأيت الحيوانات تُذبح في الأسواق المركزية في القرى، وكل أنواع العربات تحمل البضائع، والسكان المحليين يقودون سيارات أمريكية قديمة أو يركبون الدراجات الهوائية. إن الأمور هنا بعيدة كل البعد عن «ألمانيا». كنت أدرس في قاعدة قوات جوية في رُبع دراسي مدته عشرة أسابيع، وكنت مُتحمساً بكون الجامعة خُصصت من أجل جنودنا حول العالم. لقد حظيت بالتقدير من الطلاب، وكنت فخوراً بأن أكون عضو هيئة تدريس هنا في هذا المكان المنعزل، لقد مضت أسابيع العشرة بسرعة.

من المقرر أن تغادر أنا وزوجتي «تركيًا» ونعود إلى الولايات المتحدة الأمريكية في تموز، كي أرجع إلى التدريس في جامعة «سانت جون» كأستاذ جامعي مُساعد بترقية حديثة. لم أكن متأكدًا حول متابعة كوني موظفًا بدوام كامل، ولكنني وافقت على البقاء في الجامعة في فصل الخريف القادم الذي يبدأ في أيلول.

كان العيش في بلد مُسلم شيئاً مُضيقاً بطرق عديدة. كنتُ أحب الناس هناك، وأحبُّ أن أكون قريباً من الطبيعة وأصبح كل يوم في بحر «مرمرة». إن الحياة في «برلين»، ثم في «غلايفادا»، «اليونان»، فترة قصيرة من الزمن، ثم في «تركيًا» قد وسَّعت من تفكيري، ومع ذلك، كنتُ متلهفًا من أجل العودة إلى الوطن.

وصلنا أنا وزوجتي إلى مطار «استانبول» تحت ظروف جديدة بالنسبة إلينا. هنالك دبابات وجنود عسكريين مُسلحين ببنادق، وأسلحة بأوصاف عديدة في الطريق إلى المطار وداخل المطار نفسه. إنه 18 تموز 1974، وهناك حديث عن حرب، ومن المُتوقع إغلاق المطار، الذي ازدحم بالناس الذين يُحاولون مُغادرة البلاد.

عندما تحققتُ من رحلتنا، أعلموني أنه لن يكون هناك أي رحلات تجارية من وإلى «استانبول» في المُستقبل القريب. أخبروني أننا قد نبقى عالقين هنا فترة غير مُحددة من الوقت. كان الناس في ذعر، وقد امتلأ المطار بالناس المُحبطين، الغاضبين، الخائفين،

وكان حديث الحرب في كل مكان، إذ أن «تركيا» تتحضر من أجل غزو شمال «قبرص»، و«اليونان» تتأهب من أجل رد عسكري.

مشيتُ خلال المطار برؤية عقلية مُختلفة عن أي شخص آخر، فالجميع يدون في مراحل مُتنوعة من الخوف والذعر، بينما أرى نفسي أطيّر من هنا هذا الصباح. إنها نية مُلصقة بصمغ ممتاز في خيالي، وهذه الصورة لن تُغادرني.

أرى بعض الأمريكيين واقفين في خط يتحضرّون من أجل ركوب طائرة نقل عسكرية ذاهبةً إلى قاعدة «رامشتاين» الجوية في «ألمانيا». لاحظتُ أيضاً رجلاً تركياً يبدو نوعاً ما مسؤولاً عن إجراءات الصعود، وكان في هذه البيئة العصبية يقترب من الناس ويسألهم أسئلة، وكلّهم يهزّون رؤوسهم ويُغادرون.

اقتربتُ من هذا الرجل، فسألني إلى أين أنا ذاهب. شرحتُ له أنه من المُقرر أن أطيّر إلى «لندن»، ولكنّ رحلتي أُلغيت. أخبرته أنّ لدي تذكرة عسكرية، مع تصنيف عالي الرتبة «خدمات عامة»، لأنني كنتُ أستاذاً في القاعدة الجوية في «كارامورسيل». أجاب أنّ تذكرتي ليست نافعة بعد الآن، ولكن إن أردتُ الخروج من «تركيا» فباستطاعته ترتيب ذلك على متن هذه الرحلة المُتوجّهة إلى «ألمانيا»، ومن هناك أستطيع أن أتدبر أموري. هنالك فقط مقعدان مُتبقيان على هذه الطائرة العسكرية مُقابل ألفي دولار نقداً، وسوف يأخذني مع زوجتي في هذه الرحلة خارج «تركيا»، التي هي على وشك الانطلاق في حرب.

أرى هذا الرجل التركي كملاك أرسل إليّ كي أنجز نيتي وأرجع إلى بلدي اليوم. أعطيتُه كلّ النقود التي أملكها، وهي تقريباً ما كسبته في مُهمّة تدريسي في «كارامورسيل» ونقصني حوالي مئتي دولار، بيد أنّه وافق على ذلك وصعدنا أنا وزوجتي في آخر رحلة خارج «استانبول». كانت تُحدّق بي بفمها الفاجر بضع لحظات قبل أن تشعر بالذعر حول بقائنا عالقين إلا ما لانهاية في بلد تُمزّقه الحرب، بينما نحن الآن نطيّر إلى «ألمانيا» في رحلة عسكرية أمريكية استطعتُ التخطيط لها بطريقة ما كي أسافر بعيداً بواسطة رشوة مواطن تركي وسط الفوضى.

هبطنا في «رامشتاين»، وحصلنا على رحلة طيران تجارية خارج «فرانكفورت»،

وعُدنا إلى الولايات المتحدة الأمريكية في 20 تموز 1974، في اليوم نفسه عندما انطلق الغزو العسكري التركي على «قبرص» في ردّ على المجلس العسكري اليوناني الذي كان يدعم الانقلاب في «قبرص». أنشدتُ المَدائح تجاه القوّة الموجودة، والتي تجعل المعجزات تحدث عندما يُمسك الشخص بالنية بثبات.

لقد زوّدني الوقت الذي أمضيته في التعليم خارج البلاد بخبرات حياة أضحّت فعّالة في كلّ ماصنعه في العقود الأربعة التالية. أمضيْتُ جزءاً كبيراً من حياتي المُبكّرة، ابتداءً من ذكرياتي الأولى، أتمرّد ضد رموز السلطة والمنظمات التي كانت تُوجّهني من أجل أن أفكر وأكون مثل أيّ شخص آخر.

يبدو كأنني وُلدتُ مع هذا النوع من ردّ الفعل المُتمرّد تجاه عقلية التفكير الجماعي. لقد سمح لي العيش في «ألمانيا» بأن أرى مُباشرة وعلى مُستوى تجريبي، مدى خطورة التفكير بهذه الطريقة، وكيف يُمكنه أن يقود إلى التدهور الإنساني النهائي والإبادة الجماعية.

كنتُ أسأل كلّ يوم تلك الأسئلة الصعبة لأيّ شخص عاش خلال تلك السنين المروعة من الحرب العالمية الثانية. احتجّتُ أن أسمع من جنود سابقين، ومن ربّات المنازل، ومن أولئك الذين كانوا أطفالاً، كان عليّ أن أسمع ذلك منهم. هل كنتُ تعرف؟ ما الذي اعتقدته عن ذلك؟ هل فكّرت مرة في عدم إطاعة الأوامر؟، وكانت الاجوبة تقريباً مُتشابهة: «لم نكن نعي ذلك، كُنّا خائفين جداً من الاعتراض، هذه هي فقط الطريقة التي جرت عليها الأمور، لقد فعلنا ما أمرنا به». لقد عرفتُ في قلبي أنه فعلياً كان على كلّ شخص أن يتعاون بطريقة ما، لأنّ الأفعال المروعة كانت واسعة الانتشار كثيراً وشملت الملايين من الناس.

عندما غادرتُ «ألمانيا» عرفتُ أنني تعيَّرت إلى الأبد. كان عليّ أن أكون في هذا المكان في هذا الوقت من أجل أن أمتلك انطباعاتاً هائلاً في وعيي، وأرغب في الكتابة والتحدّث عن أهمية الاعتماد على الذات وعن الذات، وليس الذات البشرية، بل الذات العليا. عرفتُ أنّ ما طبعه «ثورو» في ذهني سابقاً في المدرسة الثانوية عن أهمية العصيان المدني، سيتسرب الآن إلى جميع كتابتي المُستقبلية. هذه الأعمال الدنيئة أتت من

خلال المناطق الخاطئة لتصور التفكير، والذي كان عليه أن يتغير. أستطعت الكتابة عن هذا الأمر بشغف أكبر بكثير مما شعرت به سابقاً قبل أن يكون الأمر جزءاً من كتابتي وخطابي.

عندما أنظر إلى الوراء الآن، أستطيع أن أرى الكمال في كل هذا. لقد تجسدت في اليوم التي بدأت فيه هذه الحرب المروعة، وكنت مهووساً بتعلم حقيقة ما كان النازيون قادرون على إنجازه بينما كنت طفلاً أعيش في الميتم. لقد صنعتُ نذري الداخلي في تعليم الذات بدلاً من الاعتماد على الجماعة. لقد كانت كل هذه التأثيرات جزءاً من الرسالة الروحية «دهارما» التي كانت قدرتي. غادرت «ألمانيا» مُصمماً على ذلك، مع أنني لم أعرف متى أو كيف سأعلم الناس أن يعتمدوا على طبيعتهم الأصلية الخاصة، والتي تضمّنت الحب، اللطف، الوداعة وقبل كل شيء، خدمة الآخرين.

لقد اختبرت في كل من «أمستردام» و«داخاو» مباشرة أن الطاقة أبدية. وقد شعرت في مواقع الأموات تلك، المفتوحة للعامة كيلا ننسى أبداً، ببعض من الألم والحزن والخوف الذي كان يشعر به أولئك الذين عُوملوا على نحو سيء جداً. لم أشك في هذا أبداً. من هذه النقطة أستطيع أن أرى بوضوح أنني كنتُ أتَنَفَسُ مُحَفَظَاتِ خوف حقيقة بينما كنتُ في «أمستردام»، «داخاو» وأماكن أخرى كهذه. رأيتُ كيف أن الحيوانات التي قيّدت إلى المجازر أثرت بحيوانات أخرى ماتت برودة فعل الخوف بالطريقة نفسها، حيث شعروا بتلك الطاقة ومُحَفَظَاتِ الخوف المُنبِئَة بأنفسهم. كل الأمور في الحياة عبارة عن طاقة. لقد تخلّيتُ عن أكل لحم الحيوانات المذبوحة منذ سنين عدة، لأنني عندما أكلتُ ذاك اللحم، كنتُ أيضاً أستهلك الخوف.

لقد اخترتُ أن أفعل كل ما أستطيع شخصياً كي أكون مُحاطاً ومُغلفاً بالحب بدلاً من الخوف، وبذلك ركّزت كتابتي المُستقبلية على قهر الخوف ووعي الطبيعة الدائمة للطاقة وكيف تُؤثر فينا كلنا. كان عليّ أن أحاضر وأكتب عن فكرة كوننا جميعاً مُتصلين بالروح، والتي هي طبيعة كوننا.

كنتُ متأثراً بعمق بزيارتي ومُحادثاتي في «ألمانيا». عندما مشيتُ عبر تلك الأماكن الوضيعة، استطعتُ بالفعل أن أشعر كيف اتصل قلبي وأحشائي بهذه الأرواح النعسة.

شعرت أنني مُتَمَلِّك من قبل شيءٍ أثري عندما سافرتُ عبر أوروبا في عام 1974، وكنتُ أعلم أنني أرسلتُ إلى هناك كي أوقظ روعي وألهم ذاتي، ثم أعلم الناس كيف يتجاوزون نماذج تفكيرهم الخاطئة.

عندما أسترجع تجربتي في «تركيا» عندما كانت الحرب على وشك الاندلاع من أحل القضية القبرصية، أتذكر كم كان مُهمّاً ذاك اليوم بالنسبة إليّ. لقد كانت الصورة في دماغي عن الهروب من البلاد في ذاك الصباح بالتحديد، حقيقة جداً إلى درجة أنني تصرّفتُ بناءً عليها وكأنّها واقعي. لم يكن الأمر أمنيّة، بل كان نية، ولأنني استخدمتُ خيالي بطريقة أقتلح فيها أيّ وكل الأفكار التي لا تعمل، فقد اكتشفتُ قوّة النية تجريبياً قبل سنوات عديدة من الكتابة عنها لاحقاً.

لا بدّ أنني أخبرتُ هذه القصة مئات المرات عمّا يُمكن أن تكون عليه قوّة الصورة في تفكيرك، وخاصة عندما تتصرّف وكأنّ الصورة حقيقة واقعة. بدلاً عن البحث في الأسباب للتأكد في استحالة سفري من مطار «إستانبول»، فقد عملتُ على الصورة الداخلية، واختبرتُ مرة أخرى تلك الفكرة التي ستُصبح شعاراً لي في كتاباتي وحياتي: «ليس هنالك ما هو أقوى من فكرة حان وقتها».

لقد كانت مُغادرتي لتركيا في ذاك اليوم من تموز عام 1974 فكرة حان وقتها في دماغي، وقد أتت القوّة من قدرتي على التصرّف بناءً على هذه الفكرة. لقد كان هذا هو الموضوع الأساسي في كلّ كتابتي، وكان عليّ أن أجربّه بوضوح أولاً من أجل جعله مطبوعاً على نحو حيّ في وعيي.



• إنه شهر آب عام 1974، أنا في نيويورك أعلم فصلاً صيفياً في جامعة «سانت جون». إنه فصل دراسي مختصر مع صفوف تجتمع مرتين أسبوعياً من أجل أن نجعله مُماثلاً للفصل العادي.

تحدثتُ مع زميلتي الدكتورة «شيرلي غريغز»، مديرة المنحة الاتحادية التي صُمِمت من أجل تحديد إذا كانت الكليات والجامعات الجنوبية مُمثلة لقانون الحقوق المدنية لعام 1964. أخبرتني أنه بإمكانني كسب مال إضافي لو ذهبتُ إلى جامعة «الميسيسيبي» للنساء في «كولومبوس، الميسيسيبي»، حيث أمضي يومين جالساً ضمن الصفوف، أقابل الطلاب وأعضاء هيئة التدريس، ثم أكتب تقريراً في نهاية الرحلة. لقد عدتُ للتو من «أوروبا»، حيث كلفتني الرشوة في طريقي إلى المنزل من «تركيا» ألف وثمانمئة دولار، وأنا مسرور من الحصول على فرصة كسب بعض المال الإضافي، ولذلك قبلتُ بالعرض.

منذ أربع سنوات مضت، سمعتُ من قرية لي من طرف أبي تدعى «دوروثي فيليبس» القول: «واين، سمعتُ أنك بذلت الكثير من الجهد في محاولة الالتقاء مع والدك. أنا فقط أتصل كي أخبرك أنه توفي عام 1964 في «نيو أورليانز» وشُحنت رفاته إلى «بيلوكسي، ميسيسيبي»، ودُفنت هناك. هذا كل ما أعرفه».

على الرغم من أنّ والدي توفي وأنني أوقفْتُ بحثي عنه، فإنّ أحلامي بلقائه، والخوف الذي أشعر به في هذه الأحلام ما زال مُستمرّاً. الآن لديّ فرصة كي أذهب

إلى «المسيبي» في عمل، وأنا مُتحمّس إلى إمكانية الذهاب إلى قبره ومراجعة شهادة الوفاة كي أرى إن كنتُ مُدرجاً عليّ أنني ابن علي قيد الحياة. لم أرَ بالطبع هذا الرجل أبداً في حياتي، ولا أعرف إن كان أعلم أنه لديه ثلاثة صبية، وأنا أصغرهم.

أخذتُ التكليف الذي عرض عليّ من قبل «د. شيرلي»، وأنا أبتّلح كي أزور قبر والدي حقيقة، كي أخلق رُبما نوعاً من الإغلاق لهذا الموضوع الذي أربكني منذ أن كنتُ صبيّاً صغيراً.

انتهى الفصل الدراسي الصيفي يوم الأربعاء 28 آب. سافرت بالطائرة إلى «كولومبوس، المسيبي»، يوم الخميس وقمتُ بكلّ مُقابلاتي وزياراتي في ذلك المساء والصباح التالي. عندما انتهيتُ ذهبتُ إلى مكان الاستئجار الوحيد في الحرم الجامعي واستأجرتُ سيارة «دودج كورنيت» موديل 1974. وقدتُ مسافة تُقارب مئتي ميل إلى «بيلو كسي»، في نية أن أمضي يوم أو يومين هناك، ثم أرجع السيارة إلى مطار «نيو أورليانز»، وأسافر إلى الوطن مساء الأحد.

لاحظتُ أنّ رائحة «الدودج» مثل السيارة الجديدة، وكأنها لم تُستأجر سابقاً. كانت قراءة عداد المسافات هي ثمانين ألف ميل، مع أنّ السيارة جديدة وقد سُلمت اليوم إلى هذا الموقع في الكلية. حالما جلستُ خلف عجلة القيادة، حاولتُ وضع حزام الأمان واكتشفتُ أنه مفقود. خرجتُ من السيارة، وأخرجتُ المقعد بالكامل، ورأيتُ أنّ الحزام مربوط بأرضية السيارة بشريط إخفاء، وكان المشبك مُغطى بتغليف بلاستيكي والمطاط حوله. مزقتُ الشريط والبلاستيك، وعثرتُ على بطاقة أعمال مطوية داخل المشبك، وقرأتُ عليها: «كاندل لايت إن، بيلو كسي، المسيبي»، مع سلسلة من الأسهم تقود إليه. فكرتُ لحظات إنه أمر غريب أنّ هذه البطاقة موجودة في سيارة جديدة، وأنها تتوافق مع وجهتي الفعلية إلى «بيلو كسي». وضعتُ البطاقة في جيب قميصي وبدأتُ رحلتي.

وصلتُ إلى أطراف «بيلو كسي» في الخامسة إلا عشر دقائق مساء الجمعة، الثلاثين من شهر آب، وتوجّهتُ إلى أول محطة بنزين رأيتهَا. نظرتُ إلى دليل الهاتف المُعلّق بسلسلة في كشك الهاتف، واتصلتُ بالمقابر الثلاث المُدرجة في لائحة الصفحات

الصفراء. كان الرقم الأول مشغولاً، ولم يُجب الرقم الثاني، بينما أجاب على الرقم الثالث سيدٌ بصوت عجوز جنوبي. استفسرتُ هل «ميلفن لايل داير»، الذي تُوفي قبل عشر سنوات عام 1964، مدفونٌ في هذه المقبرة. ابتعد الرجل عن الهاتف حوالي عشر دقائق كاملة، وبينما كنتُ على وشك إنهاء المُكالمة، عاد وقال: «نعم، إنَّ والدك مدفونٌ هنا».

كان قلبي يخفق بقوة في صدري. لقد شعرتُ وكأنني في النهاية سأحظى بزيارتي إلى والدي، على الرغم من أنَّ الظروف أقلَّ من مثالية. طلبتُ من السيد أن يُوجِّهني إلى المكان، فأعلمني أنَّ هذا المكان ليس مقبرة حقيقية ولكنه مكان يُدفن فيه الفقراء على نحو مُتكرر، على أراضي «كاندل لايت إن»! مع الكثير من الدهشة سحبتُ البطاقة من جيب قميصي، ورأيتُ أنني على بعد ثلاث كتل، وهناك خريطة بارزة على البطاقة.

قدتُ السيارة وأنا مُرتعش إلى الكوخ الصغير، حيث أُراني الرجل في المقبرة شهادة وفاة والدي. لقد كانت مُصنفة في صندوق «كوكا كولا» كرتوني مُلَطَّخ بمياه مُلونة منذ عشر سنوات. كانت شهادة مُلونة ومُتَعَفِّنة، وقد لاحظتُ بدرجة من الرضى أنَّ اسمي وأسماء إخوتي الاثنين كانوا مُدرجين بصفتنا أولاده الأحياء. لقد عرف أنه كان لديه ابناً اسمه «واين». أنا أستغرب من الذي وضعه هنا، وما الذي قاله لأيِّ شخص عن أخوي وعني.

أرشدني الرجل العجوز إلي ربة خضراء في أعلى الدرب مع سلسلة حولها. قال إنه بإمكانني البقاء هنا بقدر ما أحبَّ وطلب مني أن أعيد السلسلة حالما أغادر. ركنْتُ سيارتي ومشيتُ إلى شاهدة القبر على الأرض التي تقول: «ميلفن لايل داير 1914-1964». هذا كلُّ ما في الأمر، هكذا التقينا مع أبي.

وقفتُ هناك والدموع تندرج حتى أسفل وجهي. لا أزال مليئاً بالغضب والتفكير: عليَّ أن أتَبَلَّ على هذا القبر وأغادر. ولكنني لم أفعل ذلك. لقد بحثتُ عن هذا الرجل منذ أن عرفتُ أنه كان لديَّ أب. في فترة السبع أو الثمان سنين الأولى في حياتي، لم أكن أعرف ما يعنيه مفهوم الأب حتى. كان هناك العديد من الأسئلة تجري في ذهني الآن، كنتُ مُندهشاً من الشعور الذي أشعره وأنا واقف جانب هذا الصحن المعدني على الأرض.

خلال الساعتين والنصف التالية تحدثت مع أبي. صرخت بصوت عال دون أن أعي ما حولي. تحدثت بصوت عال طالباً الإجابات من قبر. بعد مرور ساعات بدأت أشعر بشعور عميق من الراحة، وأصبحت هادئاً جداً. سيطر الهدوء. أنا متأكد تقريباً أن أبي هنا معي. لم أعد أتحدث بعد الآن إلى شاهدة قبر، ولكنني نوعاً ما في حضور شيء لا أستطيع شرحه.

في النهاية، مسح دموعي وقلت وداعاً. حالما مشيت في اتجاه السيارة المؤجرة، وأمسكت السلسلة بيدي كي أغلق الدرب، كنت مأخوذاً بقوة لا تُوصف كي أعود بسرعة إلى موقع القبر، وكأنني كنت مدفوعاً كي أرجع إلى الورا.

تحدثت إلى والدي مرة أخرى، بيد أنني هذه المرة قلت شيئاً مختلفاً جداً: «أشعر بطريقة أو بأخرى كأنني أرسلت إلى هنا اليوم، وأنه لديك شيء تفعله بهذا الخصوص. لا أعرف ما دورك، أو إن كان لديك دور، ولكنني متأكد أن الوقت قد حان من أجل التخلي عن الغضب والكراهية اللذين حملتهما بألم وقتاً طويلاً جداً. أريدك أن تعرف أنه ابتداء من هذه اللحظة، فقد انتهى كل ذلك في الحال، أنا أسامحك».

«لا أعرف ما الذي دفعك كي تُدير حياتك كما فعلت. أنا متأكد أنك لا بد شعرت بالكثير من اللحظات اللئيمة بعد معرفتك أنه لديك ثلاثة أطفال لن تراهم أبداً. مهما كان ذلك الذي يجري داخلي عنك، أريدك أن تعرف أنني لا أستطيع التفكير بأفكار بغیضة عنك بعد اليوم. عندما أفكر بك الآن، سيكون ذلك مع الحب والشفقة. أنا أطلق سراح كل هذه الفوضى التي في داخلي. أنا أعلم في قلبي أنك كنت ببساطة تفعل ما عرفت كيف تفعله ضمن ظروف حياتك في ذلك الوقت. على الرغم من أنه ليس لدي أي ذاكرة عن أنني شاهدتك في أي وقت مضى، وعلى الرغم من أن حلمي الأعز كان أن ألتقي بك يوماً ما وجهاً لوجه وأسمع منك، إلا أنني لن أدع هذه الأفكار تُرجعني إلى الورا عن الشعور أيضاً بالحب الذي أكنه لك».

وقفت على شاهدة هذا القبر الوحيد في جنوب «المسييسي»، وقلت ما أشعر به الآن: «أرسل لك الحب، أرسل لك الحب، من هذه اللحظة فصاعداً، أرسل لك الحب».

في هذه اللحظة النقية اختبرتُ شعور مُسامحة الرجل الذي كان أبي البيولوجي، وكذلك مُسامحة الطفل الذي كنتُه والذي أراد أن يعرفه ويُحبّه. شعرتُ بنوع من السلام والتطهير الجديد كلياً بالنسبة إليّ. مشيتُ إلى الخلف نحو سيارتي، وضعتُ السلسلة عبر الممر، وشعرتُ بإحساس جديد من الإشراق.

أعطاني السيد العجوز اسم الرجل الذي سلّم جسد والدي إلى مقبرة المُحتاجين هذه. بحثتُ عنه واكتشفتُ أنه كان صديق أبي المُقرب، وكان يعمل عارض أفلام في مسرح سينما «بيلوكسي». في يوم السبت، 31 آب، ذهبتُ إلى هناك حيث كانت تُعرض الوصايا العشر في فترة الصباح.

صعدتُ الدرج الخلفي وقرعتُ على باب حجرة العرض، وقضيتُ فترة بعد الظهر مع هذا الرجل الذي أخبرني عن الرجل الذي كان والدي. فهمتُ القليل جداً ما عدا أنه ذكر أولاده الثلاثة أحياناً، ولكنّ ذلك كان نادراً جداً. سمعتُ مجدداً عن إدمانه للكحول وطبيعته تشرده. لم أهتم أن أعرف أيّ تفاصيل إضافية. خرجتُ من المسرح وقدتُ في اتجاه مطار «نيو أورليانز».

لقد تغيرتُ وأصبحتُ رجلاً آخر بعد أن شاركتُ للتو في مُعجزة. لم أعد أكره والدي بعد الآن. أعلم أنني أرسلتُ إلى هنا كي أقوم بأمر المُسامحة هذا، ولكنني لستُ مُتأكداً لماذا. أنا أعرف فقط أنّ شيئاً خفياً جداً يعمل هنا، وهو شيء أكبر مني يُحرّك الأجزاء حولنا، وقد رسم خطة سرية كي يحطّ بي هنا.

وصلتُ إلى المنزل في «نيويورك» يوم الأحد الأول من أيلول. كان لديّ أكثر من أسبوعين تقريباً قبل أن أعود إلى الجامعة من أجل الفصل الدراسي الخريفي. جمعتُ كلّ تسجيلات الخاصة بمحاضراتي من السنين الثلاث الماضية، بالإضافة إلى ملاحظات حفظتها في الوقت الذي كنتُ فيه في «أوروبا» مؤخراً هذه السنة. قمتُ بإجراء حجز طيران ليوم الغد، يوم العمل، كي أطيّر إلى «لودرديل، فلوريدا». أنا ذاهب إلى مكان مُشمس، دافئ، على المُحيط من أجل تأليف كتابي، الشيء الذي كان يُسيطر على عالمي الداخلي ويحتاج أن يهرب ويولد.

في مطار «لودرديل» استأجرتُ سيارة مُدّة أسبوعين، وتحركتُ إلى فندق «سبين

درiftت»، عبر الشارع من المحيط الأطلسي. بقيتُ في غرفتي أستمع إلى الأشرطة وأسجل ملاحظاتي، ثم قررتُ أنني خلال كل هذا التحضير الفيزيائي والفكري، جاهز كي أكتب، وأبدأ نهم الكتابة. بقيتُ في غرفة الفندق تلك أكتب كل ليلة حتى طلوع الشمس. في الخامس عشر من أيلول، طرتُ عائداً إلى «نيويورك» كي أبدأ فصل الدراسة الخريفي.

لقد كتبتُ كثيراً كاملاً مُستخدماً الصيغة نفسها التي كانت تعمل على نحو جيد معي خلال مُمارسة علاجاتي. كان الكتيب عبارة عن اثنا عشر مقطعاً تصف منهجاً فكرياً منطقياً، صُمم كي يُساعد أي شخص في الوصول إلى قمة هرم «ماسلو» في التحقيق الذاتي. أولاً: تحديد ماهية التفكير الذي يُسبب أي نوع من الاضطراب. ثانياً: تمييز السلوكيات التي يُظهرها العميل. ثالثاً: إنشاء نظام المُكافأة النفسية من أجل الحفاظ على تلك السلوكيات. رابعاً: التركيز على البدائل عن طريق تصميم استراتيجيات مُحددة في القضاء على طرق قهر الذات الموجودة. لم يكن المنهج نظاماً نفسياً خيالياً، وإنما نظام قديم بسيط سليم مع تقنيات مُحددة من أجل التغيير. لقد صنع هذا النظام العجائب خلال مُمارستي الاستشارية، وأنا مُتأكد أنه سيتم تقبل كتابي على نحو جيد.

بعد إمضاء ساعات قليلة في روح مسامحة شيء سيطر عليّ خلال حياتي كلها، يبدو كأنّ ما عذبني سنوات قد مضى في أسبوعين من الوقت فقط، ويبدو أنّ الكتابة مُوجهة من غير أي جهد، وقد أكملتُ كثيراً بخط يدي بلا عنوان ولا اسم ناشر. كان عندي معرفة داخلية أنّ تلك اللحظات على قبر والدي بدأت ترويني بروح لم أختبرها سابقاً.

اليوم، لو سألتني ما التجربة الأكثر أهمية في حياتي، لأجبتُ إنها أحداث يوم الثلاثين من آب 1974 عندما تواجدتُ في موقع قبر والدي في «بيلوكسي، المسيسيبي»، أسامحه وأحبّه، وأظهر روعي من التسمم الذي يجلبه العيش مع الغضب الداخلي.

أنا أشعر بالروعة من التزامنات التي أتت مع بعضها وجلبتني إلى موقع القبر ذاك. ليس لديّ شرح دماغي ذكي لوجود بطاقة الأعمال تلك في السيارة الجديدة المُستأجرة، ولا أستطيع إعطاء حساب عقلائي عن سبب أنّ قرييتي التي لم أكن أعرفها اتصلت منذ أربع سنين، ولماذا عرضت عليّ الدكتورة «شيرلي غريغز» ذاك التكليف المؤقت، ولا لماذا

دُعِيتُ من أجل الرجوع إلى أرض المقبرة، وتوجَّهْتُ إلى ارسال الحبّ على الرغم من أنّ العنف الداخلي كان مُقيماً كما كان. لقد اتبعتُ نصيحة «الرومي» المؤثرة: «أنا مُتَحَيِّرُ بها كلّها». مع ذلك أعرف أنّ شيئاً ما أكثر قوّة كان يعمل وأنّ الأمر ليس مُجرّد سلسلة من الصدف.

من وجهة نظر أوضح وعند العودة من أجل النظر إلى الأمر برمته، أعلم أنّ بصمات الإله تملأ كلّ هذا المخطط الذي مشّت فيه الأحداث. أنا أدرك الآن أنني كنتُ في فوضى في تلك الأيام، وكنتُ أعمل دون أن أشعر بالإنجاز والرضى، وكانت كتابتي ضعيفة ولأول مرة غير مُعْزِية عاطفياً. كانت لديّ عادات أكل وشرب سيئة، وكان لديّ وزن زائد، وكنتُ في حالة زواج غير مُرضٍ. كنتُ رجلاً عصيباً بطرق عديدة، وكنتُ تقريباً أرى كوابيس ليلية مُزعجة عن والدي. كنتُ أستيظ ليلاً بعرق بارد وقد التقيته في حانة في الكابوس، وكنتُ دائماً أمارس المُلاكمة بالأيدي معه، وأضربه بغضب وأطلب الإجابات من الشبح الذي بقي يختفي عن نظري في طيفي النائم. عرفتُ أنه كان لديّ أشياء أكبر كي أنجزها، ومع ذلك شعرتُ أنني وقعتُ في شرك ظروف حياتي، وأني غير قادر على تحرير نفسي من هذه الكمائن المفروضة ذاتياً.

بعد عودتي من «بيلوكسي»، أخذتُ حياتي طعماً جديداً كلياً، وأصبحتُ كتاباتي في فندق «سبين دريفت» فرحاً خالصاً. كتبتُ كلّ الليل، وكنتُ غالباً ما أصاب بالإحباط في الصباح عندما أرى ورقة بعد ورقة على الأرض، لقد كنتُ منوماً خلال كتابتي حتى أنني أهملتُ ترقيم الصفحات.

خلال أسابيع قليلة من العودة إلى «نيويورك» بدأتُ مُمارسة نظام حمية وتدريبات استمرّ حتى يومنا هذا. صممتُ على أن أكون في شكل جسدي أفضل، وبدأتُ خطة جري مسافة ثمانية أميال يومياً ما عدا يوم واحد، وقد استمرّ ذلك خمس وعشرين سنة. غيّرتُ عاداتي الغذائية، وأخذتُ شخصية جديدة كلياً.

لقد أصبح الكتاب الذي ألفته في أربعة عشر يوماً بعد أن أزلتُ القلق من روحي، الكتاب الأول مبيعاً لهذا العقد، وقد صدر حتى الآن بسبع وأربعين لغة حول العالم، بإجمالي مبيعات خجول بعض الشيء حوالي مئة مليون نسخة حول العالم!. إنه بعنوان

Your erroneous zones «مناطقك الخاطئة»، وهو يتحدث عن الأخطاء الحمقاء في تفكيرنا وكيف يُمكن أن نعيش حياة خالية من الاضطرابات العاطفية عن طريق تغيير عادات تفكيرنا الاعتيادية. كان هذا الكتاب الذي قُدر لي أن أكتبه. وقد جهّزني الحياة وتجارب الالهام الإلهي من أجل هذه المُهمّة، بيد أنني كنتُ مخنوقاً بغضب تدمير الذات الداخلي الذي كان يجب أن يُستخرج.

كنتُ مُتوجّهاً إلى «بيلوكسي» كي أفهم أولاً قوّة التسامح المُذهلة. هذه الفكرة هي جوهر التعليم الروحي وما تزال واحدة من أكثر المبادئ تجاهلاً. يُذكرنا «المسيح» في إنجيل «لوقا» 6:27: «لكنني أخبرك مَنْ تسمعني: أَحِبْ أعداءك، افْعَلْ الخير مع هؤلاء الذين يكرهونك». وفي «لوقا» 6:28: «بارك أولئك الذين يشتمونك، صَلِّ من أجل أولئك الذين يُسيئون مُعاملتك». هاتان اثنتان فقط من مئات النصائح التوراتية المُماثلة. بهذه الطريقة أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنّ هناك قوّة عظيمة في الحياة حقيقة.

عندما استطعتُ أن أُسامح وأرسل الحُب في المكان الذي سيطرت عليه الكراهية سابقاً، تحوّل كلّ شيء في حياتي. كانت الكلمات الصحيحة هناك، وبدأ الأشخاص الصالحون يظهرون، وظهرت الظروف على نحوٍ سحريّ، وتلاشت جميع الاحتياجات، وعادت صحتي بعد أن كانت طاقتي مُبددة، وأصبحت حياتي فائضة بالوفرة، كلّ ذلك بسبب لحظة عميقة من التسامح التي نسقتها قوى أبعد من أن أقدر ببشريتي على وصفها. كان ذلك وكأنّ العقل الإلهي الكوني، أو الإله، أو «التاو» إن صح التعبير، قد رأى أنني عالق في الرمال المتحرّكة التي كانت تُدمرني، وقد جمع الأحداث الضرورية من أجل أن يُعطيني فرعاً عملاقاً أتمسك به، وأخرج بواسطته نفسي مرة وإلى الأبد من الهوة القاتلة التي كانت تُخمد قوى حياتي.

من هذه النقطة الهامة أستطيع أن أرى أن الإله هو الحُب، وأنّ التسامح هو أداة مُتوفرة كي تُرجعنا إلى حياة تحقيق الربانية. لقد عرفتُ دائماً أنه كان عليّ أن أكتب بطريقتي الخاصة عن الأشياء التي كانت تحدث معي، بيد أنني لم أكن قادراً على التحرر من الكثير من القيود التي كانت تُرجعني إلى الخلف. لقد عشتُ حياة مليئة بمُجملها بالحسد تجاه مُعظم الناس، وفوق ذلك كنتُ في داخلي أضحّ بالاستياء.

عندما كنتُ وسط الأحداث ذاك الصيف من عام 1974، شعرتُ أنّ شيئاً يُوقظ في داخلي. لم أستطع رؤية اليد الصوفية للتدخل الإلهي في العمل مباشرة، بينما استطعتُ أن أراه بصورة أوضح بعد سنوات من بعيد عندما أصبحتُ قادراً على رؤية ما كنتُ مُسيراً كي أقوم به. في الحقيقة، بعد سنوات عديدة، ساعدتُ في كتابة وإنتاج نسخة سينمائية عن خلاصة تلك التجربة في «بيلوكسي»، بعنوان My Greatest teachers «مُعلمي الأكبر». أعطيتها هذا العنوان الساخر لأنني أوّمن اليوم أنّ والدي، هذا الرجل الذي لم أعرفه أبداً، هو الذي علّمني الدرس الأكبر المُقدّم لنا من «سانت أوغاستين»: «التسامح مغفرة للخطايا. لأنه بسبب التسامح كلّ ما فقد ووجد، يُحفظ من الضياع مرة أخرى». بعد «بيلوكسي» لم أضع مرة أخرى.

كتبتُ كلّ المقاطع عن قوّة التسامح، وأخبرتُ القصة عن وصولي إلى معرفة والدي إلى الجمهور حول العالم. نصحتُ آلاف الناس كلّ بشخصه على وسائل الإعلام، وعلى برنامج الراديو الخاص بي، وأنتجتُ الفيلم الذي أشرتُ إليه للتوّ. حالما وجدتُ ورأيتُ كيف قدّم لي ذلك المُنعطف في حياتي بعيداً عن الألم نحو التفعيل الذاتي وإدراك الإله، لم أضع أبداً مرة أخرى.

ربّما تكون مقولتي المفضلة عن التسامح هي من «مارك توين»: «التسامح هو العطر الذي يسكبه البنفسج، على القدم التي سحقته». نحن في الحقيقة نرسل الحبّ كردّ على الكره ونُصبح كيميائيين روحانيين. لم أسامح والدي من أجله فقط، بل فعلتُ ذلك من أجل نفسي ونفسي أيضاً. أستطيع رؤية هذا الآن بصورة أكثر وضوحاً اليوم.



• في نهاية فصل الدراسة الخريفي من عام 1974، أتابع تدريس مُقررّين تعليميين في جامعة «سانت جون» عن تقنيات الاستشارة التي تعمل ومهارات التشخيص. سجّلت كلّ هذه المُحاضرات عبر السنوات الثلاث الماضية، واستخدمتُ الكثير من المواد في مُسودتي الأولى لكتابي عن المُساعدة الذاتية المكتوب في الأشهر القليلة الماضية. كنتُ أفكر ما الذي عليّ فعله من أجل نشر ذاك الكُتيب الموجود على مكتبي في السوق العام. أنا شخص غير معروف ولم يكن الناشرون مُتحمسين كي يُخاطروا معي، على الرغم من أنني كتبتُ ثلاثة كُتيبات ومجموعة من المقالات التي نُشرت في صحف احترافية.

لقد بذلتُ كلّ جهد كي أبقى صفوفي المسائية مُمتعة وملئية بالثقيف، فقد عدتُ بالتفكير إلى أيامي كطالب جامعي قبل التخرّج عندما كنت مُتجيراً كثيراً بسبب عدم قدرة الغالبية العظمى من الأساتذة الجامعيين في أن يجعلوا المادة التعليمية تتمتع بالحيوية، وأن يُبقوا الجمهور مُستمعين ومُتحمّزين على حافة مقاعدهم. أنا أحبُّ التعليم وتواجدي أمام الجمهور، وأستمتع على نحو خاص بجعل صفّي مُمتعاً، وبأن أدخل المرح تكراراً وبقدر المُستطاع عليه.

اقترب مني خمسة تلاميذ في مُحاضراتي المسائية أيام الثلاثاء والخميس، وشجّعوني على أن أجعل هذه المادة مُتوّرة بالنسبة إلى شريحة أكبر من الجمهور ذي التوجّه الأقل من الجامعي: «من فضلك د. «داير»، هلاً أخذت في عين الاعتبار تقديم سلسلة من المُحاضرات تكون مُتاحة بالنسبة إلى العامة تُشابه ما تُعلّمه هنا في الجامعة؟».

يُكمل هؤلاء الطلاب برنامج دراستهم في الماجستير، وغالباً يُحضرون أصدقاءهم وعائلاتهم كي يجلسوا ويُتابعوا مُحاضراتي. كان جميعهم يعيشون في الساحل الشمالي من جزيرة «لونغ» وقد أخبروني أنهم يستطيعون أن يضمّنوا حضوراً جيداً لو وافقتُ على طلبهم. اتّضح أنّ واحدة من هؤلاء الطلاب، اسمها «ليندا»، تعمل في ميناء واشنطن في مركز مُساعدة التعليم كمديرة، وقد أخبرتني أنّ البناء لا يُستخدم إطلاقاً بعد الساعة السادسة في أمسيات الاثنين، وأنها ستجعل المركز مُتوفراً لنا دون مُقابل إذا أردتُ تدريس دورة مفتوحة أمام العموم.

وافقتُ وكانت الدورة التدريسية في المدرسة الليلية مدّة أربعة أسابيع بعنوان «كيف تعيش حياة مُحقّقة للذات». وضعتُ «ليندا» اعلاناً مُختصراً في صحيفة «أخبار ميناء واشنطن» تدعو العامة فيها إلى أربع مُحاضرات في أربع ليالٍ متتالية من أيام الاثنين تبدأ في شباط 1975. سأقوم بإعطاء مُحاضرة للعموم للمرة الأولى. كان إجمالي كلفة الدورة هو عشرون دولاراً. هذا هو مرتبي الأول من الخطاب على العموم.

وصلتُ مساء الاثنين في تمام السابعة من أجل المُحاضرة الأولى كي أرى خمس وعشرين طالباً يجلسون في غرفة الصفّ! لقد وصلتُ إلى مبلغ خمسمئة دولار زيادة عن مرتبي، وهو مبلغ نقدي كبير يجنيه الإنسان في ظروف اقتصاد مُحبط نوعاً ما.

ألقيتُ المُحاضرات الأربع بعناوين مثل: «التغلب على القلق والشعور بالذنب»، «وداعاً للغضب»، «التحرر من الماضي». هذه كانت كلّ عناوين مقاطع الكتيب الذي ألّفته بالكامل، والموجود على مكتبي في الجامعة والذي لم يُنشر بعد.

في نهاية المُحاضرة الرابعة، طلب مني الطلاب أن أمدد الصفوف مدّة أربعة أسابيع إضافية، لأنهم يُحبّون مُحاضرات أمسيات يوم الاثنين، ولا يُريدونها أن تنتهي. أخبروني أيضاً أنّ العديد من أصدقائهم مهتمون بالتسجيل. من أجل ذلك وصلتُ في أول اثنين من شهر آذار، كي أدرّس صفّي التالي، فوجدتُ غرفة الصفّ مُزدحمة عن آخرها. كان هنالك ستون شخصاً محشورون في غرفة الصفّ، يحملون جميعهم فواتير بقيمة عشرين دولاراً في أيديهم. لقد حقّقت سلسلة مُحاضراتي في ليالي الاثنين نجاحاً ضخماً في مُجمّعات جزيرة «لونغ» الشمالية.

خلال سنة كان عليّ ترك مركز مُساعدة التعليم بسبب ضيق المكان، فقررتُ أن أَسْتأجر قاعة كبيرة في ثانوية «شارير» في الحرم الجامعي في ميناء «واشنطن». كان المكان مُزدحماً كلَّ ليلة اثنين خلال السنة ونصف القادمة، وعندما نُشر كتابي في شهر آذار التالي كان لديّ ألف ومئتي شخص من الحضور. أنا الآن أكسب مالاً من سلسلة مُحاضراتي أكثر مما أكسبه كأستاذ جامعي بدوام كامل في الجامعة.

كانت مُحاضراتي ليلة الاثنين في ميناء «واشنطن» حدثاً اجتماعياً ضخماً، مع أشخاص يحضرون من جميع أنحاء «نيويورك». لم يمض وقت طويل حتى استلمتُ رسالة بالبريد من السيد «آرثر باين»، الذي يعمل وكيلاً أديباً في مدينة «نيويورك»، يقول فيها أن زوجته «هاريت»، صديقة مُقربة إلى واحدة ممّن يحضرون مُحاضراتي، وأن صديقة «هاريت» أننت بشأن مُحوى ونمط المُحاضرات التي يُقدّمها هذا الأستاذ الجامعي في صفوف إلى المُجتمع، واقتَرَحَت أن يتصل بي «آرتي» كي يرى إن كنتُ أريد أن أكتب كتاباً باستخدام مادة هذه المُحاضرات ذاتها إلى عامة الناس.

رفعتُ سماعه التلفون واتصلت به «آرتي»، الذي يمتلك منزلاً في ميناء «واشنطن». أخبرته أنه لديّ كتيباً مُكتملاً بدأتُ به منذ أكثر من ستة أشهر، مُتسائلاً ما الذي أحتاجه كي أقوم بالاتصال مع الناشر. استمع «آرتي» إليّ وأنا أصف الكتاب وكيف أريد أن أبقيه باللغة اليومية الشائعة عند عامة الناس. أحبُّ هذه الفكرة ودعاني كي أُلقي به في مكتبه في «مانهاتن» الأسبوع المُقبل.

ركبتُ «الميترو» إلى المدينة مع كتيبتي المُكتمل بيدي، وأمضيتُ وقت بعد الظهر المُمتع أخبر فيه «آرتي» بكلّ أفكارِي. قال إنه لا يستطيع أن يعدني بأيّ شيء، لأنني شخص غير معروف، وهذا سيكون حقيقة كتابي الأول، لأنني أَلَفْتُ كتيبتي السابقة في سوق مُختلفة. كان «آرتي» مُتشككاً، ولكنه مأخوذ بحماسي ويحبّ آراء المديح التي سمعها من أصدقاء زوجته الذين حضروا مُحاضرات ليلة الاثنين العمومية في مسقط رأسه في ميناء «واشنطن». قال إنه سيتصل بي إذا استطاع أن يحصل لي على موعد مع دار نشر في «نيويورك».

غادرتُ وأنا أعرف أنني سأحصل قريباً على صفقة كتابي الخاص. لقد عرفتُ ذلك

بالتأكيد. أرى الآن أن «ليندا» وأصدقاءها الأربعة الذين اقتربوا وطلبوا مني تقديم سلسلة مُحاضرات مدفوعة إلى المجتمع كانوا ملائكة أرسلوا إلى حياتي في مُهمة مُحددة إلهياً. في ذلك الوقت رأيتُ ببساطة أن الأمر مُغامرة جديدة مُمتعة، بينما من بعيد ومن وجهة نظر أوضح، أرى الآن كيف أن هذه التجربة أطلقتني في اتجاه جديد كلياً. كانت تلك خطوتي الأولى في اتجاه من الاعتماد على الذات على نحو أكبر في حياتي. تعلّمتُ في الحال أنني أستطيع البقاء في مهنة التعليم التي أحببتها كلياً، دون أن أضطرّ إلى ما اعتبرته قيوداً، مثل الإستجابة للمدراء، أو تدني الأجور الذي أتى مع مهنة التدريس. أنا أستطيع الاستمرار في تعليم أيّ مادة من اختياري بشروطي الخاصة، وقد اكتشفتُ أن هذا الأمر يُمكن أن يكون طريقاً مُربحاً في كسب العيش أيضاً.

على مدى عقود حتى الآن شجعتُ كلَّ شخص بأن يؤمن أنه يستطيع صنع حياة طيبة كما يُحبّها. لو بقيتُ على هدفك والتزمتُ باتباع سعادتك، فستعاون العقل الكوني الواحد معك ويجلب هذا الأمر إلى الإنجاز. سيظهر الناس المُناسبون، وتُرمى العوائق بعيداً، وتتجسّد الظروف الضرورية، ويتجلّى الإرشاد والتوجيه. كما تُذكرنا الحكمة البوذية القديمة: «عندما يجهز الطالب، يظهر المُعلّم»، كذلك عندما يجهز المُعلّم، يظهر الطالب! والمفتاح هنا هو كلمة يجهز.

لو قررتُ قبل أربعين سنة مضتُ أنني لا أستطيع فعل أمر كهذا، فلم يكن ليُعمل رُبّما، ولم يكن ليُظهر الناس، ولكانت هناك إشكاليات كثيرة، أو رُبّما كانت كمية النقود التي أجنيتها قليلة جداً، أو لم أكن ببساطة مُستعداً بعد. لقد كان أولئك الطلاب الخمسة، وتوفّر مركز مُساعدة التعليم بمُثابة مُعلّمين أرسلوا إليّ. لقد كان استعدادي كي أرى الفرصة وأنهنّ لها هو الذي دفعني في اتجاه قول: «نعم، سأقوم بذلك».

لو لم أقل نعم لهذا الاقتراح، كانت حياتي بأكملها ستُكتشف بطريقة جديدة مُختلفة تماماً. رُبّما كنتُ بقيتُ أستاذاً جامعياً مُدّة الثلاثين سنة القادمة، لأنني لم أكن لأرى بنفسي أنني أستطيع أن أعلّم وأفعل ما أحبّ، وأكسب دخلاً كبيراً من ذلك، ولما قابلتُ الرجل الذي سيُصبح وكيلي الأدبي، ويُرشدني إلى عالم النشر.

ما أعرفه الآن من هذه الفرصة هو أن المُعلّمين مُتواجدون وحاضرون في كلّ لحظة

من حياتنا. هؤلاء المُعلّمون لا يظهرون دائماً كما يظهر الناس العاديون: ففي بعض الأحيان يظهرون مُلتحمين على نحو مُتطابق مع الأحداث، أو من خلال رسالة غير مُتوقّعة في البريد، أو من خلال مُقابلة علي التلفاز. لقد تعلّمتُ خلال هذه السنين ألا أبحث عن المُعلّمين، وبدلاً عن ذلك أن أبقى نفسي في حالة جاهزية وأبقى في حالة امتنان تجاه الأمر برمته.

ذكرتُ سابقاً مقولة «ثورو» التي توضّح أنك إن اتبعت أحلامك «ستلقي بنجاح غير مُتوقّع في الساعات العادية». أنا أشرح هذا بأنه يعني أنّ النجاح سيُطارِدك لو بقيت بمُحاذاة الصورة العليا التي تمتلكها لنفسك. إنّ نهج المُحاذاة هذا هو المفتاح. اِبقَ مُرتبطاً مع مصدرك الابداعي وستكسب قوّة ذاك المصدر، لأنك أنت والإله واحد. عن طريق انتهاز فرصة ذاك الباب المفتوح في مركز مُساعدة التعليم عام 1974، فتحتُ باباً على قاعة كبرى من الإمكانيات غير المحدودة التي ما كانت بطريقة أخرى لتبدو مرئية.

أعود بذاكرتي إلى ليالي الاثنين عندما كنتُ أعلم صفّي الخاص، وقد ذكرني ذلك بالصفوف التي قدّمْتُها لزملائي البحّارة في «غوام» عندما كنتُ في الحادي والعشرين من عمري. إنّ الفرح الصافي الذي شعرتُ به عندما اتبعتُ ندائي الداخلي الخاص، والانحياز إلى الإله، أبعادني عن الحاجة إلى جعل حياتي تُدار من قبل ما كان الآخرون يظنونهُ الأفضل بالنسبة إليّ.

كنتُ أستههّد دائماً بالكاتبة الغامضة «فيرجينيا وولف»، كلّما بدا أنّ واحداً من أولادي الثمانية يستفسر عن الاتجاه الذي يجب أن يأخذه في حياته: «رتّب أيّ قطع تأتي في طريقك». يا لها من نصيحة عظيمة. خُذ القطع التي تظهر لك، ورتّبها بطريقة بحيث تعيش بلا خوف، وسيعالج العقل الإلهي الكوني الواحد كلّ التفاصيل من أجلك.

إنّ يد القدر المُدهشة التي عرفتُ ما الذي رغبتُ به في هذا التجسّد، كانت تُدير الأشياء من أجلي سابقاً في 1974-1975. لقد أرسلتني إلى «أوروبا» كي تُساعدني في تحديد مُهمّتي، وأخرجتني من «تركيا» بأمان من أجل أن أرى القوّة التي تمتلكها نواياي في إنجاز أيّ شيء. لقد أرسلتني تلك اليد إلى «بيلو كسي» كي تُخلّصني من تلك العوائق

الداخلية التي تشوب عظمتي الداخلية، وجلبت إلى حياتي الوعي بامكانياتي كي أكون مُستقلاً تماماً مثل الناس الذين سِيرشدونني ويُوَجِّهونني.

في عام 1974 كنتُ أنظر إلى بايين ويجب أن أختار العبور من خلال أحدهما: الأول كان يضمن لي الجمود، والآخر كان يفتح على آفاق أكبر بكثير حتى من أعنف خيالاتي الخاصة. في خريف عام 1975 قُدِّمت لي فرصة أخرى كي أرتّب القطع التي كانت تأتي إليّ على نحو سريع ومخيف.



• لقد أكملتُ للتوّ سنتي الرابعة من التعليم في جامعة «سانت جون» في ربيع عام 1975، ووقعتُ أيضاً عقداً كي يُمثلني «آرتي باين» مُقابل تلقيه خمسة عشر بالمئة من أيّ شيء أكسبه ككاتب ناشر. لقد استخدم رابطاً يصله مع دار نشر «كروويل»، وأعطاني الفرصة كي أقدم كتيبي الكامل إلى مُحرر قدير هناك، وأرى إن كانوا مُهتمين بكتابي. قال «آرتي»: «اذهب إلى هناك وقم ببيعهم فكرة نشر كتابك».

وصلتُ إلى موعدِي المُحدد في قلب «مانهاتن» وقد أخبرني السكرتيرة أن أنتظر في المكتب الخارجي. مضت ساعة، ثم اصطحبوني أخيراً إلى مكتب السيد «بول فارغس» الذي اعتذر مني كثيراً عن طول انتظاري، وبدأ المُقابلة من خلال سؤالي عن كتابي وخططتي من أجل نشر الكتاب.

هناك شيء غير صحيح! لقد قمتُ بمُمارسة العلاج الخاص في جزيرة «لونغ» أكثر من أربع سنين، وأقوم بتقديم الاستشارات وجهاً لوجه خمسة أيام في الأسبوع في مكتب منزلي، وأتعامل مع ما يُقارب من ثلاثين مريضاً في الأسبوع. نتيجة لذلك أصبحتُ ماهراً بالشعور إن كان الانسان في حالة اضطراب عميق، وأنا أشعرُ الآن بذلك في هذه المُقابلة. يفيض «بول» بالغضب والتوتر، ويبدو كأنه كان مُستيقظاً طوال الليل ويُحاول أن يضع قناعاً على مشاعره الحقيقية وينتهي من هذه المُقابلة، على الرغم من أنها رُبت من «آرتي» منذ بضعة أسابيع.

انتقلتُ مباشرة إلى مزاج المُعالجة، وسألته إن كان يرغب بإخباري ما الذي يجري

حيث أنني رُبّما أكون قادراً على مُساعدته. طرح «بول» قضية شخصية يتعامل معها، وأمضينا الساعات الثلاث التالية نتحدّث عنها. عندما انتهينا، اعتذر مني مرة أخرى ونحن نتصافح ونُغادر. غادرتُ بكتابي تحت ذراعي، فلم يُعرض الموضوع أبداً بعد الدقائق القليلة الأولى من مُقابلتنا. عدتُ إلى المنزل في «الميترو».

عندما اتصل «آرتي»، مُتلهفاً كي يعرف كيف كان الاجتماع في «كروويل»، أخبرته باختصار عمّا حدث. أصبح «آرتي» غاضباً بطريقة ودية ومُنزعجاً ممّا اعتبره قلة خبرة، ولم يكن يستطيع أن يُصدّق أنني تركتُ الفرصة الوحيدة في عمري تفلّت من يدي. لقد حصل «آرتي» على هذا الاجتماع عبر شخص يعرفه في الشركة، ولم يكن يعتقد أنه سيستطيع الحصول على موعد آخر من أجلي. كانت هذه فرصتي الذهبية ولم أنتهزها على نحو مُناسب حسبما قال.

في العاشرة تماماً من الصباح التالي، اتصل «آرتي» من مكتبه في «مانهاتن»، تغلبه الإثارة. لقد أخبره «بول فارغس» للتوّ: «لا يهمني ما يحتويه كتاب الدكتور «واين»، أريد أن أوقع معه كي يكون كاتبِي». عرض عليّ دفعة مُقدمة تُعادل تقريباً راتبي السنوي الذي أتلّقه من التعليم في الجامعة. كنتُ مبتهجاً بقوة. لديّ عقد كتاب مع «فانك، واغنالز» التابعين لـ «كروويل تي. واي» ولقد ضاعفتُ دخلي أيضاً!

لم يكن معروفاً لي في ذلك الوقت، أنني كنتُ أتقدّم حقيقة إلى أحد أعظم الفرص التي صادفتُها في طريقي على الإطلاق. لقد كان لديّ خيار في أن أجعل الإيغو «الأنا» يُجري وينوّل ذاك الاجتماع الأول مع ناشر من «نيويورك»، حيث تتجاهل أناي ذاك التوتر الظاهر الذي كان «بول» واقعاً تحت تأثيره، وأتحرك بقوة كاملة قدماً إلى أهدافي. كنتُ أستطيع محاولة بيع كتابي إلى هذا المُحرر واقناعه بكلّ الأسباب لماذا عليه أن يُفكر في نشره، بيد أنّ هذا التصرف كان في صفّ الأنا، التي لا تريد إلا ما يتعلّق بالفوز، وجذب الانتباه بقدر الإمكان إلى النفس.

لقد تعلمتُ خلال السنين أنّ الأنشودة «المانترا» الداخلية للأنا هي دائماً هكذا مع بعض الاختلافات بين الناس: ماذا هنالك من أجلي في هذا الأمر؟ اعتن بي، أنا الشخص الأكثر أهمية في العالم. مع هذا النوع من الحوار الداخلي تمضي الأنا بلا توقّف كي

تُسيطر على مُعظم التفاعلات، وتصل إلى نتائج أقل من مُرضية. أستطيع أن أرى من هذه النقطة وبصورة أوضح أننا نُعطى فرصاً على نحو مُستمرّ كي نُروّض هذا الجانب من أنفسنا.

كان الخيار الآخر لديّ في مكتب «بول» في ذاك اليوم من عام 1975 فرصة رائعة كي أروّض الأنا عندي عن طريق وضعها في الخلفية واعتبارها أمراً ثانوياً. كان الخيار الذي قدّمته في ذاك اليوم يتجاهل تعزيز الأنا عندي ويستمع إلى «الماترا» الداخلية للأنا العليا. تسأل هذه «الماترا»: كيف أستطيع أن أخدمك؟ بدلاً من التركيز على: ماذا هنالك من أجلي في هذا الأمر؟. كان هذا درساً كبيراً بالنسبة إليّ، ليس فقط في ذاك اليوم، وإنما في كل كتابتي المُستقبلية ومسيرة تعليمي.

إنّ طبيعتنا الأصيلة هي الحبّ، العطف، الرّقة، وخدمة الآخرين. هذا ما يتصف به الإله ويتصرّف به، من دون طلب أيّ شيء، يُعطينا مجاناً النعم الدائمة من خلال منح الهواء العليل، الماء، الطعام، النباتات، الحيوانات. عندما نتجاهل الأنا لدينا ونستمع إلى الأنا العليا، نُصبح في مُحاذاة مصدر وجودنا، وهو الإله، ونكتسب بالتالي القوّة من مصدر وجودنا كذلك.

عندما نأتي من خلال سلوك كيف أستطيع أن أخدمك؟ كما كنْتُ أفعل دون وعي في مكتب «بول»، يبدأ المصدر الكوني بتمييز نفسه في تلك الطاقة، ويردّ على السؤال بجواب: كيف أستطيع أن أخدمك؟. هذا ما كان يحدث لي، حيث أذى تصرفي البسيط في الوصول إلى إنسان آخر مُحتاج، إلى جلب عالم جديد كامل من الوفرة غير المحدودة في حياتي من غير أن أعرف ذلك حتى.

لقد أتت العديد من الكتب الأفضل مبيعاً على نحو هائل من عقد النشر ذاك، وتوجّهت حياتي نحو طريق مُختلفة جذرياً وكلياً عمّا كنْتُ عليه. لقد أصبحت مسألة كبح مُتطلبات الأنا المُستمرة من أجل الانتباه وخدمة الذات موضوعاً كبيراً جداً في كتابتي، خطابي، وفي حياتي الشخصية الخاصة.

أشعر أنّ يداً إلهية امتدّت لي أثناء تلك الأيام من عام 1975، خلال ذلك الاجتماع القدري الواحد، حيث كنْتُ هناك الأستاذ الجامعي غير المعروف في عمر الخامسة

• أثناء الفصل الدراسي الخريفي من عام 1975، كان درج أوراقي مُمتلئاً كلياً. لديّ العديد من الواجبات مع اللجان المُختلفة في جامعة «سانت جون»، برنامج تعليمي كامل، العديد من طلاب الدكتوراه الذين أقدم النصّح لهم، مُمارسة الاستشارات بدوام كامل. تحوّلت ليالي الإثنين التي إلى حدث، مع مئات الناس الذين يحضرون الصفّ الذي أقوده في ميناء «واشنطن» حول الحياة مع تحقيق الذات، وكتاب «مناطقك الخاطئة» المُخطط له أن يُنشر خلال أشهر قليلة، وأنا في مراحل التحرير الأولى له. أُحبّ العمل مع «بول فارغس»، فهو عالي المهارة ويُقدّم لي جزءاً كبيراً من الإرشاد في مراحل تحرير الكتاب الأول الذي ألفته بمُفردي.

لقد تطورت مُمارستي للعلاج على نحو كبير جداً حتى أنني لم أعد أقبل مرضى مُجدداً. كنتُ في أيام العطل من الجامعة أضع في جدول أعمالي على نحو مُتكرر مواعيد للعلاج من الساعة السابعة ونصف صباحاً وحتى التاسعة مساءً. كنتُ مع أوراق التقييم، وأطروحات الدكتوراه التي أشرف عليها، واللجان التي بجب أن أجتمع معها، والعديد من الطلاب الذين يجب أن أنصحهم، أشعر بالنجاح، ولكن مع الضغط الكبير.

قبل صفوفي المسائية، كانت أيامي في الجامعة مليئة بالفوضى. كان مكنتي زاخراً بالطلاب الذين يحتاجون أن يروني الآن مع حشد من الاهتمامات، وسكرتيري «ماري»، تُقاطعتني باستمرار كني أتحدّث مع شخص ما على الهاتف.

خلال ساعتين كنتُ أخطط أن أكون أمام طلاب صفّ كامل، بالإضافة إلى ضيوف

غير مدعويين يُريدون أن يجلسوا في مُحاضراتي، وكنتُ أسمع «ماري» تطلب من العديد من زملائي الذين يعملون ساعات مكتبية: «هل رأى أحدكم الدكتور «داير»؟»، هناك حوالي مئة من الناس يُريدون أن يروه، وقد بحثتُ عنه في كل مكان!».

في وسط الجلبة، عندما بدأتُ مخالِب الفوضى تسعى نحوي من كل اتجاه، مُهددة أن تسجنني بعيداً، قمتُ بالهروب. نزلتُ من خلال الأدراج الخلفية لقاعة «ماريلاك»، وخطوتُ خارجاً، وأخذتُ نفساً عميقاً. مشيتُ على طول طريق «يوتيوبيا» دقائق قليلة، ودخلتُ الحديقة، حيث ذهبتُ إلى بقعة معزولة خلف مجموعة شجر، وجلستُ على صخرة كبيرة.

بقيتُ مُدّة خمس دقائق بعيداً، بينما كان مكنتي مُزدحماً بالناس، الذين يُريد كل منهم جزءاً مني. ابتسمتُ داخلياً على هذا اللغز الذي أعيشه، حالما أغلقتُ عيني واستمعتُ إلى أصوات الطبيعة، شعرتُ بالشمس على وجهي، وبدفء الطاقة الشافية الذي بدأ ينهمر على معدتي بعد القلق الذي كان يعصف بها. سمعتُ أصوات العصافير، الصراصير، الكلاب في الحديقة، والرياح التي تُحرّك الأغصان والأوراق فوقِي. فتحتُ عيني ببطء، مُقدّراً الألوان المُدهشة التي ترقص من خلال الشجر حيث روعة تحوّل الخريف ماثلة أمامي، كل ذلك حدث دون أيّ جهد.

أمضيتُ خمس عشرة دقيقة بالكاد في هذه البقعة التي أعترّ بها، مُستمتعاً بهروب مُختصر من الطاقة الفوضوية في مكنتي. لقد أصبحتُ جاهزاً كي أرجع. عدتُ مُنتعشاً إلى الجامعة وأنا أشعر كأني شخص جديد. لقد ذهب الثقل، وأنا أشعر على نحو أكيد أنه لا شيء يستطيع أن يُؤثر بي. أنا أعلم أنني عائد إلى الاضطراب، بيد أنه لم يعد يُشعُرني بالعنف بعد الآن. صعدتُ السلالم الخلفية ودخلتُ الطابق الثالث من باب قلّ ما يُستخدم، ومشيتُ عبر مساحة المكتب الخارجي، وشعرتُ بالسلام على نحو كلي.

كان الطلاب ينتظرون أن يروني أبداً مُختلفاً عما رأوني عليه عندما غادرتُ غلى نحو غير ملحوظ منذ عشرين دقيقة. رحبتُ بكلّ منهم في مكنتي وساعدتهم بتناغم في حلّ قضاياهم عن العلامات، الأوراق، ومُتطلبات الجامعة الأخرى التي بدت صادمة لرغبتهم في أن يُكملوا درجاتهم.

لم يعد زملائي الذين احتاجوا انتباهي يشعرون وكأنهم يتطفلون: أستطيع معالجة جميع المُكالمات الهاتفية بهدوء الآن. مضت الساعتان التاليتان بسرعة، وقد أدركت الكثير من التفاصيل على نحو خالٍ من الإجهاد نسبياً.

فكرتُ في مساحتي الصغيرة في الحديقة كبقعة هدوء لي، جاعلاً إياها عادةً إذ أزروها كل يوم تقريباً وسط الفوضى التي تنصف بها ساعات مكتبي. كنتُ أثري وقتي في هذه المُقاطعة الهادئة بالسكينة التي أصل إليها، وبالرضا والغبطة تجاه تلك المخلوقات التي لا تبدو أنها في أماكن مُخصصة. أنا أغبط على نحو خاص الطيور التي تطير فوق كل شيء، وتُحلّق في الرياح، مُوضحة للجميع أنّ الفوضى هي على الأرض في الأسفل. لقد أدركتُ أنني اكتشفتُ أنه لديّ مكان من الحرية داخلي كذلك. أستطيع أن أحلّق فوق كلّ ذلك وأن أنظر أسفل إلى الضوضاء بصورة أوضح، فقط من خلال الدخول في تخيل النسر في رحلة.

الآن عندما أرجع بذاكرتي إلى أهمية بقعة هدوئي، أرى ذلك الدور المُهم الذي قامت به مساحة الهروب الصغيرة تلك في الحديقة في عام 1975. كان هذا قبل انغماري بفترة طويلة في عالم التأمل الهانّي، ومع ذلك أشعر أنني كنتُ وبطريقة غامضة مُوجَّهاً إلى تلك البقعة قرب جامعة «سانت جون» كي تُقدّم فكرة الصمت كترياق للضغط. لقد كان ذلك منذ حوالي أربعة عقود تقريباً، منذ أن جلست على صخرة الحديقة، ومع ذلك أستطيع أن أرى ما حدث تماماً وأنا أجلس هنا وأكتب اليوم. أستطيع أن أرى، أشمّ، أسمع، وأشعر فعلاً ببقعة الهدوء التي انسحبتُ إليها كلّ تلك السنين الماضية.

لقد أصبح التأمل نشاطاً مُهماً للغاية في حياتي، وكان مُقدراً أن أصبح مُشاركاً بعمق في فن التركيز القديم هذا. لقد وضح المُعلّمون الشرقيون لي كيف أعلم الآخرين أن يُمارسوا «جابا»، وهي شكل قديم من التأمل باستخدام ترداد إسم الإله «المانترا» من أجل الوصول إلى حالات جليّة من الوعي الداخلي. لقد كان عليّ أن تعرّض إلى سحر كوني مع مُمارسة التأمل التجاوزي، وأتلقى التعليمات في هذه المُمارسة من قبل بعض الأشخاص المشهورين في العالم في مسألة تهدئة الدماغ وتفكيره. لقد كان مُقدراً لي أيضاً أن أصنع نسختي الخاصة من التأمل، وأن أكتب كتاباً أعطيتُ فيه إرشادات مُحددة

عن كيفية جعل التأمل ممارسة يومية في حياة الفرد. لقد كان كل ذلك أمامي يسبقني على الطريق.

أنا أرى الآن بوضوح عمل العقل الإلهي الذي كان مُطلعاً على قدرتي، الأمر الذي كان مُشرشاً بالتأكيد بالنسبة إليّ في ذلك الوقت. لقد كان العقل الإلهي يعمل في تلك الأيام التي كنتُ مدفوعاً فيها إلى ترك مكثبي والمشي إلى الحديقة. أعود بذاكرتي إلى الطاقة المذهلة التي دفعتني كي أذهب إلى تلك البقعة في أيام عاصفة شعورياً كي أحظى بتجربة قوية تُوجّه مسار حياتي. لقد ارتشفتُ في بقعة هدوئي من ذاك الجمال الساحر الذي كان يُقدم إليّ، والذي بدا في ذلك الوقت، طريقة عظيمة من أجل وضع القلق جانباً والتفيس عن قليل من الغضب. من بعيد نظرتُ إليها كإشارة لي في ذلك اليوم بالتحديد كي أصنع مُعطفاً بعيداً عن الحياة المليئة بالضغط غير الضروري.

استشهدتُ دائماً بالفيلسوف الفرنسي، العالم وخبير الرياضيات «بليز باسكال» الذي قال: «جميع مشاكل الرجال تأتي من عدم قدرتهم على الجلوس بهدوء في غرفة بمفردهم». على الرغم من أنني فكرتُ في كلماته مرات عديدة، ولكنها لم تأخذ مكانها حقيقة إلى أن اختبرتُ كيف تذوب مشاكلي بينما أجلس بهدوء في بقعة هدوئي الخاصة وحيداً. لقد أعطيتُ الفرصة كي أعرف حقيقة هذه المشاعر من أول تجربة، وبقيتُ مُمتناً كلياً تجاه أي شيء حثتني اليد الإلهية عليه في تلك البقعة المُقدّسة التي انطويتُ فيها غالباً. لقد أعطيتُ دروسي الأولية في تحقيق السلام الداخلي في ظروف دفعت الآخرين إلى الجنون، وتعلّمتُ كيف أصبح مُعلماً لهذه الحكمة إلى أجيال من المُتأملين الجدد وممارسي «اليوغا».

إن أحد أكبر الحقائق التي كنتُ سعيداً في تلقيها وتعليمها، أتت منذ عدة عقود بعد وصولي إلى بقعة هدوئي. لقد أصبحت علامتي التجارية التي أختتم بها على كل دفاتر ملاحظاتي. تقول هذه الحقيقة ببساطة: عندما تُغيّر الطريقة التي تنظر بها إلى الأشياء، تتغير الأشياء التي تنظر إليها. عندما كنتُ في خضم العديد من النشاطات والمحاولات من أجل إيجاد وضوح وسط الاضطراب الذي هدد حياتي، جلب هروبي هذه الحقيقة لي بطريقة كبيرة.

بعد إمضاء جزء مُختصر من الوقت في الطبيعة، كنتُ أتحرك من الاضطرابات البشرية، وأتواجد في مساحة داخلية صامتة، كنتُ أستطيع العودة إلى مكتب الهرج والمرج ذاك وأُغيّر الطريقة التي أنظرُ بها إلى الأشياء، وأنا مُتأكد كفاية أن الأشياء التي نظرتُ إليها قد تغيّرت!. كان طلابي شباباً مُحتاجين، وليس أشخاصاً يُسببون لي الضغط، وكان زملائي زملاء عمل ودودين، وليسوا مصدر عمل أشياء إضافية أخرى. لم تُعد المُكالمات الهاتفية بعد الآن مُقاطعات، بل ببساطة جزء من العمل الذي تطوّعتُ كي أفعله. لقد بدا المكان كلّهُ مُغامرة مُثيرة مع طاقة صاخبة، وليس استنزاف طاقة الدماغ المذهول.

اليوم، عندما أقرأ تلك الملاحظة عن تغيير الطريقة التي تنظرُ بها إلى الأشياء، أعود مرة بعد مرة إلى تفكيري في تلك الخلوات الهادئة في حديقة الجامعة المُجاورة. لقد كان توليفي كي أعلم الفكرة القوية أن لحظات قليلة هادئة في الحديقة، بإمكانها جلب نقلة نوعية في أكثر الظروف إزعاجاً. كنتُ مُتأكداً كفاية، أنني على وشك الشروع في مهنة جديدة من تعليم الآخرين كيف يعيشون من مكان السلام، ويُغيّروا الطريقة التي ينظرون بها إلى الأشياء.



• لقد أكملتُ مسؤوليات الفصل الدراسي الخريفي في جامعة «سانت جون» وأصبحتُ أعمل في التحرير بدوام كامل من أجل إعادة كتابة كتاب «مناطقك الخاطئة». أخبرني «بول فارغس» مُحرري في دار نشر «كروويل» في «نيويورك»: «سُيُنشر كتابك في آذار القادم، ولكننا نستطيع أن نبثه في حلقات على الإذاعة الوطنية، تهانينا!».

يتطوّر كتابي إلى دليل من أجل قطع الخط الأحمر خلال حياة الأنماط العاطفية. لقد كتبته ليس بسبب تدريبي التعليمي المُتطوّر، ولكن رغباً عنه. أنا واثق بشأن ما يعمل حقيقة في مُساعدة الناس على إحداث تغيير دائم، لأنني عملتُ مع الكثير من الناس من كلّ الفئات العمرية، ومع مجموعة واسعة من الخلفيات والتأثيرات الثقافية.

في السنوات الأربع الماضية من مُمارستي الخاصة، ساعدتُ المئات من المرضى كي يتعلّموا كيف يُديرون حياتهم بطرق أكثر صحّة وإنتاجية. لقد أتوا إليّ يسعون إلى تجاوز المشاكل العاطفية، ولقد نجحوا غالباً بمنهجية منطقية. أشعر أنني أستطيع أن أكون أكثر نفعاً بالنسبة إلى قُرّاء كتابي «مناطقك الخاطئة» إن استطعتُ تجنّب الطريق الأكثر تخصصاً من الناحية النفسية، والذي هو غالباً أساس تدريب طلابي في مرحلة الدكتوراه. أنا أريد أن أبقى هذا الكتاب بسيطاً وواقعياً بقدر ما أستطيع. لديّ قدرٌ كبيرٌ من الثقة في العظمة الفطرية لكلّ إنسان.

لقد سمعتُ «بكمينستر فولر» يُلقِي مُحاضرة حيث استحضر هذه الجملة: «كلّ شخص يُولد عبقرياً، ولكنّ طريقة العيش تُقلل من عبقريته». أنا لا أستطيع إخراج هذه

الفكرة خارج دماغي. أريد من الناس أن يثقوا بعظمتهم الخاصة، فقد أفتعنتني تجربتي في علاج المرضى وانفتاحي على الدكتور «ماسلو» بأن كل شخص عبقرى. في كل جلسة استشارة كنتُ أو من أنني أجلس مُقابل عبقرى، سمح «لسوء الحظ» لنفسه أو سمحتُ لنفسها أن تكون غير عبقرية! كان كتابي عن تحقيق هذه الأفكار من غير وضع الأعذار التي تُزود بها النظريات النفسية النظرية.

كنتُ أناقش مشاكل مرضاي كما يرونها هم باختصار شديد، وكان مُعظم انتباهي ينصبّ على مُساعدتهم كي يُفكروا على نحو مُختلف عن أنفسهم وحياتهم. سميتُ هذا الكتاب «مناطقك الخاطئة» لأنه يدور عن تعليم الناس كيف يتجاوزوا أخطاء تفكيرهم. هناك الكثير من الناس الذين لا يُؤمنون بأن لديهم خيارات، إنهم يشعرون بأن مشاكلهم تُفرض عليهم من قبل عوامل خارجية، ليس لديهم أي سيطرة عليها، وهذا ما كنتُ أراه خطأ كبيراً. كنتُ أقدم لمرضاي وعلى نحو مُتكرر تلك الأدوات التي تُسهّل اكتشاف أنهم مجموع كل الخيارات التي يصنعونها. إنهم يُقاومون في البداية و يُلقون اللوم، وأنا أُشير أنّ هذا خيار، وأخبرهم أنّ فعل هذا ليس جنوناً فقط، بل هو خطأ في التفكير، هذه هي منطقتهم الخاطئة.

عبّر تفكيرك، تحمّل مسؤولية كل شيء في حياتك، واهزم تفكيرك الخاطيء. كنتُ أمارس نوعاً من العلاج الفكري العاطفي المُخفف، وكنتُ أرى تغييرات هائلة تُصنع من قبل زبائني في عدد قليل من الجلسات نسبياً. كان «أبراهام ماسلو» و«آلبرت إيليس» مُعلّمين رائعين، وقد أثر عملهما على مُمارستي الخاصة، وفي كتاباتي، وفي حياتي الشخصية.

أصررتُ على إبقاء رسالتي مُباشرة وبسيطة أثناء عملية تحرير كتيبي الأصلي الذي كتبته منذ سنة مضت. إنه منطق سليم أكثر من كونه نظرية نفسية مُتحدقة، وكان أكثر نفعاً في مُساعدتي للناس عليّ قهر أخطاء تفكيرهم التي تُسبب العواطف المُضطربة والحياة غير المُنجزة. كنتُ أقاوم الجهود المبذولة من قبل مسؤول النشر كي أضفي الصفة الاحترافية على كتيبي من خلال الكتابة حسب نمط الجمعية النفسية الأمريكية، أو أُشير إلى المراجع اللانهائية من الأبحاث المُعترف بها.

سريعاً إلى الأمام إلى شهر آذار 1976. استملتُ نسخة غلاف كتاب «مناطقك

الخاطئة» باليد في مكتبي في جامعة «سانت جون». أنا فائق السعادة والشعور أبعد من قدرتي على وصفه. كان قلبي يخفق بالمتعة بينما أتأمل ما تم إنجازه: الزيارة إلى قبر والدي في «المسيبيي». مئات المحاضرات وجلسات الاستشارة التي سجلتها. تأثير د. «ماسلو» ود. «إيليس» على حياتي. أنا مُصمم أنني قادر على أن أصنع تأثيراً ضخماً من خلال الرسائل المُحتواة في صفحات كتابي.

استغرقتُ في ذكرياتي عن كلّ ساعات الكتابة، من البداية عندما كنتُ صغيراً جداً، وصولاً إلى هذه اللحظة جالساً بمُفردي في مكتبي وأنا أحمل كتابي، وأشعر أنه أعظم كنز أستطيع تخيُّله. حملتهُ معي إلى صفوفِي، ولكنني لم أخبر أحداً عنه. إنه نفيسٌ جداً، ومُمتعٌ جداً إلى درجة أنني لا أريد مُشاركته الآن.

تذكّرتُ كلمات «بول فارغس» بخصوص كتابي الذي يُنشر في حلقات في الإعلام المحلي، وكنتُ مُتأكّداً بما فيه الكفاية أنّ أول ست حلقات من «مناطقك الخاطئة» ستظهر قريباً في مجلة «المُستفسر المحلي» التي تخصص بأقوال المشاهير، وتُباع في مخازن البقالة في البلاد. أخبروني أنّ هذه المجلة الأسبوعية الدورية تصل إلى ما يزيد عن ثلاثة ملايين قارئ. لقد وصلت جميع المقالات التي كتبتها في الصحف المحترفة إلى نسبة ضئيلة من هذا العدد. أشعر أنّ هذا الجمهور الضخم من القراء سيستفيد أكثر من قراء الصحف المُحترفة.

بدأتُ ألقّي كمأ هائلاً من الرسائل الالكترونية من الناس من كلّ أنحاء البلاد يطلبون مني النصّح، ويُخبرونني أيضاً أنّ كتابي يُساعدهم في حلّ المشاكل التي يُواجهونها في عائلاتهم وفي علاقات الحُب. كان هذا الاهتمام المحلي بمُجملة شيئاً جديداً بالنسبة إليّ، وبدأتُ أجيب على الرسائل.

كان هاتفي في الجامعة مشغولاً أيضاً أكثر من المُعتاد بالمُكالمات نتيجة شعبية كتاب «مناطقك الخاطئة». وكانت إحدى هذه المُكالمات من مسؤول في جامعة «سانت جون» يُعاتبني على تمرّغ سمعة الجامعة عن طريق الظهور في إعلام غير مُحترم كهذا. أخبرني أنني كنجم صاعد مع كتيبات منشورة ومقالات صحف، يجب عليّ ألا أسمح لهذه الحلقات أن تستمر، وإلا فإنني أخطر بمسألة التقدّم في مسيرتي المهنية، وبمسألة

• إنه شهر أبريل (نيسان) عام 1976، وها أنا أستاذٌ منزلاً في جادة «كايم» في غرب «بيلون»، «نيويورك». أتابع ممارستي الخاصة المُزدحمة، جنباً إلى جنب مع واجبات تدريسي المُحترف في جامعة «سانت جون». أنا أيضاً مُصمم مئة في المئة أنني سأجلب رسالة كتاب «مناطقك الخاطئة» إلى العالم.

اشتريتُ ألفي نسخة، والتي كانت تُمثل حوالي ثلث إجمالي الطبعة الأولى مُباشرة من الناشر. على بُعد بضعة كتل سكنية من منزلي لاحظتُ رسائل دعوة إلى محطة إذاعة على مبنى إذاعة «بيلون». ليس لديّ أيّ فكرة عن نوع المادة التي تبثها هذه المحطة، ولذلك مشيتُ بعد الظهيرة في أحد أيام الجمعة، وأُعطيتُ مُوظفة الاستعلامات نسخة من كتاب «مناطقك الخاطئة». أخبرتها أنني نشرتُ هذا الكتاب للتوّ، وأني أعيش على بعد بضعة كتل من هنا، وإذا كانوا مُهتمين بإجراء لقاء مع كاتب محلي، فسأكون مسروراً أن أكون ضيفاً في محطتهم.

في اليوم التالي تلقيتُ مُكالمة من مُدير المحطة، الذي رأى كتابي مع رقم هاتفي على مكتب مُوظفة الاستقبال. أنا مدعو كي أكون على الهواء في اليوم نفسه، حيث أنّ المُخطط مع الضيف المُقرر ألغي فجأة. وافقتُ مُباشرةً.

في صباح يوم السبت ذاك أمضيتُ ساعة مبهجة في مُقابلة مع مُقدّم برنامج مُنوعات محلي، إنه ظهوري الأول على كلّ وسائل الإعلام وأنا مُستمر. تلقينا بضعة مُكالمات هاتفية، تحدّثت بارتجال عن نظريتي المنطقية من أجل خلق حياة مُبهجة. ازدادات

في برنامج «كاندي جونز» و«جون لونغ» الاذاعي، وفي كل مرة أظهر، كانت تُباع كتبتي جميعها في كل مكتبات «نيويورك» الموجودة عند محطات «الميترو».

تهافت عليّ الطلب كي أظهر على مستوى واسع مُتنوّع من محطات الراديو كضيف، وكانت الاستضافات دائماً غير مُخطط لها وعفوية. مع ذلك، وعلى الرغم من توهّج المُتعة الداخلي وشعوري بقدرتي على الوصول إلى العديد من الناس، ورؤيتي أنّ مبيعات كتابي تتصاعد، كنتُ أشعر أيضاً أنّ نفسي تُسحب في اتجاه آخر. كان البقاء كلّ الليل والتحدّث على الراديو، ثمّ وجوب رؤية مرضاي كلّ اليوم، أو التواجد في الجامعة يقظاً وجاهزاً كي ألتقي بالطلاب، وأحضر اجتماعات اللجنة، وأعلّم جدولاً كاملاً من الصفوف المُتخرّجة، ليست وصفة جيدة من أجل حياة طويلة ومثالية.

إنه شهر أيار، وقد نفذ كتاب «مناطقك الخاطئة» منذ شهرين. كنتُ غير قادر على نقل حماسي بشأن الكتاب إلى القوى التي تُدير «كروويل تي واي»، مع أنّ «بول» كان داعماً للغاية لكلّ جهودي في جعل الكتاب ذي اهتمام خاص، الأمر الذي شعرنا أنا وهو أنّ الكتاب يستحقّه بجدارة. كانت لديّ نظرة مُتوجّهة نحو عمل جولة محلية، حتى وإن بدا واضحاً بالنسبة إليّ أنّ الناشر لا يملك تمويلاً لهذا المشروع.

إنّ كتاب «مناطقك الخاطئة» قد صُمم ليكون كتاباً على «القائمة». هذه التسمية تعني أنه مُجدول كي يكون على قائمة الربيع للإصدارات الجديدة، ولو بيعت الطبعة الأولى منه وهي حوالي ستة آلاف نسخة، فسُينظر لذلك على أنه نجاح، وستكون نهاية القصة بقدر ما يكون الناشر مُهتماً. لديّ صورة مُختلفة تماماً، والتي تعني أنني المؤلف الأول المُحدد، المُتحمّس جداً، والمُنفعّل، البَحار غير الخبير بطرق النشر الضخمة في «نيويورك».

أعلم ما الذي أنا مُجبر على القيام به، ولا أستطيع أن أستمتع بأيّ صورة أخرى. أخبرتُ جميع مرضاي في عيادة مُعالجتي الخاصة أنني سأغلق عيادتي في نهاية الشهر، حيث أنني غير قادر على المُتابعة على الوتيرة نفسها التي حافظتُ عليها.

خاب أمل مرضاي، مع أنهم عرفوا منذ البداية معي أنّ مهنتي لم تكن شيئاً يشبه شراء صديق. أنا أوّمن باستشارة قصيرة المدى مع التأكيد على الخروج بحلول عملية لتفكير

التدمير الذاتي والسلوك. كان موقفي: احضر إلى جلسات استشارتي وغاز بمهارات جديدة. لن تمضي ساعات لا تنتهي تراجع فيها صدمات الطفولة المبكرة. هذه ليست طريقي. سيكون من الثمين جداً أن ننشغل بالتحليل النفسي طويل الأمد، ولكن ليس معي. في الثلاثين من أيار أغلقت عيادتي، وأصبحت حراً من ضرورة أن أكون في مكان محدد عدة أيام في الأسبوع. أصبحت أكثر قدرة على التنفس على نحو أسهل، ولكن ما زال لدي العديد من الارتباطات التي يجب أن أهتم بها قبل أن أقوم بما أشعر أنه يُناديني إلى وفرة بلا هوادة.

إن فرص إنجاز الرسالة الروحية عند شخص ما متعددة الوجود، عندما يكون هنالك صورة داخلية لنية الشخص مغروسة بثبات في المخيلة. عدتُ بذكرياتي إلى أفعالي عام 1976 عندما كان كتابي «مناطقك الخاطئة» قد نُشر للتوّ، أستطيع أن أرى بوضوح كيف أنّ الكون يضعني في مُحاذاة الأشخاص والظروف التي احتجتها من أجل أن يسمح لي أن أتابع في الاتجاه الذي كنتُ متجهاً إليه، على الرغم من أنه لم تكن لدي فكرة عمّا قد تبدو عليه الوجهة. لقد تعلّمتُ أن أمارس هذا النوع من الوعي حتى مع الأحداث النمطية المتكررة مثل إيجاد موقف للسيارة. تظهر مواقف السيارات في كثير من الأحيان عندما تكون نيتي الداخلية مُركّزة على إيجاد مكان أركن فيه السيارة، بدلاً من التركيز على أنه لا توجد أبداً أي أماكن من أجل ركن السيارة حول هذه المنطقة في هذا الوقت.

كانت الصورة الداخلية التي تقول نعم للحياة، المفتوحة أمام جميع الامكانيات، تُملي عليك أن تنظر إلى الأمر بنظرة أكثر كثافة، كي تدفع الأشياء أن تعمل، وتقفز فوق حتى أدنى تكهن يُشير إلى أنك تُعطي الإرشاد. هذا كلّ ما في الأمر عن المُحاذاة، والتي كتبتُ عنها على نحو مُكثف في السنوات التي تلت نشر كتاب «مناطقك الخاطئة» للمرة الأولى. لم أكن أعرف ذلك في وقتها، ولكن عن طريق التمسك بالصورة الداخلية، كنتُ أضع نفسي في مُحاذاة مع العقل الإلهي، والذي أنا جزء منه، وأسمح للتأو العظيم أن يعرض تجارب في العالم الفيزيائي تتوافق مع قدرتي الإلهي الخاص.

حالما بدأتُ أولى انتباهاً أكبر، استطعتُ رؤية تجلي التزامنات السحري. في ذاك

الوقت عزوتُ ذلك إلى الحظ الجيد أو الصدفة الغريبة. الآن أستطيع أن أرى بوضوح أكبر وأعلم على نحو أفضل. لا بُدَّ أنني قد مررتُ بجانب إشارة إذاعة «بيلون» آلاف المرات قبل نظرتي إليها بعيون جديدة، أكثر تيقظاً. لقد كان المُعلِّم دائماً هنا، ولكنه أخذ مُحاذاتي الجديدة كي أنظر إليها الآن، وأراها على أنها فرصة ذهبية.

لقد أرشدتُ كي أطرق على ذاك الباب، وكان هنالك رابط خفي بيني وبين عاملة الاستعلامات، مدير المحطة، الضيف الذي أُلغي، الناس الذين كانوا مُشاركين في مسألة الضيف الذي يجب أن يُلغى، مُقدِّم برنامج المُنوعات، وهكذا باستمرار إلى اللانهاية. ينطبق الشيء ذاته على كلِّ الناس المُشاركين في إحضاري إلى محطة إذاعة «واشنطن» وكلِّ شيء آخر ياخذ مكاناً في حياتي حقيقة حتى هذه اللحظة.

إن المفتاح لرؤيتي بوضوح أكبر هو المُحاذاة. من خلال الحفاظ على رغبة مُتقدِّمة مع صورة تُشبه اللهب الداخلي الذي يكون منبعاً ضدَّ أيِّ اضطرابات، بدأتُ أنظر خارجياً إلى كلِّ الظروف على أنها بشارة. لم يكن الحظ الذي دفعني بعد ذلك، بل كانت إرداتي أن أمسك بالصورة الداخلية حتى تُصبح نية، ثم أتبع فطرتي بتواضع وأقول «نعم» لكلِّ فاصل يأتي في الطريق. عن طريق كوني نشيطاً وبلا خوف، كنتُ أسمح بفتح الأبواب التي بقيت مُغلقة، أو حتى أسوء من ذلك، الأبواب التي كانت غير مُلاحظة.

أدرك الآن أنني لا أريد أن أتجاهل أدنى مرور داخلي حتى بخصوص فكرة أتعبها. إنَّ الأفكار هي اتصالات من العقل الإلهي حيث تنشأ كلُّ الأشياء بما فيها أفكارنا. أنا أرى أنَّ تلك الرغبة المُلهبة التي كنتُ أختبرها داخلي لم تكن أبداً حول أن أصبح ثرياً أو مشهوراً أو حتى أبيع الكثير من الكتب. لقد كان ذلك معرفة داخلية بأنَّ ذاك كان ندائي. عليَّ أن أُجيب ذاك النداء أو سأصبح ميتاً في الداخل، مُستغرباً لماذا أشعر كثيراً بعدم الإنجاز. حالما قلتُ نعم لهذا النداء، عرفتُ ماذا أفعل. عرفتُ أنه عليَّ أن أغلق عيادتي وأحرر نفسي. علمتُ أنني أستطيع أن أكون فعّالاً في وسائل الاعلام لأنني أعطيتُ كلِّ تلك الفرص كي أظهر على الهواء. كلِّ مرة قلتُ فيها نعم لمُقابلة أخرى، أو وافقتُ على البقاء طوال الليل، كان هناك باب آخر يبدأ بالانفتاح على نحو سحري مع صور ذهنية عديدة كي أكتشفها.

يتحدّث «لاو تزو» في «التاو تي تشينغ»، عن أهمية التفكير القليل، وليس الكبير: «إنّ رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة». لو فكرتُ على نحو كبير حينها، لكنّك تجاوزتُ محطة إذاعة «بيلون» الصغيرة التي تبعد كنتين عن منزلي، ولكنّ طريقة خفيفة على باب المحطة التي تمتلك قوّة بتّ بحدود عشرة واط، أدت إلى شيء أكبر. ما أراه بوضوح هو أنّ خطوة صغيرة «كخطوات الطفل الأولى» تُؤدّي إلى الخطوة الثانية. لقد كنتُ مُرغماً أن آخذ خطوات صغيرة من قِبَل قوّة في الكون تُوجّه كلّ شيء وكلّ شخص. لقد بدأتُ الأشياء العظيمة بخطوة واحدة.

لطالما أحببتُ فيلم Coal miner's daughter «ابنة عامل منجم الفحم»، قصة «لوريتا لين»، مُغنية البلدة من «باتشر هول»، «كنتاكي»، التي أصبحت أسطورة. ذهبْتُ من محطة إذاعية إلى أخرى من غير تعب تعرض تسجيلاتها على أمل أن تحصل على عرض واحد فقط على الهواء. أنا أحبُّ مقالة صديقي «جو جيرارد» المعروفة، التي عشتُ معها بنفسني: «إن مصعد النجاح غير مُرتّب. عليك أن تصعد الدرجات، درجة واحدة في الوقت نفسه».

أنا مُمتنّ تجاه حصولي على المعرفة الداخلية كي أكون قادراً على أن آخذ الخطوة الأولى.



• لقد أنهيتُ للتو الفصل الدراسي الربيعي في جامعة «سانت جون»، وأنا أتأمل فيما سأفعله في صيف 1976 وما بعده. كنتُ كلَّ صيفٍ إمّا أحضر الكلية، أو أعلم صفوف جامعية منذ عام 1962. لقد قُدمت لي لائحة كاملة من الصفوف كي أعلمها ابتداء من الأسبوع القادم، وعليّ إعطاء قرار خلال الأيام القليلة القادمة.

أنا أتوجّه بسيارتي غرباً على الطريق جزيرة «لونغ آيلند» السريع، مُتوجّهاً صوب الجامعة كي أُسلم بعض الدرجات النهائية إلى طلابي المُتخرّجين الذين كانوا في فترة تدريب أشرفتُ عليها الفصل الماضي. كنتُ أقوم بتواجيدات مُنتظمة على عدة محطات راديو في منطقة «نيويورك»، وقد اضمحلّت مبيعات كتابي، ولكنها مازالت ثابتة نوعاً ما. فجأةً غلبني شعور، حيث استرجعتُ الخوف الذي اختبرته فقط منذ خمسة سنين مضت عندما كنت أتصارع مع قرار ترك «ديترويت» والقدوم إلى مدينة «نيويورك». رأيتُ وجه الدكتورة «بيتروز» الهادئ عندما استرجعتُ ذكرياتي عن نصيحتها في ذلك الوقت.

ها أنا هنا مُجدداً، عليّ أن أقرر بين خيارين: أحدهما يُقدّم لي الأمان والسلامة، والآخر هو المجهول. كتبتُ مقطعاً في كتاب «مناطقك الخاطئة» بعنوان «استكشاف المجهول» يتضمن قصيدة «روبرت فروست» بعنوان «الطريق غير المسلوكة». في الليلة الماضية على الراديو مع «لونغ جون نبيل»، استشهدتُ بالسطور الأخيرة من قصيدة «فروست»:

طريقين تباعدا في الغابة، وأنا
أخذتُ الطريق الأقل عبوراً،
وهذا الطريق قد صنع كل الفارق.

فجأة، ومن غير تحذير جاء الوضوح إليّ بطريقة لم أختبرها منذ أن تحدثتُ مع د.
«ميلي بيترز» سابقاً في عام 1971 في «ديترويت». أنا مغمور بالصفاء الذي أشعر به.
ليس هناك صراع. وقفتُ جانباً على جانب الطريق والدموع تنهمر إلى أسفل وجهي.
لديّ شعور مُختلف أنني كنتُ مُغطى من قبل روح هداية مُحبّة.

هذا ما سمّاه الدكتور «ماسلو» تجربة القمة، وهو مُصطلح يصف حالة فائقة، مُبهجة
على نحو خاص، وتمتلك إحساساً روحياً صوفياً لا يُوصف. هناك لحظات وفقاً لكلام
«ماسلو»، تمتدّ من ثوانٍ إلى دقائق نشعر خلالها بأعلى مراحل السعادة، الانسجام،
الإمكانية. لقد سمّاها مرة «الأحداث الخارقة للوعي المُعزز» أنا في هذه الحالة الخارقة
في هذه اللحظة، هنا على طريق جزيرة «لونغ آيلند» السريع. لقد وجهتُ إلى أخذ الطريق
الأقلّ عبوراً، وأنا أعرف ما الذي سأفعله، وليس ما يجب عليّ قطعاً فعله.

لا أتصل بزوجتي أو ابنتي، ولا أسعى وراء أي نصيحة. لقد رأيتُ النور في هذه
المسألة ولا أحتاج أن أقلق بشأنها يوماً آخر، أو حتى ساعة أخرى. أنا أرى وبكل تأكيد
أنه أمرٌ محسوم. خففتُ طريقي في العودة إلى الطريق السريع، مُنسحباً تجاه موقعي
الخاص بجانب قاعة «ماريلاك»، ذهبتُ إلى الطابق الثاني وأخبرتُ سكرتيرة عميدة
الكلية أنني أرغب في التحدّث مع العميدة «ساره فازنماير». أكّدتُ لها أنّ ذلك لن يأخذ
أكثر من بضع دقائق. أخبرتُ العميدة بحماسة أنني أستقيل من الجامعة اعتباراً من نهاية
هذا الفصل، والذي ينتهي بعد ثلاثة أيام من الآن.

سألنتي أن آخذ رُبّما إجازة الصيف وأحصل على بعض الوضوح في هذه المسألة.
قالت: «رجاء أعدّ النّظر». لديك فرصة مُستقبل كبير هنا. أنت نجم صاعد وارتباطك
بالجامعة سيكون مُفيداً للغاية بالنسبة إليك».

وافقتُ على أنّ هذه خطوة محفوفة بالخطر في وقت غير مُؤكد كثيراً، وأني سأخسر

الفوائد التي تأتي مع الأستاذة الجامعية من التقاعد الطبي، مساهمات التقاعد، ضمانة العمل. أصغيتُ بانتباه، ولكنني كنتُ قد أطلت النظر في مُستقبلي، ورأيتُه الآن وكأنه حقيقة حاضرة. أخبرتُ عميدة الكلية أنني على دراية بالمخاطر ووازنتها بحذر، وأني أُوقف توظيفي، وأنا مُفعم بالإنارة.

غادرتُ مكتب عميدة الكلية وصعدتُ الدرج طيراناً إلى مكنتي. اتصلتُ بزوجتي وابنتي، وكانتا تمتلئان ببهجة الحماسة من أجلي. أخبرتُ رئيس قسمي الدكتور «بوب دويل» بالأمر فُصدم، ولكنه أيضاً دعمني. لقد أخبرني عن مدى جنون أن تتخلى عن الكثير من الأمان من أجل حُلُم قد لا ينجح، وذَكَرنِي بالعواقب المالية المُحتملة، مع دخل غير مضمون ودون ميزات، وخاصة أنني أصبح لديّ عائلة أرعاها، ولا أستطيع أن أتجاهل ذلك. عدتُ بتفكيري إلى تجربة القمة الخارقة للمتعة الخالصة التي اجتاحتني منذ ساعة مضت أثناء الجلوس في سيارتي حيث اجتازني العديد من المسافرين في طريقهم إلى العمل أو المنزل. لم أعد مُسافراً بعد الآن، أنا على طريقي الخاص أخيراً، وكلّ شيء، أفعله من الآن فصاعداً سيكون وفقاً لشروطي أنا.

هنائي زملائي، وبكتُ سكرتيرتي وهي تُخبرني كم أحبّت العمل معي في تلك السنوات الخمس الماضية. نظّفتُ مكنتي، وسلّمتُ علاماتي النهائية، ونزلتُ درجات السلم الثلاثة وتوجّهتُ إلى بقعة هدوئي على بعد عدة كتل.

دخلتُ في حالة تأملية عميقة من السكون. أنا لا أريد أي شيء، ولا أيّ مُساعدة، ولا أيّ مُرشد، ولا أي شيء. أمضيتُ آخر ثلاثين دقيقة من مهنتي كمُدَرّس جامعي في جامعة «سانت جون»، جالساً على قمة صخرة، مُستمعاً إلى الطيور وحفيف الريح في أغصان الشجر. أنا في حالة من الروعة. قدّمتُ الشكر إلى أي شيء مهما كان مرّ بي خلال الساعتين الماضيتين، وأعطاني تلك الرحمة المُشرقة والوضوح. أنا للمرة الأولى في حياتي، في عمر السادسة والثلاثين مُوظّف لحسابي الخاص، أطيّر بحظي وحدسي، حائراً من الاحتمالات.

لقد احتفظتُ إلى هذا اليوم بحيوية تلك اللحظة النوعية التي اختبرتها على طريق جزيرة «لونغ آيلند» السريع، والأحداث اللاحقة التي ابتدأت تقريباً على الفور. لقد

كتبْتُ عن هذه اللحظات النوعية كونها أنواعاً من تجارب القمة التي تُعطي فرصة من أجل نقل الوعي إلى حالة أعلى، حيث أن الاتصال الواعي يُصنع من الأنا العليا كي تُدفع في اتجاه جديد على نحو عفوي. هذه الطقوس والتبصرات المفاجئة كانت موضوع معظم كتاباتي لأنني بدأت أراها زيارة من مملكة أعلى. لقد كتبْتُ سابقاً عن تجربتي عند قبر والدي كواحدة من هذه اللحظات النوعية، أو ما سمّاها الدكتور «ماسلو» تقريباً لحظات البصيرة الخارقة والتي تُبدّل غالباً وتُغيّر الحياة.

هناك أربع صفات لهذه اللحظات النوعية وقد وصفتها في فيلمي وكتابي بعنوان «The Shift» النقلة. أولاً: دائماً مفاجئة. إنّ لحظة التبصر في سيارتي في طريقي إلى العمل بدت آتية من غير توقع. ثانياً: تتمتع بالحيوية. حتى اليوم وبعد سنوات عديدة، أعلم بدقة ما الذي كنتُ أرتيه في ذلك اليوم، وأستطيع أن أخبرك لون سيارتي الداخلي والتي كانت طراز «أولدزموبيل كتلاس». لا أزال أستطيع رؤية علامات البناء على الطريق السريع، ومرور السيارات، بل أستطيع أن أشمّ رائحة الدخان المُنبعث من تدفّق المركبات غير المُنته. ثالثاً: دائماً خيرة. أستطيع أن أتذكر مدى السعادة التامة التي شعرتُ بها حيث انبعثت تلك السحابة الملائكية كرائحة عطرة فوقِي. انتابت جلدي القشعريرة، أو ما تُسمّيه ابنتي «الوخزات». رابعاً: باقية. بإمكانني أن أقول بعد أكثر من أربعين سنة تقريباً، أنني أتذكر هذا الحدث وكأنه حصل منذ ساعة مضت.

لقد ظهر شيء لا يُمكن تعريفه من أجلي في حزيران عام 1976، وساعدني في صنع نقلة غير مُريحة في حياتي. لقد حصل ذلك في عدة مناسبات عندما كنتُ على حافة اختيار أي اتجاه سأخذ في حياتي. أنا أو من بلحظات تجربة القمة ولا أَعتمد عليها فحسب، ولكنني أدعوها إلى حياتي أيضاً. كلّما أصبحتُ أكثر ثقة بما يدور عنه هدف حياتي، أصبحتُ أكثر قدرة على دخول هذا النوع من الطاقة المشحونة عاطفياً وحيوياً. إنّ لحظات الوضوح مثل تلك التي اختبرتها يوم استقّلتني من الجامعة هي عناصر عيش حياة أكثر تحقيقاً للذات.

كلّما بدأ الأفراد بالمُحاذاة مع نيتهم الأصلية، وعاشوا حياة في اتجاه الهدف، دعوا دليلهم الأعلى إلى إرشادهم. بدأتُ أعرف أنّ الطريقة الوحيدة كي تصل إلى مُساعدة

الكائنات المُتقدمة، هي أن تُصبح مثلهم فيستطيعون أن يتعرفوا على انعكاسهم فيك. لن تُجدي الصلاة نفعاً من أجل التوجيه والمُساعدة إذا كنا نعيش حياة تتمحور حول الأنا.

في تلك اللحظة من حياتي كان كل ما أردتُ فعله هو أن أشارك السحر الذي أشعر به عن طريق لمس حياة الكثير من الناس من خلال برامج الاتصال عبر الراديو والبريد الذي كنتُ ألتقاه من كل أنحاء البلاد في استجابة مع نشر حلقات كتابي في الصحف الدورية المحلية. لم أكن مُنفاداً بواسطة الأنا، مع ذلك لم تكن لدي فكرة أنني قد ألتقى نوعاً من الاستشارة الروحية التي لا يُمكن تفسيرها من السماء. كنتُ بمُحاذاة العقل الإلهي الواحد المسؤول عن كل الخلق، لأنني كنتُ أركز على الخدمة بدلاً من التلقي.

أستطيع أن أرى أنني كنتُ أبدأ للتو بالعيش انطلاقاً من الوعي الجديد، من خلال أن أصبح أكثر شَبهاً بأولئك الذين يعيشون كي يخدموا الحُب الإلهي. إنهم يرون أنفسهم بتلك الطاقة، ويستطيعون أن بل يقودونا إلى طريق أكثر إدراكاً للإله.

من منظور النظر إلى الوراء هذا، أشعر أنني كنتُ في نوع من برنامج تدريب مُتقدم للمُعلّم. كان عليّ أن أعبر خلال الفترة الطويلة من الوقت عندما كنتُ في قبضة نفسي الزائفة «الأنا»، وعندما استطعتُ إزالة قبضة الأنا عليّ، شعرتُ بالاختلاف داخلي. نسيّتُ أمر نفسي، وركزتُ على الوصول والخدمة فقط لأنه كان شعوراً جيداً أن تقوم بذلك، من غير اعتبار للمنفعة المادية التي قد تصل إليّ.

إن الاستقالة من منصب الاستاذ الجامعي الذي يُعطي الأمان، وأخذ الطريق ليس فقط «الأقل عبوراً» ولكن «غير المطروقة على الإطلاق» من قبلي، كان مُدشناً بواسطة زيارة روحية، ما زلتُ غير قادر على شرح كنهها على نحو كامل. لم أكن أعرف في ذاك الوقت أن «مناطقك الخاطئة» كان الأول من بين واحد وأربعين كتاباً الذين كتبتهم في السنوات الثمان والثلاثين القادمة، أو أنه كان مُقدراً أن أؤثر في حياة الملايين من الناس حول الكرة الأرضية. أنا مُتأكد أن العقل الإلهي الواحد، «التاو» العظيم، الإله، أو مهما كانت السمة التي نضعها له، كان واعياً تماماً للرسالة الروحية التي وقّعتُ من أجلها ووافقتُ أن أنجزها، ولا بُد أنه علمَ أنني لن أستطيع أن أقوم بها براحة وأمان الأستاذة الجامعية في جامعة كبيرة في «نيويورك».

في المقطع السادس من كتاب «مناطقك الخاطئة» أوضحتُ مسألة «السعي غير الآمن إلى الأمان»، وافتتحتُ ذاك المقطع بمقولة «ألبرت آينشتاين»: «إنَّ الشيء الأكثر جمالاً الذي بإمكاننا أن نختبره هو الشيء الغامض. إنه المصدر الحقيقي لكلِّ الفنون والعلوم». كنتُ على وشك مباشرة رحلة تعليم هذه الأفكار إلى أولئك الذين كانوا يسعون من أجل الأمان بعيد المنال. أنا مُتأكِّد من أنَّ الكائنات المُتقدِّمة التي تُراقبني وتُرشدني في طريقي كانوا على وعي بحالة عدم الأمان الأساسية وعرفوا أنه من المُحتَمَّ أن أمضي على الطريق الذي أتحدَّث عنه، بدلاً من الحديث فقط عنه.



► أنا على الهاتف أتحدّث مع نائب الرئيس في دار النشر الخاصة بي، «كروويل تي واي»، كي أسأل كيف تسير أمور مبيعات كتابي. بعد التحقق، قال: «عندما تنفذ كلّ نسخ كتابك من الطبعة الأصلية الأولى، سنتقل إلى لائحة الصيف. عليك أن تعتبر هذا نجاحاً كبيراً بالنسبة إلى كاتب لأول مرة».

أشعر أنّ كتاب «مناطقك الخاصة» سيموت أساساً في مكانه قبل أن يُعطى الفرصة كي ينضج. لقد أصبحتُ مُنزعجاً على نحو كبير من كلّ تلك القوى في المكتب الرئيس للناس. تحدّثتُ إلى مسؤولي الدعاية، وأخبروني أنه لا يوجد بدل ميزانية من أجل الدعاية الخاصة بكتابي. تحدّثتُ إلى المسؤولين في التسويق، وأخبروني أنه لا توجد خطة تسويقية لكتابي. أجريتُ مكالمات مع المسؤولين عن توزيع كتابي إلى المكتبات، ولم يُعاود أحدٌ منهم الاتصال بي. بدا كلّ شيء وكأنه في ركود تامّ.

أنا في وسط نوع من الجمود الجديد جداً بالنسبة إليّ. كلّ شيء أكبر من اللازم، هناك العديد من الأقسام التي لا تتواصل، ثمّ تلوم بعضها البعض بسبب عدم الكفاءة. أنا مُتلهف من أجل جعل شيء ما يحدث، في توافق مع رؤيتي لنفسي ولهذا الكتاب. مع ذلك، أبدو وكأنني أركض إلى حواجز طريق مع كلّ شخص أصادفه. قررتُ أخذ الأمور ووضعها في يديّ. تخيلتُ أنهم لو باعوا كامل الطبعة الأولى بينما لا يزال الكتاب على لائحة الإصدارات الجديدة في قائمة الربيع، فسيكونون مُجبرين على أن يقوموا بالطبعة الثانية.

بمكالمة هاتفية واحدة، أصبحت مكتبة: كتب «واين داير»، غرب «بيسلون»، «نيويورك». اتصلت على أنني مالك متجر كتب، وطلبت كل النسخ المتبقية من الطبعة الأولى كي ترسل إلى مستودعي «مرآب سيارتي». بعد يومين، اتصلت بنائب الرئيس ذاته، وطلبت منه لطفاً أن يرجع حالة كتابي. كان مُستاء مني، حيث أنني سببت أزعاجاً دائماً له مرتين أسبوعياً على الأقل منذ نشر كتابي «مناطقك الخاطئة»، في الأشهر الثلاثة بعد شهر آذار.

تفحص نائب الرئيس سجلاته كي يُعطيني تقرير المستودع الذي بين يديه، متوقفاً أن يكون ذات التقرير الذي كان عندما تحدّثنا آخر مرة منذ بضعة أيام مضت. عاد وأخبرني أن الطبعة بأكملها قد بيعت على أساس عدم إرجاعها. سألت ما الذي سيفعله حيال هذا، ضغط الزر كي يطلب طبعة أخرى، وكانت الطبعة هذه المرة صغيرة نسبياً مع ذلك، وهي في حدود ألفين وخمسمئة كتاب.

لدي الآن أكثر من أربعة آلاف كتاب في مرآبي: بعد أسبوع، اشتريت كامل الكمية المتبقية من الطبعة الثانية كذلك. أجبر الناشر على أن يمضي في طبعة ثالثة، والآن بدؤوا يلاحظون. في هذه الأثناء، تابعت برنامج الراديو وتابعت بيع كتبي في محاضرات ليالي الاثنين في ميناء «واشنطن».

بدأت أزور العديد من المكتبات بقدر ما استطعت في قلب «نيويورك». أخذت نسخاً من كتاب «مناطقك الخاطئة»، وطلبت منهم أن يُخزّنوه برسم الأمانة. كلما كنتُ أظهر في برنامج الراديو المحلي، كنتُ أذكر أسماء المكتبات التي تُخزن كتابي. كنتُ أقوم بالإعلانات التجارية لكتابي كلما تلقيتُ مكالمة في البرنامج خلال حديثي على الراديو، وأخبر جمهور المُستمعين بدقة أين تُباع الكتب، ممّا يجعل أصحاب متاجر الكتب حقيقةً سعداء جداً. بعد زيارة ثانية إلى المكاتب المتنوعة التي وافقتُ أن تبيع كتابي، لم أعد أحتاج بعد الآن أن ألعب دور المُوزع وجامع المال، حيث أنهم الآن يشترون كتاب «مناطقك الخاطئة» من خلال القنوات العادية.

لقد أصبحت متجر كتب بنفسني، ولدي خطة التسويق الخاصة بي قيد العمل، وأنا أهتم بالتوزيع والتسليم كذلك. لقد كان «بول فارغس»، الغارق أيضاً في بيروقراطية

كبيرة للنشر في «نيويورك»، واعياً لما أفعله، ويتحدث إليّ عن كتابة كتاب متابعة. يبدو الأمر سابقاً لأوانه بالنسبة إليّ، فأنا فقط في مراحل بداية جهودي كي أشارك رسالة كتاب «مناطقك الخاطئة» مع العالم. أخبرت «بول» أنني سأكتب كتاباً ثانياً في العام المقبل.

أحضّر الآن خطة دعايتي الخاصة، حيث أنني تحدّثُ إلى مُديرة الدعاية في «كروويل تي واي»، والتي كانت أيضاً غاضبة بعض الشيء بسبب مُضايقتي المُستمرّة. كانوا ينظرون إليّ على أنني كاتب بعلامة تجارية جديدة لا يفهم بوضوح كيف يجري النشر في مدينة «نيويورك»، تماماً كشخص لا يعرف مكانه في الواقع. سألتُ كيف بإمكانني جعل هذا الكتاب متوفراً للبلاد بأكملها. أخبروني أنّ هنالك طريقة واحدة فقط كي تصل إلى كلّ شخص في البلاد عبر وسائل الإعلام، وهو أن تقوم بالظهور في البرامج المحلية مثل برنامج الليلة، برنامج «فيل دوناهو»، برنامج اليوم، إلى آخره.

تمّ تعيين فتاة شابة اسمها «دونا جولد» تعمل في قسم الدعاية كي تعمل معي. كانت «دونا» تُحبّ الكتاب وتُحبّ العمل معي، ولكنها كانت أيضاً عاجزة أمام حقيقة أنّ أيّ نقود لم تُخصّص من أجل الدعاية لكتاب «مناطقك الخاطئة». لا أستطيع السفر، لأنه ليس هنالك بدل سفر. وليس هناك أحد مهتمّ في البرامج المحلية ولو بالحدود الدنيا بأن يستضيف أخصائياً نفسياً غير معروف في برنامجه، وخاصة مع كتابه الأول. إنّ «دونا» شابة مُفعمة بالطاقة، ولكنها عاجزة عن تجاوز النظام الذي تعمل فيه.

كتبْتُ خطاباً حماسياً طويلاً إلى مُديرة الدعاية أعلمها فيه أنني على علم بطريقة ثانية من أجل الوصول إليّ كلّ شخص في أمريكا غير وسائل الإعلان، وهي أن أذهب إليهم مباشرة بنفسي. لا أريد أيّ تمويل، سأدفع نفقاتي الخاصة. سأجوب البلاد بنفسي. سأذهب إلى أسواق أصغر مع كتيبي بالعربية، سأوزّع، وأسوّق، وأسلم كما كنتُ أفعل ذلك بنجاح في منطقتي خلال الأشهر العديدة الماضية.

لم يُصادف الناشر كاتباً يُشبهني. حاولوا أن يُبْطِطوا همّتي، ولكن تلك الشعلة الداخلية كانت رغبة تشتعل بحقّ، وتُخبرني أن أنسى أمر كلّ المقاومة التي أواجهها، وأن أستمع وأتبع النداءات الداخلية التي لن تصمت. يجب أن أفعل هذا الشيء بنفسي وبطريقتي،

وليس من خلال الصراع والشكوى من أفخاخ البيروقراطية، أنا أعرف أنني سأرشد كل الطريق. أنا مُندفع بالحماسة.

وافقت «دونا جولد» أن تعمل معي من المنزل، إنها ملاك. أخبرتني أنني لو ظهرت في مدينة متوسطة الحجم مثل «كولومبوس، أوهيو»، فإنها ستقوم بالاتصالات كي ترى أي الصحف والبرامج التلفزيونية والإذاعية بإمكانها أن تحجز. سأدفع ما استطعت لقاء خدماتها، ولكنها تفعل ذلك على نحو أساسي لأنها تؤمن بي وبالرسالة التي عليّ تقديمها.

إنه مُنتصف شهر حزيران 1976. أتحدث مع ابنتي «تريسي» وهي في الثامنة من العمر عن الذهاب في مغامرة مثيرة كي أزور مُدناً حول البلاد، في الشمال، الجنوب، الشرق، والغرب. إنها شجاعة، وكذلك زوجتي شجاعة. لم يدم ذلك طويلاً قبل أن تُحزم السيارة وتُعبأ بالكتب من أجل التوزيع، وأنا وزوجتي اصطحبنا معنا «تريسي» وصديقها «روبن» في مغامرة عبر البلاد.

بقدر ما أستطيع سأزور أماكن عديدة قادرة على أن تستقبلني كضيف إعلاني، وكانت «دونا» تقوم بالترتيبات والمُقابلات قدر المُستطاع. كانت خطتي أن أقوم بالعديد من البرامج الإذاعية وأعلن على الهواء مباشرةً أنّ كتابي مُتوفر في مكتبات مُحددة، والتي استكشفتها مُسبقاً. بعد البرنامج أتوجه إلى تلك المكتبات، وكانت زوجتي غالباً هي التي تتصل وتستفسر عن شراء هذا الكتاب الذي يُناقشه هذا المؤلف الآسر على الراديو. لقد تلقوا للتو العديد من الطلبات وهم يُريدون أن يأخذوا الكتب يرسم الأمانة عندما أصل إلى المكتبات مع دسته أو ما يُقاربها من الكتب.

كانت أيامي مليئة بالقيادة، الحجوزات في الفنادق، الذهاب من محطة إلى محطة بعد إيجاد أماكنهم على خريطة جيدة من أجل الاستخدام. إنه أمر عادي بالنسبة إليّ أن أبقى في مدينة أياماً عديدة وأن أقوم باثنتي عشرة إلى أربعة عشرة مُقابلة في اليوم، وأبقى غالباً مُستيقظاً كلّ الليل أتلقي مكالمات في وقت مُتأخر من الليل عبر الراديو. كانت «دونا» كفوءة على نحو لا يُصدق. كلما زادت المُقابلات التي أقوم بها، ازداد الخبر انتشاراً أنني أستطيع القيام بمُقابلات مُقنعة. لقد أصبحت المُعالج الخاص

بوسائل الإعلام، وليس هنالك نقص في محطات الراديو التي تُريد أن تستضيفني في برامجها الحوارية.

توجّهنا عبر البلاد، ومع قيامي بعدد كبير من المُقابلات في كلّ مدينة نتوقّف فيها، بدأ الكتاب يُلاحظ من قِبل الناشر، حيث أنّ الطلبات من خلال مُقابلاتي عبر البلاد بدأت تتدفّق على نحو مُنتظم إلى حدّ ما. لقد ذهب كتاب «مناطقك الخاطئة» إلى طبعة رابعة، ورُتّب «دونا» أخيراً أن تأخذ إذناً بالعبء معي من مكتبها في «كروويل تي واي» أثناء اليوم. أُعطي قسم الدعاية بعض المال من أجل كتابي، ثمّ استقبلتُ تلك المُكالمة القدرية من «هاورد بابوش» من عرض الليلة.

في أيلول، أخبرني وكيلتي «آرتي بايت»، ومُحرري «بول فارغس»، أنّ كتاب «مناطقك الخاطئة» سيقوم بظهوره الأول على قائمة أفضل الكتب مبيعاً في «نيويورك تايمز» يوم الأحد. بالنسبة إليّ، كان الأمر موازياً لكوني فناناً وحصلتُ على جائزة «الأوسكار».

من هذه النقطة وعند النظر إلى الخلف إلى إحباطي مع ناشري في «نيويورك» أستطيع أن أرى الآن النعمة الكبيرة التي قدموها لي من خلال لا مبالاتهم. لقد أُعطيتُ فرصة رائعة كي آخذ حياتي في يديّ، ونتيجة لذلك لن يكون لديّ حتماً أيّ شخص ألومه عندما لا تسير الأشياء بالطريقة التي أردتها أن تكون عليها. لقد كنتُ أطبق هذا الدرس في كلّ حياتي، ولكنه هنا قدّم إليّ بطريقة كبيرة جداً.

عندما أخبروني أنّ كتابي توجّه على نحو أساسي في اتجاه النسيان، فلو سمحتُ لأناس آخرين أن يكونوا مسؤولين عن هذه العملية بأكملها، فقد وضعني ذلك أمام خيار. كنتُ أستطيع أن أقول: «حسناً، أعتقد أنّ هذه هي الطريقة التي يسير بها النشر في «نيويورك»، الأمر يحتاج وقتاً كبيراً. أنا فقط مُسنن صغير في عجلة كبيرة، سأخذ أيّ قرار يُقررونه، وأعتقد أنّها الطريقة التي تكون عليها الأشياء». لقد اختبرتُ القليل من النجاح، واستطعتُ أن أقول شكراً، وأجعل كلّ ذلك يتلاشى بعيداً.

أما خيار الثاني فقد كان أن أرفض السماح لرأي أيّ شخص أن يُعكس الطريقة التي وضعتها في خيالي، وأن آخذ المسؤولية الكاملة عن كلّ مرحلة بمُفردها من هذه الرحلة

التي كنت أتولاها. في الخطاب الذي كتبته إلى مُديرة الدعاية وضعتُ المقولة المُميزة جداً التي أحببتها دائماً: «عندما قام الإسكندر العظيم بزيارة المُعلّم الروحاني الأعظم في زمانه «ديوجين»، سأله إن كان يستطيع أن يفعل أي شيء للمُعلّم الشهير، أجاب «ديوجين»: «فقط لا تحجب ضوئي».

لم أكن أطلب من «كروويل تي واي: أن يدفعوا أي من مصاريفي، ولا حتى أن يعرضوا عليّ أي مُساعدة في حجز المُقابلات. كل ما أردته كان بعض الضمان أنهم لن يُصبحوا عقبة بعنادهم، وألا يُوقفوا إنتاج الكتاب والتسليمات لأنني كنت أخلق خارج نمط الطيران الذي صمموه من أجل المُؤلفين الذين يتعاملون معهم.

كان لديّ قناعة داخلية بما أنوي فعله، وكنتُ أعلم أنني لن أستطيع الوقوف جانباً ببساطة والسماح بأن تُمسح كل أحلامي بسبب الآخرين، لأنهم أكثر خبرة، أو لأنني أشعر أنهم يعرفون الطريقة أفضل. طلبتُ منهم لطفاً ألا يحجبوا ضوئي، وأن يدعوني أتلقي الإرشاد من نظرتي الخاصة.

لقد استخدمتُ أيضاً شيئاً آخر من مُلاحظاتِي المُفضلة كل الوقت في رسالتي، وهو قول العالم الألماني «فريدريك نيتشه»: «لديك طريقتك، ولديّ طريقي. إن الطريقة الصحيحة، والطريقة السديدة، والطريقة الوحيدة ليسوا موجودين، ليس هنالك «هذه الطريقة» من أجل فعل أي شيء».

ما أراه بوضوح اليوم بخصوص تلك الأحداث التي جرّت مع ناشري حول كيفية تسويق كتاب «مناطقك الخاطئة» وتوزيعه، ونشره، هو أنه قدّم لي فرصة من الطراز الأول كي أبدأ مُستقبلي الجديد في الكتابة من خلال الثقة بنفسِي أولاً وقبل كل شيء. لقد قدّمتُ إليّ تجربة تعلّم عظمى.

في الوقت الذي كنتُ فيه مُحبطاً قليلاً لأنني لم أحصل على التعاون الذي رغبتُ فيه، ولكنني لم أفكر حتى للحظة بالتخلّي عن الصورة الداخلية أنّ «هذا طريقي» والتي كانت تنقد بإشراق في خيالي. بدلاً عن صنع قضية كبيرة من كلّ هذا، أو حتى لوم نظام العمل كونه غير مُتخالف معي، ذهبتُ مُباشرة إلى الصورة التي زرعتها في تفكيري، وقررتُ أن أجعل الشيء برمته مشروعاً مُسلماً ومُبهجاً. كنتُ أمضي وقتاً من حياتي في

• لقد تغيّر عالمي على نحو كبير منذ أن اتخذتُ قراراً بأن أذهب وحدي ككاتب يعمل لحسابه الخاص. إنه عام 1977، وقد أمضيتُ السنة المُنقضية أعمل كامل وقتي في ترويج كتاب «مناطقك الخاطئة».

كلّ ثلاثة أسابيع أو ماشابه كنتُ أسافر إلى الساحل الغربي كي أكون في «برنامج الليلة من تقديم جون كارسون»، والذي خلق جمهوراً محلياً لكتابي. أحبّ صديقي «هاورد بابوش» نظريتي المنطقية والقصص التي أخبرها، وقد استمرّ بحجز فقرة «بقعة كاتب» من أجلي في نهاية استعراض التسعين دقيقة. على نحو عام كنتُ أظهر في ليالي الاثنين، مع نخبة مُتنوّعة من ضيوف أمثال «بيل كوسي»، «بوب نيوهارت»، «فينسينت برايس»، «جون ريفيرز»، «دون ريكلس» وغيرهم من المشاهير. كانت ردود أفعال الجماهير وتقييمهم دائماً مُرتفعة عندما أكون موجوداً، وكنتُ أشعر بالسُرور لأنني أحظى بفرصة عقد هذه اللقاءات المُنتظمة.

من خلال هذا العرض المحلي أصبحتُ مدعواً الآن من البرامج التلفزيونية التي كانت غير مهتمة قبل أشهر قليلة ماضية بمُدّرس يُدعى «واين داير». مؤخّراً كنتُ في برنامج ويل دوناهو، وبرنامج الليلة، برنامج ميرف غريفين، برنامج مايك دوغلاس، صباح الخير أمريكا، وعدة برامج أخرى. أصبحتُ أسافر في البلاد في رحلة كتاب مُمولة من ناشري، وأقوم بلفظات استضافة في البرامج المُنتجة محلياً في المدن عبر «الولايات المتحدة الأمريكية» و«كندا».

لقد أحببتُ دائماً التواجد أمام الجمهور وتقديم المُتعة إضافة إلى المُحادثات المُقنعة والتعليمية، كنتُ مُتحمساً كي أحصل على العديد من التعاقدات الحوارية. لقد دُفعت لي أجور أبعد من أكبر أحلامي، حيث كنتُ أكسب من ساعتني حديث، ما يُوازي مُرتب ثلاثة شهور في عمل الأستاذ الجامعي.

كان وكيلي السيد «آرتي باين» يحجز من أجل حواراتي، وكانت هنالك طلبات تأتي أكثر مما أستطيع إدارته. كنتُ أسافر عبر «أمريكا» الشمالية أتحدث أمام جماهير أكبر في الكنائس، الجامعات، اجتماعات الشركات، الندوات العامة. بما أن الطلب على خدماتي كان يكبر، فقد استمر «آرتي» برفع أجور حواراتي. وجدتُ أنه من الصعب التصديق أن الناس قادرون على أن يدفعوا آلاف الدولارات كي يسمعونني أقول ما كنتُ أقوله دون أجر تقريباً قبل أشهر قليلة فقط.

لقد مرّت أربعة عشر شهراً على نشر كتاب «مناطقك الخاطئة»، وكان لدى ناشري كلّ أسبوع ظهور إعلامي في «نيويورك تايمز» يعرض فيه عدد نسخ الكتب التي في الطباعة. منذ تلك الطبعة الأولى التي كانت حوالي ستة آلاف نسخة، ارتفع العدد على نحو كبير خلال الطباعات الأربع الإضافية، كي يصل إلى العدد الحالي بإجمالي مئتين وخمسين ألف نسخة! لقد أصبح كتاب «مناطقك الخاطئة» ظاهرة، وأصبح الأكثر مبيعاً عالمياً، وترجم إلى عدة لغات مُختلفة من أجل تلبية الطلب عليه في «أوروبا»، «أمريكا الجنوبية»، «آسيا»، «أستراليا».

في مؤتمر هاتفي مُشترك مع «آرتي باين» و«بول فارغيس»، أخبراني أن هنالك مقطعاً من الأخبار سيطيران بي بعيداً. الأول أن كتاب «مناطقك الخاطئة» سيظهر في لائحة أفضل المبيعات في «نيويورك تايمز» في يوم عيد الأم، في الثامن من أيار عام 1977، على أنه الكتاب الأفضل مبيعاً في البلاد. الخبر الثاني كان لا يقل مُتعة: لقد وُضع كتاب «مناطقك الخاطئة» في مزاد من أجل استدراج عروض كلّ دور نشر الغلاف الورقي. تجاوزت قيمة المُناقصة حدود المليون دولار، وأن شركة كتب «آفون» ستعرض هذا الكتاب على أنه القيادي في عدد المبيعات طوال هذه السنة.

لقد أعلمت للتو أنني الكاتب صاحب الكتاب الأكثر مبيعاً في البلاد، وقد أصبحتُ

للتو مليونيراً كمكافأة! أنا أطيّر فوق القمر من السعادة. أغلقتُ الهاتف في منزلي الصغير المُستأجر في جزيرة «لونغ آيلند»، ووضعتُ رأسي في يدي، وانهمرت دموعي على وجهي.

لم أكن أقوم بأي شيء سوى اتباع رؤيتي الخاصة، والتقدم بثقة في اتجاه حلمي الخاص، والسعي كي أعيش الحياة التي تخيلتها. إنه ما قرأته على جدار قاعة «ثورو» في «كونكورد، ماساتشوستس»، عندما زرته واستلقيتُ على السرير الذي نام عليه «هنري ديفيد ثورو» في القرن التاسع عشر. إنَّ مُعلّمي الكبير هذا، الذي أرشدني خلال العديد من العقبات عندما كنتُ سابقاً في المدرسة الثانوية، كان مُحققاً جداً. لقد التقيتُ بالنجاح غير المُتوقع إجمالاً في ساعات عادية. أنا مغمور بالمشاعر.

اتصلتُ بأمي في «ديترويت» كي أبشرها بالأخبار، فتلقتُ أخباري بطريقة الصدمة البالغة نفسها التي شعرتُ بها. ذكّرني بالقصيدة التي كانت بعنوان «واين» والتي كتبتها هي من أجلي سابقاً في عام 1970 عندما حصلتُ على درجة الدكتوراه. قرأتها لي حرفياً:

تستطيع الأم وضع الدليل ثم تتحنى جانباً،

لقد عرفتُ بيد أنني لم أستطع القول:

«هذه هي الطريق التي عليك المضي بها»،

لأنني لم أستطع التنبؤ،

أي طريق قد تدعوك إلى آفاق لا يُمكن تخيلها،

والتي قد لا أعرفها أبداً،

مع ذلك، دائماً في قلبي،

أدركتُ أنك ستلمس النجم.

أنا لستُ في عجب!.

إنها تبكي بفرح بينما تُذكرني على نحوٍ هزلي أنّ كتابي هو عمل ضخّم، لأنها كانت طبعت النسخة على الآلة الكاتبة قبل أن أعطيها إلى الناشر. هذه المرأة الجميلة التي

ضحت كثيراً كي تُرجع عائلتها المُحطمة معاً بعد أن هُجرت من والدي البيولوجي، والتي عملت كل يوم من حياتها دون شكوى، هي والدّة الكاتب المليونير، الذي ألف الكتاب الأكثر شعبية في «أمريكا». قبل أن تُغلق السّماء قالت: «ابني الدكتور! أنا بصدق غير مُتفاجئة»، «واين» لقد كنت دائماً تنظر إلى النجوم. أُحبك كثيراً».

أغلقتُ السّماء وتلوتُ صلاة عميقة من أجل الشكر على هذه النعمة الهائلة التي وصلتُ إلى حياتي. أشعرُ بالتواضع من حقيقة أنني أتيتُ من بدايات شحيحة كهذه، أنا أصلي كي أحصل على المُساعدة في البقاء غير مُتأثر بأيّ غرور جراء كلّ هذه المكافآت الخارجية. لقد قمتُ بالتزام أن أتأكد من أن أخوتي وأمنالين يكونوا مُثقلين أبداً بدفعات الرهن العقاري.

نقلة سريعة إلى فصل الصيف، وقد أصبح كتاب «مناطقك الخاطئة» يترع على لائحة الأفضل مبيعاً في «أستراليا»، «هولندا»، «السويد»، «النرويج». وافقتُ أن أزور هذه الدول كي أقوم بجولة دعاية. أنا في «أستراليا»، والنسخة الورقية من كتابي مُكدسة بارتفاع عال في كلّ متجر كتب أزوره. كنتُ أقوم بمُقابلة في محطة راديو عندما قُطعت المُقابلة بإعلان أنّ «إفيس بريسلي» قد وُجد ميتاً للتوّ، والسبب المُحتمل هو جرعة مُخدرات زائدة. إنه السادس عشر من شهر آب عام 1977، قرأتُ صلاة صامتة من أجل «الأسطورة»، حيث بدأت المحطة مُباشرة بإذاعة تذكارات عن «إفيس».

أثناء جولتي، كانت موسيقا «إفيس» في كلّ مكان، وعلى كلّ محطة. لقد طلبتُني في كلّ مُقابلة لاحقة تقريباً أن أُعلّق على موته. تكلمتُ عن المناطق الخاطئة للإدمان، وطلب مني أن أقرأ المقطع النهائي من كتاب «مناطقك الخاطئة»، والذي كان بعنوان «صورة شخص أزال جميع المناطق الخاطئة». خلال هذا الوقت بدأتُ التفكير بكتابة كتاب ثانٍ عن الخروج من عادات الضحية المُخرِبة للذات، والتي يُمكن أن تُدمر الشخص في نهاية المطاف.

أمضيتُ أسبوعين أجوب كلّ مدينة رئيسة في «أستراليا»، وأقوم بمجموعة لا نهاية لها من المُقابلات في الصحف، المجلات، الراديو، التلفزيون. إنه جدول مُنهك، بمُدّة

عشر أو اثنتا عشرة ساعة بلا توقّف في اليوم، من «بيرث» إلى «آديلايد»، «بريسبان»، «ملبورن»، «سيدني». عندما غادرتُ البلاد كان كتاب «مناطقك الخاطئة» هو الكتاب الأول في المبيعات، وكان لديّ سلسلة من الدعوات من أجل العودة، ومواعيد من أجل التحدّث في المُستقبل.

الذي يقف بوضوح أمامي الآن وأنا أبعث الحياة في لحظات الإنجاز المُتألّفة تلك الناتجة عن بلوغ هذه الحالة العالية في عالم النشر هو الخوف الأكبر الذي كان داخلي. كنتُ قلقاً من عدم قدرتي على التعامل مع عدم الاستقرار المالي في بداية قراري أن أترك الجامعة وأتوجّه وحدي. لقد أحببتُ الشعور بالحرية الذي كان يُغذي روحي، ومع ذلك، كان رأسي مليئاً بالرهبة تجاه مخاوف المال.

نشأتُ في فترة الفقر الشديد، حيث واجه والداي الكساد الكبير، وكان المال دائماً اهتماماً كبيراً. لقد قُطعتُ على عقلية عدم الكفاية، ووضعتُ في بيوت الحضانة بصورة عامة لأنه لم يكن هنالك مال كافٍ من أجل رعاية الاحتياجات الأساسية. كانت أُمّي في عمر الرابعة والعشرين مع ثلاثة أطفال، تعمل أولاً كبائعة في محل للبضائع الرخيصة، ثم عملتُ سكرتيرة. بينما كان والدي الذي سُجن بجرم السرقة في أكثر من مُناسبة، قد تخلّى للتوّ عن مسؤولياته الأبوية واختفى. نشأتُ وأنا أعمل من الوقت الذي كنتُ فيه في عمر تسع سنوات. كان المال قضية كبيرة في كلّ مكان عشتُ فيه. كان النقص في المال والعجز المالي، وذكريات كوني جائعاً لا أملك الطعام الكافي كي آكله، مطبوعة في عقلي الباطن على نحو قاطع إلى حدّ ما.

بناءً على ذلك، كان التوجّه في طريقي وحدي مع عائلة عليّ دعمها في عمر السادسة والثلاثين، من غير دُخل مضمون، أمراً هائلاً بالنسبة إليّ. لقد أحببتُ فكرة أن أكون مُدير نفسي، ولكنني كنتُ خائفاً من فكرة ألا أكون قادراً على أن أكفي نفسي وعائلتي. ما يبدو أكثر وضوحاً بالنسبة إليّ الآن، عندما أعود بذكرياتي إلى هذه الخطوة الخطرة هو أهمية شعور الخوف، والاعتراف به بدلاً من الاحتجاج عليه، ثم القيام بما كان يُخبرني به قلبي وروحي أن أفعله. لقد كانت إرداتي أن أضع جسدي وأفعاله في مُحاذاة الأنا العليا عندي، والتي لم تستطع بعد الآن التعامل مع العيش في الكذب. عندما جبتُ

البلاد، ثم سافرتُ عبر العالم، وقمتُ بما عرفتُ أنه كان هدفي الإلهي، بدأ كل شيء يُصبح في مكانه.

عندما أعلن المؤتمر الهاتفي مع «آرتي» و«بول» وضعي المادي الجديد كميليونير بقدرة كسب غير محدودة، أدركتُ حقيقة مُهمّة للغاية، كان قد أوضحها «باتانجالي» قبل حوالي ألفين وثلاثمئة سنة أو ما يُقاربها. لقد قدّم هذا المُعلّم الروحي الكبير نوعاً من النصيحة خاطبتني هناك في عام 1977، فقد قال: «عندما تكون مُلهماً من قبل هدف عظيم، وبعض المشاريع غير العادية، تكسر جميع أفكارك حواجزها، ويتجاوز تفكيرك الحدود، ويمتدّ وعيك في كلّ اتجاه، وتجد نفسك في عالم جديد عظيم ورائع»، ثم أضاف: «إنّ القوى الساكنة، القدرات، المواهب تُصبح حيّة، وتكشف نفسك شخصاً عظيماً أبعد ممّا تتخيل لنفسك أن تكون عليه».

أحبُّ هذا المقطع، خاصةً ذاك الجزء المُتعلّق بالقوى الساكنة. هذه القوى التي نعتقد غالباً أنها ميتة ولا يُمكن الوصول إليها، ويبد أنها حسب قوله تُصبح على قيد الحياة كي تُساعدنا عندما نكون مُلهمين بهدف عظيم وتنصرّف بناء عليه. أدركتُ أنّ لديّ بشأن المال الكثير من المخاوف والهموم التي كبرتْ وعشتُ معها حياتي كلّها، وأنّ هذه المخاوف قد سيطرتْ على مُعظم تفكيري. إنّ ما قدمه «باتانجالي» كان حقيقياً بالنسبة إليّ بطريقة كبيرة.

عندما تبعثُ حلمي، وبقيت في الروح المُلهمة، حصلتُ على مال في السنة الأولى بعد أن تخلصتُ عن وظيفتي أكثر ممّا حصلت عليه في فترة الخمس وثلاثين سنة السابقة من حياتي. بطريقة ما، رأيتُ الأمر بوضوح كبير الآن: عندما نبقي في اتجاه الهدف، ونرفض شبات أن نكون مُثبطين، نتقبّل مخاوفنا ونقوم بالأمر على أيّ حال، تلك القوى التي تبدو ساكنة تعود إلى الحياة، وتُظهر لنا أننا أشخاص أعظم مما حلمنا لأنفسنا أن نكون، ونكتشف أننا واحد مع مصدر وجودنا، وكما صاغها «المسيح» تماماً: «مع الإله كلّ الأشياء مُمكنة».

إنّ الوجود مع الإله يعني العيش خارج الهدف، والقُدوم دائماً من مكان الحُب. أستطيع الآن أن أرى بوضوح أكبر أنّ قراري اتباع ندائي الأعمق الخاص، انطلاقاً من

أنشودتي الداخلية «المانترا الخاصة بي»: كيف يُمكنني أن أساعد؟ بدلاً من ما الذي هناك من أجلي؟ هو الذي بدد قلقي حيال المحنة المالية.

أثناء كل تلك السنين من التحدّث إلى الناس في وسائل الإعلام، كانت فكرة أن أصبح ثرياً أبعد الأشياء عن تفكيري. لقد كان ظهور كتابي على لائحة الأفضل مبيعاً في «نيويورك تايمز» مفاجأة بالنسبة إليّ، وكان المال الذي بدأ يظهر حقيقة غير متوقّعة. لقد علّمني علم نفس التحقيق الذاتي لـ «أبراهام ماسلو» أن أبقى مُنفصلاً عن النتائج، إذ كان يقول غالباً: إنّ الأشخاص المُحقّقين لذواتهم يفعلون ما يفعلونه لأنهم يتبعون قلوبهم ونداء أرواحهم، وليس بسبب ما قد يحدث لهم. لقد كانت رحلتي في أن أتبع ما شعرتُ به بعمق داخل نفسي، وكان كلّ السخاء الذي ظهر مؤثراً للغاية، وشكل مع ذلك صدمة مُمتعة بالنسبة إليّ.

هذا ما هو واضح بالنسبة إليّ اليوم: اتبع قلبك، ابق في مُحاذاة مصدر وجودك، أحبّ، ودّع الكون يهتمّ بالتفاصيل.



• قبلت دعوة من أجل القيام بجولة دعاية للكتاب في «هولندا»، حيث حصل شيء لم يُسمع به من قبل. ظهرت «ويليك ألبرتي»، المغنية والفنانة المعروفة في «هولندا»، على نحو علني في برنامج تلفزيوني محلي، وأعلّمت كل شخص من المُشاهدين أنها قرأت كتاباً غيّر حياتها على نحو كامل، هذا الكتاب هو «مناطقك الخاطئة»، والمُعنون بالهولندية: «ليس غداً بل الآن». لقد قامت «ويليك» بشهادة مُحركة لعواطف المُشاهدين كي يقرؤوا ويُطبّقوا النصيحة المنطقية البسيطة المُقدمة ضمن ما كان بالنسبة إليها كتاب يُغيّر الحياة. في اليوم التالي كان الطلب على كتاب «ليس غداً بل الآن». أبعد من أي شيء رآه الناشر الهولندي.

سافرت بالطائرة إلى «أمستردام»، حيث تحدّثت مع هذه المرأة الفاتنة المسؤولة عن جعلني نبأً مُثيراً بين عشية وضحاها في «هولندا» و«بلجيكا». لم تستطع المكتبات أن تُواكب الطلب على كتابي. ظهرت في البرامج الحوارية، برامج الترفيه الليلية، وفي برنامج اللعبة المحلية، وكنت أقوم بالمقابلات باستضافة المجلات والصحف.

أخبرتني «ويليك» أنها تأثرت بعمق بكلمات كتابي «ليس غداً بل الآن»، وأنها ستكون مُتحمّسة كي تُصادق على أي شيء سأنتجه في المُستقبل. لقد كسبتُ صديقة في بلد لم أزره من قبل، مع نجمة تحدّث لغة لا أدركها، وهي مُستعدة أن تكون سفيرة لنوع التعليم الذي أروّج له في كتاب نُشر عبر المحيط في «أمريكا». هذا الكتاب يُباع بمئات الآلاف في بلد إجمالي عدد سكانه أربعة عشر مليون نسمة.

عدتُ إلى «الولايات المتحدة الأمريكية» وتقابلتُ مع «آرتي باين» و«بول فارغيس» في «كروويل تي واي» كي نتحدث عن أفكار من أجل كتابي التالي. منذ أن استبدلتُ مُقابلتي على الراديو في «سيدني» في آخر الصيف، كنتُ أفكر في موت «إلفيس» المُبكر. كنتُ أريد أن أكتب عن شيء ما يؤثر في كل شخص أتحدث إليه بطريقة أو بأخرى. رأيتُ أثناء مُمارستي العلاجية أنه على الرغم من أن الأشخاص قادرون على تغيير أنماط تفكير الهزيمة الذاتية لديهم، وتصحيح أفكارهم الاعتيادية الخاطئة، إلا أنهم يبقون يشعرون وكأنهم ضحايا عوامل خارجية عديدة تبدو لهم كأنها مُستعصية.

قدّمتُ إلى «بول» مُلخصاً يُفصل نظريات جديدة غير تقليدية على نحو مُذهل من أجل التخلص من الضغوط والاحتياالات التي تُوجّه إلى كل شخص باستمرار. كنتُ أريد أن أعلم الناس كيف يتوقفون عن الشعور بأنهم ضحية في جميع تفاعلاتهم في الحياة، وأن يقوموا بمهامهم من مُنطلق القوة بدلاً من الضعف عندما يتعاملون مع أفراد الأسرة، رموز السلطة، والشياطين الذين يعيشون في الداخل ويسحبونهم على نحو مُستمر بعيداً عن سعادتهم الخاصة. يبدو لي أن «إلفيس» سمح لنفسه أن يُؤخذ من قبل حاشية من المُحتالين الذين كانوا حريصين في الأصل على مصالحهم الخاصة في العمق. كيف خرجت حياتاه عن السيطرة إلى هذا الحد؟ لماذا لم يكن قادراً أن يُقاوم مكائد المُتعاملين معه؟ مَنْ كان هناك كي يقوده بعيداً عن سلوكيات التدمير الذاتي؟.

كنتُ أريد أن أكتب كتاباً يستخدم نظرية المنطق التي أسرت الكثير من الناس حول العالم في كتاب «مناطقك الخاطئة»، كنتُ أريد أن أعلم الناس كيف يتجنبون فخّ الضحية الذي أودى بحياة «إلفيس» ويتصرّف على نحو مُنظم كسرطان زاحف في حياة عدد غير محدود من الرجال والنساء. دعوتُ هذا الكتاب الهادف Pulling Your Own Shrights «امتلاك زمام أمورك».

تلقيتُ دفعة مُقدمة جيدة من ناشري وكانت محدودة بسبب بعض القوانين في العقد الأصلي الذي وقعته معهم. لقد حاول وكيلي «آرتي باين» عبثاً أن يحمل الناشر كي يُقدّم دفعة مالية سخية تذهب أبعد ممّا ذكر في العقد، بسبب النجاح الضخم وغير المُتوقع لكتاب «مناطقك الخاطئة». كان «آرتي» عنيداً ويُريد أن يضغط على الناشر.

أخذتُ موقفاً مختلفاً تماماً وكنتُ مُصرّاً على أن يتراجع ويحترم ببساطة ما وافقنا عليه في الأصل، عندما كنّا مُتحمّسين كي نحصل على عقد كتاب قبل ثمانية عشر شهراً.

أنا أكثر من سعيد. لا أحتاج المزيد من المال بعد الآن، أنا أملك الآن منزلاً جميلاً في «ف تي لودير ديل» في «فلوريدا»، حيث أقيم على نحو دائم. أنا مُتحمّس من أجل كتابة كتاب ثانٍ وأعلم أنه سيُنشر. أنا أصرُّ أن يتخلّى «آرتي» عن طلبه أن يُمزّق ناشري عقدنا الأصلي. لا أريد أيّ صراعات في أيّ مكان، ولا مشاعر قاسية. لا يتعلق الأمر بالمال، ولا أريده أن يُصبح قضية، ليس الآن، ولا فيما بعد.

حالما بدأتُ كتابة كتابي الجديد، تذكّرتُ قراءتنا بصوت عالٍ لإعلان الاستقلال في صفّ التربية الوطنية الذي كنتُ أدّرسه في ثانوية «بيرشينغ» في «ديترويت». هذه المجموعة من طلاب الثانوية درسوا سطرّاً من إعلان الاستقلال في ذاك الوقت، ثم ناقشوا ما قد قيل في الستينيات، وكيف ينطبق عليهم تقريباً بعد مئتي عام.

لقد رسم هذا السطر المُحدد أغلب النقاش:

«كلّ التجارب أظهرت أن الأنواع البشرية أكثر ميلاً إلى المُعانة، بينما تقبل الشرور المُعانة أكثر من تصحيح نفسها من خلال إلغاء الأنماط التي اعتادت عليها».

قررتُ قبل أن أكتب الكلمة الأولى من كتاب «امتلاك زمام أمورك» أن هذا السطر سيكون مقولة الافتتاح في بداية الكتاب، حيث أنه يعكس الموضوع الذي أريد توجيهه.

كتبْتُ يومياً مدّة ثلاثة أشهر، مُركّزاً دائماً على مُساعدة القراء كي «يُصححوا أنفسهم» من خلال اختيار ألا يكونوا ضحية لأيّ أحد أو أيّ نظام، تحت أيّ أو كلّ الظروف. عندما ظهرت نسخة الغلاف من كتاب «امتلاك زمام أمورك»، كنتُ مُتحمّساً تماماً كما كنتُ منذ سنتين عندما حملتُ كتاب «مناطقك الخاطئة» ودلّته كطفل حديث الولادة.

أنا مُلتزم مرة أخرى بإيصال هذه الرسالة إلى العالم، ولكن في هذه المرة ليس عليّ أن أقوم بمعركة مع أيّ أحد في دار النشر. عيّنتُ «دونا غولد» لديّ بصفة وكيلتي الإعلامية بدوام كامل. اخترتُ أن أذهب في جولة للكتاب عبر البلاد، بيد أنه هذه المرة لم يكن

عليّ أن أفود، أو أقلق بشأن حجوزات الفنادق، أو أستمّر بميزانية ضيقة جداً. كانت رحلاتي الجوية والفنادق جميعها مُرتبة، وكان أي شيء أريده يُعطى لي دون سؤال.

ذهب كتاب «امتلاك زمام أمورك» مباشرة إلى لائحة الكتب الأفضل مبيعاً في «نيويورك تايمز». لا أزال أقوم بظهور مُتعدد في «برنامج الليلة»، والآن تمّت دعوتي كي أقوم بتسجيل في برنامج «حوار النهار» باستضافة «دينا شور»، ديناً!

استقبلتُ في «لوس أنجلوس» من قبل الشخص الأكثر لطفاً وجمالاً وكرماً الذي قابلته في جميع المُقابلات مع الأشخاص في البرامج. طلبتُ مني «دينا» أن أقوم بظهور أسبوعي مُنظم معها في برنامجها التلفزيوني المحلي، مُقترحة أن أقدم حالات ضحايا شائعة وأن أستضيف فنانين وفنانات يُقدّمون طرقاً مُتعددة من أجل التعامل مع أنواع الاحتمالات واسعة النطاق. كنتُ أسافر بالطائرة مرة في الشهر، وأسجل أربعة برامج في كلّ زيارة كي تُعرض أسبوعياً. في غضون هذا الأمر أقمتُ علاقة صداقة مع امرأة تُجسّد التحقيق الذاتي، وهي الآنسة «دينا شور».

شاهدتُ «دينا» كلّ أسبوع تُظهر اللطف غير العادي تجاه كلّ شخص في مكان التصوير. لقد كانت السيدة التي تُفرغ سلات المهملات، تحظى بالمنزلة نفسها التي تحظى بها المُمثلات الصاعدات، ورجال السياسة المعروفين الذين حضروا إلى مكان التصوير. أنا مُتأثر جداً بهذه النجمة مُتعددة المواهب التي تُحيط كلّ شخص بالحب واللطف في قلبها. لقد تشرفتُ بأن أكون في برنامجها ضيفاً دائماً، بل حتّى إنني أكثر فخراً أن أشاهد وأتعلّم من إنسانة تبدو وكأنها روّضت الأنا لديها. إنها صديقتي وهي مُعلّمة كبيرة. أنا مُمتنّ جداً.

لقد جاء أحد أعظم اكتشافات حياتي من تجربتي في «هولندا» مع «ويليك أكرتي»، أحد مشاهير الترفيه الأكثر شهرة في ذاك البلد الجميل.

يُقدّم «لاو تزو» في «التاو تي تشينغ» حقيقة مُتناقضة عندما يقول أن «التاو» العظيم «الإله» لا يفعل شيئاً، ولا يترك أي شيء غير مُنجز. كنتُ كلّما تفكرتُ في هذه الجملة التهكمية أستطيع أن أرى من غير شرح تلك الحكمة المُتأصلة في كلمات «لاو تزو». لقد كنتُ أبحث كلّ النهار والليل عن الألفية الجديدة، ولم تستطع حواسي أن تختبر

الإله يفعل أي شيء. لا أستطيع أن أرى، أسمع، أشم، أذوق، أو ألمس الإله، مع ذلك فإن هناك شيء ما يعمل، ولا يترك أي شيء غير مُنجز، وهو يكون كذلك عندما أضع نفسي في مُحاذاة «التاو» العظيم، وأعيش رسالتي الروحية «دهارما» في هذا التوازي.

لا يوجد شيء أستطيع فعله حيال الناس في «أوروبا»، «آسيا»، «أمريكا الجنوبية»، وكل مكان آخر على هذا الكوكب، والذين أحب أن يسمعوا رسالتي في تقوية الذات. بيد أن الأمر يُنجز. ليست لدي فكرة من الذي وضع نسخة من كتاب «ليس غداً بل الآن». أولاً بين يدي «ويليك ألبرت»، وما الذي ألهمها أن تتحدث بحماس عن هذا الأمر على التلفزيون المحلي. لم أفعل أي شيء، ومن الواضح أنه كان من المُفترض أن يحدث، ولذلك لم يترك أي شيء غير مُنجز.

من الواضح أن هناك قوة خفية في الكون تُدير كل شيء من غير استثناءات. هذه القوة في داخلي وفي كل شيء، وفي كل شخص آخر حي، إنها تربطنا جميعاً. عندما أبقى على انسجام مع هذه القوة، التي هي بحق الحب النقي غير المشروط، لا تترك أي شيء غير مُنجز عن طريق عمل لا شيء. لقد كانت فرقة «البيتلز» على حق عندما قالت «فليكن».

منذ تلك الزيارة الأولى المبدئية إلى «هولندا»، قامت الجميلة «ويليك ألبرتي» بفعل الشيء ذاته مرات ومرات أخرى حالما تمّ نشر كتابي باللغة الهولندية. إنها رفيقة الروح، تمشي في الطريق نفسه الذي أمشي، وإنه من المُبهج على نحو غامض أن أمسك بيدها ونحن نُسافر على هذا الطريق معاً، على الرغم من وجود فاصل لغوي وجغرافي بيننا. من الواضح أن هذه القوة داخل كل منا تعمل كي تُساعد كل منا إن بقينا صادقين مع ندائنا. إن «ويليك» هي مثال من آلاف الأمثلة عن مثل هؤلاء الحلفاء الذين تعهّدوا بتحقيق الهدف ذاته وهو تحويل كوكبنا إلى مكان من الحب الإلهي. أنا لا شيء سوى رسول في هذه العملية. أنا لا أملك الكلمات التي أكتب: أنا فقط أسمح لها أن تخرج من خلالي، و«التاو» العظيم يُعالج كل التفاصيل.

عندما أنظر إلى الخلف بفهم أوضح، أستطيع أن أرى كيف أنّ تطوّر كتاب «امتلاك زمام أمورك» كان ضرورة بالنسبة إليّ. من ذكرياتي السابقة استطعتُ أن أتذكر الإحباط

وحتى الاستياء العميق من القواعد السخيفة المفروضة عليّ من قبل أشخاص أخبروني أنه كان عليّ فعل أشياء بطريقتهم، والذي يعني على نحو عام أنني كنت سأصبح ضحية. في أثناء مُمارستي العلاج رأيتُ دليلاً عن هذا في كل شخص قابلته عملياً. إنَّ رغبتني في أن أكتب وأتحدّث عن هذه الأنواع من ضحايا المصائد اليومية، أتت من الوعي الداخلي بأنَّ الأمر لا يجب أن يكون بهذا الشكل. باستطاعة الإنسان أن يستجمع شجاعته ويقف في وجه أولئك الذين يُحاولون أن يستبدلوا المعرفة الداخلية بصحة شيء، بإرادتهم، أو سياساتهم، أو تنظيماتهم.

أستطيع أن أرى الآن أنني غالباً أحضر من مكان الأنا داخل نفسي، عندما يتعلّق الأمر بالتعامل مع رموز السلطة. كي أكون صادقاً على نحو تام، فقد سمحتُ للأنا الخاصة بي أن تلعب دوراً دائماً في حياتي في أوقات من عام 1978، حيث أن أضواء النجومية بدأت تُشرق عليّ مع كتابين من أفضل الكتب مبيعاً محلياً، ومُستقبل مُشرق كشخصية تلفزيونية، وكوني معروفاً في أيّ مكان ذهبتُ إليه.

لقد ساعدني ارتباطي مع «دينا شور» التي لا تمتلك الأنا، فقد رأيتُ الحقيقة الواقعية بسرعة أنني لم أكن أفضل من أيّ أحد آخر. مع «دينا» كأنموذج، كان خيارني بسهولة أن أبقى متواضعاً ولطيفاً في جميع تعاملاتي مع الناس، وأن أطرّد أيّ سلوكيات مُتعجرفة قد تتشكّل. هنا كنتُ كلَّ أسبوع مع نجمة كبيرة: امرأة امتلكت سيرة ذاتية من النجومية التي استمرّت إلى الأبد، وليس فقط بسبب ما قامت به من العديد من البرامج التلفزيونية الناجحة، فقد كانت نجمة سينما وفنانة تسجيل شعبية، مع أكثر من أربعين مجموعة صوتية في رصيدها، ولائحة طويلة من الأغاني الضاربة التي يرجع تاريخها إلى السنة التي وُلدتُ فيها. كانت «دينا شور» أيضاً عضواً فخرياً في قاعة المشاهير لرابطة سيدات الغولف المُحترفات، وأيضاً مُروّجة محبوبية في مجال الأعمال الخيرية، مع العديد من الجوائز التي لا يتسع المكان هنا من أجل ذكرها.

عندما أنظر إلى الوراء اليوم أستطيع أن أرى عمق أنموذج الدور الذي كانت عليه «دينا» بالنسبة إليّ. لقد تحدّثتُ بتقييم عالٍ عن كل شخص، ولم تسمح لحالة شهرتها أن تُضخّم الأنا لديها. كنتُ هناك قادماً جديداً إلى عالم الشهرة، وكنتُ على وشك أن

أبدأ باختيار سلوكيات مُستندة على الأنا، لا يستحقّها شخص مُهمته أن يخدم الآخرين. هذه النجومية المُكتشفة حديثاً والتقدير يحتاجان لأن يكونا إحاطة لا صلة لها بمهمتي الخاصة. أستطيع التذكّر على نحو حيّ مُشاهدة هذه النجمة الرائعة والسيدة التي تُعامل كلّ شخص بالحبّ والاحترام.

أنا مُمتنّ جداً على وجود «دينا» في حياتي. كلّ أسبوع عندما كنتُ أظهر كضيف في برنامجها حوالي السنتين تقريباً، كنتُ أتذكّر أن أحافظ على إنسانيّتي، وأفكر أولاً بالآخرين، وانطلق دائماً من مكان الحبّ. خلال السنوات منذ وفاة «دينا» عام 1994، بقيتُ أتذكّر وجهها المُحبّ وابتسامتها الرائعة، وكذلك إحساسها الأصيل بالإنسانية، الأمر الذي جعلني أتذكّر مُحاكاة تلك الصفات التي عاشتها على نحو مُطلق.

شكراً «دينا» الجميلة. كنتُ مُمتناً جداً على معرفتك. أعلم أنني كنتُ واحداً من حشد من الرجال المُغرمين بك من بعيد. إنّ السطرين الأخيرين من قصيدة «جون كيتس» الشهيرة والتي بعنوان: «قصيدة حول مزهرية إغريقية» يُذكراني دائماً بك.

الجمال هو حقيقة، حقيقة الجمال هي كلّ شيء

ما تعرفه على الأرض، وكلّ ما تحتاج إلى معرفته.

شكراً لك «دينا» على تزويدي بأنموذج البقاء لطيفاً في وجه العديد من إغراءات الأنا التي تأتي مع الشهرة. إنّ جمالك الداخلي هو حقيقتي!



• إنه الثامن من شهر أيار عام 1978، وها أنا ألحق بالقطار إلى مدينة «نيويورك» كي أتناول عشاءني مع «آرتي باين». منذ سنة مضت أو ما يقارب ذلك كنتُ أتحدّث في أماكن مُختلفة حول البلاد، بما في ذلك شركات الأعمال، الجامعات، الندوات العامة، وحدات قياس وعلوم التفكير في الكنائس. رفع «آرتي» أجور حديثي على نحو كبير جداً، ومع ذلك فإنّ الحضور في مُحادثاتي استمرّ في الازدياد كثيراً.

شعرتُ بفخر كبير في التحدّث مُباشرة من قلبي ساعات من الوقت من غير وجود منصة أو أيّ ملاحظات مهما كانت. كنتُ أمثل أحياناً نوعاً من الكوميدي المُحبط، وأستخدم كمّاً هائلاً من وقت كلامي كي أبقى الجماهير يضحكون قدر المستطاع. هذا مكان طبيعي بالنسبة إليّ كي أكون فيه. أحبّ الآن عيش توكيدي الشخصي الخاص الذي كنتُ أستخدمه منذ ثمانية عشر عاماً: أنا مُعلّم.

منذ أربعة شهور مضت أخبرتُ هذه الطرفة القديمة لـ«آرتي»: «سأل تلميذ مُعلّم الغناء: «كيف بإمكانني الذهاب إلى قاعة «كارنيجي»؟»، كان جواب مُعلّمه المُباشر هو: «تمرّن، تمرّن، تمرّن». أخبرتُ وكيلتي كم اعتقدتُ أنه سيكون مُثيراً التحدّث في قاعة «كارنيجي»، وأن أقف بمُفردي على خشبة المسرح الهائل حيث قام العديد من الأساطير بالتحدّث والتمثيل أمام جماهير دفعوا ثمن حضورهم. قلتُ إنّ هذا كان حُلماً بالنسبة إليّ، ولكنني عرفتُ أنه كان في الواقع مُجرّد خيال.

دُهشت عندما أخبرني «آرتي» أنّ لديه صديق مسؤول عن تسجيل المواهب في قاعة

«كارنيجي» إن أردتُ فعلياً أن أقوم بهذا، لقد استفسر عن التفاصيل وكلفة استئجار هذا المكان المرموق ليلة واحدة. قلتُ مرة لنفسِي: «إن كان بإمكانِي فعل ذلك هنا، بإمكانِي أن أقوم بذلك في أي مكان». بالتأكيد أردتُ أن أفعل ذلك! من أجل ذلك اتصل «آرتي» بصديقه، وتمت الإجراءات. عليّ دفع أجرة الصالة إن كانت مبيعات البطاقات غير كافية من أجل تغطية التكاليف. إنها مدينة «نيويورك»، وهذا أضخم مسرح في هذه المدينة. نجلس الآن في مطعم «آرتي» المفضل، في غرفة الشاي الروسية. أنا على وشك شطب مادة مما سادعوه لاحقاً «قائمة الدلو». استأجرتُ قاعة «كارنيجي» لهذه الليلة، قبل يومين من عيد ميلادي الثامن والثلاثين. أخبرتُ وكيلِي أنني لا أريده بعد الآن أن يضع ملاحظة في عقود مُحادثاتي أنه لا يمكن عمل أي تسجيل لمُحادثات الدكتور «واين داير». شرحتُ له أن هذا يُخالف إحساسي الخاص بسبب قيامي بهذا العمل وسفري حول العالم مُتحدثاً. أريد أن يسمع أكبر عدد مُستطاع من الناس هذه المُحادثات، ولا يرتبط هذا الأمر بكسب المال، بل بنشر الكلمة إلى أوسع شريحة مُمكنة من الجمهور. أريد الناس أن يُسجلوا هذه الرسائل، وأن يُعيدوا إنتاج تسجيلاتي، ويُسلوا تسجيلاتهم في كل مكان.

اعترض «آرتي»، شاعراً أن ذلك سيُكلفني بعض المبيعات من البرامج المُسجلة: في النهاية إنه وكيلِي ويشعر أن عمله أن يحميني مالياً، بيد أنه وافق أن ينسف هذا البند من عقدي مع قاعة «كارنيجي»، وجميع ارتباطات المُحادثات المُستقبلية.

أنهينا العشاء ومشينا بضع خطوات إلى قاعة «كارنيجي». نظرتُ إلى القنطرة الكبيرة وشاهدتُ اسمي في الأضواء على هذا الصرح الهائل الذي استضاف العديد من العملاقة في صناعة الترفيه. مشيتُ عبر منطقة الكواليس الكهفية إلى غرفة ملابسي، وجلستُ أشعر بروعة مذهولة. أنا مصدوم ومُستغرب فزُبماً تذهب ضخامة هذه المناسبة عني جمود الكلام عندما تفتح تلك الستائر وأواجه الجمهور.

قمتُ بعشرين دقيقة من التأمل الصامت من أجل الامتنان، وخرجتُ أهدق في المشهد أمامي. إن القاعة الرئيسة ذات أسقف عالية على نحو هائل، وهنالك شرفات حول هذا المسرح الأرقى في «الولايات المتحدة الأمريكية». والذي يتسع لحوالي

2804 شخص على خمسة مستويات. لم أستطع أن أرى مقعداً فارغاً بين المُشاهدين، ولكن في اللحظة التي بدأتُ التحدّث فيها، تخلّصتُ من كلّ توتري. تحدّثتُ ساعتين ونصف دون توقّف، وكنتُ مُتواضعاً أثناء وقوف الحضور وتصفيقهم لي طويلاً. لم يكن هنالك أيّ إعلان أنّ مُحاضرتي لا يُمكن أن تُسجّل.

في بداية هذه السنة، كتبتُ هذه الكلمات: «لديّ هدفان رئيسان أنوي إنجازهما قبل نهاية هذه السنة» حققتُ ميولي بالتحدّث في قاعة «كارنجي»، وهذا كان أحد الهدفين، وكما تقول الطرفة القديمة، وصلتُ إلى هناك من خلال التدريب، التدريب، التدريب. كان الهدف الثاني هذه السنة هو أن أركض ماراتوناً كاملاً، لماذا؟ من جهة بسبب تجربة حصلت معي منذ بضع سنين مضت، عندما كنتُ أعلمُ فصلاً صيفياً في جامعة «واين ستيت».

كانت مجموعة من الطلاب المُتخرّجين يُقلّدون الصّفّ الجامعي أمام الصّفّ كجزء من واجب منزلي. أخذ الطالب دور أستاذ جامعي يتوضّع حزامه أسفل معدته، يُمثل أستاذاً بوزن زائد مع بطن بارزة. لم أستطع فهم لماذا كان الصّفّ بأكمله يضحك ضحكته وينظر بخجل إليّ. فجأةً جاءني وعي صادم أنّ هذا الطالب يُقلّدني على نحو مُضحك. أدركتُ للمرة الأولى أنني زائد الوزن. كيف حصل هذا لي؟ ضحكك مع الصّفّ بأكمله، وعندما عدتُ إلى المنزل أدركتُ أنّ هذه اللحظة كانت واحدة من أهمّ اللحظات في حياتي.

اتخذتُ قراراً في الحال أنني سأجعل جسمي ضمن الشكل المطلوب. ذهبتُ خارجاً مرتدياً زوجاً من أحذية التنس في قدمي، وحاولتُ أن أركض حول الكتلة السكنية. قطعْتُ حوالي خمسمئة ياردة، وكنتُ ألّهتُ ولم أستطع أن ألتقط أنفاسي. آلمني صدري وتألّمت رجلاي، ومشيتُ ببطء عائداً إلى منزلي. في المساء التالي فعلتُ الشيء نفسه في الوقت نفسه، وكنتُ في هذه المرة قادراً على أن أركض ستمئة ياردة قبل نفاد قوتي.

كنتُ مُصمماً أن أكون قادراً على ركض ميل خلال أربعة أيام. في اليوم الثالث حققتُ ذلك مُجتازاً نصف ميل، ولاحظتُ أنني لم أكن تقريباً مُتعباً أو مقطوع النفس كما كنتُ سابقاً. مع نهاية اليوم الرابع كنتُ قادراً على أن أركض ببطء ميلاً كاملاً.

لقد كنتُ في طريقي! لقد اكتشفتُ مدى قوّة أن تُنجز هذا النوع من التقدّم، وكنتُ مُنجذباً ومُرتبطاً.

لديّ الآن نظام جري ألترم به بلا تردد. خلال شهرين من يومي الأول من الركض مسافة بعيدة، وصلتُ بنفسني حتى ثمانية أميال في اليوم. كنتُ أركض بهوس كلّ يوم منذ تلك الصدمة الأولى من رؤية نفسي أُصوّر كأستاذ خارج الشكل الرياضي، مع حزام أسفل بطنه المُتدلي.

لقد فعلتُ الشيء نفسه كي أكون في قاعة «كارنيجي» وهو التدريب، التدريب، ثم التدريب. ركضتُ ما يُقارب عامين حوالي ثمانية أميال في اليوم، ولم أفكر حتى أن آخذ يوم إجازة، ولا يهتم في أيّ مكان كنتُ فيه في أرجاء العالم، فقد وجدتُ الزمان والمكان المُناسبين كي أركض.

أحبُّ فعلاً هذا الوقت عندما أكون وحدي، إذ أنظف رأسي وأشعر بالسعادة التي تأتي من تلامس الهواء مع وجهي. أنا وحيدٌ مع الطبيعة عندما أركض، ومُندهش ممّا يقدر عليه جسمي الآن. لقد نزل وزني حتى مئة وسبعين باونداً، ولديّ سمّنة ضئيلة، وأشعر أنني أفضل ممّا كنتُ عليه في السنوات عندما كنتُ في فريق المشي في المدرسة الثانوية منذ عشرين سنة مضت.

لقد وضعتُ نيتي، وتدرّبت عن طريق الركض حتى ثمانية عشر ميلاً في ذاك الوقت، وأتممتُ تقريباً ثمانين ساعة من التدريب أسبوعياً. إنه الثاني والعشرون من تشرين الأول، وأنا مُشترك كي أركض في ماراثون مدينة البحيرات في «مينيابوليس» ولاية «مينيسوتا». إنه صباح لطيف من شهر تشرين الأول، وأنا على خط البداية كي أركض مسافة (26.2) ميلاً. إنها نية في خيالي، ولا شيء على الإطلاق سيمنعني عن إتمام هذه المُهمّة.

لقد أصبح الركض يوماً كلّ حياتي، وهذا الماراثون سيكون الإنجاز المُتوّج. أنا غير قلق على وقتي، سرعتي، أو كيف سأتكّدد مع ألفي شخص أو ما يُقارب ذلك من العدّائين هنا اليوم. أنا واثق كلياً أنني سأُكمل هذا السباق وأنجز ذاك الهدف الثاني الذي وضعته لنفسني سابقاً في الشهر الأول من السنة.

بينما كنتُ أركض سمعتُ الناس يتحدثون عن الجدار الخفي الذي يرتطم به العدائون، في مكان ما حول علامة «22» ميل. تابعتُ الركض لأنني لم أشأ لصورة نفسي الداخلية وهي تعبر خط النهاية بسعادة وفخر أن تتلوث بتعليقاتهم. أنهيتُ «26.2» ميلاً بأكملها خلال ثلاث ساعات ونصف فقط، أنا مُنتش وأقدم شكراً صامتاً إلى ذاك الطالب الذي قدّم لي عن غير قصد نداء استيقاظ، عندما جسّد صورتي كمُعَلِّم بوزن زائد.

عندما أنظر إلى الوراء أرى كم كانت أهمية هذين البندين في لائحة أهدافي، في تطوير عمل حياتي الذي سأبذله. عندما وضعتُ تلك النية أن أركض ماراتوناً كاملاً من غير توقّف أو مشي، لم أكن قد ركضتُ في حياتي أكثر من ثمانية أميال. مع ذلك بدا لي الماراتون أوج إنجازات الجري. تذكّرتُ كلمات «ماسلو»: «إنّ المُحقّقين لذواتهم يجب أن يكونوا ما يستطيعون أن يكونوا عليه». لقد كان يتحدّث عن الرغبة المُشتعلة في الداخل من أجل الوصول بإمكانيات الإنسان إلى الحدّ الأعلى، كما حددها لنفسه. لقد سمحتُ لنفسِي أن تخرج عن الشكل الرياضي مُنتصف الثلاثينات من عمري. لقد تخليتُ عن مُمارسة الرياضة البدنية المُكثّفة منذ الوقت الذي بدأتُ فيه التعليم ومُمارسة العلاج الخاص. مع ذلك، لم أر نفسي بالطريقة نفسها التي كان الناس يرونني بها. لقد كان الشاب الذي قلّدتني في صفّي أحد أعظم المُعلّمين الذين عبروا طريقي في أيّ وقت مضى. حتى هذا اليوم أستطيع أن أراه يشبّ مرحاً في غرفة الصف وهو يُمثل شخصية مُعلّمه «الرجل ببطن بدين». كانت تلك لحظة قفز نوعي في حياتي.

بدلاً عن النظر إلى المشهد على أنه نقد مُزعج، رأيتُ أنّ كلّ المُشاركين، وخاصة المُقلّد القافر، كانوا ملائكة أرسلوا كي يُرشّدوني. من المُحتمل جداً أنهم أنقذوا حياتي. كنتُ أتوجّه في اتجاه خطر جداً في ذلك الوقت: أفرط في تناول الطعام الدسم، أشرب الجعة، قليل الحركة، أتحمّل زواجا مُتصدعاً، وأستخدم نوعاً من نمط الحياة المرموق، لأنني كنتُ مسحوباً في اتجاهات مُختلفة شخصياً ومهنيّاً.

ذاك الشاب الذي قلّدتني ساعدني في جعلي على طريق التطوّر الذاتي بطرق عديدة. لقد بدأتُ المشي منذ تسع وعشرين سنة، حيث ركضتُ ثمانية أميال على الأقل كلّ يوم، وكذلك ركضتُ في ستة ماراتونات إضافية. بالإضافة إلى ذلك، بدأتُ بتغيير عاداتي

الغذائية، ونزل وزني ما يُقارب ثلاثين باونداً، وبقيتُ ضمن الحدود العامة التي كان عليها وزني عندما كنت في المدرسة الثانوية، وبقيتُ قرب ذلك حتى هذا اليوم.

رأيتُ بوضوح أكثر اليوم القوّة الكامنة في فكرة النية، والتي كنتُ قادراً على أن آخذ منها وكأنها مخزن كبير، ليس أمنية أو رجاء، بل نية تكشف المبدأ الجديد لحياتي. عندما قررتُ أن أركض في الماراثون، رأيتُ نفسي للتوّ أعبر خط النهاية مُنتصراً. نتيجة لذلك، نصرّفتُ بناءً على الفكرة كما لو أنها كانت حقيقة مُكتملة. لقد حفّزني ذلك أن أخرج كلّ يوم وأتحدّى نفسي في أن أرتقي إلى الفكرة التي امتلكتُها في خيالي، والتي كانت بالنسبة إليّ بالفعل أمراً واقعاً.

في داخلي كانت القوّة الكامنة في النية تُومض من قبل مُعلّمين خفيين مُتكرّرين في شكل شخصيات مُزعجة، الأشياء التي أراها الآن على أنها درس قيّم في تجربة عام 1978. في الحقيقة، أنا مُقتنع أنّ بعضاً من أعظم مُعلّميني الأكثر تأثيراً يظهرون في حياتنا مُتكرّرين في شكل أناس نستاء منهم، أو حتى نذريهم. بعد كلّ تلك السنوات والأُميال اللامنتهية التي جريتها، أنا مُمتنّ تجاه العقل الإلهي الذي أرسل الطالب كي يُجسّد شخصيتي ويُقلدني في ذاك اليوم.

إنّ أدائي في قاعة «كارنيجي» كان لحظة تعليم أُخرى عظيمة. كان عليّ تجاوز أيّ شكوك داخلية حول قدرتي في أن أحقق مستواي الخاص من العظمة في عالم التحدّث المُحترف العام. إنّ نيتي في التحدّث على خشبة المسرح الأولى في البلاد، جعلتني أدرك مدى قوّة الفكرة المزروعة في الخيال مع النية، وما يُمكن أن يكون عليه الأمر. لقد عرفتُ اليوم أنّ كلّ شيء يتحوّل إلى حقيقة مادية يبدأ بفكرة، وأن ارتباط الفكرة بالنية هو ضمان افتراضية أنها ستتحقق. كان ذلك تحدّ شخصي بالنسبة إليّ، فقد أردتُ أن أعرف أنني سأنجز هذا الشيء.

كانت المُحادثة التي أجريتها مع «آرتي» على العشاء قبل ظهوري في قاعة «كارنيجي» بخصوص الإذن للجمهور أن يُسجّلوا مُحاضرتي، نقطة تحوّل رئيسة في حياتي كذلك. لقد أردتُ كثيراً أن أرتقي إلى تعريف «ماسلو» عن الشخص المُحقق لذاته بأنه شخص مُتحرر من النتيجة. لم أكن أريد أن يكون المال هو السبب في كيفية ادارتي لحياتي. لم

• لقد دُعيتُ كي أشارك في مؤتمرٍ لمدّة أسبوعٍ في «فيينا، النمسا»، برعاية وإنتاج مُنظمة القادة الشباب، والتي كان أعضاؤها أشخاصاً في عمر معين، مسؤولين عن إدارة كاملة لقسم أو شركة في مرحلة التأهل، وهم مشاركون مع منظمات في جميع أنحاء العالم. قبلتُ الدعوة، وبعد يومين من ظهوري في قاعة «كارنيجي»، سافرنا بالطائرة أنا وزوجتي إلى «فيينا».

جمعتُ مُنظمة القادة الشباب مجموعة بارزة من المُحاضرين في هذا المؤتمر، وكنتُ مسروراً أن أكون واحداً منهم. إنها مُشاركة حوارية غير مأجورة، تُقدّم أسبوعاً رائعاً في وحول «فيينا»، مع فرصة أن تكون عضواً في هيئة التدريس مع مجموعة مؤثرة من الشخصيات المعروفة، ومن بينهم نائب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الحالي «والتر مونديل».

إبان وصولي، فهمتُ أنني سأجلس في لجنة أخطب حوالي ستمئة عضو من مُنظمة القادة الشباب. عندما سمعتُ عمّن سيشارك في التقديم معي، أصبحتُ عاجزاً عن الكلام مؤقتاً. سأجلس جانب الدكتور «فيكتور فرانكل» وسأعتبر زميلاً له. إنه أكثر من يُعجبني ربّما من بين كلّ الأشخاص الأحياء اليوم. عدتُ بذاكرتي إلى أيامي كطالب في الدكتوراه، حيث أخذتُ مُقررات في المُعالجة بالهدف، إنه نوع من المُعالجة أحدثه الدكتور «فرانكل» من خلال تجاربه كأحد الناجين من المحرقة في العديد من مُخيمات الموت النازية، بما فيهم «أوشفيتز» و«داخاو». منذ أربع سنين مضت عندما زرت

«داخاو»، رأيت بطلي يعيون تفكيري أثناء يومي في مخيم القوات العسكرية.

قرأت كتاب الدكتور «فرانكل» الكلاسيكي Man's Search for Meaning «بحث الإنسان عن المعنى» عندما كنت طالب ماجستير وطالب دكتوراه، وجعلت منه قراءة مطلوبة في جميع مقررات التخرج التي علمتها في جامعة «سانت جون». تذكرت كيف أنه في أكثر اللحظات غريبة وألماً وإذلالاً، تحمل الحياة معنى كامناً. لقد أخبر العالم أن «كل شيء يمكن أن يؤخذ من الإنسان عدا شيء واحد: آخر الحريات الإنسانية، أن يختار موقفه ضمن أي مجموعة من الظروف، وأن يختار طريقته الخاصة».

ها أنا ذا قد دعيْتُ كي أكون مُقدماً في هذا المؤتمر المرموق بسبب نجاح زوج من كتب المساعدة الذاتية المتواضعة، وأنا أشارك المنصة مع رجل سُجن في سلسلة من مخيمات الموت النازية، وعاش كي يُخبر قصته، ثم كتب نصاً كلاسيكياً، درسته واستخدمته عندما علّمت في جامعة «سانت جون».

أشعر بالتواضع الكبير، وأنني غير مُؤهّل أبداً، وأنني مُبارك على نحو لا يُصدّق كي أقابل هذا الرجل العظيم، ناهيك عن أن أعتبر شبه زميل له ومُقدماً مُشتركا معه أمام مجموعة من القادة الشباب هنا في «فيينا»، مسقط رأس هذا الإنسان الدليل على الطريق، والذي يحمل قلب أسد. أشعر أنه يجب أن يكون هناك سبب لهذه الفرصة غير المُتوقعة من أجل أن أكون على الطاولة نفسها مع «فيكتور فرانكل». عندما التقطت نسختي من كتاب «مناطقك الخاطئة»، لاحظت أن كلمات هذا الكتاب الأولى كانت إلهاماً من قبل قراءتي لكتاب «بحث الإنسان عن المعنى»: «إن خلاصة العظمة هي القدرة على أن تختار إنجازاً شخصياً في ظروف اختار الآخرون فيها الجنون».

غداً في فترة بعد الظهر، أنا على اللائحة من أجل الظهور على خشبة المسرح مع الدكتور «فرانكل»، الذي استشهدتُ بأقواله مئات المرات في مُحاضراتي. لقد زرتُ مُعسكرات الموت المروّعة حيث سجنه النازيون كعبد عامل، مُذكراً نفسي أنه وسط هذه الظروف السيئة كان هذا الطبيب النفسي والعصبي الذي خضع لأبشع الظروف اللاإنسانية بالنسبة للإنسان، قادراً على أن يجد الجمال والأهمية. كتبتُ مقالات عن فكرته الرئيسة عن العلاج بالهدف والتي كتب أنها ظهرت في ذلك الجزء عندما يتم

الصراخ عليك، وتُضرب من قبل الحراس بأعقاب بندقياتهم: «أوقفتني الفكرة مُسَمِّراً في مكاني: لأول مرة في حياتي رأيت الحقيقة بصيغة أغنية صاغها العديد من الشعراء، وأعلن عنها على أنها الحكمة النهائية من العديد من المُفكرين. الحقيقة أنَّ الحب هو الهدف النهائي والأسمى الذي يُمكن للإنسان أن يطمح إليه».

قابلتُ الدكتور «فرانكل» فقط قبل أن أصعد على خشبة المسرح كي أتحدث إلى مجموعته المُتميزة من قادة الشركات. إنه دافىء، مُضحك جداً، ويتحدث بلكنة نمساوية ثقيلة. أخبرته عن مدى إعجابي بكتابته وأني كنتُ استخدم كتابه «بحث الإنسان عن المعنى» كمقرر قراءة لطلابي المُتخرجين. أخبرته أيضاً أنَّ كتابي الاثنين الأفضل مبيعاً كانا من إلهامه، وإلهام أساتذتي الدكتور «فريتز ريدل»، والدكتور «آبراهام ماسلو». كنتُ مسروراً لأنني علمتُ أنه يعرف الدكتور «ريدل» شخصياً، وأنه كان مُلازماً للدكتور «ماسلو» قبل موته منذ ثمان سنوات مضت. كنتُ أشعر بفائق الحماسة أنه كان مُنتبهاً للنسخة الألمانية من كتاب «مناطقك الخاطئة» والتي تحمل عنوان «نقطة الجرح» باللغة الألمانية، وأنه قرأه.

استجابةً لتعليقاتي على ظهور مُعالجة مُربعة كهذه في مخيمات الموت المُتعددة حيث سُجن حوالي ثلاث سنوات تقريباً، قال «فيكتور فرانكل» في خطابه الجذاب إلى حشده المأسور من الجماهير: «إن لم نعد قادرين على أن نُغيّر حالة مُعينة، نحن في تحدٍ من أجل تغيير أنفسنا». إنه يربط إعطاءنا كوباً من الماء المُتسخ مع رأس سمكة ميتة عائِم على سطحه من أجل البروتين، على أنه الطعام الوحيد هذا اليوم، وإيجاد الجمال في هذا العرض المُثير للاشمئزاز من قبل سجنائه. لقد أكّد على أنه ذكر نفسه أن يختار تغيير نفسه. لقد تحدّث ببلاغة عن العديد من أصدقائه السجناء وهم يموتون ليس فقط من الظروف الصحية المُروّعة، ولكن أيضاً من استسلام أنفسهم وخسارة حسّ معنى الحياة وهدفها.

عندما أتحدّث إلى الجمهور أشعر بكلّ وضوح كأنني خارج المكان جانب هذا المُعلّم الجالس خلف طاولة المؤتمر ذاتها، والذي عاش وأثبت إيقانه لما كتبتُ عنه، مُقارنة مع ما فعلتُ على نحو هاوٍ. عندما انتهت المُحاضرة، أمضيتُ ساعة أو أكثر

أتحدّث مع هذا الرجل الرائع. أنا متأثّر جداً بحسّ الفكاهة الكبير، والحبّ الذي بدا وكأنه ينبثق منه حتى عندما كان يتحدّث عن المُعاملة المروّعة التي تلقاها من سجنائه. أنا أعلم أنّ زوجته ماتت في مُعسكر الاعتقال في «بيرغن بيلسن»، وأنّ والدته قُتلت في غرف الغاز في «أوشفيتز»، وأنه أيضاً خسر كلّ أعضاء أسرته المُقربين، عدا أخته «ستيلا» التي هربت من الاعتقال في المُعسكرات، لأنها هاجرت إلى «أستراليا».

لقد أعطاني نصيحة كي أطبّقها في حياتي الشخصية، وكلّ كتاباتي المُستقبلية. لقد تحدّث بوضوح، قائلاً إنّ المُعاناة جزء من الظروف الإنسانية التي لا يستطيع أحد الهروب منها في حياته، والتي قد تكون مصدر قنوط بالنسبة إلى البعض أكثر من غيرهم. مع ذلك، قال وهو ينظر مُباشرةً إليّ: «يجب عليك تعليم الناس أن يجدوا المعنى أثناء مُعاناتهم، وبهذا سيكونون قادرين على أن يُحوّلوا مأساتهم الشخصية إلى نجاحات شخصية». لقد شرح أنّ هذا هو خلاصة العلاج بالهدف: «إن كان مرضاك أو قراؤك لا يستطيعون إيجاد المعنى، سيهلكون في النهاية».

غادرتُ «فيينا» وأنا رجلٌ مُختلف. سأكتب وأتحدّث من وجهة النظر التي قدّمها الدكتور «فرانكل» لي هنا في هذا المؤتمر، وأخذتُ عهداً على نفسي أن أعيش حياة مُتمحورة حول المعنى أكثر بكثير من قبل. أشعر بالإلهام بسبب تواصلتي مع هذا الرجل العظيم، واشتريتُ نسخة أخرى من كتابه «بحث الإنسان عن المعنى» في المؤتمر كي أعيد قراءته في طائرة العودة إلى المنزل.

فتحْتُ الكتاب لأجد: «نحن الذين عشنا في مُعسكرات الاعتقال نستطيع أن نتذكّر رجالاً مشوا عبر البيوت المتداعية كي يُريحوا غيرهم، وتخلّوا عن آخر كسرة خبز لديهم». ثمّ قرأتُ هذه الكلمات، اقتباساً من «نيتشه» الذي التزمْتُ بأن أتذكّره، وأنا أفكرُ بتأليف كتابي القادم وحديثي التالي: «إنّ ذاك الذي يمتلك لماذا يعيش من أجلها، يستطيع تحمّل تقريباً أيّ كيف» أنا مُلتزم بالتعليم والعيش من مكان ذي معنى، حيث كيف تعيش تلعب دوراً ثانوياً، بينما لماذا تعيش هي الأكثر هيمنة في عملي.

المرّة الأولى التي صادفتُ فيها عمل «فيكتور فرانكل» كان في مُقابلة مصوّرة خاطبتُ روعي. لقد سمعتُ بأذني وأصغيتُ بقلبي عندما تحدّث الدكتور «فرانكل»

عن أهمية المعنى في حياة كل شخص، شعرت وكأنني أستمع إلى نسخة أعلى من نفسي، لأن كلماته كررت شيئاً عميقاً في داخلي. لطالما أردت أن أخرج أبعد مما بدا لي على أنه اهتمامات تافهة وقواعد خلقها مجتمعنا، محاولاً أن يجعلني أناسب وأكون مثل أي شخص آخر.

عندما شاهدت هذه المُقابلة، تحدّث الدكتور «فرانكل» عن سجناء مُعسكر الاعتقال الذين يتخلّون عن الحياة ويموتون وهم غير قادرين على إيجاد أيّ جمال في الحفاظ على الحياة في أكثر الظروف رعباً. لقد قال إنّ المعنى هو كل شيء. لقد ألح على المُستمعين أن يبحثوا عن طريقتهم الخاصة في التجربة والثقة بالمعنى الأسمى والذي ربّما يُسمّونه أو لا يُسمّونه الإله. لقد لاحظ أنه في مُعسكرات الاعتقال، كان أولئك الذين حملوا رؤية عن المُستقبل، هم الذين يبدو أنّهم يمتلكون فرصة أفضل في البقاء خلال هذه المحنة، سواء كانت الرؤية عملاً مُهمّاً ينتظرهم، أو كانت عودة إلى أحبائهم، لبد أنهم كانوا أقرب إلى البقاء على قيد الحياة خلال مُعاناتهم.

في اللحظة التي رأيت فيها الدكتور «فرانكل» شعرت بنوع من المُحاذاة معه والذي لم أشعر به تجاه أيّ شخص حرفياً. اليوم، ليس لديّ أيّ شكّ أبداً أنّ نوعاً من الاتصال موجود بيننا. لم تكن مُصادفة على الإطلاق أنه بعد حوالي خمس عشرة سنة من الإصدار الأول لكتاب «بحث الإنسان عن المعنى»، كنتُ مُتواجداً على المنصة ذاتها مع هذا الرجل الذي شعرتُ معه بقرابة روحية.

عندما قرأت للمرة الأولى قصص سوء مُعاملة الدكتور «فرانكل» في «أوشفيتز، داخاو»، و«بتيروزينشتات» في «بوهيميا»، غلبت المُعاناة على الكلمات التي كنتُ أقرأها، وعرفتُ أنني يوماً ما سأزور تلك الأماكن الفظيعة. بطريقة غامضة شعرتُ أنني سألتقي بهذا الرجل الذي تحدّث بإقناع كبير عن القدرة الفطرية التي يمتلكها البشر كي يتجاوزوا الشرّ ويكتشفوا المعنى، عندما يصرخ الجنون من كلّ ملاك! أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنه قد قدّر لي أن أقابل هذا الرجل شخصياً، لأنّ شيئاً خفياً لا يُمكن وصفه ربطنا معاً. إنّ ذلك اللقاء في ذاك اليوم في «فيينا» في أيار من عام 1978، أنشأ نقلة في كتابتي وفي حياتي.

• إنه الربيع من عام 1980، بداية عقد جديد. لقد كان كتابا «مناطقك الخاطئة» و«امتلاك زمام أمورك» ناجحين على نحو كبير، فهما الآن على لائحة أفضل الكتب مبيعاً في «نيويورك تايمز» منذ حوالي أربع سنوات.

عندما قبلت دار نشر «تي واي كروويل» مسودة كتابي الأصلية عام 1975، فعلوا ذلك مع توقع ضئيل حول امكانيات بيعه. بعد النجاح الهائل لكتاب «مناطقك الخاطئة»، شعر وكيلتي «آرتي باين» بخيبة الأمل عندما رفض الناشر أن يُعيد التفاوض على العقد الأصلي، بينما كنتُ مُصرّاً على أن نحترم التزامنا من غير جدال، والآن انتهت صفقة الكتابين مع «تي واي كروويل».

انعطف «آرتي» إلى «سايمون و شوستر»، العلامة المُميزة للنشر في «نيويورك». اتصل وقال لي: «لقد أبرمتُ اتفاقاً مع دار نشر جديدة، وهم يعرضون عليك دفعة مقدمة تناسب مع ما أعتقد أنك تستحقّه بجدارة». عندما أخبرني بأنه رتبَ اتفاقية الكتابين بقيمة مليون ونصف دولار، كدفعة مضمونة مُسبقاً، شعرتُ بالفرح. لا أستطيع أن أتخيل حتى أن أكون في هذا المكان المحفوظ مالياً. أنا أكثر من مُمتنّ.

كنتُ في كلّ يوم لا أسافر فيه أو أقوم فيه بالإعلان من أجل كتاب «امتلاك زمام أمورك»، أتابع الكتابة في الكتاب الذي كنتُ أتخيله منذ الوقت الذي أمضيته في «فيينا» مع «فيكتور فرانكل». هذا الكتاب الجديد مع دار نشر «سايمون و شوستر» سيكون بعنوان The Sky's the limit «السماء هي الحدود»، وسيشرح مواصفات الحصول

على الحالة التي سماها «آبراهام ماسلو» التحقيق الذاتي، والتي اكتشفتها منذ اثنتي عشرة سنة مضت. لا زلتُ أشعر بنوع خاص من القرابة الروحية مع هذا الرجل الذي مات في اليوم نفسه الذي حصلتُ فيه على درجة الدكتوراه في حزيران عام 1970.

قال الدكتور «ماسلو» على نحو مُتكرر إنّ عدداً قليلاً جداً من الناس وصل إلى حالة التحقيق الذاتي، لأنّ معظم الناس عالقون في مُتابعة وإرضاء الحاجات الدنيا: الجسدية، الأمان، الحبّ والانتماء، الاحترام. لقد صوّر تلك الاحتياجات الدنيا على أنها قاعدة هرم سمّاه «هرم الاحتياجات». لقد وصف قمة هذا الهرم على أنها مملكة سامية حيث اكتشف القليل فقط من الناس إحساسهم بالهدف والمعنى.

اختلف عن الدكتور «ماسلو» في هذه النقطة على نحو كبير. أشعر أنّ التحقيق الذاتي هو حقٌّ مكتسب لكلّ شخص، وأرى ذلك كأنه طبيعتنا الأصلية، التي تضررت من جراء القولية من ثقافة المجتمع التي تُقلل من العبقريّة، والتي وُصفت لي من قبل «بكمنستر فولر» منذ بضع سنين مضت. لقد عزز لقائي مع الدكتور «فرانكل» هذا المبدأ، وعرفتُ أنني لستُ وحيداً في هذا المعتقد. هذه الفكرة واضحة جداً في إنجيل «يوحنا» 14:12، حيث أكد «المسيح»: «أنّ أولئك الذين يؤمنون سيقومون بأشياء أعظم ممّا قام به.

أكتب كتاب «السماء هي الحدود» بنمط شبيه لكتابتيّ السابقين، مع التركيز على تحديد الميزات البارزة لمن سمّاهم «ماسلو: بالأشخاص المثاليين. لقد حدثت سبع وثلاثين سمة من سمات هذه الشخصية، وأنا أكتب كما شرح «فيكتور فرانكل» بذكاء، من وجهة نظر أننا نستطيع تغيير أنفسنا وصنع اختيارات جديدة في وجه الظروف التي لا يُمكن أن تُبدّل، ويتضمّن هذا ماضينا وتاريخنا الشخصي بأكمله. أنا أنقل بعيداً عن كتابة كيف تفعل هذا إلى عالم المعنى، مُقدماً للقراء طريقة الدخول إلى هدف «فرانكل»، وقمة هرم «ماسلو» للاحتياجات والتحقيق الذاتي.

إنّ مُحرري الجديد في «سايمون و شوستر» هو «مايكل كوردا»، الذي عمل على عدد من أفضل الكتب مبيعاً، بل إنه كتب بعضاً منها بنفسه. سافر «مايكل» إلى «فلوريدا»، وقد أمضينا يوماً نمشي على الشاطئ، ونناقش الخطط الترويجية لكتاب «السماء هي الحدود»، ثمّ قدّمتُ بفخر هذه المُسوّدة التي هيمنت على حياتي في الأشهر العديدة الماضية.

تحدّثنا أنا و«مايكل» على نحو مُتكرر، وقد أخبرني أنّ الكتاب جميل، ولكنه يحتاج فقط إلى بعض الإضافات التي تتلاءم معه، ولذلك قام بتوظيف مُحرر خارجي من أجل تحسين المُسوّدة. إنها تجربة جديدة لي، ففي الماضي قمتُ بعمل تحريري الخاص استناداً إلى الاقتراحات التي قدّمت إليّ. أنا أثق بالاجراء في دار النشر الجديدة هذه، على الرغم من أنها استثمرت على نحو كبير في هذا الكتاب بمبلغ مليون ونصف دولار كفالة ضدّ حقوق المؤلف المُستقبلية.

مرّت الشهور ولم أسمع بشيء، وكنتُ أشعر وكأنني عدتُ إلى الخلف إلى المنوال نفسه مع «جون فريند» منذ عقد مضى، في انتظار شخص آخر كي يقوم بعمله من أجل أن يكتمل كتابي. بعد ستة أشهر اتصلتُ بـ«مايكل كوردا» وكنتُ مُصراً أن يُرسل لي مُحرره الخارجي ما قام بإنهائه.

بعد عدة أسابيع، استلمتُ أخيراً طرداً بالبريد مع النصف الأول من مُسوّدة كتابي وقد أُعيدت صياغته من قبل هذا المُحرر الخارجي. كنتُ في صدمة! لم أستطع التعرّف على الكتاب الذي سلّمته، فقد أخذ هذا الشخص الحرية وقرر أنّ نمطي في الكتابة ليس جيداً وفق المعايير المُعتمدة. لقد أخذ أفكارِي وكتب ببساطة نسخته الخاصة، ووضع في الأساس كتابتي الأصلية جانباً. لم تكن كتابته سيئة، ولكنها ببساطة ليست أنا. لم أستطع تمييز نفسي في أيّ مكان في كتابته المُعادة.

لقد قمتُ بتسليم كتابين من الكتب الأفضل مبيعاً في عام 1970 بلغتي البسيطة القريبة من الواقع، ونمطي المنطقي، والآن يُقابلني النوع نفسه من الأزمة التي واجهتها كخريج جامعي جديد، عندما أخبروني أن أكتب بأسلوب أدبي وثقافي أكثر، والذي يتناسب مع العلامة التجارية لدار النشر «سايمون و شوستر». أُخبرتُ «مايكل» أنّ هذا غير مقبول، بغضّ النظر عن مبلغ المال الذي قدّمه لي. أكّد لي أنّ الأمر كلّهُ سيُحلّ ودياً.

انتظرتُ شهرين آخرين، ولم أتلّق أيّ كلمة من هذا المُحرر الوهمي، أو حتى إعادة صياغة. اتصلتُ بـ«مايكل كوردا» وأعطيتُه إنذاراً: أريد أن تعود مُسوّدة كتابي الأصلية إليّ، وسأعيد النظر فيما تمّ تحريره، وأقوم بالتصليحات النهائية بنفسِي. وصل إليّ الطرد

بأكمله، ووجدت أنه لم يتم عمل أي شيء منذ ذلك الوقت الذي رأيت فيه آخر مرة مُسوَّدة كتابي ذات الشكل المُحدد منذ شهرين.

تفحصت الكتاب بأكمله، تاركاً بعض التصحيحات والصياغات المُعادة، على الرغم من أنني لم أكن سعيداً بالطريقة التي ستقرأ بها. أخذت النصف الثاني من الكتاب، الذي لم يصل إليه المُحرر المجهول خلال ثمانية أشهر من امتلاكه، وأكملت التحرير بنفسه وسلمته. لم أكن مُقتنعاً كلياً بالنسخة النهائية التي ستُطبع، ولكنني سمحتُ بها على أي حال بسبب الضغط كي يكون الكتاب في النشر بحلول نهاية العام.

لم أكن سعيداً بنفسه على الإطلاق لأنني سمحتُ لها أن تقتنع بقبول نسخة مُحررة لما اعتبره تحفة بارعة من الكتابة. إن المُحرر المُتواجد وراء الكواليس والذي وُظف كي يُصلح مُسوَّدة كتابي قد قام بعمل جيد، ولكنه مع ذلك، أدرج أمثلة من تجارب حياته الخاصة وأقحمها وكأنني أنا من كتبها. لديّ كتاب مُمتاز الآن، ولكنني لستُ داعماً له بنسبة مئة في المئة، لأنه حمل شعور كتابة شخص آخر في المقاطع الأربعة الأولى، وقد تمّ نسبها مع ذلك جميعاً إليّ. أنا نصف مُحبّ لهذا الكتاب ونصف مُستاء منه. إن النصف الثاني من الكتاب والملحق يُمكن تمييزها بالنسبة إليّ، لأنها لم تُلمس على نحو أساسي، بيد أن النصف الأول لديه طعم مُختلف، وهو مُنقَر بعض الشيء بالنسبة إليّ.

لقد سكبتُ نفسي جسداً وعقلاً وروحاً في تأليف هذا الكتاب، وسلّمتُ حوالي سبعمئة صفحة نصيباً عرقاً فوقها وأنا أكتبها قرابة سنة، ثم احتاجت أن يتم قصها إلى حجم معين! كانت هذه المرة الأولى منذ كنتُ طالباً جامعياً في صفّ اللغة الإنكليزية، حيث يُخبرني شخص من الخارج أن أكتب بنمط أدبي أكثر قبولاً. قررتُ هنا والآن، أنني لن أسمح مرة أخرى لهذا النوع من إعادة الصياغة أن يحدث، ليس من أجل المال، وليس من أجل الهيبة، وليس من أجل سعادة أي شخص آخر.

كان الدرس الذي حصل معي في التعامل مع تحرير كتابي «السماء هي الحدود» مُتضمّن في جملة واحدة: كُن حذراً من أولئك الذين يدّعون أنهم يعرفون أفضل. لم أكن مُستمتعاً بربح أي مُسابقات أدبية، ولم أهتمّ حتى باتباع نمط أي شخص في الكتابة.

أردتُ أن أكتب ببساطة وبلغة مباشرة، وأن أُنتج كتاباً يُساعد القراء في الوصول إلى امكانيات تحقيق ذواتهم العليا.

لقد عرفتُ الآن بالتأكيد أنّ السماح لأصوات أخرى بأن تُملي الطريقة التي سيبدو عليها كتابي كمنتج نهائي، قد امتلك تأثيراً مُلوّثاً على الطاقة المُرتبطة بكتاب «السماء هي الحدود». عندما أمسكتُ المنتج النهائي بيدي، شعرتُ أنه مُختلف جداً بالنسبة إليّ أكثر من كُتبي المنشورة سابقاً. إنّ جميع المُقابلات التي ذهبتُ لإجرائها من أجل هذا الكتاب لم تكن تحظُ بالانتباه المُثير ذاته الذي أعطته كتاباتي السابقة.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنه عندما تُلطّخ بعض التفرد الذي كنتُ أكتب من خلاله بالطاقات الآتية من غرباء وهميين غير مرغوبين ولا ضروريين، فقد أثر ذلك في كلّ شيء في الكتاب. لقد كان تمتعي بترويجه ضعيفاً نوعاً ما، ولو على مستوى الوعي. عندما كنتُ أفتحُ الكتاب على أيّ من الصفحات المُحررة على نحو مُكثف، كنتُ أشعر بنوع من الرائحة الغليظة فوقية، وكأنه غيمة سوداء خفية، بينما كنتُ أقول لنفسِي: «أنا لم أكتبها بهذه الطريقة، ومع ذلك فإنّ اسمي مُرتبط معها».

إنّ الإهداء في هذا الكتاب يُقرأ كالتالي: «في ذكرى «آبراهام ماسلو» المُبتكر الأصيل في دراسة قوّة العظمة الكامنة عند الإنسان». هذه كانت ستكون تحيتي إلى مُعلّمي كما ألهمني قلبي. بطريقة أو بأخرى شعرتُ أنني خذلتُ كلاً من د. «ماسلو» و د. «فرانكل» من خلال رضوخي إلى الضغوط التي كانت تُطبّق عليّ بسبب المبلغ الكبير من المال الذي دُفع لي. إنّ فكرة أنني يجب أن أستسلم لأنه دُفع لي أجر كبير حرّكت شيئاً بغيضاً داخلي.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ ذلك كان درساً هاماً بالنسبة إليّ. في الخمسة وثلاثين كتاباً أو أكثر التي نُشرت منذ عام 1980، لم أسمح مُطلقاً أن تُضاف مُساهمة أيّ شخص آخر إلى مُساهمتي الخاصة. مع ذلك، وجدتُ امرأة أصبحت مُحررتي الشخصية بعد تجربتي مع كتاب «السماء هي الحدود». لو لم أحصل من هذه التجربة على الشعور بضعف الثقة، لم تكن لتولد لديّ الرغبة كي أجد الطاقم، وأعمل بانسجام مع صديقتي ومُحررتي «جوانا بايل» خلال الثلاث وثلاثين سنة الماضية. إنّها اليوم مثل نصفي الآخر

• إنها العاشرة صباح الخامس عشر من تشرين الأول عام 1982. أنا في المدينة الصغيرة لماراثون «اليونان» مع حوالي ألف وخمسمئة شخص من أنحاء العالم، كي نركض ماراثون «أثينا» الكلاسيكي السنوي. كان من المُفترض أن يبدأ السباق في السابعة من هذا الصباح، ولكن بسبب بعض الفوضى، سنبداً في العاشرة. هذا يعني أنّ المُتسابقين سيركضون عبر «أثينا» حوالي 26.6 ميلاً من الماراثون، أثناء أحرّ جزء في النهار. حتى مع ذلك، أنا واثق منذ أن بدأنا السباق بأنّ هذا سيكون أفضل وقت لي. هذا هو ماراثوني الخامس منذ بداية ممارستي الجري منذ أربع سنوات مضت.

مع تقدّم الجري أصبح جزءاً كبيراً من المضممار شاقاً، وكان الجوّ يُصبح أسخن في كلّ دقيقة. مع اقتراب علامة واحد وعشرين ميلاً، وصلتُ إلى نقطة من الإنهاك الجسدي لم أشعر بها من قبل. أنا انتفض وأتقيأ عصارة صفراء. يتساقط العدائون من حولي، ويُسحبون ويؤخذون إلى محطات الإسعاف الأولية في سيارات الإسعاف.

بسبب وصولنا المُتأخّر إلى «أثينا»، كان علينا الركض على طريق مُحددة بعلامات بين خطوط السيارات. إنّ الدخان هو أسوأ شيء صادفته. حاول مسؤولوا السباق أن يأخذوني إلى سيارة الإسعاف، غير أنني لا أستطيع فهم فكرة أنني طرثُ الطريق بأكمله إلى «اليونان» كي أنجز شيئاً حلمتُ به، ولا أكمله.

حالما استلقيتُ على جانب الطريق بإنهاك شديد في حرارة النهار، جاء شيء ما فوقني بإمكانني وصفه فقط على أنه مُعجزة. لقد ظهر ذلك الكائن الشفاف الذي كان يأتيني

في أحلامي، وأحياناً في يقظتي عندما كنتُ أحتاج إلى دليل. كل ما أستطيع قوله عنها إن عينيها براقتين وبدت وكأنها تبسم لي عندما تكلمت. هذه الزائرة الخارقة من عالم الماورائيات تتحدث إلي مباشرة وأنا مُستلقٍ على الشارع. أخبرتني أنني قوي وأنني سأُنهي هذا السباق، وأنها سترشدني بقية الطريق.

لم أعد أركز بعد الآن على الشيء الخاطيء والشيء الذي يُزعجني، ونسيْتُ أمور زحمة السير، الحرارة، وقتي الذي ضاع أثناء التقيؤ على الأرض، الدخان المُتصاعد. كانت رفيقتي الداخلية، هذه المرأة الرائعة والتي هي أكثر من مُجردة تصوّر في خيالي، تُمسك بيديّ وتستخدم عيناها الزرقاوين اللامعتين كي تُقنعني أنني أكثر من جسد مُتعَب. أنا روح، وهذه الروح يُمكنها القيام بأي شيء لأنها غير مُقيدة بالجسد ولا بالشكل الفيزيائي. بقي لديّ خمسة أميال أكملُها، ومع ذلك أستطيع الآن أن أرى نفسي وأنا أعبر خط النهاية. لم تعد قدماي تتشجنان، ولم تعد معدتي تمغصني بسبب الجفاف. لقد تجددت طاقتي، وشعرتُ فجأة أنني قوي جداً. إنها مُعجزة.

دخلتُ الملعب الأولمبي القديم وقمتُ بالدورة الأخيرة كي أكمل 26.2 ميلاً. رفعتُ يديّ للأعلى وصحّتُ من باب الدعابة: «لقد انتصرنا!». تُخبرنا الأسطورة أن هذه كانت كلمات العداء القديم «فيديبس» وقد قالها عندما جرى من سهول الماراتون كي يُعلن انتصار اليونانيين على الفرس، وزُعم أنه سقط ميتاً من شدة الإرهاق.

في تلك اللحظة، وبمُتعة شديدة أدركتُ أنني يجب أن أكتب عن الرفيقة الداخلية التي بدت لي مسؤولة عن انتصاري. فور عودتي إلى الولايات المتحدة التقيت مع «آرتي باين» وأخبرته: «لديّ رؤية لامرأة حكيمة جداً زارتني في نومي. أريد أن أكتب قصة عنها وعمّا تُخبرني به باستمرار». بيد أن «آرتي» كان يشعر بشكوك كبيرة حول أمور مثل زيارة الأشباح، وقد ناشدني أن أفكر بدلاً عن هذا بتأليف كتاب يعتمد على مواضيعي السابقة، وأن أنجح في التحدّث والظهور على الشاشة.

شرحتُ لزوجتي أنني مسحوب كي أكتب عن امرأة تعيش في خيالي، وأنني سميتها «إيكيس» على شرف ابنتنا «سكاي»، التي وُلدت قبل عام. من خلال عكس أحرف اسم ابنتنا وإدخال حرف أي للدلالة على الأنا العليا، خرج اسم «إيكيس».

أعلمتُ «مايكل كوردا»، مُحرري في «سايمون و شوستر» أنني سأكتب حكاية مُماثلة لأسطورة «جوناثان ليفينغستون سي غول»، والتي كُتبت ونُشرت منذ اثنتي عشرة سنة.

سأستخدم دليلي الداخلي «إيكيس» على أنها بطلّة القصة. سوف تُقيم على كوكب خيالي تكون الحقيقة فيه فقط هي أساس العيش. هذا يعني أنه لا يُمكن أن يكون هنالك تفكير خاطئ، لأنّ الناس على هذا الكوكب مُقيدون ومحدودون بتفكيرهم على ما هو الأمر، بدلاً ممّا يُحبّون أن يكون عليه.

نصحتني وكيلى وناشري، وتقريباً كلّ شخص أن أتخلّى عن هذه الفكرة في كتابة قصة، وأن أستمّر في متابعة ما كنتُ ناجحاً فيه بقوة وهو مجال تأليف كتب المساعدة الذاتية المتصلة بتدريسي النفسي والعلاجي. بيد أنني كنتُ مُتعلّقاً بفكرة كتابة قصة خيالية وتسميتها بعنوان Giets from Eykis «هبّات من إيكيس». لقد تخيلتُ أنّ «إيكيس» ستزور عالمنا، حيث تنفّس منطقة التفكير الخاطئة، وتُعطينا أسرار عيش حياة تحقيق الذات من خلال رؤيتها المُركّزة على الحقيقة فقط.

منذ تجربة ركضي في الماراثون اليوناني، لم أستطع زحزحة فكرة أنّ «إيكيس» ليست مُجرّد تصور من خيالي: إنها دليل روحي يستطيع أن يتحدّث حقيقة معي ويُرشدني في أوقات مُشكلاتي. أنا أعتد على هذا الدليل الخفي، وأشعر بحضورها أكثر فأكثر كلّما دُفعتُ إلى كتابة قصة تعتمد على تعاليمها.

كنتُ هنالك على الأرض في «أثينا». رأيتُ الناس يُحملون بعيداً في جماعات. كنتُ على وشك أن أكون أحد أولئك المُتساقطين منذ أن خسر جسمي كلّ قوته. تذكّرتُ اللحظة عندما أحاطتني طاقة «إيكيس» وسمحت لي على الفور أن أتجاوز حدود جسمي المُستنزف والفاقد للحياة. ركضتُ آخر خمسة أميال من السباق بمُساعدة شيء ما أو شخص ما لا أعرف أن أشرح عنه، بيد أنّ الأمر كان مع ذلك حقيقياً جداً بالنسبة إليّ. سأكتب هذه القصة، وسأعتمد على «إيكيس» كي تُرشدني عبر هذا المشروع الجديد.

من المُخطط له أن أتحدّث في «هونولولو» في المؤتمر الوطني في الشهر القادم، ولذلك فمتُ بالتخطيط كي أقضي وقتي في كتابة هذه القصة الخيالية على شاطئ

«الوايكيكي». جمعتُ كلَّ مواد كتابتي، وتوجَّهْتُ إلى «هاواي» مع قناعة راسخة أنني عندما أعود إلى المنزل سأكون قد أكملتُ المُسوَّدة الأولى.

خلال الأسبوعين المُقبلين في «هونولولو»، كنتُ كلَّ يوم أتوجَّه إلى البقعة المُفضلة، أدخل مسند ظهري في الرمال، أسحب وسادة الورق والقلم وأكتب. تتكشف القصة تقريباً من غير جهد. كلَّ يوم من الكتابة أحسُّ من خلاله وكأنَّ شخصاً آخر يُحرِّك قلبي عبر الورقة، وأنا أسمع له فقط بالقدوم. ليس لديَّ مخطط، ولا أيَّ فكرة حول كيف ستجري هذه القصة، أنا أكتب فقط وأكتب. ملأتُ الكثير من دفاتر الورق على الشاطئ، وأنا أراقب السنونو، والأطفال، وأسمح ببساطة للأمر أن يحدث.

بعد أسبوعين حزمتُ أمتعتي وطرثُ إلى جزيرة «ماوي»، ثم انضمتُ إلى زوجتي في آخر أسبوعين من إقامتي المؤقتة من أجل كتابتي، وأحضرتُ ابنتنا «سكاي»، والتي تبلغ من العمر الآن خمسة عشر شهراً. وجدتُ بقعة ظليّة على الشاطئ، واستخدمتُ مسند الظهر نفسه، وتابعتُ كتابتي اليومية. في الجزء الثالث من «هبات من إيكيس»، تترك الشخصية الرئيسة عالمها «الغريب والرائع» وتأتي إلى الأرض كي تُشارك هباتها معنا حول كيف نعيش حقيقة من وجهة نظر تحقيق الذات. تدفقتُ القصة بلا جهد، وسلّمتُ المُسوَّدة إلى دار النشر «سايمون و شوستر». في البداية لم يكونوا مُتحمسين من أجل قيامي بتأليف كتاب خيالي، إلا أن ناشري الآن يدعم ذلك بشدة.

سريعاً إلى الأمام إلى إطلاق الكتاب في أواخر عام 1983. كنتُ مُتحمساً كي أخبر العالم عن الرسائل المُحتواة في قصة «هبات من إيكيس»، فمضيتُ في حملة كي أجعل هذا الكتاب مُتوفراً في كلِّ مكتبة أستطيع الوصول إليها في «أمريكا» و«كندا». اشتريتُ كتباً بالآلاف وأرسلتها بالبريد على نفقتي الخاصة. لقد أصبح إخبار العالم عن «إيكيس» وهداياها عملي بدوام كامل. لقد أحبيتُ أخذ هذا المشروع الكامل على عاتقي مرة أخرى، تماماً مثلما فعلتُ مع كتاب «مناطقك الخاطئة» منذ سبع سنوات. أنا لستُ مُهتماً بمبيعات الكتاب أو موقع الكتاب على لائحة الأفضل مبيعاً. أنا أمضي وقت حياتي أنشر كلمة عن شيء أحبه.

تحدّثتُ «إيكيس» معي في خيالي كلَّ الوقت. أشعر بطاقتها الأنثوية حولي، تُحرِّكني

بهدوء ولكن بثبات إلى نهج أكثر روحانية على هذه الأرض. أنا لا أتحدث كثيراً عن «إيكيس» على أنها روح إرشادية حقيقية في حياتي، بيد أنها واقعية جداً بالنسبة إليّ.

بعد شراء عشرات الآلاف من نسخ قصة «هبات إيكيس» وتوزيعها على الناس حول العالم، عرفتُ أنني سأتقدم في كتابتي. رأيتُ الكتاب على أنه فيلم كبير في المستقبل، وقدمتُ الشكر على وجود «إيكيس» في حياتي. كتبتُ ونشرتُ قصتي الخيالية الوحيدة، وأشعر أنني مُبارك أكثر من قدرتي على أن أصف ذلك.

أثناء كتابة المقطع النهائي من قصة «هبات من إيكيس»، حملتُ زوجتي بابتنا «سومير» في «ماوي». لم يكن هنالك ذرة من الشكّ داخلي أنّ «إيكيس» حقيقة. إنها تنقلني أكثر فأكثر إلى عالم الروح وتملؤني بطاقتها الأنثوية «الين» من جزء دماغها الأيمن.

إنّ تجربة استلقائي على الأرض في «أثينا» أثناء جري الماراثون عام 1982 كانت لحظة نوعية أخرى، ونقطة تحوّل رئيسة في حياتي. كانت هذه المرة الأولى التي رأيتُ فيها بالفعل وشعرتُ بحضور الطاقة الخارقة، وسمحتُ لنفسي أن تذهب إلى ما وراء النفس المادية وأن تُرشد من الأعلى. كان ذلك وكأنني لم أعد مُقيداً بعد الآن بحدود الجسد المُنهك. بدت «إيكيس» وكأنها تولّت قيادتي في هذه اللحظة من الأزمة. أنا أقول أزمة لأنّ فكرة الرجوع إلى المنزل وأنا أعلم أنني لم أنه هدف جري هذا الماراثون كانت أكثر ممّا أستطيع تحمّله. كنتُ أعيش ما وصفه «ماسلو» بأن يكون الإنسان مَنْ يجب أن يكون، وما يستطيع أن يكون عليه. لم يكن الانسحاب خياراً، ومع ذلك كان جسيمي واهناً كلياً.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنه هناك أكثر بكثير من الأشياء المُرتبطة بفكرة أن تكون إنساناً عادياً، ومن أن تُقاس بإنجازاتنا المادية. عرفتُ أنّ هناك احتياطي من القوة الداخلية يُمكن أن تُستدعى في اللحظات العصيبة، بل والأكثر روعة هناك إرشاد إلهي مُتوفّر لنا إذا كنّا قادرين على أن نُؤمن به ونسمح له أن يعمل معنا.

أنا أعرف اليوم أنّ كلّ شيء في العالم مُتصل بكلّ شيء آخر بواسطة خيوط روحية خفية إن أردت. أنا أعلم أنه لديّ دليل روحي مُتوفّر بالنسبة إليّ، وأنه دائماً موجود عندما أحتاج أن أتصل به. إنّ «إيكيس» هي تجسيد لهذا الدليل الإلهي. لقد ظهرت لي في

مناسبات عديدة خلال السنوات التي تلت أول مرة وضعتُ فيها اسم صديقتي الروحية المُتحررة من الجسد. لقد بدأتُ أثق في توافر المُساعدة الملائكية والإرشاد.

تذكرتُ الذهول الذي شعرتُ به عندما ركضتُ في ذلك الملعب الأولمبي القديم. قبل ساعة كنتُ مريضاً إلى درجة أنه تمّ حثي على دخول سيارة الإسعاف، وهذا ما قام به تقريباً ثلثا العدائين بسبب الحرارة الشديدة والركض الشاق، ودخان عوادم السيارات الذي ميّز هذا السباق. مع ذلك كان لديّ نفس جديد، وكنتُ أشعر أنني أقوى في النهاية أكثر من أي وقت خلال السباق.

إنّ كتابة قصة «هبّات من إيكيس» كان تجربة سحرية بالنسبة إليّ، وأحد أقدم تجاربي مع الكتابة التلقائية. كلّ يوم وبينما كنتُ أجلس على الشاطئ في «هونولولو» و«ماوي»، كنتُ أشعر بحضور طاقة «الين» هذه والتي دعوتها «إيكيس»، ممّا كان يُشعّرنِي بالراحة والاسترخاء. شعرتُ بالراحة والسلام والثقة بأنّ كلّ شيء احتجتُ أن أقوله في هذه القصة الرمزية سيكون هنا. إنه ما أدعوه الآن «الكتابة المُوجّهة»: كنتُ الأداة، وظهرتِ الكلمات بطريقة سحرية على دفتر الورق. كانت يدي تتحرّك دون جهد وبسرعة كبيرة. أستطيع تذكّر شعور يدي بالتشنج بسبب أفكار وكلمات كانت تحضر بسرعة كبيرة. كلّ يوم بعد الكتابة ساعات عديدة، كنتُ أعلّق لزوجتي أنّ هناك شيء قريب إلى السّحر الحقيقي يحدث معي على الشاطئ كلّ يوم.

اليوم أستطيع أن أرى بوضوح أنّ هذه كانت مُقدمتي لفكرة أنّ كلّ الكتابة مُوجّهة في الحقيقة من العالم غير المرئي. كما قال «المسيح»: «إنّها الروح التي تُعطي الحياة»، والكلمات على الصفحة التي تظهر من اللامكان هي نتيجة رقص الإبداع. أعلم الآن أنّ الإله يكتب جميع الكتب، حتّى أنّ الكلمات التي تظهر على الصفحة ليست ملكاً لأحد. أعلم بالتأكيد أنّ عملية الإبداع شيء أحصل عليه من عالم أعلى، وأنّ «إيكيس» قد رمّزت لي الطريق كي أبقى في مُحاذاة هذه الطاقة التي أسميها «الإله»، عندما أكون قادراً على فعل ذلك، أمتلك القدرات نفسها التي تجعل «كلّ الأشياء مُمكنة» كما هو الخالق تماماً.

عندما كنتُ أرسلُ نسخاً من قصة «هبّات من إيكيس» إلى آلاف الناس عبر البلاد،

كنتُ أضع ضمن النسخ رسالة تقول: «لقد أنتجت قصة «إيكيس» على شكل فيلم». لم أقل: «يوماً ما»، وإنما قلتُ: «أنتجت» وكان الأمر قد تم بالفعل. كان تلك تجربتي الأولى مع فكرة العيش من النهاية، وافترض الشعور بأمنية مُحَقَّقة، والبداية بشيء ما بمصطلح اللحظة الحاضرة وكأنه صفقة أنجزت للتو. اليوم هناك في الحقيقة قصة سينمائية من أجل «هبات من إيكيس»، بل تم تعيين مخرج الفيلم. إن فكرة تحويل هذا الكتاب إلى فيلم، والتي كانت مجرد فكرة وقتها، أصبحت الآن حقيقة ملموسة.

ظهرت «إيكيس» أولاً في أحلامي، ثم في لحظات تأملي الهادئة، وفي النهاية كقوة مُرشدة في حياتي في وقت احتجتُ أن أختبر مباشرة تلك القوى غير العادية والتي بإمكانها التجلي عندما أشعر أنني أكثر يأساً وفقداناً للأمل، وعندما أكون قادراً على الاستسلام والسماح بحدوث مُعجزة. هذا ما حدث خلال تجربتي في «اليونان» عام 1982. منذ ذلك اليوم فصاعداً عرفتُ أنَّ هنالك في إنسانيتي أكثر بكثير مما اكتشفه خلال حواسي «و، أو» البيانات التي يُمكن التحقق منها علمياً. لقد ظهرت «إيكيس» لي عندما نفيتُ كلَّ الشكِّ وسمحتُ للمُساعدة الإلهية أن تحملني إلى خط النهاية.



• في صيف عام 1985، أصبحت حياتي على نحو مُتزايد مليئة بالمُشاركة الكاملة في مسؤوليات تربية الأطفال من مُختلف الأعمار. أنا في عمر خمس وأربعين سنة وأب لثلاث فتيات صغار، إضافة إلى ثلاثة أطفال أكبر سناً. لقد أصبح لدينا مع زوجتي «مارسيلين» ثلاثة أطفال صغار في الأربع سنوات الماضية، ابنتي تريسي في الثامنة عشرة من العمر، ولدينا اثنين من المُراهقين يجب أن نهتم بتربيتهم. هذه مسؤولية مُربعة حيث أفكر من جهة بتلبية احتياجات أطفالنا الأساسية في الدرجة السفلى من هرم «ماسلو»، وهي اطعامهم، وكسوتهم، وتأمين مكان آمن لهم كي يكبروا فيه، ومن جهة أُخرى، أنا هنا أيضاً كي أساعدهم في تحقيق حاجاتهم العليا في تلك الحجرة الصغيرة في أعلى هرم «ماسلو» والتي تُدعى «التحقيق الذاتي».

كنتُ أستفتي العديد من الجماهير في اجتماعات التحدّث العديدة خلال السنة الماضية بسؤال: «ما الذي تُريده حقاً لأطفالك؟». إنّ فكرة كتابة كتاب عن سلوكيات التربية التي تُوجّه على نحو خاص نحو تربية أطفال غير محدودين كي يُصبحوا بالغين مُحققين لذواتهم قد أصبحت موضوعاً آسراً. إنّ تربية الأبناء هو المكان الذي يحدث فيه التحوّل.

يبدو لي أنّ العديد من الآباء يدفعون أبناءهم في الاتجاه المعاكس من قمة هرم «ماسلو». لقد تعلّم الكثير من الأطفال أن يعيشوا بمُتطلبات الأنا الخاصة بهم، فيربحوا مهما كان الثمن، ويكدّسوا أشياء قدر المستطاع، ويُعرّفوا حياتهم على أساس كيف

يلتصقون بغيرهم كي يكسبوا مالاً قدر المُستطاع، ويضعوا قيمة مادية لكل شيء يفعلونه. تظهر نتيجة هذه الأنواع من الضغوط على الأطفال في اضطرابات الشخصية، البدانة، المرض الجسدي، القلق والتوتر، عدم الاستقرار العاطفي.

لقد رتب وكيلى «آرتي باين» للتوّ عقداً من أجل كتابين مُستقبلين مع دار نشر مرموقة أخرى في نيويورك William Marrow and Company، «ويليم مورو آند كومباني». أثناء نقاش هذا العقد الجديد مع زوجتي و«آرتي» أخبرتهم: «أشعر أنني مُكره على أن أكتب كتاباً شاملاً حول كيفية تربية الأطفال كي يُصبحوا أشخاصاً مُحققين لذواتهم». لقد اكتشفتُ هذه الفكرة أكثر من خلال ما اكتشفته من أنّ ما يقوله الآباء عمّا يُريدونه لأطفالهم، غالباً لا ينسجم مع كيفية تربيتهم لأولادهم فعلياً.

لديّ الآلاف من الاجابات على استفساراتي في ملف كبير مُرتب في عشرة تصنيفات تتعلّق بما يقوله الآباء عمّا يُريدونه لأطفالهم. قررتُ أن أصنع من هذا الملف مُوجز الكتاب المقصود. عندما قدمناه أنا و«آرتي» إلى ناشري الجديد، كان مُتحمساً وأعطوني الضوء الأخضر. في هذه المرة تجنّبتُ الحاجة إلى دفعة مُقدمة كبيرة لكتابي. لا أريد أن يتدخل المال وأنا أكتب: لا أرغب أن أكرر تجربتي مع «سايمون وشوستر».

أنا غارق تماماً في كتابة هذا الكتاب الجديد. قررتُ أن أضع عنوانه مُستخدم نفس التساؤل الذي أعطيته إلى الآلاف من الحاضرين في مُحاضراتي أثناء السنة الماضية أو ما يُقارب ذلك: «ما الذي تُريده حقيقة لأطفالك؟». دهشتُ من الإجابات التي حصلتُ عليها في ملفي. لم يقل أحد: أريد لأطفالي أن يكونوا أغنياء، أن يكونوا أفضل من أي شخص آخر، أن يربحوا في كل شيء يفعلونه، أن يحصلوا على عمل جيد، أن يحصلوا على أفضل الدرجات، أن يدخلوا إلى أفضل المدارس، أن يبدووا على نحو جيد بالنسبة إلى أقرانهم. مع ذلك يبدو أنّ هذا ما يُربون أولادهم عليه.

كتبتُ ساعات وساعات كل يوم، وأنا واع لكل ما أقوله وأفعله كأب. جرّت بيني وبين زوجتي مُحادثات طويلة عمّا تُريده حقيقة لأولادنا الستة، وكنا غالباً نُعدّل اعتراضاتنا الأبوية، حتى تعكس على نحو أوضح ما أردناه لأطفالنا. كنا مُصممين على أن نمارس على نحو عملي فكرة تربية الأطفال الذين يشعرون أنهم هادفون ويعيشون في أقصى

مستوى من السعادة. أراقب ابني وبناتي عندما يُمارسون أشيائهم اليومية الاعتيادية، وأنا في ذهول من الطريقة العجائبية التي يتفاعلون فيها مع بعضهم البعض، ومعنا، ومع عالمهم.

أريد لأطفالي أن يستمتعوا بالحياة، ويُقدِّروا أنفسهم، ويتحدّوا المخاطر، ويُصبحوا مُعتمدين على ذواتهم، ويتحرروا من الضغط والقلق، ويعيشوا حياةً هادئة، ويحتفلوا بلحظاتهم الحالية، ويختبروا حياة من الصحة والعافية، ويكونوا مُبدعين، وفوق كلِّ ذلك أن يُنجزوا احتياجاتهم العليا، ويشعروا بإحساس وجود هدف. هذه الصفات ستجعلهم أشخاصاً مُحققين لذواتهم، هذه عناوين المقاطع الفردية في مُهمّة الكتابة الضخمة التي سيطرت على حياتي على نحو كامل. كتبتُ بينما أشاهد كيف كان أطفالي وزوجتي مُعلِّمين رائعين. لقد ملؤوا قلبي بالمرح، ومُسوّدة كتابي بالأفكار حول كيفية تربية الأطفال كي يعيشوا في أعلى قمة الهرم.

تزايد المُسوّدة كلّ يوم. لا يبدو أنني استطيع التوقّف عن الكتابة، ومن جديد أنا أختبر بذهول مشدود، الكتابة المُوجّهة. لقد كانت «إيكيس» معي كلّ يوم من هذه الرحلة الرائعة. كنتُ أخبر زوجتي يومياً عمّا أكتبه وكيف أنني مأسور بالطريقة التي تأتي بها المعلومات إليّ. لدي مُساعدة طيار ملائكية تقود هذا المشروع بأكمله من بُعد سماوي. لم تكن كتابتي أسهل من قبل. تأملتُ طويلاً كيف يكون أمر تربية الأطفال في بيئة يتمّ التأكيد فيها على سعادتهم الكاملة على نحو حصري، وتُوضع مُتطلبات الأنا جانباً على نحو كامل. هذا الكتاب مُكرّس لفكرة تعلّمها من «بكمنستر فولر»: «نحن جميعاً عباقرة، ولكنّ الحياة تُنقص من عبقريتنا». كان هدفي من تأليف كتاب «ما الذي تُريده حقاً لأطفالك؟» هو شرح كيف يستطيع الآباء خلق بيئة حياة لا تُنقص من عبقرية الأطفال.

تذكّرتُ كيف أكّد الدكتور «ماسلو» على أنّ التحقيق الذاتي هو حالة من الوعي المُتوفّرة لأشخاص قلّاتل مُختارين قد يُدعَوْنَ بالعباقرة. هؤلاء هم الأشخاص الذين درّسهم: «آلبرت آينشتاين»، «يسوع الناصري»، «لاو تزو»، والقادة المُعاصرين في مجالات أخرى كذلك. مع اعتذاري أمام الدكتور «ماسلو»، ولكن موقفي أنّ هذه

المكانة السامية جداً في أعلى هرم الاحتياجات ليست مُتوفرة فقط من أجل الأرواح المُتطورة عاطفياً والتي حدث وربحت اليانصيب عندما خلقت. إنّ قمة الهرم هذه هي حقنا الفطري الطبيعي.

إنّ الأطفال الذين تمّ تشجيعهم كي يُصبحوا مُحققين لذواتهم، ويرون التحقيق الذاتي في تصميمه الحقيقي، سيعرفون أنه لا أحد أسمى من أحد آخر، وأنّ هذه العوالم العليا هنالك من أجلنا كلّنا. إنها المكان حيث يكون جميع الناس مُستقلين، ومُرتاحين كونهم وحدهم، مُتمركزين حول الحقيقة، يتقبّلون أنفسهم بعمق، وكذلك الآخرين والعالم. إنّ ما نُريده كآباء حقيقة لأطفالنا هو أن يقودوا حياة راضية وسعيدة، وهذا ما أنا مغمور به كلياً كلّ يوم.

كنتُ أكتب ليلاً نهاراً مُدّة سنة تقريباً، وكانت الكلمات تخرج بسرعة وجنون، وتتدفّق بحرية تماماً كتدفق الماء من الصنبور الذي يستمرّ بالتدفق بسبب الأنبوب المكسور. لا أستطيع سدّ الفتحة، لم أعرف أبداً من قبل كثافة كهذه في كتابتي. كانت تأتي في مُتصف الليل، وبعد الظهيرة، وفي المساء كذلك. كتبتُ أكثر من ألف صفحة. أعلم أنني سأحتاج أن أقطع هذه المُسوّدة على نحو محسوس، ولكنني سأترك الأمر إلى مُحررتي الجديدة «جوانا»، والتي تعمل معي الآن بدوام كامل.

الكتابة عن تربية الأطفال كي يُصبحوا بالغين مُحققين لذواتهم من غير قيد كان التطور الطبيعي بالنسبة إليّ في عام 1985. كنتُ في خضم صنع نقلة عجيبة في حياتي، وكان ذلك ينعكس في كتابتي وتحديثي على نحو مُستمر. كنتُ في المراحل المُبكرة من الاستيقاظ الروحي، وكان الكثير من هذا يأخذ دوره مع زواجي والحضور المُستمرّ للمزيد والمزيد من الأطفال المُنضمين إلى عائلتنا - بحلول عام 1989، كان لدينا خمسة أطفال جدد وُلدوا جميعهم في الثمانينيات. لم تكن مُصادفة أنني توجّهتُ كي أكتب عن تربية الأولاد، بينما كانت المزيد والمزيد من مسؤوليات تربية الأطفال تحطّ في حضني.

لقد سبق وكنتُ مُعلّماً في مستويات مُختلفة كثيرة ابتداءً من المدرسة الابتدائية وحتى كلية الدراسات العليا، وكنتُ دائماً أعرف أنّ أفضل طريقة من أجل تعلّم وفهم شيء ما حقيقة هو أن تُعلّمه، وكذلك كان الأمر مع تربية الأطفال.

إنّ الدرس الأساسي الذي أردتُ أن أنقله في كتابه مُجلّد تربية الأطفال هذا تضمّن قضية الاعتماد على الذات. لقد قلتُ ذلك آلاف المرات: «إنّ الآباء ليسوا مُتكلّماً، وعليهم أن يجعلوا الاعتماد عليهم غير ضروري». هذه الرسالة التي كنتُ أحاول دوماً أن أنقلها إلى عملائي في جلسات الاستشارة: تعلّم أن تعتمد على نفسك. خُذ مسؤولية كاملة عن كلّ شيء يأتي إلى حياتك، وكما علمنا الدكتور «فيكتور فرانكل»، لديك دائماً خيار في كيفية الاستجابة لأيّ شيء تُقدّمه الحياة لك.

كلّما كانت عائليتي تكبر، كنتُ أستطيعُ أن أرى بوضوح أنّ هذه المخلوقات الإلهية الصغيرة هم مُعلّمين لي. نعم في الحقيقة، عندما يجهز الطالب يحضر المُعلّمون! كان هنالك أيضاً جانبٌ غامض سمّيته «إيكيس» يُدير طريق حياتي، كرجل وأستاذ مُحترف وكاتب.

هذه أيضاً قصة مُمتعة أخرى. إحدى مرضاي الأوائل في جامعة «سانت جون» في سنواتي المُبكرة كأستاذ جامعي في السبعينيات، كانت امرأة اسمها «سوزي كاوفمان»، والدة صبي صغير اسمه «رون» والذي تمّ تشخيص مرضه بالتوحد الطفولي. كانت هذه المرأة أيضاً زوجة أخ أول طالب دكتوراه لديّ «ستيفن كاوفمان».

أثناء سير الكثير من جلساتنا الاستشارية معاً، روت «سوزي» أنّه من غير الممكن التواصل مع ابنها الصغير على نحو كامل. لم تبخل هي وزوجها «باري نيل كاوفمان» بأيّ جهد أو نفقة كي يتمّ فحص «رون» من قبل خبراء التوحد حول العالم، وكان الجواب نفسه دائماً: «لا يُمكن شفاؤه، لا يُمكن التواصل معه. لا نعرف لماذا، ما من شيء نستطيع فعله».

من أجل ذلك ابتكر «باري» و«سوزي» برنامجهما الخاص من أجل مُعالجة ابنهما الصغير. لقد قاما بتوظيف الطلاب ودربوهم بطريقة ابتكرها، تعتمد أساساً على إحاطة «رون» بالحبّ غير المشروط في بيئة مُحترضة وآمنة. خلال الأربع وعشرين ساعة في اليوم، وسبعة أيام في الأسبوع، في مُدّة أشهر مُتتالية، كان «رون» في الخلاصة يستقبل ترانيم الحبّ المُستمرة.

وصفت لي «سوزي» أعراض «رون» من الاهتزاز ذهاباً وإياباً والابتعاد، والتصرّف

تقريباً كما لو كان في غيبوبة صحو. بيد أنهما بعد شهور من برنامجهما الخاص من أجل الوصول إلى ابنهما، في أحد الأيام أومضت عينا «رون»، ووصف «باري» ذلك قائلاً: «نظرتُ إلى ابني بعينين جديدتين». في عام 1976 مضى باري يُؤلف كتاباً بعنوان «نهوض ابن»، والذي فصل فيه العملية التي طوارها بأكملها، وكيف كانا قادرين في نهاية المطاف على رؤية ابنهما «رون» يعود إليهما، ويرمي تشخيص «غير قابل للشفاء» خلفه. لقد تمّ تحويل الكتاب إلى فيلم تلفزيوني من بطولة «جيمس فارينتينو» قبل عدة سنوات مضت.

سريعاً وصولاً إلى عام 1985، بينما كنتُ أكتبُ عن تربية الأطفال، وُلدت ابنتنا «سيرينا» في شهر أيار، وخلال سنة بدأت تُظهر بعضاً من الأعراض التي كانت لدى «رون». أومضتُ في ذهني في الحال جلساتي السابقة مع «سوزي» وجميع الأشياء التي فعلتها مع زوجها قبل خمس عشرة سنة مضت.

رتبتُ اجتماعاً عائلياً مع «مارسي» وجميع أطفالنا، وفصلت بدقة كيف سنتعامل مع «سيرينا» استناداً على ما تعلمته قبل خمس عشرة سنة مضت. أحطناها بالحب: التصقت سوزي حرفياً بطفلتنا وجعلتها قرب قلبها على مدار اليوم تقريباً. أُخبرت «سيرينا» مرات ومرات من قبل والديها وإخوتها أنها محبوبة، وأنه ليس هنالك من شيء تخشاه، وإن أرادت أن تترنح ذهاباً وإياباً فستكون بطلة العالم في الرقص، وأنا مُهتَمون كثيراً بذلك. لم يكن هناك أحكام ولا غضب، بل الحب فقط. لقد كان هذا الأمر مُجدياً مع عائلة «كاوفمان» سابقاً في السبعينيات، ومُجدياً مع ابنتنا «سيرينا» في وقت قصير نسبياً.

مرة أخرى، لا وجود للمصادفات في أيّ مكان. إن مجيء «سوزي» إلى مكنتي من أجل جلسات الاستشارة كان مفيداً لطفلي التي لم تُولد إلا بعد خمسة عشر عاماً في المستقبل، وقد علّمتني تماماً ما أفعله كأب من غير حتى أن أدري بذلك.

حالما أنهيتُ كتابة «What do you really want for your Children?» ما الذي تُريده حقاً لأطفالك؟» بدأت أضع ضمنه العديد من المراجع للاحتياجات العليا، واليقظة الروحية، والإله. لم تظهر هذه المواضيع في أيّ من كتيبي الأربعة السابقة. إن ولادة أطفال، وزواجي من امرأة مُستيقظة روحياً، وتطوّرِي الشخصي كمُعَلِّم مُختبراً

• في التاسع من تشرين الأول عام 1987، وضعت زوجتي طفلنا السابع، وكان صبيّاً أسميناه «ساندس جاي داير». كنتُ في طريقي إلى الكثير من الأشياء في السنتين الماضيتين، إذ قمتُ بجولة تحضير الغلاف الأمامي والخلفي لكتابي في تربية الأولاد: «ما الذي تريده حقاً لأطفالك؟»، وكنتُ أشعر أنّ حياتي تأخذ هدفاً واتجاهاً جديداً كلياً، على الرغم من أنني غير قادر على تحديد ماهيته بدقة.

تلقيتُ العديد من الطلبات كي أتحدّث في طقوس الكنيسة عبر البلاد، وكنتُ أقدم الكثير من المُحادثات في الكنائس الإنسانية المُتعددة الطوائف في السنين العديدة الماضية. يبدو أنّ الرسائل في كتابي ترنّ ويتردد صداها عند أعضاء هذه الكنائس، وكان المُصلون مُتحمسين كي يحضروا مؤتمراتي ومناقشاتي في صلواتهم صباح كلّ أحد. في كنيسة الوحدة أو العلوم الدينية كانت الموعظة تماماً عن كتابة «رالف والدو إمرسون»، «أبراهام لينكولن»، «بوذا»، أو «لاو تزو» كما هي عن التعاليم المُباشرة للسيد «المسيح». كانت هذه الكنائس المسيحية تُؤكّد على الروحانية وعلى حياة إدراك الإله، أكثر من تأكيدها على عقيدة دينية تقليدية، وكان الناس من جميع الطوائف الدينية مُرحب بهم دائماً.

كنتُ مُتحمساً لفكرة اعتباري أستاذاً روحياً، فقد كان الأمر جديداً بالنسبة إليّ، منذ أن تحاشيتُ كثيراً أيّ ديانة مُحددة. كنتُ أرى نفسي شخصاً عالمياً من غير أيّ رغبة في استبعاد أيّ شخص. أنا أشرفُ أن أقدم خطابات «تُشبه الموعظة» في صلوات الكنيسة،

داخلي أثناء هذه الفترة التي أصبحت فيها معلماً روحياً بارزاً، من غير عمل أي شيء واع لاستجلابها واحضارها.

بدا انزعاج «آرتي» على الهاتف واضحاً. إنه يسألني ما الشيء الذي سأحدث عنه عندما أقول «سترى الشيء عندما تؤمن به». حاولت إخباره أنّ الأمر برمته عن الانتقال إلى عالم الروح. والشيء هو أي شيء يضع الناس تركيزهم عليه في خيالهم، والذي سيصبح ملاحظاً في عالم المادة، بسبب قوة التفكير في خلق أي شيء يُعتقد به.

فصلت أنه لدي سبعة مبادئ من كلمة واحدة غير مفهومة بسهولة بالنسبة إلى الإنسان العادي. إنّ حالة إدراك الإله يُمكن الوصول إليها من خلال الشرح الواضح لهذه المبادئ وكيف تعمل في الحياة. سأجعل لكل كلمة «مبدأ» فصلاً، مع أمثلة في تحويلها من مبادئ غامضة إلى شيء ما بإمكان القارئ تطبيقه مباشرة. قرأت الكلمات السبعة له: التحوّل، الفكر، الوجدانية، الوفرة، العزلة، التزامن، الغفران.

ثم قرأت بياناً للرئيس «جون كوينسي آدمز» كنتُ أحمله معي سنة كاملة، وأستخدمه في معظم مُحادثاتِي، وخاصة في العروض التقديمية للكنائس الروحية:

إنّ «جون كوينسي آدمز» بخير، ولكنّ المنزل الذي يعيش فيه في الوقت الحالي أصبح مُتهتماً. إنه يتداعى من أساساته. لقد دمره الوقت والفصول تقريباً. إنّ سقفه مُتهالك على نحو كبير، وجدرانهُ مُحطمة وتهتزّ مع أيّ ريح. أعتقد أنّه يجب أن يخرج «جون كوينسي آدمز» منه في الحال. بيد أنّه هو نفسه جيد جداً، جيد جداً.

كان «آرتي» في حالة من الاحباط معي، وكان يستجيب بروعة أسلوب وكالة «نيويورك»: «ما الذي تحدثت عنه بحق الجحيم، «واين»؟ ليست لديّ أدنى فكرة ما الذي ستكتب عنه. دعنا فقط نقوم بالصفقة التي رتبناها من أجلك. ستكون أحقماً لو رفضتها، فهي تعني الكثير من المال، بل أكثر حتى ممّا حلمت به في حياتك».

قلتُ: «أنا آسف، ولكنني لا أستطيع جعل المال أو المكانة أو أيّ شخص آخر يُخبرني ما أكتب وما أتحدث عنه. أنا لست الدكتورة «روث»، ولا أريد أن أظاهر أنني مُهتَمّ بإخبار الناس كيف يكسبون المال». أخبرتُ «آرتي» أنني سأكتب كتابي

► إنه الرابع عشر من شهر شباط، 1989 وهي الذكرى السنوية العاشرة لليوم الذي التقينا فيه أنا و«مارسلين». تذكّر كلانا بمحبة ودعابة ذاك اللقاء الأول في يوم عيد الحب عام 1979. لقد ألصق أحد ما قلب عيد الحب الأحمر على قميصي، وكتب عليه الكلمات الأولى التي نطقْتُ بها إلى زوجتي المُستقبلية وكانت إجابة على سؤالها ماذا على قميصك: «لديّ قلب مُلصق على قميصي من أجلك».

قَبَلْتُ رحلة تحدّث في مدن مُتعددة في «استراليا» مع فريق مُكوّن من «جون» و«غريغ رايس»، «كاثي لي كروسي»، وصديقي العزيز وزميلي «أوغ ماندينو». رافقني في هذه الرحلة: زوجتي وأطفالي الأصغر «سيرينا» في عمر ثلاث سنوات ونصف، و«ساندس» في عمر ثمانية عشر شهراً. سنبقى حالياً في فندق «الهيلتون» في «بريسبان». من المُخطط لي أن أظهر على المسرح أمام الآلاف من الناس غداً، وسأقدم دورة كبيرة تستمرّ طوال اليوم مفتوحة للعموم.

استيقظت بسبب الضوضاء، وكانت الأرقام الحمراء على الساعة الرقمية جانب السرير تُشير إلى الرابعة وخمس دقائق صباحاً، رأيتُ أنّ زوجتي مُستيقظة وفي حالة إعادة ترتيب للأثاث وأغراض النوم في غرفتنا. سألت «مارسلين»: «إنه منتصف الليل. ما الذي تفعلينه في عالمك الآن؟ هل أنت مُستيقظة أم تمشين في نومك؟». كانت على ما يبدو تسير في نومها لأنها لم تُجبني.

كانت «سيرينا» نائمة جانبي، و«ساندس» الذي ما زال رضيعاً، في السرير نفسه مع

في «بريسبان». كان عليها أن تنقر على كتف أمها وتوقظها نوعاً ما من النوم العميق. كان عليها أن توجَّهها كي تحرك الأثاث، وتعيد ترتيب أشقائها المُستقبلين من أجل أن تُفعل الظروف الضرورية من أجل أن تدخل إلى هذا العالم من سكنها عالياً في العالم غير المحدود. كانت تلك اللحظة الوحيدة المُتاحة أمام «ساجي» كي تُنجز رسالتها الروحية «دهارما» الخاصة. في أي لحظة أُخرى، كان سيختفي تفتُّحها، وسيظهر شخص آخر مُختلف أو على الأرجح، لا أحد على الإطلاق.

في عيد الأم تلك السنة، كتبتُ شعراً إلى زوجتي بعنوان «بريسبان»، والذي يُحيي ذكرى الأحداث المُذهلة التي حدثت ذاك الصباح:

«بريسبان»

حيث ظهر الإله إلينا.

كلانا فقط عرف سحر وروعة ذاك الحضور.

ضدّ الاحتمالات المستحيلة.

تعرّزت صلتنا بالوجود وقويت.

بيد أن المُفارقة باقية دائمة.

سواء كنا نتحكم، أو لا نتحكم،

محكوم علينا أن نتخذ اختيارات.

كل ما أنا مُتأكد منه هو أن جنبا راسخ فينا

إلى الأبد.

إنّ السطران الأولان يُعبران عن كلّ الأمر. هذه كانت لحظة حضور الإله وظهوره إليّ وإلى «مارسي».

أستطيع أن أرى بوضوح اليوم أنني كنتُ ضمن تدخل إلهي، عندما شاهدتُ زوجتي تتحرك في الغرفة في حالة مشي أثناء النوم، مُوجَّهة من قبل قوّة لم أشهد مثلها شخصياً سابقاً. كانت تلك نقطة تحوّل بالنسبة إليّ، فكلّ كتابتي المُستقبلية ستنبثق من هذه

المعرفة المباشرة للقدسية التي شهدتها في حمل وولادة ابنتنا «ساجي». عرفتُ من تلك اللحظة فصاعداً أنه ما من صُدف في هذا العالم حقيقة. نعتقد أننا مُسيطرون، ولكن كما لاحظ مرة «لاو تزو»: «جميعنا لا نفعل أي شيء، نحن فقط مفعولٌ بنا»، وكذلك قال «المسيح» أيضاً: «إنها الروح التي تُعطي الحياة». كانت الروح هي التي تعمل في غرفة فندق «بريسبان» في عام 1989.

في كل مرة أنظر بانتباه إلى «ساجي»، أعود بتفكيري إلى الروح الخفية التي كانت تُسرّع عملية الحصول عليها، وكما قلتُ، ضدّ الفرص المستحيلة، ثم أتذكر: «مع الإله، كل الأشياء مُمكنة». عندما لاحظتُ اصرارها الذي لا يعرف الكلل، وعزيمتها التي لا تلين، تذكرت كيف أنّ ذلك لا بُدّ وأنه كان يعمل بطريقة هائلة عندما تلاعبت بالأحداث من أجل أن تضمن تجسدها. أشكر الإله دائماً على الروح الجميلة التي هي ابنتي. وأشعر بالشكر الأكبر على السماح لنا بأن نكون مُشاركين في شيء أستطيع فقط أن أدعوه «السحر الحقيقي»، والذي سيُصبح عنوان كتابي التالي الذي سأكتبه بعد ثلاث سنين في المُستقبل. لقد تركتُ عالم علم النفس ورائي في كتابتي على نحو دائم.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ الإنسان الذي حقق مرحلة من إدراك الإله، قادرٌ على أن يؤثر في كل شخص يُواجهه ببساطة من خلال حضوره معه في الغرفة نفسها. لقد قيل إنه عندما دخل «المسيح» قرية، رفع حضوره فقط ولا شيء آخر من وعي كل شخص في القرية.

كانت تلك الظاهرة نفسها التي لاحظتها في أيار عام 1989، عندما دخلتُ الأم «تيريزا» إلى مكان المُقابلة، فقد بدا أنّ كل شخص يشعر بتأثير حضورها الطاهر. هذا ليس علم النفس 101، وإنما الروحانية المُتقدّمة والحبّ المُقدّس قيد العمل. لقد قررتُ هناك وفي تلك اللحظة، أنني سأطمح إلى ذلك الشيء بقية حياتي. من خلال مُلاحظة كيف أنّ هذه المرأة أثرت في العالم حولها، أعطيتُ قدوة حول ما يجب أن أكون عليه كي أؤثر في الآخرين أيضاً.

ذكرتني بالطريقة التي يرفع فيها حضور «دينا شور» المُحبب من طاقة كل من حولها. مع الأم «تيريزا»، كان هنالك عنصر التأثير الروحاني كذلك. لقد بدا أنّ حضور

هذه المرأة الورعة يجعل كل شخص حولها يريد أن يكون ربانياً، فيصبح أقل إصداراً للأحكام، ويتغاضى ويُسامح أي عيب، ويشعر حرقاً أنه أقرب إلى الإله بسبب أشعة الحب المنبعثة من حضورها.

بعد سنوات، في صباح السادس من أيلول، عام 1997، كنتُ على وشك التحدث إلى جمع كبير من الناس في «سيدني» عندما تسلّمتُ ملاحظة تُعلمني أن الأم «تيريزا» قد توفيت الليلة الفائتة. أخبرتُ الجمهور عن تجربتي في «فونيكس» مع قديسة المستقبل هذه، وقدّمتُ ملاحظة أن الأمر وكأنّها ضاعّت من غير أن يلاحظها أحد في وقت تركّز فيه انتباه العالم بأكمله على مراسم دفن الأميرة «ديانا» في «إنكلترا».

عاشت الأم «تيريزا» حياتها بعيداً عن الأنا. لم تكن تُريد لأي سمعة أو انتباه أن يُعطى إليها. لقد كان كل ما فيها من أجل خدمة الآخرين، وخاصة المحرومين. علّقت مرة أنّها في كل يوم ترى «المسيح» في جميع حالاته المؤلمة. هكذا عاشت، وهكذا ماتت، في الوقت الذي كانت فيه كل الجلبة والانتباه في مكان آخر.

لقد عزز حضور هذه المرأة الإلهي، الورع، ونشط ليس فقط طاقة المحيط المباشر، بل كل شخص كان في حضورها كذلك. أتذكر التفكير أنه بإمكانني أن أصبح كذلك، لو كنتُ قادراً على أن أعيش وأكون فقط جزءاً من الطيبة والورع الذي مثلته الأم «تيريزا». لقد كانت قطعاً صانعة معجزة، وكنتُ ملهماً جداً بها كي أصبح مثلها على نحو أكبر. عرفتُ أنه كان عليّ الخضوع إلى تحوّل جذري في طريقة حياتي، وخاصة في مسألة ترويض الأنا عندي، ووضع المزيد من تركيز عمل حياتي على العالم ما وراء المادي.

أستطيع أن أرى بوضوح أن مقابلي المختصرة مع الأم «تيريزا»، تماماً عندما كنتُ على وشك أن أنطلق في جولة ترويج محلية لكتاب «ستري الشيء عندما تؤمن به»، دفعني كي أنظر إلى عالم المعجزات وتجربة إمكانيات السحر الحقيقي. إنّ نوع السحر الذي رأيته يحدث عندما مشّت هذه المرأة إلى مكان التصوير، قد جعل كل شيء، وكل شخص يشعر أنه على مُحاذاة مع الإله.



• كنتُ في مُهمّة جديدة في حياتي في خريف عام 1991. كنتُ أقرأ كمّاً كبيراً عن المُعلّمين الروحانيين القدماء والمُعاصرين، القادرين على تأدية ما يُسمّى بـ «المُعجزات» بكلّ الأوصاف، وهي أعمال مُذهلة مثل إيقاظ الميت، الشفاء المُباشر من العلل الدائمة، أفعال الكيمياء، اتصالات التخاطر، العروض المُريعة المُذهلة، والتزامن. أنا أوّمن بقوة كبيرة أنه لو كان بإمكان أيّ شخص بعينه أداء هذا النوع من السّحر، فإنّ كلّ شخص يستطيع فعل ذلك. هذا ما أردتُ استكشافه.

يقول «هنري ميلر»: لا تبحّث عن المُعجزات. أنت المُعجزة. لا أستطيع إخراج هذه الفكرة من رأسي. ساكتب عن فكرة تعليم الناس كيف يرفعون إلى الحدّ الأقصى قدراتهم الكامنة العليا الخاصة، من أجل تحقيق ما أصبح يُسمّى مُعجزات. أنا أيضاً على وشك المُشاركة في عملي المُذهل الخاص، واختبار التحوّل الجذري.

لقد شاهدتُ السّاحر المشهور عالمياً «ديفيد كويرفيلد» يُمثل أدواراً مُذهلة من السّحر في «لاس فيغاس». بينما جلستُ هناك أستمع بالعرض، جاءني فكرة أنني غرقتُ في شيء لا يندرج تحت مُسمّى التبخير، المرايا، التحايل من أجل خداع الجمهور. هناك سحر حقيقي، وقد كنتُ في مُحيط هذه الظاهرة في الستين الماضيتين. عدتُ إلى غرفتي في الفندق وبقيتُ مُستيقظاً طوال الليل أضع الخطوط العريضة لكتاب يدور حول كيف تصنع المُعجزات في الحياة اليومية. سأسمّي هذا الكتاب Real Magic «السّحر الحقيقي»، ولا أستطيع الانتظار كي أبدأ به.

لقد كان أحد أساتذتي الروحانيين هو «نيسار غاداتا ماهاراج» من «الهند»، وقد تُوفي منذ عقد مضى. بينما كنتُ أحضّر من أجل تأليف كتابي الجديد عندما عدتُ إلى منزلي في «فلوريدا»، غرقتُ في القراءة وإعادة قراءة نصيحته التي قدّمها إلى شخص مُتحمّس للعلم: «إذا كنتَ ترغب في الوصول إلى إمكانيّتك القصوى وانجاز رسالتك الروحية التي تُجسّدُها، تحتاج أن تعيش حياةً من الاتزان». بالتدريج أدركتُ أنّ الجملة تتحدّث إليّ عني، وأنه يجب عليّ أن أختار.

كنتُ ما زلتُ أركض ثمانية أميال على الأقل كل يوم مُدّة خمس عشرة سنة حتى الآن. إنه أمر عادي بالنسبة إليّ أن أركض ساعات عديدة في اليوم، تماماً مثل تنظيف أسناني قبل الذهاب إلى النوم، ولكن وأنا جالس على مقعدي الآن، حاولتُ تذكّر يوم لم أتناول فيه العديد من كووس الجعة في المساء بعد الجري. عدتُ بتفكيرٍ عشر سنين إلى الوراء، وعرفتُ أنّ المُدّة كانت أطول من عقد. لقد صدمني بقوة أنني في السنوات الخمس عشرة الماضية قد تناولتُ الكحول على نحو يومي تقريباً بلا استثناءات. إنها عادة، وحياتي تدور حول هذه العادة. لقد سمحتُ لمشهد أخير أن يُعاد في خيالي:

في الأسبوع الماضي جعلتُ زوجتي وأطفالي الستة يُجهّزون أنفسهم ويُغادرون المطعم، لأنه أوقف مؤقتاً ترخيص بيع الخمر. إنّ حاجتي إلى كوبيّن من الجعة أصبحت سبباً في إزعاج سبعة أشخاص آخرين. أنا خجل لأنني سمحتُ لهذه العادة أن تُصبح قوّة مُسيطرّة في حياتي، وانتقلت إلى نوع من الهاجس اليومي على مدى خمس عشرة سنة حتى الآن.

سمعتُ كلمات «نيسار غاداتا» تتردّ عالياً في أذني. إذا رغبتُ أن أصل إلى إمكانيّتي القصوى وأنجاز مهمّة حياتي، أحتاج أن أعيش حياة مُتزنة.

أخبرتُ نفسي: «أنا مُتزن، لم أتمل أبداً، أنا دائماً أتوقّف بعد اثنين أو ثلاث أكواب من الجعة، ليس لديّ مُشكلة حقاً». بيد أنني عرفتُ أنني أخدع نفسي. كان الأمر أكثر من خمسة آلاف يوم مُتعاقب من تناول الكحول في جسمي. قال «هوكيكيو شو» ذات مرة في كتابه السنسكريتي: بعد الكأس الثالث، فإنّ النبيذ هو مَنْ يشرب الإنسان. أنا أتساءل ما الذي سيقوله عن خمسة آلاف يوم مُتعاقب من شرب ثلاثة أكواب جعة. فكّرتُ بإمعان. في الحقيقة، إنّ النبيذ يشربني.

اتخذتُ قراراً في الحال، وعاهدتُ الإله، وذاتي العليا، أنني لن أتناول الجعة الليلة. سأمارس الاتزان الكلّي الذي أوصى به «نيسارغاداتا» أحد المُتحمّسين للعلم في «بومباي» في السبعينيات، وهو الوقت الذي بدأتُ فيه أيضاً عادة تناول الجعة يومياً. ربّما كان يتحدّث إليّ.

لم ألتق «نيسارغاداتا»، ولكنني درستُ عمله، من الأنا التي في أعماقي. كلّما قرأتُ نصوص حواراته مع طلابه والمُتحمّسين للعلم، بدا ذلك دائماً وكأنه كان يتحدّث إليّ. هذه لحظة أخرى من اللحظات النوعية، إذ أستطيع بالفعل أن أراه معي الآن عندما أسترجع سلوكي العنيف في المطعم، حيث تصرّفتُ بهذه الطريقة الفظة والمُستهترّة تجاه زوجتي وأطفالي. طلبتُ الإرشاد والدعم في مساعي الجديد. لم أخبر أيّ أحد عمّا عزمتُ عليه.

مضتُ الليلة، وكنتُ مستغرباً من سهولة الأمر. شعرتُ بيد من روح الإرشاد تعمل هنا. أنا لا أفعل ذلك فقط لأنني لا أريد أن أخيب أمني بنفسي، أمل عائلتي، أو أيّ أحد آخر. أنا لم أعد راغباً في أن أخيب أمل الإله بعد الآن، ولا ذاتي العليا، ولا التعبير الفردي للإله، والذي هو الحبّ الخالص. لقد أتيتُ إلى هذا العالم بصحة تامّة وسعادة، وأنا أنوي أن أبقى في مُحاذاة مع هذا، وأبقي الكحول خارج جسمي، لأنّ الكحول يُدمّر خلايا الدماغ ولذلك فإنه مدمر للكينونة الجيدة. لديّ شريك راشد في هذا القرار وأشعر أنني واثق، مُبارك، ومُلهَم حقيقة كي أُغيّر هذه العادة، في هذا اليوم وهذا الوقت، الذي أحبّ كلّ دقيقة منه.

كتبْتُ بجنون، وكان ناشري الجديد «هاربر كولينز» مُتحمّس للمُسوّدة. كلّ يوم كنتُ أصبح واعياً على نحو مُتزايد أنه في أعماق كلّ منا، هناك حقٌّ مُوحّد من الإمكانيات غير المحدودة. سألتُ نفسي: مَنْ أنا كي أتولى مُهمّة التحدّث عن المُعجزات؟ ثم توقّفتُ عن الشكّ، واستمعتُ فقط وسمحتُ لنفسي أن تتوجّه كما كانت الروح تُناديني.

كانت كلماتي الافتتاحية في كتاب «السحر الحقيقي» مُلاحظة من قبل «سانت فرانسيس» الأسيزي، وهو قديس عرفتُ عنه على نحو سطحي، ويُعتبر أحد أعظم الأمثلة عن صنع المُعجزات: لقد كنتُ كلّ الأشياء غير المُقدّسة. إذا كان الإله يستطيع

أن يعمل من خلالي، فبإمكانه العمل من خلال أي شخص». هذه الكلمات تعكس كلاً من الإنسانية والثقة التي أشعر بها حيال هذه المادة الجلييلة من السحر الحقيقي.

حتى خريف عام 1992، أتممتُ سنة كاملة دون تعاطي الكحول. عرفتُ في قلبي أن هذا القرار قد حثني عليه المُعلّم الروحي الراحل منذ زمن «نيسارغاداتا مهاراج»، ممّا جعلني على هذا الدرب الجديد. قدّمتُ الشكر للإله، و«سانت فرانسيس»، و«نيسارغاداتا» على كتاب «السحر الحقيقي» الجميل مع قوس قزح على غلافه، والذي حملته بين يديّ. أنا مُمتنّ.

مضى أكثر من عقدين منذ أن سمعتُ «نيسارغاداتا مهاراج» يتحدث تلك الكلمات حول أهمية إكمال الإتران من أجل إنجاز قدر الإنسان. اليوم أستطيع أن أقول أن هذه الكلمات والتي سمعتها سابقاً في عام 1991 كانت من أكثر الأشياء التي صادفتها في حياتي أهمية. لم أشعر مطلقاً بإغراء التراجع عن التزامي بالإتران منذ تلك اللحظة النوعية الرائعة.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح بينما أنظر إلى قراري بكسر عادة استمرت خمس عشرة سنة من تعاطي الجعة اليومي، أن الوعي عندي لم يعد يُريد بعد الآن أن يُغضب أو يُخيّب الأنا العليا لديّ، والتي هي في مُحاذاة تامّة مع مصدر الوجود. أستطيع أن أرى بوضوح الآن أن كسر عادات تدمير الذات ليست صعبة عندما أستثمر نفسي في الأنا العليا المُدرّكة للإله.

عرفتُ وقتها أنه كان لديّ وعود يجب أن أفي بها، وأميال أقوم بها قبل أن أنام، كما كتب «روبيرت فروست» بإيجاز في قصيدته الشهيرة «التوقّف في الغابات في مساء مُثلج». مع ذلك عرفتُ أيضاً أنه لو استمرت عاداتي في تناول الكحول يومياً، فإنها لن تسمح لي بأن أنجز الودود التي قطعتها عندما أتيتُ إلى عالم الروح هذا. لقد كان ذاك الودع الذي قطعته أمام خالقي، ذاك الذكاء غير المحدود من الحياة المُثلى، الذي خلقتُ منه والذي سأعود إليه في نهاية المطاف، والذي نويتُ أن أحافظ عليه على نحو كامل.

حالما صنعتُ القرار بمُساعدة التفكير بما سيبدو عليه مُستقبلي ودماعي على نحو خاص، عندما لا أعود إلى تدمير خلايا دماغي بتناول الكحول، بدأ السحر الحقيقي حقيقة يظهر في حياتي.

للإله كمُعَلِّم. لم أكن بعد الآن مُعَلِّماً لمبادئ، علم النفس من أجل حياة مُحَقِّقَة للذات فحسب، بل مُعَلِّماً كان وما زال يُرشد من قِبَل حشد من المُعَلِّمين الروحانيين من أجل مُحَاوَلَة تعليم الآخرين كيف يجدون القُدسية في أنفسهم وفي كل شخص يُصادفونه.

لقد كان قرارى بترك الكحول خلفي أحد أكثر الأشياء صعبة المنال التي قمتُ بها في حياتي، وقد حصل الأمر كله بسبب أنني أُخبرت أنني لا أستطيع بعد الآن تدمير بعض من خلايا الدماغ كلَّ يوم، ورغبتى بإنجاز الرسالة الروحية التي بدأتها. عدتُ بذاكرتي إلى أحداث ذاك اليوم عام 1991، وتذكرتُ كلَّ الخجل والخيبة التي كنتُ أشعر بها، ورأيتُ أنها كانت من بين أعظم الهدايا التي حصلتُ عليها في أيِّ وقت مضى. كنتُ فعلياً قادراً على أن أُلقي نظرة خاطفة إلى المُستقبل وأرى نفسي إمّا مُعَلِّماً روحياً مُتزنّاً، أو رجلاً مُدمنّاً على عادة تدمير الدماغ التي تُقيّد النفس. إنَّ تطبيق رؤيتي الجديدة كان وما زال على نحو أساسي دون جهد مني.



• إنه ربيع عام 1994، وكنتُ أجوب البلاد من أجل ترويج نسختي كتاب «السحر الحقيقي» نسخة الغلاف الكرتوني ونسخة الغلاف الورقي. طلب ناشري كتاب متابعة، فعدتُ بتفكيري إلى يوم مُميز جداً قبل حوالي عشر سنين مضت، عندما حضر إلى زيارتنا «كين كيز، جي آر»، وزوجته «بيني». توقفتُ سيارتهم أمام منزلنا في «بوكا راتون» في «فلوريدا»، وشاهدتُ امرأة شابة تُخرج الرجل الذي كان على مقعد الراكب وتحمله إلى منزلنا. ثم أمضيتُ إحدى أكثر الأمسيات الجديرة بالذكر في حياتي.

لقد كنتُ من مُعجبي Ken Kez، Jr. «كين كيز، جي آر»، منذ أكثر من عقد. لقد قرأتُ وأعدتُ قراءة كتابه الكلاسيكي المنشور عام 1972 بعنوان Handbook to Hisher Consciousness «الدليل إلى الوعي الأعلى»، دون أن أدرك أنه كان مشلولاً. اتضح أن «كين» كان مُقعداً منذ حوالي أربعين سنة من حياته، بسبب إصابته في الواقع بشلل الأطفال عام 1946 بعد وقت قصير من إعفائه من الخدمة العسكرية في نهاية الحرب العالمية الثانية. لقد ذكر هذا الأمر مُبكراً في كتابه، حيث كتب: «في الواقع، أنا مشغولٌ جداً ومغمور في أنشطة حياتي فلا أجد وقتاً كي أجعل نفسي تتعلّق بوعي ذاتي في الكرسي المُتحرك. لقد نظرتُ اليوم إلى ما يُسمّى «عاقبة» كهديّة أخرى قدّمتهَا لي حياتي».

خلال الثمانينيات، قرأتُ وحاضرتُ عن كتابه الذي صدر مؤخراً بعنوان The Hundredth Monkey «القرد المئة»، الذي وزعته إلى جماهيري أشهراً عديدة.

يُفَضِّل الكتاب كيف يُمكن تطبيق الوعي العالي من أجل منع الحرب النووية: إنه يُركّز على فكرة أنّ كلّ البشر مُرتبطون على المستوى الروحي، وكلّ فكرة نمتلكها على نحو فردي تُؤثر بكلّ شخص بسبب هذا الترابط.

كان «كين» و«بيني» مُتحمّسين إلى لقائي كما كنتُ متحمّساً إلى استضافتهم في منزلي. إنّ نيل كتبي شرف قوائم الكتب الأكثر مبيعاً مُدّة عقد تقريباً، وظهوري المُتعدد على التلفزيون المحلي، جلب قدراً كبيراً من التميّز إلى طريقي. لقد كان كتاب «كين» ذي أهمية كبيرة بالنسبة إليّ وإلى الكثير من الآخرين على الطريق الروحي، ولكنه مع ذلك، لم يصل بعدُ إلى شريحة كبيرة من الجمهور الذين كما أعتقد سيُجيزونه.

حالما جلسنا أنا و«كين»، «بيني» و«مارسيلين» حول مائدة المطبخ، عاد غالباً إلى مُناقشة نطاق الوعي الأعلى، فقال لي: «أنا أشجّعك أن تكتشف عالم الوعي الأعلى. لديك صوت مُهمّ، والكوكب بأكمله سيستمع إليك إن كتبتَ عنه». أمضينا قدراً كبيراً من الوقت نتحدّث عن إمكانيات تحويل عالمنا من خلال تطبيق المبادئ الروحانية. لقد كان هذا النطاق من الكتابة جديداً نسبياً بالنسبة إليّ، منذ أن انتقلتُ مؤخراً من المنظور النفسي الذي كنتُ أمارسه حصرياً.

بعد أن غادر «بيني» و«كين» مُبتعدين، أخذتُ بعض الملاحظات عمّا ناقشناه. فصلّت أربعة مفاتيح للوعي الأعلى الذي خرج من حوارنا المُلهِم والمُكثف ذاك المساء. قُمتُ بعمل مُلاحظة فكرية كي أدمج هذه المفاتيح الأربعة في مُحاضراتي، وربما يوماً ما سأكتب عنهم. لقد كانوا: إبعاد الشك، تشجيع المراقبة، إغلاق الحوار الداخلي، تحرير الأنا العليا من الأنا الزائفة. أمضيتُ العقد التالي أصنع من هذه الأفكار محوراً لعروضي التقديمية.

عدتُ بذاكرتي إلى ذلك المساء التحفيزي الرائع الذي أمضيتُه مع «كين كيتس»، «جي آر»، وزوجته «بيني»، قبل عشر سنين مضت، بينما كنتُ أدرُس ما سيكون عليه كتاب المُتابعة. كنتُ أتحدّث عن القدرة التي نمتلكها جميعاً كي نخلق السحر الحقيقي في حياتنا، والآن أنا مشغول بفكرة الكتابة عن القدسية التي هي جوهر كلّ شخص.

جميعنا مُقدّسون، وروح من الإله، وليس الأمر مُتعلّقاً كثيراً بخلق المُعجزات بالنسبة إليّ بعد الآن، بل يتعلّق بإدراك الإله في دواخلنا، والعيش بعيداً عن الأنا التي هي حقّاً الأنا الزائفة. لقد أتينا جميعنا من الإله، ولذلك فإننا حتماً مُقدّسون، لأننا أتينا من المُقدّس. لسوء الحظ، هناك العديد من الناس يعكسون الحروف في كلمة مُقدّسين sacred ويعيشون خائفين scared. كتبتُ مُلخصاً وقُدّمتُهُ إلى المُحررين في «هاربر كولينز». إنهم مُتحمّسون جداً لهذا الكتاب الذي أسميته Your sacred self «نفسك المُقدّسة».

مضت ثلاث سنوات وأنا في مزاج الكتابة. أشعر بقيمة السعادة عندما أجلس على طاولة كتابتي وأكتب من غير مقاطعة. تعيش عائلتي الآن في منزل جديد جميل صممناه أنا وزوجتي وبنيناها في «بوكا راتون»، «فلوريدا». لدينا خمس بنات وابن واحد يعيشون معنا، وأعمارهم ما بين الخامسة والثامنة عشر. هكذا، أستيقظ كلّ صباح في حوالي الثالثة تقريباً وأذهب إلى مكتبي المحلي حيث أكون في بيئة سلام هادئة من غير مُقاطعات.

لقد بدا وكأنّ الكلمات تأتي من غير جهد بينما أملأ الصفحة تلو الصفحة. تعلّمتُ من وضع صديقي ومُعلّمي الروحي «كين كيز» وهو يُعاني الآن من الفشل الكلوي، وأبقيتُ صورته وكذلك كتابه «الدليل إلى الوعي الأعلى» على مرأى مني، بينما كنتُ أسمح لكتابي «نفسك المُقدّسة» أن يعبر من خلالي. كتبتُ مقطعاً عن كلّ مفتاح من مفاتيح الوعي الأعلى الأربعة التي ناقشتُها أنا و«كين» بعمق قبل عقد مضى في مطبخنا.

أنا مهووس تقريباً باكتشاف طرق تُمكننا من تجاوز تلك العقبة الضخمة والتي هي الأنا لدينا، من أجل أن نعرف ذواتنا المُقدّسة. كتبتُ على نحو مُكثف عن خصائص الانتقال من هوية مُستندة على الأنا مع تركيزها على المنافسة، الخوف، والمظاهر الخارجية، إلى وعي أعلى مثل السلام، الحقيقة، الحب، والنقاء. بدا كلّ مقطع عن تجاوز الأنا لدينا وكأنه يتدفّق من قلبي على الصفحات التي كنتُ أكتبها كلّ صباح بينما كانت «مارسي» وجميع أطفالنا نائمين على بُعد بضعة أميال.

ختمتُ كتابي «نفسك المُقدّسة» بمقالة بعنوان «نحو عالم خال من الأنا» والذي استلهمته من ذاك اليوم الرائع الذي قضيته مع «كين كيز، جي آر»، ومناقشتنا

المُتعلّقة بظاهرة القرد المائة. كانت رؤيته هذه هي التي حفّزته كي يُشجّعني لأن أصبح مُتحدّثاً عن الوعي الأعلى. قدّمتُ الشكر إلى «كين»، الذي تُوفي في العشرين من كانون الأول من جرّاء الفشل الكلوي، وأنهيتُ الكتاب بمقولة مُعلّم آخر من مُعلّمي الروحيين، «نيسارغاداتا مهاراج»: «إنّ موقفي واضح: أنتج كي تُوزّع، أطعم قبل أن تأكل، أعط قبل أن تأخذ، فكّر بالآخرين قبل أن تُفكّر في نفسك. إنّ المُجتمع الذي يعتمد على نكران الذات المُستند على المُشاركة هو فقط الذي يستطيع أن يكون سعيداً ومُستقراً. هذا هو الحلّ الوحيد العملي، وإذا كنت لا تُريده، عندها قُم بالصراع».

قمتُ بالصلاة الصامتة من أجل اعطاء الشكر على وجود هاتين الروحين المُتوّرتين في حياتي.

أتذكّر جيداً ذاك اليوم الذي وصل فيه «كين» و«بيني» إلى منزلي، وأعلم أنه كان موعداً مُقدّساً. إنّ طاقة ذاك المساء معاً في منزلنا بقيت معي عقداً من الزمن، وقد ألهمتني كي أكتب كتاب «نفسك المُقدّسة». لقد حدث أثناء تمضية ذاك المساء معاً أنني حضرتُ وجهاً لوجه مع رجل كان يعيش ما كتب عنه في كتابه «الدليل إلى الوعي الأعلى» قبل اثنتي عشرة سنة مضت. ولكن الأكثر والأكثر ممّا تحدّثنا عنه تلك الليلة، والذي أصبح دافعاً من أجل كتاب رائد في العُمق في اكتشاف قدسية الإنسان، كان ما لاحظته في هذين الشخصين المُفعّمين بالروحانية.

كان «كين كيز، جي آر» محصوراً في جسد مُختل وظيفياً في نواح عديدة. لقد تطوّر شلله كي يُصبح رباعياً وكان خطيراً كفاية حيث كان لا يقدر على أن يقلب نفسه في السرير، وقد احتاج مُعاونين من أجل العناية الجسدية لأكثر من أربعة عقود. مع ذلك، كان الشيء الأكثر وضوحاً بالنسبة إليّ في تلك الليلة هو أنّ هذا الرجل، الذي كتب كتاباً كلاسيكياً عن الوعي الأعلى، قام بذلك من خلال عدم إغارة أيّ انتباه لجسده الفيزيائي. لم يكن يعرف أننا جميعاً مخلوقات روحانية نخوض تجربة إنسانية فحسب، بل كان يعيش ذلك، لأنّ جسده كان أساساً غير صالح من أجل العمل.

أستطيع أن أرى بوضوح اليوم أهمية العالم الداخلي بالمُقارنة مع العالم الخارجي. إنَّ العالم الداخلي غير مرئي، وبلا شكل مُحدد، وليس لديه اهتمام بالبيانات التي تتكشف لنا عن طريق الحواس. إنه في هذا العالم التأملي الداخلي حيث وصلتُ إلى كمية كبيرة من طاقتي الإبداعية.

لقد كتبتُ وتحدّثتُ غالباً عن حضور الأنا داخل كلِّ منا، وكيف نعيش حياةً مُوجّهة روحياً عن طريق تجاهل وهم أنفسنا المادية. إنَّ عبارة «الشيء الحقيقي هو الشيء الذي لا يتغيّر أبداً» هي حالة صنعُها آلاف المرات. تلك الأنا هي الجزء اللامرئي الحقيقي وراء آلة الجسد التي في حدِّ ذاتها تتغيّر باستمرار، ولذلك فهي ليست حقيقية. بيد أنه لم يكن عليّ أن اختبر هذا المبدأ. لقد عاش «كين كيز، جي آر» وعلم من المكان الوحيد الذي كان فيه كاملاً، وهو حضور الأنا الداخلية. لم يشك أبداً، بل ذهب إلى الداخل وقدم دليلاً يشرح كيف يُمكن تحقيق الإنجاز الروحي، بغضِّ النظر عن ظروفنا المُحيطة في العالم المادي.

كان عليّ أن أرى «كين» و«بيني» عن قُرب وشخصياً. إنَّ صورة هذه المرأة وهي تحمل الرجل الذي تزوجته، وتفعل ذلك من مُنطلق الحبِّ النقي غير المشروط قد تصلّبت في ذاكرتي على نحو دائم. ثمَّ إنَّ صورة هذا الرجل وهو يجلس هنا بيديه التي لا يُمكن استخدامهما ورجليه المُتدليتين بلا فائدة، ويتحدّث إليّ عن أهمية كتابتي عمّا كان يعيشه، يشتعل بابتهاج على شاشتي الداخلية.

لقد علّق «بنيامين فرانكلين» ذات مرة أنه «على الرغم من أننا قد لا نكون قادرين على التحكم بكلِّ ما يحدث لنا، بيد أننا نستطيع التحكم بما يحدث دواخلنا». لم يُجسّد أحدُ الحقيقة أفضل من صديقي وزميلي «كين كيز، جي آر». لقد ألهمني حضوره في حياتي ليس فقط أن أوّلف كتاباً عن النفس المُقدّسة عند الإنسان، بل كي أعمل بجِد أكثر على ترويض الأنا الخاصة بي.

أتذكّر التحدّث مع صديقتي «إليزابث كابلر روس» عن «كين» وتأثيره على كتابتي. لقد أخبرني شيئاً ظهر لاحقاً في كتابها Death: The final stage of growth «الموت: مرحلة النمو الأخيرة»:

إنَّ أجمل الأشخاص الذين عرفناهم هم أولئك الذين عرفوا الهزيمة، وعرفوا المُعاناة، وعرفوا الصراع، وعرفوا الفقد، ووجدوا طريقهم الخاصة من الأعماق. هؤلاء الأشخاص لديهم تقدير، حساسية، وفهم للحياة التي تملؤهم بالعطف، واللطف، والاهتمام العميق المُحبِّ. إنَّ الناس الجميلين لا يأتون مُصادفة. لقد كانت تصف «كين» بهذه الكلمات.

أستطيع أن أرى بوضوح أنَّ الموعد الإلهي المُفاجيء ذاك اليوم مع «كين كيز» كان من أجل أن يُؤثر بي وبكتابتي بطريقة مُهمّة. أحبَّك «كين». شكراً لإلهامك. أنت حقيقة أحد أولئك الناس الجميلين الذين تحدّثت عنهم «إليزابيث».



• في اليوم الذي يلي عيد الميلاد عام 1995، قرأتُ مقالة في الصحيفة عن «كاي أوبارا»، وهي امرأة كانت تعني بابتنها «إدوارد» أربع وعشرين ساعة على مدار الأسبوع، مُدّة خمس وعشرين سنة الماضية.

غابت «إدوارد» في غيبوبة السكري في الثالث من كانون الثاني عام 1970، عندما كانت في السادسة عشر من عمرها. كانت كلماتها الأخيرة: «عديني أنك لن تتركيني، هل ستفعلين ذلك أمي؟». أمسكت «كاي أوبارا» يد ابنتها، وقالت: «بالتأكيد لا، لن أتركك ابداً عزيزتي أنا أعِدُكِ، والوعد وعد!».

لقد تضمّن وعد «كاي» لابنتها المُرَاقَبة نوعاً من التضحية الذاتية والتي تستطيع قلّة من الناس فقط تعهدها، إذ تحتاج «إدوارد» أن تُطعم كلّ ساعتين على مدار اليوم كلّها، بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يُفحص دمها ويُختبر كلّ أربع ساعات، ويجب أن تُعطى إبرة الأنسولين ست مرات في اليوم. لم تَنَمْ «كاي» في السرير في الربع الماضي من القرن، لأنها اعتنت بابتنها على مدار الساعة.

استولت هذه القصة في الصحيفة على روحي، وكنتُ مجبراً أن أجمع بقية العائلة كي تسمعها. أخبرتهم: «أريد من كلّ واحد منكم أن يأتي إلى المطبخ ويستمع إلى هذه القصة التي سأقرأها لكم. أريدنا كعائلة أن نفعل شيئاً لهذه المرأة وابنتها»

بكت عائلتي عندما سمعت عن محنة عائلة «أوبارا»، والتضحيات التي تُقدّم من هذه المرأة المُقدّسة التي تعيش فقط على بعد أربعين أو خمسين ميلاً من منزلنا في جنوب

«فلوريدا». لقد ضحّت «كاي أوبارا» بكلّ اهتماماتها الشخصية بإسم خدمة ابنتها، وكانت مثلاً حياً عن إدراك الإله. لقد ذكرّتي كثيراً بشعوري عندما قابلتُ الطاقة المُدهشة التي جسّدتها الأم «تيريزا» منذ ستة أعوام مضت في مكان بثّ الإذاعة في «فونيكس».

كتبْتُ رسالة مُختصرة إلى «كاي» وأخبرتها أنها بطلتي، وأرسلتُ مع الرسالة نسخة من كتابي «السحر الحقيقي»، الذي يشرح فكرة القدرة على صنع المُعجزات في الحياة اليومية. وضعتُ رسالتي وكتابي في طرد مع تبرع وبطاقة مُوقّعة من أطفالي وزوجتي، وأرسلتُ كل شيء إلى «كاي» في «ميامي»، مع صلاة صامتة من أجلها ومن أجل ابنتها البالغة من العمر الآن احدى وأربعين سنة.

في كانون الثاني غادرتُ إلى الساحل الغربي من «فلوريدا». خططتُ أن أكتب كتاباً جديداً عن التجلّي، وأن أعود إلى المنزل في أيام عطل نهاية الأسبوع. أبقىْتُ «كاي» وابنتها في صلواتي، ولكنّ تركيزي كان على كتابتي. أنا مُنهمك في فكرة التجلّي هذه وأشعر وكأنني نوعاً ما أنقل المعلومات بالتزامن مع المبادئ الروحية اللازمة كي يكون الانسان قادراً على جذب كل ما يرغب به إلى حياته.

بعد يوم طويل من الكتابة والبحث، فتحتُ الرائي كي أ شاهد الأخبار المسائية، فوجدتُ «ديورا نورفيل» التي أجرت مُقابلات معي عدة مرات في السنين القليلة الماضية، تُعلن أنّ برنامجها Inside Edition «النسخة الداخلية» سيعرض قصة عن امرأة تعتني بابنتها الغائبة في سُبّات منذ ست وعشرين سنة. عندما عُرض البرنامج، ظهرت «كاي أوبارا» وهي تقرأ لابنتها «إدواردا» من كتاب «السحر الحقيقي»، الذي أرسلته لها قبل أقل من أسبوعين! شاهدتُ مُتعبجاً بينما كنتُ أسمع «كاي» تقرأ الكلمات الأولى من المقطع الأول لابنتها والذي كان بعنوان «هذا كتاب عن المُعجزات».

أنا في ذهول وروعة من التزامن الذي يعمل هنا. كنتُ أ شاهد التلفاز وهو شيء نادراً ما أقوم به، وأفتح على برنامج لم أشاهده من قبل، وهناك كانت «كاي» تقرأ لابنتها من الكتاب الذي أرسلته لها، لأنني كنتُ مُتأثراً بعمق شديد من حب هذه المرأة غير المشروط لابنتها. ممّا يزيد الأمر عجباً، أنّ عنوان المقطع الذي كتبته في كتابي الجديد Manifest your destiny «أظهر قدرك»، كان بعنوان «الاتصال مع

المصدر الإلهي من خلال الحب غير المشروط».

اتخذتُ قراراً أن أتصل مع «كاين» عندما أعود إلى المنزل من مكان كتابتي. عندما عدتُ إلى «بوكا راتون»، رأيتُ رسالة شكر من «كاين أوبارا» على قمة جبل رسائلي البريدية الالكترونية. اتصلتُ بها مباشرة وقمتُ بعمل الترتيبات كي أزورها في اليوم التالي مع زوجتي.

عندما وصلنا أنا و«مارسلين» إلى منزل «كاي» المتواضع، رحبت بنا امرأة مُفعمة بالحياة، مُلتزمة كلياً بخدمة ابنتها الواقعة في غيبوبة، مُجرّدة من الشفقة على الذات. شعرنا أنا و«مارسي» كأننا في مساحة مُقدّسة عندما دخلنا غرفة «إدوارد». أمسكتُ يد «إدوارد» وشعرتُ نوعاً ما كأنّ بإمكانها سماعي أتحدّث إليها. بعد مُضي ساعة قلتُ بصوت عالٍ إننا على وشك المغادرة، فظهرت دمة صغيرة، وبدت «إدوارد» مُنفعة وقلقة. عندما أخبرتها أننا سنعود، بدت «إدوارد» على الفور أكثر سلاماً، وكأنها تعرف أننا هنا في الغرفة معها.

شعرتُ برابط قوي جداً مع هاتين الإمرأتين. علمتُ أنّ «إدوارد» تتصل معي بطريقة لا أستطيع شرحها. لقد كنتُ أكتب عن المساحات المُقدّسة، السحر الحقيقي، والآن عن المبادئ الروحية المُتضمنة في التجلي. عرفتُ أنها لم تكن مصادفة أنني هنا في هذه المُساحة المُقدّسة حيث كان الحب غير المشروط مُتعدد الوجود مُدّة ربع القرن الماضي. جعلتُ زيارة منزل «أوبارا» عادة متى استطعتُ، وكنتُ أعتبر وأتعظ من العبء المالي الهائل الذي أرقق كاهل هذه الأسرة من جراء النفقات غير العادية المُتوجّبة على «كاي» كي تُنجز وعدّها إلى «إدوارد» ألا تتركها. بقيتُ أسأل نفسي ما الذي أستطيع فعله كي أساعد هؤلاء الأشخاص الرائعين الذين يعيشون من مُنطلق الوعي الأعلى، بينما كنتُ أنا مُجرّد كاتب عن ذلك. عرفتُ أنني وزوجتي قد أرسلنا من أجل أن نُساعد هؤلاء الناس. ما من مُصادفات في هذا الكون وبالتأكيد لم يكن هذا الأمر استثناءً.

بعد عدة أسابيع أتى ابني «ساندس» البالغ من العمر تسع سنوات راكضاً من غرفة نومه في صباح أحد الأيام بعد استحمامه، وقال بطريقة هستيرية نوعاً ما: «أمي، أبي، لقد رأيتُ «إدوارد» للتوّ في الحمام. كانت صاحبة وتبتسم لي. في الحقيقة، لقد كانت هي، لقد

مجنونة، ولكنني أوّمن أنها تقوم بتنفيذ عمل من الإله».

لقد أقمْتُ ساعات عديدة من المُقابلات مع «كاين» وطبيبها المُقدّسة التي عملت بلا تعب ولا أجر. جمعتُ كلَّ السجلات الطبية، وتسجيلاتي الصوتية لمُقابلاتنا، وكرّست كلَّ لحظة عمل من أجل كتابة القصة التي لا تُصدّق تقريباً عن حبّ الأم غير المشروط وما بإمكانه أن يُعلّمنا إياه.

لقد تكفّلت دار النشر Hay House «هاي هاوس» برواية A Promise is promise «الوعد وعد». طلبتُ من «مارسيلين» أن تُضيف فصلاً عن وجهة نظر الأم، بما أنها أمٌ مُتفانية لسبعة أطفال بمفردها.

إن حضور «كاي» و«إدوارد أوبارا» في حياتي كان هدية أخرى من الهدايا العظيمة التي أنعم بها عليّ. عندما أعود بذاكرتي إلى كلِّ ذلك الذي حدث من أجل أن يُسهّل هذه العلاقة الجديدة، أستطيع أن أرى أنه كان هنالك العديد من الأحداث المُتزامنة التي حدثت من أجل جلب هذه الهدية إليّ. كان ذلك عمل قوّة أعلى تُنسّق المُهمّة بأكملها. لقد كنتُ أكتب كتباً ركّزت على الروحانية، صنع المُعجزات، والاتصال مع القدسية المُتأصلة داخل جميع الكائنات. مع ذلك فإنّ الكتابة عن الوعي الأعلى والروحانية هو شيء، بينما عيش ذلك حقيقة يوماً بعد يوم هو شيء آخر تماماً. لقد كانت «إدوارد» و«كاي» أداتين كبيرتين في انتقالي من كوني قادراً على الكتابة حول الروحانيات وإدراك الإله، إلى كوني قادراً على مُمارسة وعيش تلك التعاليم.

إنّ برهان «كاين أوبارا» الفاقدة للأنا عن الخدمة المُحبّة غير المشروطة لانتبتها أكثر من ربع قرن، مع تجنب أيّ اهتمام، بل كلّ الاهتمامات الشخصية، مُضحية حتى بأبسط المُتّع كالنوم في السرير أو شراء أيّ شيء لنفسها، هو دليل وبرهان على إدراك الإله من خلال الفعل. لقد كان الوقت بالنسبة إليّ كي أبدأ في عيش ما كنتُ أدفعُ ضريبة كلامية عنه فقط خلال كتاباتي وتحديثي.

هذه بعض من كلمات «مارسيلين» من كتاب «الوعد وعد»:

عندما سمع «واين» بوضعهم المالي، قال لي بلهجة الأمر الواقع: «سأكتب كتاباً عن

«كاين» و«إدوارد»، وستعود كلّ الأرباح إلى «كاين»، ما رأيك في هذا؟». نظرتُ إلى العينين الزرقاوين لهذا الإنسان العزيز الحنون، ورأيتُ تصميمه. رأيته شخصياً يتطوّر عبر السنين إلى مُعلّم روعي أحببناه جميعاً، ورأيتُ هذا العمل هو العمل الأعظم الذي قام به من أجل خدمة الآخرين حتى الآن. إنه لن يكتب هذا الكتاب فحسب، بل سيروّج له حول العالم ولن يتلقَ أيّ شيء مُقابله.

استطيع أن أرى بوضوح أنّ «إدوارد» و«كاين» كانا في مسار حياتي تقدّمان لي الفرصة كي أعيش حياة على درب الإله، وأضع نفسي في مُحاذاة مع طاقة العطاء النقية من غير طلب أيّ شيء في المُقابل. هذه هي الطريقة التي يعمل بها الإله. هذه هي الطريقة التي عاش بها المُعلّمون الروحانيون العظماء وعملوا بها. لقد كانوا يسألون فقط: كيف بإمكانني الخدمة؟ بدلاً عن: ماذا هنالك من أجلي في هذا الأمر؟

لقد قضيتُ بعضاً من أكثر الشهور إنجازاً في حياتي في كتابة «الوعد وعد»، وكانت «المُصادفات» التي حدثت بالتأكيد من خلال ترتيب أعلى، ابتداءً مني وأنا أقرأ قصة الأخبار عن هذا الحبّ غير المشروط، وعيشهم بالقرب مني حيث كنتُ أعيش، ورؤية «كاي» وهي تقرأ «السّحر الحقيقي» لابتها على التلفاز المحلي، ثمّ الذهاب إلى منزلهم، والعديد من الأمور الأخرى أو ما يُسمّى بالمصادفات التي كانت جميعها جزءاً من وعد مصدر الحبّ الأعظم المُسمّى بالإله، كلّها أومأت إليّ نحو العيش من مُنطلق خدمة الآخرين. أنا مُمتنّ كلّ يوم تجاه «كاي» و«إدوارد أوبارا» على الهدية النفيسة.

قبل أن تموت «كاي»، أخبرتني أنني كنتُ ملاكاً أرسل إليها من الإله كي يُساعدّها على العبور خلال المشقّة التي حددت حياتها. أخبرتها مرات عديدة أنّ الأمر نقيض ذلك، وأنها مع «إدوارد» ملائكة أرسلت إليّ حياتي كي تُعلّمني أولاً معنى كلمات أحد شعرائي المفضلين، «رابندراناث طاغور»:

نمتُ وحلمتُ أنّ الحياة كانت بهجة.

استيقظتُ ورأيتُ أنّ الحياة كانت خدمة.

عملتُ ولاحظتُ أنّ الخدمة كانت بهجة.



► إنه شهر كانون الثاني من عام 1997، وقد وضعتُ للتوّ اللمسات النهائية على كتاب «أظهر قَدْرَكَ». لقد كنتُ مفتوناً بفكرة التجلّي منذ أن بدأتُ الكتابة والتحدّث من وجهة نظر روحانية منذ أكثر من ثمان سنوات مضت. لقد ترافق ذلك مع افتتاح بحقائق «المسيح»، الذي رُوي عنه أنه امتلك القدرة على تحويل خمسة أرغفة من الخبز، وسمكتين إلى مائدة أطعمت خمسة آلاف شخص من خلال النظر إلى السماوات وأمر هذا الطعام بالظهور.

لقد سمعتُ عن مُعلّمين روحانيين على قيد الحياة اليوم قادرين على إظهار الرماد المُقدّس المُسمّى «فبّهوتي» ومواد أخرى من خلال أفكارهم من غير استخدام الدخان أو المرايا. في عُمق داخلي عرفتُ أننا جميعاً مُقدّسون لأننا جميعاً قدمنا من الإله، وعرفتُ أيضاً أننا عندما نضع أنفسنا على نحو كامل في مُحاذاة الطبيعة الأصيلّة، نُصبح واحداً مع الخالق، مصدر الكون، ولذلك نكتسب جميع القوى نفسها كما الخالق. إنّ القدرة على اظهار شيء على الفور من الأفكار هو أمرٌ نادر، لأنّ قليلاً جداً من الناس نجحوا في تجاهل مُتطلبات وإغراءات الأنا الزائفة التي تُسمّى «الإيغو».

لقد كنتُ أكتب عن المبادئ المُحددة كي تكون قادراً على تقليل الوقت الضائع بين امتلاك الفكرة وبين ظهور تلك الفكرة كحقيقة مادية. هذه المبادئ أتت إليّ مباشرة في مُدّة ما يُقارب من السنتين الماضيتين أو أكثر من تدريبي المُستمرّ على تأمل «جابا»، والذي أقوم به مرتين يومياً نتيجة هذه الرسالة من «شري غورورجي»:

عزيري «واين»

إنَّ الهدف من هذا التأمل هو أن تُنهي مُعاناة الناس من خلال تجلّي رغباتهم. قبل أن أُطوّر وأُقدّم هذه التقنية صليتُ مع «سيلفا» و«ناندي». لن أسمح أبداً أن يُساء استخدامهما، ولهذا السبب أنا اخترتُك.

هذا المُعلّم الروحي من «الهند»، اختارني كي أتعلم تقنية «جابا القديمة» عن تأمل التجلّي الذي أبدأ في الأصل من قبل أبي التأمل «بانتهجالي» قبل أكثر من ألفي سنة مضت.

إنَّ كلمة Japa «جابا» تُترجم حرفياً إلى «ذكر اسم الإله على نحو مُتكرر». أنا مفتونٌ بهذه التقنية التي ظهرت للتوّ في صندوق بريدي الإلكتروني مع تسجيل صوتي وتعليمات تشرح كيف أمارسها. أتى الطرد من مُعلّم روحي مُتميّز من «الهند» عُرف بأسماء مُتعددة ومنها «غوروجي»، «داتاتريا سيفا بابا»، «الدكتور بيلاي». إنه باحث صوفي كان يُعلّم الدراسات الهندية في جامعة «بيتسبرغ»، في الوقت الذي لا يكون فيه مُسافراً حول العالم كي يُعلّم، بينما يقوم بتأمل «جابا».

منذ سنتين، عندما وصلتُ رسالة «شري غوروجي» والتعليمات إلى منزلي، بدأتُ تدريباً جدياً كي أُحضّر نفسي لتعليم «جابا» في فعاليات مُحادثات العامة حول العالم. اتصلتُ بناشري ورتبْتُ من أجل تحضير قرص ليزري بعنوان Meditations for Transfiguration «تأملات من أجل التجلّي»، مُوضّحاً تقنية «جابا» القديمة هذه. كان الناس حول العالم مفتونين بالسّحر الحقيقي الكامن في هذه المُمارسة.

من خلال تكرار صوت اسم الإله كما نترأخ داخلياً ووضع الانتباه عمّا يُريد الشخص أن يجذبه إلى حياته، تعمل هذه الأصوات الإلهية كواسطة من أجل جلب هذا الأمر إلى تحقيق وظهور مادي. كما ذكرني «غوروجي» في رسالته، ثم من خلال النقاشات المُتتالية التي أجريناها شخصياً، فإنَّ بداية كلّ شيء هي الإله، ولذلك من أجل أن نبدأ شيئاً ما، نحتاج إلى صوت اسم الإله. تقول السطور الافتتاحية في إنجيل «يوحنا»: «في البدء كانت الكلمة، وكانت الكلمة مع الإله، وكانت الكلمة هي الإله».

نظرتُ إلى المُسَوِّدة التي كتبتها، والتي تتضمَّن فصلاً عن «التأمل على صوت الخلق»، وشعرتُ بالرعب من كوني قادراً على استخدام تقنية «جابا» هذه كي أخلق كتاباً كاملاً مع تسعة مبادئ مرسومة على نحو مُحدد في الترتيب الصحيح. لم يكن لديّ أيّ مخطط، ولا أيّ فكرة عما سيكون المبدأ الثاني، الثالث، أو التاسع عندما كتبتُ المبدأ الأول. لقد وثقتُ كلياً في قوّة الاسم الإلهي الذي استخدمته كمانترا داخلية أثناء كتابة كتاب «أظهر قَدْرَكَ». لقد كنتُ قادراً على اظهار تسعة مبادئ روحانية وكتابة فصل كامل عن كلّ واحد منها بلا جهد تقريباً.

قرأتُ حكم «بانتاجالي» وطبقتُ هذه الحكمة القديمة في جميع جوانب حياتي. إنّ التأمل الآن جزء دائم من حياتي اليومية، وقد أمضيتُ وقتاً في إتقان تقنية «جابا». لقد استخدمتها في مجموعة مُتنوّعة من الطرق، ووجدتُ مُعجزات صغيرة تظهر عندما أستخدم هذه الأصوات الإلهية. أنا قادرٌ على إزالة التعب وأي نوع من أعراض المرض من خلال القيام بتأمل «جابا» على نحو مُنتظم، ومن خلال ترنيم اسم الإله باستمرار حيث وجدتُ أنه بإمكانني المُشاركة على نحو مُباشر في الخلق والتجلي.

إنّ امتناني كبير جداً تجاه «شري غوروجي» الذي وضع ثقته فيّ، وهو على علم أنني لن أسمح أبداً أن يُساء استخدام تقنية التجلي القديمة هذه والتي هي عبارة عن استخدام الصوت الذي يصدر من خلال ذكر اسم الإله، أو أن تلوّث بأيّ طريقة. أنا غير مُتأكد لماذا اختارني كي أكون مُعلماً لتقنية «جابا»، ولكنّ الأمر يبدو كما لو أنّه كان بطريقة ما مُدبراً من قبل الإله نفسه. اعتبرتُ الأمر على أنه واجب مُقدّس. يسبح رأسي في نشوة هناء، ولديّ شعور أنني أسدّ الفجوة بين العالم المادي والعالم السماوي، من حيث أتت كلّ الجسيمات المادية.

نظرتُ إلى مُسَوِّدتي المُكتملة لكتابي «أظهر قَدْرَكَ»، واستغربتُ كيف أنّ كلّ هذه المبادئ، التسعة انتقلت على نحو جميل جداً. أخذتُ قلمي، وكتبتُ إهدائي: «شري غوروجي»، شكراً لك على إلهامي من أجل اكتشاف عالم التجلي. تحية من القلب «ناماستي».

إنه بالفعل نداء الروح إلى حياتي. لا أشعر فقط بالمُحاذاة مع هذا المُعلّم العظيم الذي

اختارني من أجل هذه المهمة المتألفة، ولكنني أشعر أيضاً بمُحاذاة مع «باتانجالي»، نعم، ومع مصدر خلق كل شيء، العقل الإلهي الواحد، مع الإله. أقول «والكلمة كانت الإله» مرات ومرات عديدة في اليوم.

بالإضافة إلى كوني مُعلِّماً، أنا الآن مُتأمل ثابت كذلك. شيء ما لا يُمكن وصفه كان يعمل عام 1995 عندما كان «شري غوروجي»، المعروف الآن بـ«داتاتريا سيفا بابا»، مُتحمساً كي يكتب إليّ ويُرسل تسجيلات صوتية وتعليمات من أجل أن أتعلم تقنية «جابا»، وأصبح مُعلِّماً لهذه الممارسة. ذاك القرار العفوي من «غوروجي» ألهمني كي أتعلم وأُعلِّم تأملات «جابا» في نهاية المطاف من خلال قرصي الليزري المُعنون «تأملات من أجل التجلي». لقد حمّسني أيضاً كي أهيأ وأكتب كتاباً عن التجلي بعد سنتين، ثم ألهمني تأليف كتابي الخاص عن التأمل، بعنوان: *Getting in the Gap* «التوغل في الفراغ»، بعد ثمان سنوات من تلقي رسالة «غوروجي».

هذا الرجل الروحاني الجميل من «الهند» كان واحداً من أكثر الناس المؤثرين في عبور طريقي. قبل «غوروجي» انشغلتُ في الممارسات التأملية، ولكنني لم أعتبرها كمبدأ أبداً.

حالما بدأتُ فنّ تأمل «جابا» ورأيتُ النتائج الرائعة التي بدأت تظهر، قررتُ أن أجعل التأمل جزءاً من حياتي اليومية، في كل من الصباح والمساء.

بينما كنتُ أكتب «أظهر قدرتك». كنتُ أردد الصوت *ah* «آه» وأضع تركيزي على تلقي الإرشاد من أجل كل من المبادئ التسعة في هذا الكتاب. قمتُ بجلسات طويلة من تكرار هذا الصوت وتصور نفسي أتلقي ما أحتاجه، فرأيتُ قلبي يتحرك عبر الصفحات بلا جهد، وكأنه كان في يد قوة غير مرئية.

في مُحاضراتي شرحتُ النظرية والتاريخ خلف هذه الممارسة التأملية المُحفزة، ثم طلبتُ من الجماهير أن يُرئوا صوت الإله *aum* «أوم» بينما يضعون اهتمامهم الفردي فيما يرغبون بتجليه في حياتهم. كانت النتائج مذهلة. وضعتُ الكثير من تلك النتائج في فحوى كتابي «التوغل في الفراغ».

من الواضح جداً بالنسبة إليّ أنّ هذا الإنسان السامي قد أرسل إليّ كي أتقدّم إلى الخطوة التالية من رسالتي الروحية الخاصة الشخصية. لقد كانت مُمارسة التأمل جوهرية بالنسبة إليّ، ومع ذلك لم أكن قريباً كي أتبنّى أيّ منها إلى أن قرر «غوروجي» أن يجعلني المُتلقّي لهذا الوعي الروحاني. لقد عرف بطريقة ما أنني سأأخذ مُمارسة «جابا» جدياً، وأنتي سأدمجها في مُحاضراتي وظهوري الإعلامي.

لقد بدا أنّ «غوروجي» قد صلّى لاثنتين من أكثر قديسيه ورعاً، «سيفا» و«ناندي»، طالباً الاهتمام إلى الشخص الذي سيُقدّم في الغرب نظرية التأمل هذه والتي تبلغ من العمر ألفي عام ومنه إلى الجمهور العالمي. أشعر بالفخر لأنه تمّ اختياري من أجل تعهّد جليل كهذا.

بعد سنتين من بدئي تعلّم «جابا»، التقيتُ بهذا الرجل الروحاني وجهاً لوجهاً. لقد كنت مدعوّاً إلى منزل في «لوس أنجلوس» بعد مُحاضرة أعطيْتُها أمام حشد مُؤتمر كبير، وقد أخبروني أنّ «غوروجي» يرغب بأن يلتقي بي. انتظرتُ في غرفة خاصة قرابة ثلاثين دقيقة، ثمّ دخل هذا المُعلّم الكبير إلى الغرفة مُرتدياً زياً أبيض بالكامل، وجلس على الجانب الآخر مني. لم ينطق أيّ منا بكلمة قرابة الساعة. كان كلانا صامتاً، ومع ذلك كان الحبّ بيننا هو ما توصّل إلى وصفه بالنور الإلهي على موقعه الإلكتروني:

إنّ النور الإلهي هو نور الإله. إنه غير مرئي بالنسبة إلى العين البشرية ولكنه مرئي إلى الحكماء، الأنبياء، أتباع «المسيح»، الملائكة والمخلوقات الأخرى السامية. يمتلك النور الإلهي ذكاءً مُذهلاً وطاقه كي يعلم ويفعل كلّ شيء. إنها طاقة الإله القادرة على كلّ شيء. حالما ينتقل هذا النور الإلهي فيقوم بعمله بطريقة إعجازية، وسيُحوّل الجسم، التفكير، والروح.

شعرتُ بهذا النور الإلهي الذي وصفه «غوروجي» عندما جلسنا هناك في صمت في لقائنا الأول. بعد فترة طويلة من الصمت، غادرتُ دمعاً عيني وزحفتُ إلى أسفل خدي. تعانقنا وقلنا شكراً لبعضنا البعض. كانت هنالك كلمات قليلة جداً قد قيلت، ولكنني شعرتُ أننا قد تواصلنا مع بعضنا عبر ما كتبته أعلاه. غادرتُ ذلك المنزل في

«لوس أنجلوس» وحصل لدي إدراك أنّ كلّ هذا كان بطريقة ما مُرتباً مُسبقاً من قوّة إلهية سأبقى مُمتناً لها دائماً.

شيء ما داخل هذا الرجل عرف أمره أن يتصل بي ويجعلني أبدأ في طريق الذهاب إلى الداخل. كانت تقنية «جابا» عطية إلهية من أجلي ومن أجل ملايين الناس الذين أخذوا هذه الممارسة كنتيجة لحديثي وكتابتي عنها أمام العموم. أستطيع الآن أن أرى بوضوح ماعناه «لاو تزو» بقوله: «أنت لا تفعل شيئاً، بل بدلاً عن ذلك، أنت من يجري عليه الفعل فحسب».

لم أدركها في وقتها، ولكنني كنتُ على وشك أن أقوم بنقلة في العمل الذي أرسلتُ إلى هنا كي أقوم به، وكانت ممارسة «جابا» ولقائي مع «غوروجي» أموراً أساسية تماماً من أجلي، حيث أنّ هذا المسار الجديد في حياتي كان على وشك أن يظهر. كان هنالك جمهور أكبر بكثير ينتظرنني، وقد احتجتُ على نحو واضح أن يكون لدي إجراء في يدي يجلب لي السلام الداخلي العفوي، والمعرفة الحقيقية بأنّ «كلّ الأشياء مُمكنة»

شكراً لك! شكراً لك! شكراً لك! «غوروجي»، على كونك مُستعداً من أجل نقل هذا التعليم الهائل لي، والثوق بأنني لن أُسيء إليه أبداً وقطعاً بأي شكل من الأشكال.



► إنه الربيع من عام 1998، وقد أمضيتُ الجزء الأفضل من السنة الفائتة في تأليف كتاب من المقالات المُستندة على حكمة ستين من أكثر المُعلّمين عُمقاً وتأثيراً ممّن باركوا حياتي. أنا أدعو هذ الخلاصة الوافية Wisdom of the ages «حكمة العصور»، وأستطيع تخيّل أساتذة الفلسفة والإنكليزية في المُستقبل وهم يستخدمونه كطريقة لجلب هذه الأفكار المُحفّزة إلى حياة الشباب.

كوني مُعلّماً أولاً وقبل كلّ شيء، تذكّرتُ بحرارة صفّاً مُحدداً في الثانوية علّمته عام 1960. لقد شعرتُ دائماً وبقوّة شديدة أنّ الشعر، الفلسفة، والأدب الروحي لا يجب أن تجفّ، بل يجب أن تُصبح مُفعمة بالحياة، وخاصة بالنسبة إلى الشباب، والعقول المُحبّة للاستطلاع. لقد تعلّم طلابي في ذاك الصف أن يُطبّقوا الحكمة القديمة في حياتهم المُعاصرة من خلال دراسة بعض من مُعلّميننا العظماء. حتى بعد حوالي أربعين سنة ما زلتُ أدرّس الحكمة كي تنوجد في مقالات عظيمة. عندما تذكّرتُ كتابة مقالتي عن هذه التعاليم، سألتُ نفسي، ما الذي يجب أن يقوله لنا اليوم علماؤنا الأسلاف، الذين يُعتبرون الأكثر حكمة والأكثر تقدّماً روحانياً؟

لقد تضمّن الكتاب هذه الخلاصة المُكوّنة من ستين مقالاً، والتي ستزوّد القارئين بالفُرصة كي يُدركوا قدراتهم الخاصة والمُتعلّقة بالعظّمة، ويتلقّوا الإرشاد من أجدادانا العلميين العظماء، وهم: «المسيح»، «بوذا»، «ويليام بليك»، «إيميلي ديكنسون»، «والت وايتمان»، «المهاتما غاندي»، «رابندراناث طاغور»، «باراما هانسا يوغاناندا»،

والأم «تيريزا». إنَّ أجدادنا هؤلاء لم يكونوا فقط أنواعاً بارزة يكتبون من أجل الاعتراف المهني، بل كتبوا من مكان الشغف مع الرغبة في رفع الروح الإنسانية إلى مكان أعلى أبعد من اهتمامات الأنا الزهيدة.

لقد كانت سنة مُمتعة، كالعودة إلى الكلية من أجل دراسة المُعلّمين العظماء الذين عاشوا قبلنا، من غير أن يهتمّوا بكتابة مقالة الصفّ، أو القيام بامتحان من أجل علامة النجاح على الورقة. لقد تصوّرت أيضاً إحضار هذه الكلمات القديمة من الحكمة إلى جمهور أوسع بكثير، والتأثير الناتج على وعي بلادنا وعالمنا.

ظهرت رسالة في بريدي يوماً من الأيام من «نيكي فيتل»، والتي قدّمت نفسها على أنها مُنتجة مُنفذة للعديد من التعهدات الخاصة في خدمة البثّ المحلية. كتبت لي: «أرغب أن أعرف هل أنت مُهمّت في إنشاء برنامج في خدمة البثّ المحلية بناءً على آخر كتابين من أحدث كتبك. أرغب بالعمل معك في صنع برنامج كهذا، كما أنني أرغب في إنتاجه كذلك».

فُتنتُ برسالتها وتابعتُ الأمر باستفسار تلفوني عن اهتمامي في صنع برنامج يُبثّ محلياً على الهواء، يكون بمثابة جمع تبرعات من أجل مؤسسة خدمة البثّ المحلي. فقط قبل أيام قليلة سابقة تلقّيتُ رسالة من زميل كاتب اسمه Liu Boscagelea «ليو بوسكاجليا» يُشجّعني فيها على إيصال رسالتي الروحية والوعي الأعلى إلى جمهور الرائي «التلفاز».

كانت نتيجة تواصلني مع «نيكي» أننا رتبنا من أجل تسجيل برنامجين خاصين، أولهما يستند إلى كتابي الحالي «أظهر قدرك»، والثاني عن الكتاب الجديد «حكمة العصور». بدائي وكأنه نداء كي أحقق هذا الأمر، فقد أتت تلك الرسائل الطوعية من «ليو» و«نيكي»، ومُحادثتي اللاحقة مع «نيكي»، إلى جانب رغبتني كي أوثر في المزيد والمزيد من الناس بطريقة تنويرية روحانية.

كنتُ أعلم أنّ واحداً فقط من بين عشرة أشخاص يشتري كُتباً، بيد أنّ كلّ شخص فعلياً يُشاهد التلفاز في منزله. أنا مُتحمّس تجاه امكانية إيصال رسائل الوعي الأعلى هذه إلى جمهور جديد بأكمله.

عندما اقتربنا من موعد الانتاج النهائي، سألت نيكي بعصبية إن كان بإمكانها التحدث معي عن شيء ما. اتضح أنها قلقة من أنه ربما لن يكون لدينا المال الكافي كي نصل إلى عرضنا التلفزيوني في الموعد المحدد الذي أعطي لنا، وتساءلت إن كنت قادراً علي أن أقوم بما يُسمّى «قرض الجسر»، حيث أضع المال الآن، ثم يتمّ تعويضى لاحقاً. أنا أو من بقدرتي في أن أجعل هذا العرض ناجحاً من أجل PBS وكلّ المشاركين فيها، فوافقتُ على المساعدة في توفير الاكتتاب المالي بنفسى إذا لزم الأمر، واستمرّ المشروع!.

سجلنا للعموم العرض التلفزيوني الأول بالنسبة إليّ والذي تعهدنا به، في متجر ونادي «بوكا راتون» حيث تجمع الجمهور من أجل التسجيل. سجلّ العرض الأول بعنوان «كيف تحصل على الشيء الذي تريده حقاً حقاً حقاً». أخذتُ استراحة ساعة واحدة، ثمّ سجلّ «فم بتحسين حياتك مُستفيداً من حكمة العصور»، حيث غنّت ابنتي ذات الستة عشر عاماً «سكاي» نسخة جميلة من «الكايلا» مأخوذة عن الأغنية الروحية الكلاسيكية «نعمة مُدهشة» في البرنامج الثاني.

بعد أسابيع عديدة من إنهاء تسجيل البرنامجين، وبينما كانوا يُحضّرون من أجل بثها، تلقيتُ بلاغاً أنّ زميلي الدكتور «ليو بوسكاجليا» قد توفي في الثاني عشر من حزيران. لقد كان مُستكشفاً ودليلاً إلى كيفية تقديم المحاضرات التلفزيونية الترفيهية المُقنعة والمُحفّزة. لقد أخذتُ على نفسي عهداً أنني سأقوم بكلّ ما أستطيعه كي أرقى إلى مستوى الثقة التي زرّعها «ليو» في داخلي، عندما شجّعني ليس فقط كي أدعم دافعه المُفضّل، وبرنامج التلفزيوني المحلي، ولكن أن أصل إلى شريحة أكبر بكثير من الجمهور من خلال التلفاز.

تذكّرتُ الالتزام الذي قطعته على نفسي قبل عشرين سنة مضت بأن أوصل كتابي «مناطقك الخاطئة» الأول إلى عموم الجماهير، وها أنا في المكان ذاته. قررتُ عندها أنني سأزور كلّ محطة من محطات خدمة البث المحلية في البلاد التي سوف تستضيفني. سأصبح متحدثاً، ليس فقط من أجل عملي الخاص، ولكن من أجل التلفزة المحلية كذلك. أحبّ برامج PBS، وقد تربي أطفالي جميعهم على مسلسل الأطفال Sesame Street «شارع سمس»، وغيره من برامج الأطفال الرائعة في PBS. أحبّ حقيقة عدم

وجود العنف في أخبار المؤسسة اليومية، وأن الإعلان فيها مجاناً، إنها تبدو مثالية.

تهياتُ كي أرجع إلى الطريق مُجدداً، وأجلب هذه المُحاضرات إلى موضع الاهتمام الأمريكي. لقد رأيتُ امكانية التحوّل هنا، وأنا مُمتنّ تجاه تلك الفرصة التي أتاحت ايصال رسائلتي الروحية إلى غرف معيشة الناس في كل ولاية من البلاد.

لقد كان ذاك الطلب من «نيكي فيتيل» عام 1998 نقطة تحوّل كبيرة في حياتي الشخصية والمهنية، ودفعني إلى طريق جديدة كلياً أتاحت الوصول إلى أعداد كبيرة من الناس. أثناء مُقابلتي الأولى مع «نيكي»، استغرقتُ في ذكرياتي عن افتتاحي بالمطران «فولتون شين» عندما كنتُ صبيّاً صغيراً. بينما كان كل أصدقائي ممّن لديهم أجهزة تلفاز يُشاهدون برنامج «ميلتون بيرلي» الكوميدي، كنتُ أجلس مذهولاً أستمع بإصغاء إلى المطران «شين» يتحدّث مباشرة إليّ عن قوّة تفكيري الخاص في خلق نوع الحياة الذي أريده لنفسِي.

كنتُ أحبُّ كثيراً برنامجهِ الذي كان يُعرض ليلة الثلاثاء، لقد كانت مُحاضرة مُمتعة، مثقفة، ومُعدهّة على نحو جيد، وقد حازت على انتباه المُشاهدين في منازلهم سابقاً عندما كان التلفاز في أوج روعته. لقد كنتُ واثقاً أنه بإمكانني القيام بمثل هذا العمل وجعله صالحاً لكل المُهتمين، وأنه سيكون لديّ مُساعدة إلهية كذلك!

تذكرتُ تعليق «ميلتون بيرلي» عندما اكتشف أن المطران المحبوب قد حصل على جائزة «إيمي»، بينما كان «بيرلي» ينتظرها كمكافأة على برنامجهِ الكوميدي الشعبي. قال «بيلي» ساخراً: «لقد حصل عليّ كُتاب أفضل، «ماثيو»، «مارك»، «لوك» و«جون». ربّما كان بإمكانني تجنيد هؤلاء الكُتاب أنفسهم في عروضي التقديمية كذلك».

قبلتُ هذه المغامرة بالحماس نفسه والالتزام الذي ألهمني كي أمضي في هذا الدرب قبل اثنتي وعشرين سنة مضت عندما نُشر كتاب «مناطقك الخاطئة». مع إكمال البرنامجين الأولين، بدأتُ بصنع ظهورات على محطات التلفزة المحلية على نحو مُنتظم مُرتبطة مع جمع التبرعات. لقد كان من الواضح جداً بالنسبة إلى «نيكي» وإليّ أنه عندما كنتُ أحضر إلى مكان التصوير المحلي، وتحدّث إلى الجماهير أثناء فواصل العروض، يرتفع عدد الدولارات التي تُجمع من أجل دعم التلفزة المحلية على نحو

كبير. كانت لديّ تصوّرات عن العمل بدقّة من خلال ما عملته سابقاً في السبعينيات وبداية الثمانينيات مع نشر كلّ كتاب كتبته، لقد أخذتُ على عاتقي المسؤولية الكاملة عن كلّ الجهات المُرتبطة بنجاح هذه العروض.

كانت الأولوية الأولى بالنسبة إلى المدراء التنفيذيين في PBS هي جمع التبرعات. عندما يجلب العرض مالاً من خلال اتصالات المُشاهدين والتبرعات، فسُيعرض البرنامج على الهواء مراراً وتكراراً. بينما كان هدفي الأول هو رفع وعي الناس حول العالم. كانت شريحة أكبر من المُشاهدين تعني إلهام أشخاص أكثر كي يدعموا PBS مالياً، وكنتُ معهم نستطيع الحصول على أعلى المستويات من الأهداف والنداءات.

خلال أسابيع من إطلاق أول عرضين استعدتُ التكاليف المُتعلّقة بإنتاج كلا البرنامجين، وفي غضون سنة كنا في مُحادثات من أجل عقد مع PBS كي نقوم ببرنامجين إضافيين، واللذين كان مُرتباً لهما أن يُسجلا في «كونكورد»، «ماساشوست» في منزل اثنين من مُعلّمي الروحانيين الأكثر محبة وتبجيلاً «رالف والدو إيميرسون» و«هنري ديفيد ثورو».

لقد أصبحنا فريقاً الآن أنا و«نيكي فيتل»، وصديقي «ريد تريسي» الذي يعمل مُديراً تنفيذياً في دار نشر الجديدة «هاي هاوس». أثناء كلّ فترة تعهد مُفردة كنتُ أخرج مُسافراً في الطريق من محطة إلى محطة، وفي كثيرٍ من الأحيان على نفقتي الخاصة، كما كانت الأيام قبل ربع قرن من الزمن عندما كنتُ أسافر عبر البلاد، لأنها كانت الطريقة الوحيدة كي أصل إليّ كلّ شخص في ذلك الوقت. هناك شعلة من الرغبة المُكثفة عندما يتعلّق الأمر بإنجاز الأمنيات التي تشتعل داخلي. ليس هنالك أحدٌ آخر يُمكنه القيام بهذا من أجلي، ولا أستطيع أن أجد أعذاراً مقبولة من أجل المُشاركة في مشروع مُتعرّض.

لقد أخبرني العديد من المُدراء التنفيذيين في «نيويورك» و«واشنطن» أنّ نوع البرمجة المُرتبطة بعروضي التقديرية لا يُتنبأ له بنجاح اقتصادي. لقد أخبرتُ وشاهدتُ الإحصاءات عن عدد كبير من العروض التي فشلت على نحو ذريع. لقد تمّ إنتاج ثمّ إذاعة الكثير من العروض، ولكن ما عدا استثناءات قليلة ملحوظة، كما «ليو بوسكاجليا» المعروف على نحو أساسي بإسم دكتور الحب، فقد سُحن الكثير من العروض إلى

قارعة الطريق بعد ظهور أو ظهورين على الهواء.

اعتدت أن أشاهد «ليو» على التلفاز في وقت فواصل الدعايات، وكنت أريد أن أقفز عبر الشاشة في منزلي كي أعانق هذا الرجل. لقد كانت حماسته، والتي تُترجم في اللغة اليونانية الأصلية إلى «الإله في الداخل» هي سرّه. عرفت أنه بإمكانني ربط أفكارى بعاطفة وحماسة كذلك، وعرفت أن الناس سيُشاهدون ويدعمون محطتهم المحلية، إن استطعتُ جعل هذه المادة تُصبح مُفعمّة بالحيوية داخلهم من خلال الطرق «إن صحّ التعبير» على أبواب الإله الداخلي لدى المُشاهدين.

ابتكرتُ خطة من أجل القضاء على التدهور المالي للمُساهمة، وصنعتُ ترتيبات مع «ريد» في دار نشر «هاي هاوس» من أجل تقديم مجموعة هائلة من هدايا الشكر على المُساهمة بدولار واحد يومياً للتلفزة العامة في «أمريكا». عندما أعود بذاكرتي إلى انتقالى من كاتب مُتحدّث إلى شخصية تلفزيونية في البثّ، أستطيع أن أرى بوضوح أكبر من قبل، أن تلك الرغبة المُشتعلة في الداخل هي التي كانت تحمّلني عبر هذا التحوّل. لم يكن لديّ شيء أبداً على لائحة مهامى لا يُمكننى تنفيذه من أجل أن أجعل حلم مُستقبلى حقيقة واقعة.

على مدى السنوات العشر التالية، قمت بحوالي مئتي ظهور من أجل جمع التبرعات الشخصية في كلّ محطة من PBS تقريباً في أرجاء البلاد. كانت الزيارة تعني قضاء أربع ساعات في مكان التصوير التلفزيوني أثناء بثّ البرامج على الهواء، ثمّ القيام بمُهمّة PBS وتقديم هدايا الشكر بوفرة، بما في ذلك الكتب والتسجيلات الصوتية والمرئية المُتعلّقة بالبرنامج. لم أعرف التعب في طاقتي، وكنتُ أصل إلى ملايين الناس الذين لم تكن تُعرض لهم هذه الأفكار من الوعي العالي بطريقة أخرى. مع كلّ كتاب جديد، كان علينا أنا و«نيكي» و«ريد» أن نقوم بتصميم برنامج جديد، مع مجموعة جديدة بأكملها من هدايا الشكر، وأن أقدّم كي أظهر على المحطات المحلية، التي زرتُ مُعظمها سابقاً أكثر من عشر مرات أحياناً.

عند العودة بذاكرتي إلى العروض الخاصة العشرة بقناة PBS، والتي حملت اسمي ورسالتى المتطورة، أشعر بالفخر بأن أقول إنني تشرفتُ كثيراً بأن يُشار إليّ على أنني

«سيد PBS». إن مقدار المال الذي جُمع للتلفزة المحلية في «أمريكا» لم يكن بالآلاف، ولا بمئات الآلاف، ولا بملايين الدولارات، وإنما بمئات ملايين الدولارات. شعرتُ أنه تمّ مناداتي إلى هذا العمل، وكنتُ أتخصّر كي أقوم بذلك، من ذلك الوقت عندما كنتُ ذاك الصبي الصغير الجالس أمام جهاز تلفازنا الأبيض والأسود يُشاهد المطران «فولتون جي شين» في برنامج Life worth living «حياة تستحقّ العيش». لقد خلق انبهارى من وقتها شيئاً ما داخلي مهمهم بحماسة: بإمكانى القيام بهذا. أعلم أنني أستطيع فعل هذا. تلك المُحفّزات الداخلية هي من عمل القوى الملائكية التي كانت دائماً هناك تدعوني كي أواصل السعي من أجل تحقيق آفاق بعيدة المدى أكثر اتساعاً.

كان «ليو بوسكاجليا» أحد هؤلاء الملائكة، وكذلك كانت «نيكي فيتيل». كان قرارها أن تكتب لي وتُشجّعني كي نُجهّز سوياً برنامجاً تجريبياً، وكانت طاقتها الدؤوبة في إنتاج جميع العروض العشرة من أجل قناة PBS، موجهة أيضاً من قبل طاقة إلهية خفية. عندما قرأتُ رسالة «نيكي» الأولى عن إمكانية الظهور في برنامج خاص بي على PBS، فكّرتُ: لقد عرفتُ أنّ هذا الأمر آتٍ، وعلمتُ أنّ ذلك كان قدرى. لقد سمعني كلّ من زوجتي ووكيلي أقول في ذاك الوقت إنني كنتُ أدرك هذا الأمر منذ شبابي، عندما كان التلفاز كواسطة ترفيه في قمة روعته.

أستطيع أن أرى بوضوح كبير أنّ توكيدي الداخلي في عمر التاسعة عشرة «أنا مُعلّم»، كان أبعد من مُجرّد صف واحد في مدرسة واحدة. كانت لديّ رسالة من التمكين الذاتي والهيمنة الروحية عليّ ابصالها إلى العالم. كان المطران «فولتون شين»، «ليو بوسكاجليا»، «نيكي فيتيل»، و«ريد تريسي»، جميعهم مُحَرّضين ملائكيين يُرافقونني في جعل هذه الرؤية التي كانت لديّ منذ أن شاهدتُ التلفاز للمرة الأولى، تُؤتي أكلها.

إنّ الأمر الآن الأكثر وضوحاً ممّا كان حينها، وهو أنني امتلكتُ لاثنتين عقليتين حملتهما معي. تتضمّن اللائحة الأولى تأكيد أنني قادر على فعل كلّ شيء كي أجعل حلم مُستقبلي حقيقة حاضرة، وتتضمّن اللائحة الثانية تأكيد كلّ شيء أنا غير قادر على فعله، وهذه اللائحة دائماً فارغة. عندما أحضروا لي أول عرضين، سألتُ «نيكي» إن كنتُ قادراً على السفر إلى «فريزنو»، «كاليفورنيا»، والتي تضمّنت ثلاث رحلات طيران في

كل اتجاه، وأن أدفع على نحو أساسي نفقاتي الخاصة كي أكون في مكان التصوير من أجل البرنامج الأول، فوافقتُ بكل إخلاص بسبب لائحتي العقليتين. أصبحت تلك الزيارة هي الأولى من أكثر من مئتي زيارة إلى المحطة التي توصل الرسالة القرية جداً من قلبي إلى بيوت «أمريكا».

لدينا جميعاً قدر، ورسالة روحية نُنجزها، وهناك فرص لا نهاية لها، وأشخاص وظروف تظهر خلال حياتنا كي تُنير مسارنا. تصنع الحوادث والأشخاص شرارات صغيرة تجعلنا ندرك: هذا من أجلي، هذا مهم، هذا سبب أنني هنا. تلك الشرارات كانت إشارات كي أنتبه وأكون مُندهشاً، وأعلم أنّ تلك الشرارات يتم إشعالها من المصدر الإلهي نفسه المسؤول عن كل الخلق.

لقد كنت دائماً متحمساً كي أقول نعم للحياة مع الإيمان أنني عندما أثق في نفسي، فإنني أثق في الحكمة الكبيرة التي خلقتني. تلك الشعلة الداخلية هي الإله يتحدث إليّ، وأنا ببساطة أرفض أن أتجاهلها. أعلم أنني إذا شعرتُ بها وأشعلتُ شيئاً في داخلي، فإنّ عملية الإشعال عندها هي القوة اللامرئية، المصدر، جوهر كل الخليقة، وأنا أثق بها إلى الحد الأقصى. هذا ما أطلق مُستقبل ظهوري على التلفاز المحلي، وليس بسبب بعض الحظّ أو الصدف غير المُبررة. لقد كان الوضع يقول نعم لتلك الأفكار التي اشتعلت داخلي، ورفضتُ أن أدعها تنطفئ حتى يتم إنجازها.



• في تشرين الأول من عام 2000، وافقتُ على أخذ مجموعة صغيرة من الناس إلى مدينة «آسيي» في «إيطاليا»، حيث مكان ولادة القديس «فرنسيس»، الرجل الذي أصبح قوّة حيوية في حياتي على مدى السنوات العديدة الماضية. لقد كنتُ أعمل على كتاب جديد اسمه *There is a spiritual solution to every problem* «هناك حلّ روحي لكلّ مُشكلة»، اعتماداً على الصلاة المشهورة للقديس «فرنسيس»، وقد عدتُ إلى «آسيي» كي أضع اللمسات الأخيرة على المُسوّدة.

أشعر أنني مُنجذب إلى هذا المكان وأريد أن أقوم ببعض الكتابة هنا لأنني أشعر أنّ القديس «فرنسيس» لا يُوجّه كتابتي فحسب، بل كلّ جوانب حياتي. لقد كان الوصول إلى كلمات وأفكار هذا الكتاب الجيّد سهلاً جداً، وقد شعرتُ بنوع إلهي من الطاقة المُسالمة جداً منذ أن قررتُ أنّ هذا سيكون مشروع كتابتي القادم.

في الصباح الباكر ذهبتُ في مشي طويل وحدي في الريف، بعيداً عن كلّ السياح الذين أرادوا أيضاً أن يكونوا قريبين من هذا الرجل المُقدّس الذي عاش هنا قبل ثمانمئة سنة مضت، وترك العديد من الانطباعات الدائمة. لقد قرأتُ عن المُعجزات التي كانت منسوبة إلى هذا الرجل الذي وُلد في «فرانيسكو دي بيترو دي بيرناردونه»، وأتمنّى أن أكون في طبيعة التأمل في طاقة هذه المدينة الإلهية المحمية على نحو جيد. أشعر بهذه الطاقة معي، كما بدتُ في السنة الماضية بينما كنتُ أكتب كلّ يوم.

عندما كنتُ أفكر في قبول العرض بأن أكون دليلاً ومُحاضراً أرافق مجموعة صغيرة

من الناس في جولة في «آسيسي»، صُنع القرار عندما سمعتُ نفسي أقول لزوجتي: «دعينا نرجع إلى «آسيسي» ونقوم بتأمل معاً في كنيسة Portiuncula Chayxl «بورتونيكولا» التي زُرناها قبل ستة سنين مضت».

زورنا أنا و«مارسي» هذه المدينة في عام 1994 مع ثلاثة من أطفالنا، ومنذ ذلك الوقت تحدّثنا عن رغبتنا في العودة والقيام بالتأمل معاً في الكنيسة الصغيرة المسماة «بورتونيكولا»، وهي مساحة مُقدّسة تُرحّب بأولئك الذين يسعون إلى سلام التفكير، الجسد، والروح. إنها مُتموضعة الآن داخل كاتدرائية قديسة الملائكة «ماري»، مُحاطة بالعمارة الحديثة، مع رسومات جصّية جميلة على الجدران والقباب. لقد أحييت الكنيسة ذكرى الحياة المُذهلة لهذا الرجل الصغير الذي لمس حياة العديد من الناس. لقد فهم «فرانيسكو» دعوته هنا بوضوح، وأوجد بالهام إلهي الرهبنة «الفرانسيسكانية»، وهنا عاش ومات.

في ممر منزلنا المؤدّي إلى غرفة نوم أولادنا، صورة مُعلّقة بإطار جميل لصلاة القديس «فرانيس» التي سلّمت لي باليد من امرأة في أحد مُحاضراتي العامة. لقد صمّمت وصنّعت هذه اللوحة وأخبرتني وهي تُسلّمني إياها أنّ رسالة هذه الصلاة ستكون مُهمّة جداً من أجلي. قرأتها مرّة على الأقل مرة يومياً خلال العقد الماضي. وقد أصبحت منذ فترة طويلة مُلازمة تماماً للذاكرة:

ربّ، اجعلني أداة لسلامك.

حيث يكون الكره، اجعلني أنثر الحبّ.

حيث تكون الاصابة، أنثر الصفح.

حيث يكون الشكّ، أنثر الايمان.

حيث يكون اليأس، أنثر الأمل.

حيث يكون الظلام، أنثر النور.

حيث يكون الحزن، أنثر الفرح.

يا سيدي الإله، اسمح لي ألا أسعى كثيراً كي تُقدّم إليّ المواساة كما أواسي.

أن أكون مفهوماً، كما أفهم.
 أن أكون محبوباً، كما أحب.
 لأننا بالعتاء نستقبل.
 وبالتسامح يُصفح عنا.
 وبالموت نُولد إلى الحياة الأبدية.
 آمين.

كلّ مرة أُلقيها أو أقرؤها، أقول لنفسي، إنها ليست صلاة، بل تقنية. إنها عن كونك كيميائياً تُحوّل الكره إلى حبّ، الشكّ إلى ثقة، اليأس إلى أمل، والحزن إلى فرح. في الأشهر الأخيرة أصبحت هذه الصلاة حيوية حقيقة بالنسبة إليّ، لأنّ كلّ من المقاطع السبعة الأخيرة من الكتاب الذي أكمله الآن مُعنونة بالأسطر السبعة الأولى من هذه الصلاة. شعرتُ كأنّ القديس «فرانسيس» كان بجانبني يُشجّعني على أن أكتب بلغة عصرية ما كان يُعلّمه سابقاً في القرن الثاني عشر، والقرن الثالث عشر.

دخلنا أنا و«مارسي» إلى كنيسة «بورتونيكولا» وجلسنا على جانبي الممر، وكُنّا قادرين على أن نُمسك بأيدي بعضنا أثناء تأملنا. لقد شعر كلانا بشيء غريب جداً يحصل. هناك سحابة من الخزات طوقتنا. أستطيع التنفّس بصعوبة، فالشعور غامرٌ جداً. لقد حدث طفح في بشرتي وكأنّ الطاقة تعبر من خلال جسمي بأكمله. حالما غادرنا هذا المكان المُقدّس نظر كلانا إلى الآخر وكنا غير قادرين على الكلام، وكان كلانا يتحرّك على مستوى الروح.

في اليوم التالي زُرنا «سان داميانو» كي نرى المنزل حيث عاشت القديسة «كلير» وبشّرت على أنها «فرانسيسكانية» مُخلصة، تُؤدّي نذرها في العفة والفقر. صعدتُ الدرج المُلتفّ إلى الطابق الثالث، عندما أخبرني شاب يُدعى «جون غراي بل الثاني» أنه غير قادر على أن يتابع الصعود، لأنه كان لديه دعائم على ساقيه بسبب مرض ضمور العضلات. كان الدرج ضيقاً جداً، وكان لا يستطيع مدّ ساقه مسافة بعيدة كفاية إلى أحد الجانبين من أجل أن يقوم بالخطوة التالية إلى الأعلى. إنه عضو من مجموعة جولتنا وهو

يسألني ما الذي عليه فعله، فهو لا يستطيع الصعود ولا يستطيع التراجع.

أخبرته أن يضع ذراعيه حول رقبتي، وأني سأحمله على ظهري. نسيته ببساطة أنهم أخبروني أن ربع قرن من ممارسة الركض اليومي والتنس قد سبب التلف لركبتي على نحو كاف كي أكون قريباً مُرشحاً لتبديل الركبة. لم أفكر في ركبتي التي يحتك فيها العظم مع العظم، ولم أفكر أنني نسيته وضع الدعامة الصغيرة التي أستخدمها من أجل ركبتي.

أخذت ثلاث أو أربع خطوات إلى الأعلى مع «جون» على ظهري، مُمسكاً ذراعيه فوق أكتافي، وفجأة شعرتُ ركبتي تُصبح أضعف فأضعف. أنا على وشك الانهيار مع وزن «جون» ودعاماته على جسمي. شعرتُ بالذعر، فهناك صفّ طويل مُفرد من الناس خلفي. بدأتُ أنزل إلى الأسفل مع «جون» الذي أحمله، وفجأة رأيتُ خيال «فرانيسكو»، وهو ينظر إليّ مباشرةً دون أن يقول شيء. وضع كلتا يديه ورفعهما إلى الأعلى مُشيراً إليّ كي أقف. صَحَحْتُ نفسي، وفجأة تفجّرت داخلي طاقة عالية. بدأتُ المشي مع «جون» على ظهري، ثم انتقلتُ إلى الهرولة على درجات السُلّم الدائري. بدأتُ الركض مع طاقة لا تنقطع. شعرتُ بقوة في ركبتي لم أعهد لها سابقاً أبداً!

وصلتُ القمة، حيث كانت زوجتي ومُعظم الباقين من المجموعة السياحية ينتظرون كي نزور غرفة النوم الصغيرة للقديسة «كلير»، والتي صممتها مؤسسة أخوات «كلير» لرعاية الفقراء. كانت تعابير الدهشة على وجه «مارسي» واضحة وهي تسألني: «ماذا حدث؟». أخبرتها أنني اختبرتُ للتو مُعجزة عظيمة، فقد رأيتُ القديس «فرانيس» وهو الذي حرّكني إلى الأعلى.

قالت: «بيد أن كل شخص آخر كان لاهث الأنفاس عند صعود الدرج، وأنت تركض مع «جون» على ظهرك، مع أنك نسيته أن تضع داعم الركبة هذا الصباح!». أخبرتها أنني لا أستطيع شرح ذلك. أنا مُمتلئ بالطاقة على نحو كامل، وأشعر برجلي وكأنها شفيت. استأذنتُ من الناس حولي.

مشيتُ إلى حافة الشرفة في الطابق الثالث من هذا الصرح القديم، وضعتُ يديّ معاً، ونظرتُ خارجاً كي أرى إن كنتُ أستطيع النظر مرة أخرى إلى طيف القديس

«فرانسيس». قبل أسابيع قليلة فقط حُملتُ خارج ملعب التنس لأنّ ركبتى اليمنى تعطلت، وأخبروني أنني ربّما أحتاج إلى تبديل الركبة، وأنا الآن أشعر أنها أقوى من ذي قبل! بينما كنتُ أقرأ صلاة صامتة تعبيراً عن الإمتنان، التقطت امرأة تُدعى «باتريشيا إيجان» صورة لي وأنا أتكيء على الشُرْفة وأُقدّم الشكر إلى القديس «فرانسيس». أخذتُ بيد زوجتي ومشينا بلا تعب إلى أسفل الدرج اللولبي بعد تلاوة الصلاة في دار القديسة «كلير» المُتواضع هنا في «سان داميانو». مشينا طويلاً في الريف، وقد مشيتُ من غير أيّ ألم في ركبتى للمرة الأولى منذ سنين.

غمرتني السعادة، وشعرتُ بالتواضع كثيراً بعد هذه الزيارة الثانية إلى «آسيسي». كنتُ أقرأ وأتأمل صلاة القديس «فرانسيس» قرابة عقد من الزمن. وقد أتى الآن إلى حياتي وأظهر نفسه لي ثوانٍ قليلة فقط.

فيما بعد، جلستُ في غرفتي في الفندق، واضعاً اللمسات النهائية على كتاب *There is a spiritual solution to every problem* «هناك حل روحي لكلّ مشكلة». عرفتُ أنّ روح هذا الرجل من «آسيسي»، والذي عاش قبل حوالي ثمانمئة سنة مضت هنا في هذه القرية الجميلة في «إيطاليا»، توجّه وتقود حياتي بطريقة تتحدّى الوصف. أشعر أنني محبوب على نحو عميق، وأنتي مُبارك جداً كي أنال نصيباً من هذه التجربة العجائبية.

منذ أن قمتُ بالنفلة من أجل التركيز على تعليم الروحانية والوعي العالي، كان «فرانسيسكو دي بيترو بيرناردونه»، المُسمّى القديس «فرانسيس الآسيسي»، قوّة أساسية في حياتي. لقد امتلك هذا الرجل المُقدّس مكانة فريدة في قلبي بعض الوقت، أعتقد أنها بدأت عندما علّقتُ تلك اللوحة الهدية المطبوعة والمُؤطرة على نحو جميل من صلاة القديس «فرانسيس» على جدار بيتنا. مع مرور الأيام والسنين بعد تعليقها هنا، من المؤكّد أنني قرأتُ هذه الصلاة آلاف المرات. أنا أوّمن أنّ «فرانسيسكو» لعب نوعاً من الدور الإلهي في وضع تلك الصلاة ذات الإطار في يديّ سابقاً في بداية الثمانينيات.

لقد شاهدتُ كلّ فيلم صُنِع عن القديس «فرانسيس»، ولديّ مكتبة صغيرة من الكتب

المكتوبة عنه. قبل بضع سنين كنتُ في حالة مُتدهورة، فرأيتُ نفسي وكأنني في حياة سابقة كنتُ أعيش مثل «أو مع» القديس «فرنسيس». عندما خرجتُ من حالة التَنويم كانت لديّ رؤية واضحة حول كيف أعالج تلك الأزمة المُتطوّرة في حياتي، والتي حُلّتْ بأكملها خلال دقائق من عودتي إلى اللحظة الحاضرة.

وجدتُ هذا كلّ رائعاً جداً عندما عدتُ بذاكرتي إلى تأثير «فرانيسكو» في حياتي. لم أنشأ في بيئة كاثوليكية، ولكنني نوعاً ما جُذبتُ على نحو مُذهل إلى قصة حياة هذا الرجل وإخلاصه العميق لإيمانه، جنباً إلى جنب مع ارتباطه الروحي مع «المسيح»، والذي جلب له بصمة مُميزة في آخر سنوات حياته. كان هنالك شيء ما يضع ضغطاً هائلاً عليّ كي أذهب إلى «آيسبي» وأختبره مباشرة بنفسِي. لقد كانت لديّ معرفة داخلية أنّ هذا الرجل وقصة حياته مُرتبطة بطريقة أو أخرى باطنياً في داخلي.

لطالما كنتُ متأثراً بقدرة القديس «فرنسيس» على أن يتحدث بصورة وديّة وسلام وحبّ مع الحيوانات، وخاصة الطيور التي تجتمع بلا خوف أمامه. أحببتُ تعاطفه من أجل كلّ شخص، بمنّ فيهم أولئك الذين كان يخشاهم شخصياً، كالمُصابين بمرض الجذام الذين صادقهم. أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنّ «فرانيسكو» ترقى إلى ما قدمه «باتانجالي» في حكمه اليوغية قبل ألف سنة أو أكثر من ولادة هذا القديس. قال «باتانجالي» وهو يقصد ألا تنزلق أبداً: «عندما تكون مُخلصاً في منع أفكارك من الأذى المُتّجه نحو الآخرين، سوف تتوقّف كلّ المخلوقات الحية عن الشعور بالعداء في حضورك». بسبب نقاء «فرانيسكو»، كانت حتى الحيوانات المُفترسة تُصبح أليفة من خلال ثباته. لقد كان بوعي «المسيح» النقي، وكلّ شيء قرأته عنه جعلني أريد أن أكون مثله بعدة طرق إن استطعتُ استجماع شجاعتي.

عندما أنظر إلى الخلف إلى تلك اللحظة عندما شُفيت ركبتي في تلك القلعة في «سان داميانو»، أستطيع أن أرى بوضوح أكبر الآن كيف ولماذا حدث ذلك. في فترة طويلة من الزمن تركتُ الأنا عنديّ تجعل الأمر غير مُهمّ، مُخبراً نفسي أنّ هذا حدث لي لأنني كنتُ معلماً روحياً معروفاً أحبّ «فرانيسكو»، وهذا الشفاء كان بمثابة هدية لي.

أعرف على نحو أفضل الآن، أنّ المُعلّمين الروحيين يأتون إلينا بالدليل والمُساعدة،

ليس بسبب صلواتنا من أجل تدخلهم، أو بسبب شهرتنا، بل يأتون إلينا عندما يستطيعون تمييز أنفسهم فينا. لقد حدثت تلك اللحظة عندما وضعتُ الأنا عندي جانباً، مُقدماً المساعدة إلى رجل ضعيف عقوياً في الحقيقة، من غير أن أفكر في المشاكل التي يُمكن أن تنتج عن ذلك. تصرّفت بالطريقة التي قد يتصرّف بها أيّ مُعلّم روحي كالقديس «فرانسيس». لقد رأى نفسه كمخلوق من الحبّ غير المُشروط داخلي في تلك اللحظة، فتجلّى وظهر. لقد تمّ الصفح في حضوره عن الاصابة في ركبتني، كما تقول صلاته: «حيث تكون الاصابة، يكون الصفح». تعلّمتُ درساً كبيراً ذاك اليوم في «سان داميانو»، وهو أنّ المُعجزات تحدث عندما نعتقد ونتصرّف كما يفعل الإله. أنا الآن أرى بوضوح أنّ هذا يعني الخدمة من غير تردد، تجاهل مُتطلبات الأنا، وعدم طلب أيّ شيء بالمُقابل.

في السنة التالية كان الكتاب المنشور حديثاً «هناك حلّ روحي لكلّ مُشكلة» مُتوقّراً للعموم مع صورة «باتريشيا إيجان» على الغلاف، بعد تلك اللحظة الأعجوبية. مع التقدير المصحوب بالدموع لكلّ الحكمة التي تحتويها الحياة المُستتيرة روحياً، استمررتُ في الامساك بالكتاب الذي كتبته جزئياً في «آسيي»، استناداً على التعاليم المُستتيرة للرجل الذي نشأ هنا وأصبح قديساً فعلاً قبل موته عام 1226.

قررتُ أن أقوم بجولة واسعة النطاق من أجل ترويج الكتاب كي أشارك تعاليم «فرانسيسكو» وأساعد في رفع الوعي في عالمنا المُضطرب. طرْتُ عائداً إلى «سان دييغو» كي أبدأ جولة مُدتها ثمانِ أسابيع كان من المُخطط لها أن تبدأ في شهر أيلول. إن برنامج قناة PBS المُستند على تعاليم صلاة القديس «فرانسيس» الذي سجلته في «كونكورديا، ماساتشوستس»، سيُثبّت على الهواء في الوقت نفسه مع جولتي المحلية.

بعد يوم كامل من المُقابلات المُخططة لها في إعلانات «سان دييغو»، استيقظتُ على مُكالمة هاتفية من ابنتي «تريسي» أخبرتني فيها أن أشغل الرائي. لقد تمّت مُهاجمة بلادنا، وكانت أبنية مركز التجارة العالمي في «نيويورك» تحت النار وفي خطر الانهيار.

لقد كانت الساعة هي السادسة وربع صباحاً، وكانت النسخة من صحيفة «أمريكا اليوم» تاريخ الحادي عشر من أيلول، 2001، على السجادة في داخل غرفتي في الفندق.

وسط الفوضى الظاهرة على التلفاز، فتحتُ الصحيفة، وكان هنالك إعلان عن كتابي الذي نُشر للتو يُغطي ثمانين بالمئة من الصفحة. بالخط العريض كان عنوان رأس الصفحة «هناك حلٌ روحي لكل مشكلة». فكّرت في سخرية ظهور إعلان بحجم صفحة كاملة تقريباً في صحيفة محلية في هذا اليوم، عندما يبدو أننا في حاجة لأن نستكين في هذه المشكلة الكبرى التي تُؤثر عاطفياً ليس على بلادنا فقط وإنما على كوكبنا كله.

أنظر إلى الوراء وأرى أنّ الاعلان الذي ظهر ذاك اليوم أنّ هناك حلٌ روحي لكل مشكلة، لم يكن مُصادفة. ليست هنالك صُدف، ولا مُصادفات، غلبنا أن نعمل معاً كي نأتي بحلٍ روحي بشأن الحقد الذي يُنشأ أحداثاً شريرة مُفعمة بالدناءة. إنّ وحشية الإنسان تجاه الإنسان ستُحلُّ فقط عندما نقبل دعوة الحياة وتعاليم القديس «فرانسيس الأسيسي» ونعيش على أساسها. أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنّ تلك المشاعر المُتعذرة على التفسير من الارتباط بهذا الرجل كانت وما تزال تعابير عن مصدر إلهي يسعى لأن يكون معروفاً في عالمنا الآن.

أنا مُمتنّ مع كلّ شهيق وزفير تجاه ركبتَي المُتعاوية كلّ يوم عندما أمارس «البوغا»، أو أسبح في المحيط، أو أذهب في مسافات مشي طويلة. ابتسمتُ عندما عبر مظهر القديس «فرانسيسكو» على شاشتي الداخلية، وتخيّلته هنا يفتح يديه ويدعوني كي أنهض. أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ ما حدث لي على نحو فردي قد قدّم للعالم من خلالي.



• إنه صيف عام 2003. أنا في عمر الثانية والستين، وقد دخلتُ فترتي الأولى من الحزن العميق المُمتد. أنام فترات طويلة من الوقت، ولا أبدو أنني أستطيع تحفيز نفسي كي أقوم بالكثير من أي شيء، وقد خسرتُ على الأقل خمسة وعشرين باونداً. لا أشعر برغبة في الأكل، وعليّ أن أجبر نفسي كي أخرج وأكمل تدريب ركضي اليومي. كان الناس القريبون مني غالباً ما يسألون إذا كان لديّ نوع من المرض لا أريد التحدّث عنه. أنا أعلم أنني في حالة اكتئاب.

منذ سنتين مضتا عانيتُ من أزمة قلبية خفيفة. لقد أوضح التخطيط القلبي أنه لديّ انسداد بنسبة 99% في أحد الشرايين المُوصلة إلى القلب، وهو جزء من بنيتي الجسدية منذ الولادة. إنّ قلبي قوي، والضرر ضئيل. لقد أدخلت دعامة إلى الشريان المسدود، وعدتُ إلى تماريني الطبيعية ونمطية العمل بسرعة كبيرة.

أمتلك اليوم قلباً صحياً على حسب ما تُشير إليه الفحوص الطبية، ومع ذلك، أجد قلبي في الحقيقة مُحطماً كثيراً بطريقة أخرى. لقد انفصلنا أنا وزوجتي قبل سنتين تقريباً. إنها مُتورّطة في علاقة مع رجل تُحبّه كثيراً، وأنا على نحو أساسي في حالة صدمة.

لم أتخيّل مُطلقاً أنني في عمر الثانية والستين سأختبر الآثار النفسية للانفصال. لقد مررتُ خلال هذه الطريق سابقاً، وقد ظننتُ أنّ كلّ ذلك كان في الماضي من هذه المرحلة في حياتي. لقد كان لدينا أنا و«مارسيلين» سبع أولاد رائعين، وكنا كلانا نُحبّهم على نحو كبير. ما من خطأ يُمكن تحديده هنا. أنا أتحمل مسؤولية كاملة عن دوري في

انفصال هذا الزواج. إن الأمر فقط أنني لا أستطيع أن أحمل نفسي خارج هذا الذعر. ألح عليّ أصدقائي الأطباء أن أتناول مُضادات اكتئاب. عندما كتب لي طبيب عائلتي وصفة أحد هذه الأدوية، مزقتها إلى أجزاء بعد قراءة الأعراض الجانبية المُحتملة لهذا النوع من العلاج الدوائي.

لقد اهتمّ العديد من أطفالي بشأن صحتي وحاولوا المُساعدة من خلال مُحادثاتهم معي. اقترحوا دائماً بحُب: «تبدو مُكتئباً جداً، رُبما عليك مُحاولَة الكتابة كي تجلب لنفسك بعض السلام في التفكير». أنا مُمتنّ بعمق تجاه اهتمامهم، وفي الوقت ذاته نقوم أنا و«مارسي» بكلّ شيء نستطيع فعله كي نُبقي الأولاد خارج قلق الانفصال هذا الذي يشعر به كلانا.

بعد سنة مضت أو أكثر، مررتُ عبر بضعة كلمات، بينما كنتُ أقرأ كتاب «كارلوس كاستانيدا» المُعنون The power of silence «قوة الصمت» ضربت على وتر حسّاس في أعماقي. كانت لديّ هذه الجملة منسوخة ومُغلّفة في بطاقة كي أستطيع حملها معي. في اللحظة التي قرأتُ فيها هذه الكلمات، عرفتُ الاتجاه الذي ستأخذه كتابتي، مع ذلك معني هذا الطلاق وشبه الانهيار لعائلتنا من التفكير حتّى في الشروع في مشروع ضخم مثل التخطيط وكتابة كتاب بأكمله.

أزلتُ اليوم البطاقة المُغلّفة من جيب قميصي وقرأتُ كلمات «كاستانيدا» بلطف لنفسي: «هناك قوّة في الكون لا يُمكن وصفها ولا قياسها، يدعوها السّحرة النية، وقطعاً كلّ شيء موجود في الكون بأكمله مُرتبط بالنية من خلال رابط اتصال». أنا مفتون بفكرة النية هذه التي ليست شيئاً مُعينا نقوم به، ولكنها بدلاً عن ذلك طاقة نحن مُتصلون بها.

أرجعتُ البطاقة إلى جيبِي الأمامي، مُستشعراً تأثير هذه الكلمات. جميعنا مُرتبطون إلى حقل غير مرئي يفوق الوصف يُدعى النية، وكلّ ما عليّ فعله كي أشفي نفسي هو تنظيف نفسي من اللامبالاة التي أشعر بها، وسيعود رابطي مع هذا المصدر العظيم المُسمّى النية مرة أخرى على نحو كامل.

بدأتُ أرى أنني كنتُ مُنغمساً في أناي، وأنني امتلأتُ بحزن عميق لأنني تراجعْتُ إلى مرحلة عادية من الوعي. خسرتُ على نحو مُؤقت رابطي مع الإله، ومع المجال الذي

يدعوه «كاستانيدا» النية. لديّ ادراك مُفاجئ. سأخذ بنصيحة أطفالي وأبدأ أكثر شيء أحببته وهو الكتابة. سأنظف رابطتي الخاص مع النية، وسأكتب كتاباً يُساعد الملايين من الناس على أن يقوموا بالعمل نفسه.

كانت لديّ فكرة عن النية وكأنها شيء ما أقوم به، وسلوك من الإصرار وإرادة لا تُقهر. ولكنني فجأة ميّزت أنه تعريف الأنا، التي تحتاج إلى أخذ رصيد من أجل إجراء تغييرات كبيرة في حياة الشخص. أنا أفكر الآن في النية كمجال أنا على صلة دائمة به ولو على شكل صلة مُتآكلة. اتصلتُ بـ «رايد تريسي» في دار نشر «هاي هاوس» وأخبرته أنني سأؤلف كتاباً عن قوّة النية، مُستنداً على الأفكار التي على البطاقة المُغلّفة التي كنتُ أحملها معي دائماً.

أمضيتُ الجزء الأكبر من السنة التالية أكتب كلّ يوم، ومع الوقت خرجتُ من الحزن الذي طوّقني في السنتين الماضيتين. وجدتُ أنّ حالة اكتئابي بسبب حالتي الزوجية الجديدة «منفصل» غيّرت تركيبة كتابتي. لديّ تعاطف أكبر مع نفسي التي تقوم بنشاط يجعلني أشعر أنني ذو هدف، وهو الكتابة. هذا التعاطف انعكس فيما كتبتُ، إذ بدأتُ كتابتي تتدفق بطريقة جديدة كلياً بالنسبة إليّ.

لديّ إطار صورة صغير على مكتبي أنظر إليه كلّ يوم بينما أبدأ الكتابة. يقول:

صباح الخير،

هذا الإله.

سأقوم بمعالجة كلّ مشاكلك اليوم.

لن أحتاج مُساعدتك، لذلك اقضِ يوماً رائعاً.

أشعر أنّ وجود الإله «حقّ النية، إن شئت» هو مَنْ يقوم بالكتابة هنا. أدركتُ أنّ ألم انفصالي عن زوجتي جعلني بالفعل كاتباً مُتعاطفاً وأكثر حناناً. لاحظتُ أنّ مُحاضراتي العامة أصبحت أكثر ليونة، وأنها مُرتبطة باللفظ والحبّ أكثر من كونها بارعة، ورُبّما حتّى قاسية على القلب. إنّ قلبي المُحطّم يتعافى، وعلاقتي بـ «مارسي» وحبّها الجديد تحسّنت على نحو كبير.

حتى الربيع التالي، مرّت ثلاث سنين منذ صدمة الانفصال، وقد أصبح كتابي الأحداث The Power of Intention «قوة النية»، على وشك الانطلاق. اتصلت بـ «نيكي فيتل»، كي تكون المُنتجة المُنفذة لبرنامجي الجديد على PBS كي يُصوّر في جامعة «إميرسون» في «بوسطن».

عندما حملتُ كتاب «قوة النية» في يدي، كان لديّ وعي مُتناقض بأنّ حزني الداخلي العميق هو الذي سمح لي أن أكتب من مكان جديد من التعاطف والرحمة. اعتبر أنني حقيقة كنتُ أحتاج أن أذهب إلى النقطة الأدنى في حياتي من أجل أن أتقدّم إلى المرحلة التالية من مُهمتي الإلهية الخاصة. لا تُوجد مُصادفات هنا، أدركتُ ذلك. احتجّت إلى هذه الصدمة من أجل أن أفهم وأكتب هذا الكتاب الروحي للغاية حول تعليم كيف تُشارك في خلق حياة الإنسان الخاصة.

النية ليست شيئاً قمتُ به أنا، حتى في تأليف هذا الكتاب. إنّه جهد مُشترك مع مصدر خلق كلّ شيء، والذي يدعوه السّحرة الكبار النية. عرفتُ أنّ النية ليست شيئاً أقوم به بسبب العزم الصّارم على تحقيق شيء، بل إنها ما يحدث عندما أنظّف العناصر الثالفة من رابط الاتصال مع حقل النية، وهنا تبدأ النية بالتأثير والمُشاركة. علمتُ وأنا أحمل هذا الكتاب بين يديّ أنّ الإله يكتب كلّ الكتب، ويُنِي كلّ الجسور، ويُلقِي كلّ الخطابات. بإمكانني أن أصبح رابطاً خالياً من التآكل والتلف يصل إلى مصدر خلق كلّ شيء، ويتّصل مع الحقل الذي أعدّت منه كلّ الأشياء.

في الوقت الذي انفصلنا فيه أنا وزوجتي، بعد عشرين سنة من العيش معاً، وضمن عملية تربية وتنشئة سبعة أطفال معاً، اعتقدتُ أنّ عالمي قد وصل إلى النهاية. على الرغم من كلّ تدريبي وتجارب حياتي، وكتبي العديدة عن تقوية الذات، فقد تركني التأثير العاطفي لانفصالنا أُنحِ القوة والسلطة لأيّ شيء. مع ذلك عندما أنظر إلى أهمية هذا الحدث من بعيد، أستطيع أن أرى بوضوح أنّ هذه الواقعة المؤلمة رفعتني إلى الأعلى كي أصبح شخصاً رحيماً وواعياً على المستوى الروحي. فعلياً كلّ التطورات الروحية التي نقوم بها في حياتنا تُسبق بنوع من السقوط. ذاك السقوط من العيش في وسط الكآبة والحزن أجبرني على اكتشاف طريقة كي أخرج وأصل إلى الأعلى.

عندما أنظر إلى الوراء إلى انفصالنا، والذي استمر إلى اليوم، على الرغم من أننا لم نصل أبداً إلى دعوى الطلاق النهائي، اعتبره هدية أُعبرَ عن امتناني تجاهها كل يوم. أنا و«مارسي» أقرب الآن مما كنا عليه في السابق. جميع أطفالنا يشعرون الحب الذي يشعر به كلانا نحو كل واحد منهم. نحن مُضي وقتاً معاً كعائلة على نحو مُتكرر، وليس هنالك سوى الاحترام والحب بيننا.

الكتاب الذي كتبته بينما كنتُ أشعر بإكتئاب شديد من انفصالنا كان إلى حد بعيد الكتاب الأكثر قبولاً منذ أن كتبتُ «مناطقك الخاطئة» قبل ثمان وعشرين سنة مضت. لقد استلمتُ رسائل الكترونية، أخبرني فيها الكثير من الناس كيف أثر بهم كتاب قوّة النية وغير حياتهم إلى الأفضل، أكثر مما حصلتُ عليه في الواحد والأربعين كتاباً التي ألّفْتُها منذ عام 1971. قال الناس لي: «هناك شيء في الطريقة التي وصفتَ بها النية خاطبني فعلاً، وغيرَ حياتي حقيقة».

كتبْتُ هذا الكتاب من مكان التواضع الفطري، ممّا جعل الرحمة فعلياً تتسرب إلى كل صفحة. لقد أجبرني سقوطي الخاص على الصعود إلى الأعلى، والكتابة من مكان أقرب بكثير إلى إدراك الإله، ومن مكان حيث بإمكانني الحصول على تعاطف عبقرى مع كل شخص يُريد أن يُنظف رابط اتصاله مع مصدر الخلق الإلهي من التآكل الذي يجعله يعيش في مستويات عادية من الوعي.

إنّ البرنامج التلفزيوني الذي سجلته كدعاية خاصة لكتاب «قوّة النية» كان البرنامج الأنجح الذي قمتُ به حتى الآن، في زيادة أموال التبرعات في صالح قناة PBS. لقد تردد صدّى الأفكار في المُحاضرة المأخوذة من كتابي، عند الجماهير عبر البلاد. عُرض البرنامج على الهواء مئات المرات، وعلى نحو مُتكرر في الوقت الرئيس. من الواضح أنّ الخراب والاكتئاب الذي مررتُ به عندما كتبتُ قد أثر في ملايين الناس بطريقة إيجابية. لو لم تكن لديّ فرصة المرور عبر هذا الحزن، والكتابة عن طريقي في الخروج منه، لما كان هذا الكتاب رأى النور.

بدأتُ أفهم أنني يجب دائماً أن أكافح كي أبقى في حال امتنان، وليس تجاه الأشياء اللطيفة التي ظهرت ببساطة فقط، وإنما أيضاً تجاه الأشياء التي تبدو مُدمرة جداً. إنه درس

صعب، ولكنه درس أطبقه باستمرار الآن منذ أن رأيت التطورات الروحية الكبيرة التي كنت قادراً على صنعها على الرغم مما فكرت فيه في وقت ما على أنه نهاية سعادتي.

في اليوم الذي قررت فيه أنني سأقوم بتأليف كتاب مُستند إلى مقولة صغيرة من تعاليم «كارلوس كاستانيدا»، والتي كنت أحملها معي في جيبي مُدّة أكثر من سنة، تلقيت رسالة من مُعلّمي الروحي «شري غوروجي». لقد سمع هذا الرجل الذي كان مسؤولاً عن تعليمي تأمل «جبابا» قبل عقد مضى، عن انفصالي وكآبتي اللاحقة، وأرسل لي رسالة من جملة واحدة، بقيت مُعلّقة على جدار مساحتي للكتابة المُقدّسة إلى هذا اليوم. تقول العبارة: «عزيزي «واين»: إنّ الشمس تُشرق خلف الغيوم».

كانت تلك الشعلة هي التي جعلتني أتوقّف عن الانشغال في جزء الشفقة الخاصة بي، وأتابع رسالتي الروحية الخاصة. تُمثل الغيوم كلّ ما يُسمّى المشاكل أو جزء منها والتي هي متعددة الوجود في كلّ حياتنا. إنّ الشمس خلف الغيوم هي الإله أو حقل النية، أو العقل الإلهي. كلّ ما احتجّت أن أقوم به هو أن أبعد تلك الغيوم، حيث تُشرق الشمس بلمعان، أستطيع الآن أن أرى بوضوح مصدر وجودي، بينما ما زالت كلمات صديقتي الراحلة «إليزابيث كابلر روس» ترنّ بالحقيقة لي عندما أكتب اليوم: «عندما تحمي صخور الأخاديد من العواصف، فلن ترى جمال المنحوتات».

إنّ أكثر الأوقات حزناً وصعوبة في حياتي على نحو أساسي سمح لي أن أكتب كتاباً قوياً وأن أنتج برنامجاً مذهلاً كان الأكثر تأثيراً في قناة PBS، وقد أثر كلاهما في حياة الملايين من الناس. كانت تلك العاصفة في حياتي مسؤولة عن الكثير من التطورات الروحية المُنتقة، وقادت حياتي في اتجاه جديد على الكثير من الجبهات التي تُوسّع الطريق خلف شخصيتي العامة.

كلّما نظرتُ إلى الخلف، أشعر بحال عميقة من الامتنان تجاه كلّ العواصف في حياتي، وخاصة تجاه ذاك الإعصار من الفئة الخامسة الذي ظهر كي يُيقيني على مسار تعليم وعيش الحبّ الإلهي والوعي الأعلى.



• لقد أنهيتُ للتو مُحاضرة في مدينة «نيويورك» أمام بضعة آلاف من الناس في مؤتمر معهد «أوميجا» في الثالث من نيسان عام 2005. وقفتُ خارج قاعة الفندق مُحاطاً بأناس يبحثون عن التقاط الصور والتوقيع الشخصي. بينما أنظر، وقعتُ عيناى على امرأة افريقية خلف دائرة الناس حولي. أخذتُ مباشرة بحقيقة أنها بدت تُشع بطاقة روحية عالية، إنها ملاك تقريباً.

بينما بدأ ازدحام الناس يتقلص، اقتربتُ من هذه المرأة وسألتها: «من أين أنتِ؟». أجابت بلكنة إنكليزية مُكسرة جداً: «أنا من رواندا».

في الليلة التي قبلها في غرفة فندقي كنت قد شاهدت فيلم «فندق رواندا». سألتها إن كانت على دراية بما حدث في ذلك الشعب الإفريقي عام 1994. أجابت صديقتها التي ساعدتها في الترجمة: «نعم، د.» «داير». لقد كانت هناك، وكانت محبوسة في حمام مُدة تسعين يوماً مع سبعة أخريات من النساء، وتُعتبر قصة كيف نجت من الإبادة هي إحدى أكثر القصص إلهاماً في الشجاعة والثقة والتي يُمكن للشخص أن يسمع عنها في حياته».

طلبتُ من المرأة الرواندية أن تكتب اسمها وعناوين بريدها الإلكتروني مع ابنتي «سكاي»، التي كانت تقف جانبي. أريد أن أعرف المزيد عن هذه الإنسانية المُدهشة التي جذبتني طاقتها المُشعة الإلهية تقريباً من أول لحظة وضعتُ عيني عليها. مرَّ أسبوع وطلبتُ من «سكاي» أن تُرسل لها رسالة إلكترونية تطلب منها الاتصال بي في «ماوي»،

حيث كنتُ أضع اللمسات النهائية على كتاب جديد بعنوان Inspiration «الإلهام». ما زلتُ لا أعرف اسم هذه المرأة المُلفتة للنظر، ولكن شيئاً ما داخلي سيطر واستبدل كلَّ المنطق. لديّ معرفة فورية أننا سنذهب إلى العمل معاً في المُهمّة نفسها. أشعر بحاجة قوية لأن أستدعي «رايد ترايسي» وأخبره: «لقد التقيتُ للتوّ بامرأة رائعة لديها قصة مذهلة يجب أن تُقال. أريدك أن تنشرها في كتاب لم يُكتب بعد، وسوف أستضيفها في برنامجي القادم على قناة PBS كي أقدمها إلى العالم». أخبرني «رايد» أنه سيكون سعيداً بأن ينشر قصتها وسيجد شخصاً ما كي يعمل معها حيث أن الإنكليزية هي لغتها الثالثة.

استملتُ مؤخراً بريداً من «سكاي» تُخبرني فيه أنها قد وجدت السيدة من «رواندا». التقطتُ السّماع، وتحدّثنا أنا و«إماكيولاي يولي بيغيزا» في مُدّة بضع ساعات التالية. لقد سردت لي قصة النجاة الأغرب التي سمعتها في حياتي.

من المُقدّر أنّ أكثر من مليون رجل، وامرأة، وطفل قد ذُبّحوا بالخناجر في هذه البلدة الصغيرة التي هي بحجم ولاية «ميريلاند». عاشت قبائل «هوتو» و«توتسي» جنباً إلى جنب في البلدة التي كانت آمنة ذات يوم، بيد أن المعركة اندلعت عندما قُتل رئيس «رواندا» فأعلنت قبيلة «هوتو» أنها ستضع «حلاً نهائياً» لقبيلة «توتسي».

اختبأت «إماكيولاي» في حمام ضيق مع سبع نساء أخريات مُدّة تسعين يوماً متتالياً. أثناء ذاك الكابوس المظلم من القتل بلا هوادة، نزل وزنها حتى خمس وستين باونداً، وقد ذُبّح كلٌّ من والديها واثنين من إخوتها جميعهم بلا رحمة. مع ذلك نجحت في أن تبقى على قيد الحياة.

منذ اللحظة الأولى التي التقينا فيها، عرفتُ بوميض البصيرة المُطلق أنني كنتُ في حضور امرأة مُقدّسة على نحو فريد. لقد أعطتني مُحادثاتنا الطويلة منظوراً جديداً بأكمله عن قوّة الثقة، وعرفتُ أنه لدى «إماكيولاي» رسالة إلى كلِّ البشرية. يجب أن تروى قصتها، وقد دفعني شيء عميق داخلي إلى جعل هذا يحدث. طلبتُ منها أن تُسمّي الكتاب Left to Tell «غادرت كي تروي»، وأخبرتها أنني سأعتبر شرفاً لي أن أكتب مُقدمة كتابها عندما يكتمل.

التزمتُ بفعل كل شيء بإمكانني القيام به من أجل جلب قصة هذه المرأة البطولية إلى العالم. اتصلتُ بـ «نيكي فيتل» وأعلمتها أنني أريد أن أقدم «إماكيولاي» إلى الشعب الأمريكي في برنامجي عن الإلهام على قناة PBS، والذي سُسجِّل في تشرين الثاني في «سان فرانسيسكو». سألتُ «إماكيولاي» أن تُبقي جدول أعمالها واضحاً في السنتين أو الثلاث سنوات القادمة لأنني أردتها أن تتحدث في كل مُحاضرة من مُحاضراتي العامة.

كلما سمعتُ تفاصيل أكثر عن محنة «إماكيولاي» في مجزرة «رواندا» عام 1994، ازداد تصديقي أنني أتحدث إلى إنسانة حققت مرحلة غير عادية من التنوير والوعي الأعلى. عندما كانت تتحدث على طاولة العشاء، كان جميع الحاضرين تقريباً ينجذبون مغناطيسياً إليها. هنالك شيء ما أكثر من الجاذبية يعمل هنا. لا تتحدث «إماكيولاي» فقط عن الحب غير المشروط، بل تبثه إلى كل شخص، حتى تجاه قبيلة «هوتو» الذين كانوا مسؤولين عن الجرائم المروعة بحق عائلتها بأكملها في «رواندا». إنها تعيش في مرحلة سامية من الوعي الروحي، وأنا سعيد بأن أكون قادراً على أن أقوم بكل ما أستطيعه كي أقدم هذه المرأة غير العادية وقصتها إلى العالم.

إنه الأول من شهر تشرين الأول، وسأقوم بتسجيل برنامج جديد لقناة PBS مدته أربعين يوماً بدءاً من الآن. تعمل «إماكيولاي» يومياً على كتابها، وهي متوترة جداً بشأن التحدث على التلفاز للمرة الأولى بسبب اعتبارات تتعلق بمقدرتها اللغوية.

لقد انغمستُ في التحديات التي لا تُصدق التي قاستها هذه المرأة في تصميمها على البقاء، عندما نجحت حفنة صغيرة فقط من قبيلة «توتسي» من حمام الدم الذي دام مئة يوم، وخلف الكثير من الجثث المُتناثرة في تلك البلدة الريفية سابقاً في وسط «إفريقيا».

تُعتبر «إماكيولاي» من الكاثوليكيات الورعات، فبينما كانت على بعد إنشأت فقط من تقطيعها حتى الموت، استعملت ثقتها بـ «المسيح» كي تبقى على قيد الحياة: في الحقيقة، إنها تقول إنها اكتشفت الإله حقيقة في خضم إثبات وحشية الإنسان البغيضة تجاه الإنسان.

أشعر أنني مُلهم كي أتغلب على نفسي ببساطة، كي أحصل ولو على تفهم صغير

لصعوبة الصراع الذي اختبرته «إماكيولاي». إنّ «المسيح»، الذي أحبه كلانا أنا و«إماكيولاي» حُباً غير مشروط، أمضى أربعين يوماً في الصحراء في بداية تعاليمه الدينية إلى العموم. كانت تلك فترة الاختبار والتحضير بالنسبة إليه. اليوم، سأخذ حصتي الأولى من صف «بيكرام يوغا» وهي تسعون دقيقة من تدريب «اليوغا» المُكثفة في غرفة بحرارة الصحراء حوالي أربعين درجة مئوية. إنها تتلاشى في الأهمية أمام ما اختبره «المسيح» و«إماكيولاي»، ولكنني في عمر الخامسة والستين، أختار أن أختبر وأحضّر نفسي كذلك. أنا مُلتزم باجراء أربعين يوماً على التوالي من هذه التقنية. إنّ كلمة «يوغا» تعني «الاتحاد»، والذي هو الاتحاد مع الإله، مصدر وجودنا المُبدع. أمّا كلمة إلهام فتعني «روح الداخل». إنّ الطريق هي تجربة الاتحاد مع مصدرنا الروحي والبقاء كروح في الداخل. بدا كل الأمر منطقياً تماماً بالنسبة إلي.

عندما اصطحبتُ «إماكيولاي» إلى صف «بيكرام يوغا»، أخبرني على سبيل المزاح أنّ صفّ «اليوغا» كان أصعب من العيش في حمام صغير مع سبع نساء أخريات. مع ذلك في العاشر من تشرين الأول أتممتُ أربعين درساً من دروس «اليوغا» الحارة المُتتابة، وأنا الآن مُمارس «يوغا» مُلتزم. سأمارس هذه العادة الروحية القديمة بقية حياتي. لقد جعلتني دروس الأربعين يوماً المُتتالية أشعر وكأنّه بإمكانني إنجاز أي شيء.

في أثناء برنامجي التلفزيوني المُستمرّ مُدة ثلاث ساعات على محطة PBS، اصطحبتُ معي «إماكيولاي» إلى المنصة. على الرغم من أنّ لغتها تُشكّل حاجزاً نوعاً ما، ولكنها أبهرت الجمهور على نحو كامل وتلقّت تصفيقاً مع وقفة احترام. كلّ شخص رآها كانت لديه ردة الفعل نفسها التي كانت لديّ من اللحظة الأولى التي التفت عيناها بعينيها فقط قبل سبعة أشهر مضت. أنا فخورٌ جداً بأن أمتلك مشاركتها على المنصة وإلقاء الأضواء عليها معي. بإمكانني الكتابة عن الإلهام كلّ اليوم، بيد أنّ هذه المرأة من خلال حُبها غير المشروط ومُسامحتها هي مثال حيّ يتنفّس عما يعنيه العيش في الروح.

سريعاً وصولاً إلى يوم الاثنين، السادس من آذار، 2006. أصبح الإعلان الجديد لقناة PBS هو Inspiration your ultimake calling «الإلهام : نداؤك المُطلق»، وقد عُرض في الوقت الرئيس افتراضياً في كلّ مدينة في «أمريكا» تمتلك محطات

تلفزيونية عمومية. من المخطط أن يُبث البرنامج على الهواء عدة آلاف من المرات في هذا الشهر وحده. إنَّ «إماكيولاي» هي نجاح كبير في أنحاء البلاد، ولم تترك قصتها عن الإيمان والبقاء أحداً دون أن تؤثر به.

كنتُ على الهاتف معها بينما كانت تُحدِّق في شاشة حاسوبها كي ترى أنَّ أكثر كتابين مبيعاً في البلاد هما «الإلهام» و«غادرت كي تُخبر». في الأسبوع التالي، أصبحت «إماكيولاي إيلاباغيزا» هي المؤلفة الأفضل مبيعاً في «نيويورك تايمز». أنا أكثر من مُبهج. لقد تشرفتُ بأن تظهر هذه المخلوقة المُقدَّسة في حياتي، وتُعلِّمني القوَّة المُبهمة للإيمان والحبِّ الإلهي في الإنسان.

سافرتُ «إماكيولاي» معي إلى كلِّ اجتماع تحدَّثت فيه مُدَّة سنتين ونصف، وحيثما ذهبنا كان الجمهور يقع في حبها. عندما أعود بذاكرتي إلى التأثير الذي كان لها عليّ، أرى مُباشرة صور كلِّ من الأم «تيريزا» و«فيكتور فرانكل». لقد كان لديها التأثير نفسه على الجمهور الذي كان لدى الأم «تيريزا»، فقد كانت الغرفة تُصبح أكثر لطفاً عندما تحدَّث «إماكيولاي». لقد امتلكت نوعية القدرة نفسها على أن تجعل كلَّ شخص في سلام أكثر، وكأنها تُشعُّ إلى الخارج بنوع من الغشاوة الملائكية التي تُحيط بكلِّ شخص يتواصل معها.

كان «فيكتور فرانكل» أيضاً ناج من المحرقة، وكان إصراره على النجاة من مُعسكرات الإبادة النازية مدعوماً برغبته الملحة في أن يُخبر قصته إلى العالم. لقد كان أيضاً من المُشرف للدكتور «فرانكل» أنني طلبتُ من «إماكيولاي» أن يكون عنوان كتابها هو «غادرت كي تُخبر». إنَّ حقيقة كون امرأة من قبيلة «توتسي» قادرة على النجاة من تلك الأيام المئة من ثورة المنجل ضدَّ كلِّ فرد من قبيلتها كان مُعجزة في حدِّ ذاته. لقد شعرتُ حقيقة أنه كان من واجبي أن تُخبر كلَّ تفصيل من محتنها المُروِّعة.

إنَّ وجود «إماكيولاي» في حياتي في ذلك الوقت كان أيضاً من تلك الأحداث المُرتبة من قِبَل قوَّة إلهية. كان هنالك رابط روحي لا يُمكن تعريفه تواجد بيننا من اللحظة الأولى التي التقت فيها أعيننا. كان التدخل الإلهي يعمل، ولذلك «حدث» أن تكون «إماكيولاي» في ذاك الفندق في ذاك اليوم، وكانت فضولية كفاية كي تبقى وتراقب

توقيع الكتاب من قبل مؤلف لم تسمع عنه من قبل. لم يسبق لي من قبل أو منذ ذلك الحين أن كنت مُتملكاً جداً بهذه الطريقة التي جعلتني أتصرف وفقاً لشعوري الداخلي. يجب أن أعرفها. يجب أن أساعدها كي تصبح معروفة لل عموم. يجب أن أضعها في برنامجي التلفزيوني. يجب أن أدعها تُسافر معي، كي يستطيع العالم أن يرى مُعجزة حقيقية في هذه القديسة كما أرى.

ما أستطيع رؤيته بوضوح الآن هو أن «إماكيولاي» كانت مُوجهة إلى حياتي كي تجعلني أرى، على نحو شخصي وعلى نحو أقرب، مثلاً حياً يتنفس عمّا بإمكاننا جميعاً إنجازه عندما نذهب إلى الداخل ونستسلم إلى القوة الإلهية. لقد أصبحت واحداً مع الإله أثناء حبسها في ذلك الحمام. لقد عرفتُ أن الإله كان معها، عندما شاهدت بالفعل إشارة من الضوء منعتها ورفيقاتها من موت مُحتم، وبدأت ملائكة الحب والرحمة تخرج من اللامكان كلما كثفت تواصلها مع الإله. أثناء الاختباء في الحمام، كانت «إماكيولاي» تعي ثورة القتل التي تجري في بلدها ضد مثلائها من قبيلة «توتسي»، لأنه كان بإمكانها سماع البث الإذاعي خارج نافذه حمامها. مع ذلك، وفي خضم هذا الانتهاك الشنيع، كانت قادرة على أن تُسامح جلاديهما وحتى أن تُرسل لهن الحب.

لقد جلبت «إماكيولاي» شعوراً جديداً كاملاً من إمكانيات المُعجزات التي تحدث عندما يكون الشخص على محاذاة مئة بالمئة مع مصدر وجوده أو وجودها. لقد أتت رغبتني المُلحة تقريباً في أن أجدها من مصدر إلهي، وكذلك رغبتني في أن أساعدها كي تنشر قصتها، وأكتب مُقدمة كتابها، وأستضيفها في إعلان قناة PBS، وأصطحبها معي أكثر من سنتين خلال اجتماعات التحدث، كلّها أتت من مصدر إلهي. لقد كانت أيضاً مسؤولة كلياً عن تحفيزي كي أحترف مُمارسة «اليوغا»، التي كنتُ في حاجة ماسة إليها، والتي لا أزال أقوم بها بانتظام كجزء أساسي من مُمارستي الروحية الخاصة.

إن رواية «غادرت كي تروي» هو أحد أفضل الكتب مبيعاً التي نشرتها دار «هاي هاوس» حتى الآن، بينما استمرت رسالة «إماكيولاي من الأمل، الحب غير المشروط، التسامح، والإيمان النقي، كي تؤثر في ملايين الناس حول العالم.

علّقت على جداري هذه الملاحظة المختصرة:

«واين» العزيز:

أنت أكثر الناس جمالاً في العالم بأسره! أُحبّك من كلّ قلبي. أستطيع فقط أن أُصلي من أجل أن يردّ لك الإله ما أعطيت من فرح وبركات آلاف الأضعاف. لو عرفت فقط مدى البركة التي أشعر بها لأنني عرفتك. كان عليّ أن أكتب هذا لأنني لم أكن جادةً كفاية في التعبير عن مشاعري».

أقدّر هذه الملاحظة، وكلّ ما أستطيع قوله هو أنه بإمكانني كتابتها بنفسني وتوجيهها إلى تلك الروح الجميلة التي «غادرت كي تُخبر قصتها»، أعيد هذه الكلمات إلى «إماكيولا».



• إنه الحادي عشر من أيار، 2005، في اليوم التالي من عيد ميلادي الخامس والستين. إنه العمر التقليدي الذي يُفترض أن أتقاعد فيه، وأمضي بقية أيامي في جوّ مثالي مُستمعاً إلى الطيور مُتفكراً في نفسي. من المُفترض أنّ عملي الآن قد اكتمل. لا أستطيع حتى التفكر في مبدأ التقاعد! أتقاعد إلى ماذا؟ أتقاعد من ماذا؟.

أشعر بدفعة داخلية قوية كي أقوم بتغيير هامّ في حياتي، وهو أمر لم أشعر به من قبل. عندما أنظر حولي إلى جبل الأشياء التي كدستها، أشعر بغرابة أنّ كلّ تلك الأشياء حقاً تعود إليّ. إنه شعور فارغ، وأشعر أنني مُحاصرٌ به. إن اخترت التحرك، كيف بإمكانني أخذ كلّ هذه الأشياء من هنا إلى حيث أريد الذهاب؟ جلستُ على كرسي الجلد الأزرق حيث أمضيتُ ساعات لا حصر لها أتأمل في السنوات العديدة الماضية، وطلبتُ التوجيه والهداية.

لدي نداء كي أقوم بأمر كبير جداً، شيء ما يتحداني أكثر من أيّ تحدٍ سابق. أفكر باستمرار في «إماكيولاي» التي عزت نجاتها إلى إيمانها، واتصالها الواعي مع الإله، وكيف تحمّلت المُعاناة الجسدية والعاطفية أكثر ممّا يستطيع أيّ شخص تخيّلُه. أعرف أنني لم أنادى كي أعاني كما كان قدر «إماكيولاي»، بيد أنني أشعر بإحساس لا يُمكن كبتُه أنّه الوقت المناسب كي أقوم بتغيير ضخم في حياتي.

لقد بقيتُ في السنوات الأربع الماضية في «فلوريدا» وخارجها، ولا أزال مُنفصلاً عن زوجتي. أنا لستُ سعيداً أو بصحة جيدة كي أبقى قريباً جداً، وأعلم أنه الوقت

المناسب كي أبدأ الكتابة مُجدداً. بينما أجلس على كرسي الأزرق مُتأملًا، لاحظت شكلاً مألوفاً يتحرّك على نحو مُتكرر عبر شاشتي الداخلية التي تُثير أفكاراً عن إعادة قراءتي لتعاليم «تاو تي تشينغ»، وهي واحد وثمانون بيت شعر قصير، تُقدّم يقظة روحية إلى أولئك الذين درسوا وعاشوا حسب تعاليمها.

قُدّم لي النص الروحي الذي يبلغ من القدم ألفين وخمسمئة سنة عن طريق صديقي «سنوارت وايلد» منذ أكثر من عقد مضى. بيد أن «التاو» ظهر على بساط البحث عندي بعد ذلك بوقت طويل وكنت أدرك ذلك. أكملتُ للتو قراءة كتاب A Million Little Pieces «مليون قطعة صغيرة» للمؤلف «جيمس فراي»، والذي يحتوي على «التاو تي تشينغ» على نحو أساسي. بينما قمتُ في «لاس فيغاس» في محفل تحدّث بالانضمام إلى أصدقاء في مطعم «التاو»، حيث كان الديكور بأكمله، بما في ذلك قائمة الطعام، ضمن نمط «التاو»، تذكّرتُ أيضاً عندما أخبرني «ستيورات» عن مدى الحكمة المُتضمّنة في ذاك الكتاب الصغير، وكيف شجّعني على أن أدرسه بعُمق، وأخبرني على نحو مُتكرر أن هذا الكتاب هو الأكثر حكمة ممّا كتب على الإطلاق.

أرى الآن رجلاً عجوزاً بمظهر آسيوي، يُخبرني أنني دُعيت كي أبدأ العيش حسب تعاليم «التاو تي تشينغ»، وأن هذا سيُعيد بعضاً من صحتي الضائعة وسعادتي. خرجتُ من تأملي العميق، ولديّ يقين بما يجب عليّ فعله.

تذكّرتُ كيف أنّ صديقي ومُعلمي المجنون والهمجي «ستيورات» أخبرني ذات مرة كيف ترك كلّ شيء امتلكه خلفه فقط عن طريق إغلاق الباب والابتعاد عنه. لقد فكّرتُ سنوات في المُفارقة الكامنة في مثل هذا المشهد. إنّ ترك كلّ شيء يبدو نهائياً جدّاً، بالإضافة إلى ذلك هناك تعلق بالأشياء المُتراكمة عبر الحياة. من جهة أخرى، هناك نوع من الحرية في عدم وجود شيء يُعيقك عن أن تنتقل نحو عدم الارتباط، وأن تكون حراً كما تلك الطيور التي من المُفترض أن أستمع إليها الآن بما أنني في سنّ التقاعد. أشعر وكأنني توجّهتُ كي أقوم بهذه النقلة كي أتخلّص من كلّ شيء.

التفتُ سَماعة الهاتف واتصلتُ بمُساعدتي الشخصية «مايا»، التي عملت عندي ومعها منذ أكثر من ربع قرن. أخبرتها أن تقود إلى حديقة شقتي، التي كانت بمثابة مكتبي

ومساحة من أجل كتابتي مُدَّة أكثر من ثلاثة عقود. حالما صعدتُ إلى الممشى، سلَّمْتُها المفتاح وقلتُ: «أريدك أن تتخلَّصي من كلِّ شيء أمتلكه، ثمَّ أريدك أن تعرضي هذا المكان للبيع».

كانت «مايا» في صدمة. أخبرتني أنه لا بُدَّ أن هناك عشرين ألف كتاب!، ما الذي ستفعله هي بكلِّ هذا الأثاث؟ ملابس؟ أحذيتي؟ لوحات ذكرياتي على الجدران؟ الصور؟ جبل من سجلات الضرائب القديمة والأوراق الشخصية؟ أخبرتها: «هاك المفتاح: أنا انتهيتُ من هذا المكان. سأُخبر أطفالي أن لديهم أفضلية في أخذ كلِّ شيء موجود هنا. تتخلَّصي من بقية الأشياء. أعطِ كلِّ شيء».

حاولتُ أن تتحدَّث إليَّ بالمنطق، بيد أنني عنيد. أنا أتخلَّص من جميع تعلقاتي وأتوجَّه إلى مكان كتابتي في «ماوي». لقد دُعيتُ كي أقوم بشيء يتعلَّق بتعاليم «تاو تي تشينغ». لستُ مُتأكِّداً ما هو، ولكنني أعرف أنني أخبرت أن أرحل، وأدع الإله يتولَّى الأمر.

رحلتُ عن كلِّ شيء. إنَّ «مايا» مسؤولة عن كلِّ أشتائي، وأنا أشعر بشعور قوي وعلى نحو لا يُصدق من الراحة والروعة البسيطة. أتذكَّر كيف شعرتُ عندما أخبرني «ستيوارت» أنه ترك كلِّ شيء خلفه، فقد كان هناك انفعال في تجويف معدتي، وها أنا أفعَلُ بدقة الشيء نفسه.

في أوقات مُختلفة أثناء الانتقال فكَّرتُ في أشياء قد أحتاجها فعلاً. ليست لديَّ حتى نسخة عن أطروحة الدكتوراه. لا بأس، فأنا لم أنظر إليها ولا مرة خلال الخمسة وثلاثين سنة الماضية. ماذا عن سراويلي المُفضَّلة وأحذيتي وكلِّ القمصان الرائعة؟ لقد تخلَّصت «مايا» منها جميعاً وقدمتها إلى مجموعة من الناس يعيشون تحت الجسر في مكان بلا مأوى. أتذكَّر ما قد علَّمته في العديد من كتبي ومُحاضراتي: أتينا من اللامكان إلى هذا المكان هنا مع اللا شيء. نُغادر المكان هنا إلى اللامكان مع اللا شيء. اللامكان، هذا المكان، إنها جميعاً مُتشابهة. إنها فقط مسألة مساحة.

في «ماوي» قرأتُ ودرستُ «تاو تي تشينغ» كلَّ يوم. إنه كتاب مليء بالتناقضات. قُم بالقليل. حقِّق الكثير. فكِّر على نحو قليل، وحقِّق إنجازات كبيرة. لا يفعل «الناو» أيَّ شيء، ولا يترك أيَّ شيء غير مُنجز. جميعنا لا نقوم بأيِّ شيء، بدلاً عن ذلك نحن

مَنْ يجري علينا الفعل. الإله في كل مكان. الإله بلا مكان. عرفتُ بطريقة غريبة أنني قد دُعيتُ من قبل «لاو تزو»، مؤلف «التاو» كي أجلب رسائل «تاو تي تشينغ» إلى جمهور القرن الحادي والعشرين.

تحدّثتُ إلى «ريد» في «هاي هاوس» وأخبرته أنني سأكتب مقالات إفرادية عن كيفية تطبيق حكمة كلٍّ من أبيات الشعر والتي عددها واحد وثمانين من «تاو تي تشينغ». ولكن قبل أن أستطيع أن أكتب هذه المقالات، يجب أن أغلّف نفسي بكلّ بيت من هذه الأبيات. شرحتُ خطتي إلى «ريد»، وقد أعطاني دفعة حماسية.

سأقرأ البيت الأول من «تاو تي تشينغ» في اليوم الأول، ثم سأقوم بتأمل عليه، وأطرحه في تفكيري أربعة أيام، وأتساور مع «لاو تزو». لديّ العديد من الصور له حول مساحة كتابتي: في واحدة منها كان يرتدي ثوباً بسيطاً، في صورة أخرى يقف مع عصا، وفي صورة ثالثة يقف مُنفرج الساقين مع فأس، بيد أن الصورة الأكثر تعبيراً التي امتلكتها له هي الصورة التي أراها عندما أغمض عينيّ في التأمل. بعد التفكير والتأمل في معنى البيت الأول، سأكون صاحباً في اليوم الخامس وأكتب مقالة حول كيفية تطبيق حكمة ذلك البيت.

نويتُ أن أقوم بطقس الأربعة أيام ونصف من أجل كلّ بيت من الأبيات الواحد وثمانين مُكرّساً السنة كلها في عام 2006 من أجل هذا المشروع. هذا ما شعرتُ أنني دعيتُ كي أقوم به. لقد كانت كلّ البشائر التي أتت لي بما يتعلّق بـ «لاو تزو» و«التاو»، تُوجّهني إلى هذه المُهمّة المُمتعة. لن أكتب فحسب عن «تاو تي تشينغ»، بل سأصبح «التاو» بنفسني وسأطلب من «لاو تزو» في تأملاتي ماذا يجب أن أقول في كلٍّ من الأبيات الواحد والثمانين. سوف أدعو الكتاب Chanje your thoughts، your life «غيّر أفكارك، غيّر حياتك».

أنا في مُهمّة تتعلّق بـ «التاو». لقد تركتُ كلّ شيء كنتُ مُتعلّقاً به من أجل أن أشغل نفسي في هذه المُهمّة الهرقلية في عمر كان يجب عليّ فيه كما أخبرني كلّ شخص، أن أبطىء من وتيرة الحياة وأمتّع نفسي. أنا مُبتهج حقيقة مع توقّع مشوب بالتفاؤل. أعرف على الأقل أن حكمة «لاو تزو» العظيمة لم يمض عليها الزمان ببساطة لأنها كُتبت قبل ألفين وخمسمئة سنة. إنّ كلمة «تاو» هي النسخة الصينية

من كلمة الإله، غير المرئي، الطاقة التي لا اسم لها والمسؤولة عن كل الحياة. استلمتُ كتاباً من شخص عرف أنني أمضي في هذا المشروع، وكان اسم الكتاب *Jesus and The Lao Tzu: The pasallel Sayinjs* «المسيح و «لاو تزو»: الأقوال الممتاثلة»، من تحرير «مارتن آرونسون». على جانب واحد من الصفحة كانت كلمات «المسيح»، الذي مشى على وجه الأرض بعد مدة كبيرة من «لاو تزو»، وعلى الجانب الآخر من الصفحة كانت كلمات «لاو تزو»، تشرح الأفكار نفسها مُستخدمة كلمات مُختلفة قليلاً. إنها حقيقة قديمة، حكمة إلهية، وأنا الآن على وشك أن أبدأ مقطعاً جديداً مُمتعاً في حياتي. أنا لستُ مُعلماً فحسب، ولكنني طالب و مُعلّم للحكمة القديمة. مع مُعلّم غير مرئي عمره ألفين وخمسمئة سنة يقوم بمهمة دليلي.

اتصلتُ بـ«نيكي فيتل» وأعلمتها عن مشروعي الجديد، وطلبتُ منها أن تراجع الأمر مع المُدراء التنفيذيين في قناة PBS. أستطيع تخيل القيام ببرنامج إعلاني يجلب تعاليم «تاو تي تشينغ» إلى غرف معيشة الأمريكيين في الوقت الرئيس. هذا هو النداء الذي يستطيع أن يؤثر في الملايين من الناس ويبدأ بنقلة تحوّل في وعينا الجماعي.

قامت «نيكي» بترتيبات مع مجموعة الديكور لفيلم *Memoirs of a Geisha* «مذكرات غيشا»، وقد سمحوا لنا أن نستخدم هذه المجموعة من الديكور من أجل عرضي الجديد الخاص. لقد أصبح العرض بعنوان «غير أفكارك، غير حياتك»، خبطة ناجحة على الفور. كانت تعاليم «لاو تزو» العظيمة في «تاو تي تشينغ» برنامجاً في الوقت الرئيس في منازل ملايين الناس، وفي كل مكان، إذ بُثت قناة PBS على الهواء في كل سوق صغيرة وكبيرة في «الولايات المتحدة الأمريكية». لقد سعد الكتاب الذي يحتوي على أبيات شعر ومقالات إلى أعلى لائحة أفضل الكتب مبيعاً في قائمة «نيويورك تايمز».

أستطيع أن أتذكر بوضوح كبير تلك اللحظة النوعية عندما خرجتُ من ذلك التأمل العميق على كرسي الجلدي الأزرق في مكتبي في اليوم الذي تلا ذكرى ميلادي الخامسة والستين. إن الشيء الذي كنتُ أفكر فيه بنوع غامض من طريقة عمل اللاشيء قد أصبح واقعي المطلق. لقد ذهب الخوف من القيام بتغيير جذري وترك العديد من التعلّقات بالعديد من الأشياء، في لحظة يُعبّر عنها البوذيون حسب طريقة «الزن» بلحظة

«ساتوري»، الكلمة التي تعني «الرؤية الفورية لطبيعة الإنسان الحقيقية». لقد زال كل الشك، وحلّ محله اليقين بما ستكون عليه خطواتي التالية في حياتي.

عندما سلّمتُ «مايا» مفتاح شقتي وكلّ محتوياتها، تحدّثتُ من معرفة داخلية، تقريباً وكأنني كنتُ مُتوجّهاً كي أتجاوز كلّ مقاومتي وأقوم بما هو مُرتبط بنقلة الانتعاش: let go and let god اترك كل شيء، ودعه للإله. لقد كان واضحاً جداً أنّ ما كان عليّ فعله هو أن أترك جذب الأنا القوي وأسمح للروح، أو لـ «التاو» غير المرئي، أن يقوم بما يعرف أن يقوم به على نحو تامّ.

أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنّ ذلك العام من الانغماس في «تاو تي تشينغ»، كان شيئاً يجب عليّ اختباره حتماً على نحو شخصي، قبل أن أستمّر في العمل الذي كان مقدراً لي أن أقوم به. كانت تلك السنة من عيش «التاو»، ثم كتابة مقالة تعليم توضيحية حول كيف تُطبّق هذه الحكم غير المحدودة هي السنة الأكثر جوهرية وحساسية بلا شك في حياتي كلها.

أنا أنظر إلى الوراء بوضوح أكبر بكثير الآن مع الاستفادة من الإدراك الكامل المتأخّر للأمر، وأستطيع أن أرى أنّ العديد من البشائر المُتمحورة حول «التاو» كانت تُوجّه طريقي من قبل العقل الكوني الواحد. مرة بعد مرة عندما سيظهر مرجع «التاو» في كتاب، على التلفاز، في السينما، في مطعم، أو أثناء مُحادثة هاتفية، سأتوقّف وأحظى بلحظة تعجّب داخلية: أعلم أنّ «التاو» يظهر مراراً وتكراراً، استغرب ما الذي يعنيه ذلك؟.

كنت أقرأ كتاب «الكيميائي» لمؤلفه «باولو كويلو»، وقد أشار مراراً وتكراراً إلى ما أسماه «البشائر»، والتي هي دلائل من مصدر وجودنا اللامرئي، يجب أن نُغيرها الاهتمام. لقد قال: «بدلاً من التفكير بها على أنها حدث جارٍ ومُستمر، عليك أن تستمع إليها وتدع نفسك تُوجّه، والأكثر أهمية، ترمي الخوف». عندما أخبرني «ستيوارت وايلد» عن الوقت الذي أرشد فيه كي يخرج من منزله في «لندن» ويترك كل شيء خلفه، تركت هذه القصة انطباعاً لا يُمحى عندي. لقد عرفت أنّه سيأتي يوم عندما سأدعي أنا أيضاً كي أقوم برحلة هامة كهذه. إنّ صورة ترك كل شيء خلفي والانتقال إلى الأمام بثقة مُطلقة لم تُغادرني.

بطريقة ما، فإنَّ تركيبة الوصول إلى عمر الخامسة والستين، والتي ترمز إلى نهاية ممر العالم المادي، والحضور المُستمر للبشائر المُرتبطة مع «التاو»، والمترافقة مع ذاك التأمل القوي، كل ذلك اندمج كي يطبع على شاشتي الداخلية المعرفة أنه عليّ أن أتصرّف. إنّ العيش حسب تعاليم «تاو تي تشينغ» مُدّة سنة كان أشبه بامتلاك جسد وتفكير كاملين، وغطاء روحي فوقهما. إن كلمة «تاو» هي القوّة المُخبّأة التي تجلب عشرة آلاف شيء إلى الوجود، والمُرادف الأقرب لها هو الإله. يُعلّم «لاو تزو» أننا نحصل على وعي الحبّ أو طبيعة «التاو» من خلال ترك التركيز على ظروف حياتنا المادية.

مراراً وتكراراً قرأتُ وشرحتُ وطَبَقْتُ ما كان يُعلّمه «لاو تزو». إنه بالكلية عن التخلّي عن التعلّقات المُرتبطة بهذا المستوى المادي. بينما كنتُ أقرأ، ثمّ أكتب، وجدتُ نفسي أتخلّي أكثر فأكثر عن أشيائي. لم تكن أبداً مفاجأة بالنسبة إليّ أنني ألهمتُ في الأصل أن آتي إلى «ماوي» وأغمس نفسي في «تاو تي تشينغ» عن طريق رغبة لا يُمكن التحكّم بها تقريباً، كي أحرر تعلّقاتي بكلّ ما جمعتُه في العقدين أو الثلاثة عقود الماضية. لقد كانت تلك لحظة نوعية في حياتي، حينما بدأتُ مشروعاً من أجل جلب حكمة «التاو» إلى ملايين من الناس حول العالم وتعليمهم إياها.

اخترتُ نوعاً من الكتابة الآلية عندما مضيتُ في كتابة المقالات المُختصرة حول كيف تقوم بـ«التاو» الآن. في السنوات التي مضت ومنذ صدر كتاب «غير أفكارك، غير حياتك» للمرة الأولى، تلقيتُ رسائل من العديد من طلاب «التاو» حول العالم، وعلى نحو خاص في الصين، يُخبرونني كيف توازت هذه المقالات مع نسختهم ممّا تُعلّمه «تاو تي تشينغ». أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنه كان قدرتي الخاص ألا أكتب كتاباً عن حكمة «التاو» فقط، وكيف يُمكن تطبيقها على عالمنا المعاصر، بل أن أقوم بالنقلة بنفسني إلى طريقة في الوجود أكثر تمحوراً حول «التاو».

لقد وجدتُ نفسي أتصرّف بطرق أقل توجيهاً من الأنا، بل في الحقيقة، أمارس نوعاً من الإنسانية الغيرية المُلهمة من قبل كلمات «لاو تزو». كنتُ أعيش على نحو ألطف، وبنوع من السعادة المُستقلة التي لم تكن سمة شخصية مُرتبطة بي في فترة ما قبل

• يعرض تلفزيون PBS برنامجي الخاص على الهواء أثناء سير الحملة الإعلانية في ربيع عام 2008، وهذا يعني أنّ الملايين من الناس في الولايات المتحدة الأمريكية و«كندا» يتلقون حكمة «لاو تزو» من «تاو تي تشينغ» التي يُقدّر عمرها بألفين وخمسمئة سنة. أنا لستُ جاهزاً كي أبدأ التعهد الصارم بالمضي إمّا بكتابة كتاب جديد، أو إعداد برنامج تلفزيوني آخر في المستقبل القريب، إذ أنّ تأليف كتاب «غير أفكارك، غير حياتك» كان مُهمّة هائلة. لقد عشتُ حرفياً كلّ من أبيات «التاو» تلك أثناء كتابة احدي وثمانين مقالة تشرح كلمات مُرشدي القديم «لاو تزو»، قبل المُضي في مُهمّة تلخيصهم في نمط معين من أجل جمهور التلفزيون. أنا مُرهق ولكنني مُحفّز من كلّ شيء، ومن أنّ هذا المشروع الكبير قد جاء إلى حياتي.

سألني «ريد تريسي» المدير التنفيذي في دار نشر «هاي هاوس»: «هل ستكون مُهمّماً في عمل فيلم درامي يستند إلى العمل الذي أنتجته، هل تعتقد أنك تستطيع لعب دور البطولة في الفيلم من غير وجود خبرة تمثيل لديك؟».

أخبرته أنني مُهمّمْ، ففكرة عمل فيلم هي أمر بقي مُطوّلاً في أعماق خيالي. لديّ بعض الخبرة في التمثيل، وقد مثلتُ دور «يوليوس قيصر» في مسرحية في مدرسة «ماركيت» الابتدائية عندما كنتُ في عمر الثالثة عشر.

كان «ريد» قد اتصل بشاب بارع اسمه Michael Gorjian «مايكل غورجيان» وهو مُمثل مُحترف، وفي الوقت ذاته مُخرج أفلام: في الحقيقة، لقد أخرج مؤخراً فيلم

«كيرك دوغلاس». قرأ «مايكل» نصّ فيلم من تأليف «كريستين لازاريان» حيث كان هناك ثلاث قصص محبوبة عن رجل أعمال بارع، وأمّ لطفلين تسعى إلى التعبير عن نفسها في العالم، ومُخرج يُحاول صنع اسم لنفسه. أتت هذه الشخصيات الثلاث في الفيلم معاً في «آسيلومار»، في مركز إيواء في «كاليفورنيا» الشمالية، حيث كان «واين داير» يقوم بسلسلة من المُقابلات من أجل الكتاب القادم. سأمثل دور نفسي في هذه الدراما، والتي لا يجب أن يكون ذي مساحة عظيمة جداً، لأنني أقوم بهذا بالضبط منذ ثمان وستين سنة وحتى الآن.

إنّ اعتراض الوحيدي تقديم مشروع كهذا نابع من حقيقة أنني شاهدتُ عدداً كبيراً من الأفلام التي تستند على الكتب ذات الاتجاه الروحي، وقد أصابني خيبة أمل دائماً. لقد بدت غير مُتقنة بعض الشيء في بعض أجزاءها، لأنّ الكاتب حاول أن يفترض أنّ المُمثل يجب أن يكون مُحترفاً، وغالباً ما بدا النصّ ضعيفاً، وكان التمثيل غير مصقول، ممّا جعل الفيلم بأكمله ضعيفاً.

شرحتُ لكلّ من «ريد» و«مايكل» أنني لا أُرغب أن أكون مُرتبطاً بمنتج نهائي ذي مظهر غير مُلائم. سوف أقدم على هذا المشروع فقط إذا كان كلّ شيء وكلّ شخص مُرتبط به على مقدرة احترافية عالية. أنا أُصرُّ على أن يكون كلّ الفنانين والفنيين على أعلى مُستوى من الموهبة. عندما أكون في فيلم يستند على المبادئ الروحية للوعي الأعلى الذي كنتُ أكتب وأتحدّث عنه في العقود العديدة الماضية، فيجب أن يعكس المشروع النهائي البراعة التي تلائم الأفكار الرفيعة للوعي الأعلى وإدراك الإله.

لقد جعلتُ الأمر واضحاً من البداية أنني قادرٌ على أن أقوم بكلّ ما يُطلب مني من أجل أن أصنع فيلماً يصمد أمام اختبار الزمن، ويصنع على نحو كامن تأثيراً ضخماً على كلّ شخص يراه. هذا يعني أنه يحتاج أن يكون بجودة عالية بحيث يضع معايير لصانعي الأفلام المُستقبلين الذين يُريدون أن يصنعوا تقديماً درامياً للروحانية المُستندة على الكتابة. لقد وافق الأشخاص الذين يُمولون ويُخرجون هذا المشروع على ذلك.

أُحبّ النصّ السينمائي، وبعد المُحادثات المُكثفة مع فريق تحضير الفيلم، اقتنعتُ أنّ الفيلم سيكون مُنتجاً جاهزاً وبإمكانني أن أروّج له بفخر وحماسة. أشعر بالفخر

لأنني أعمل مع العديد من الأشخاص المُختصّين والمُؤهلين على هذا المشروع بينما كنتُ أتوجّه إلى «كاليفورنيا» كي أتعلّم صناعة الأفلام، التمثيل، وتحرير الأفلام. أنا في أواخر الستينيات، ومرة أخرى على وشك أن أسلك الدرب الأقلّ سفراً، وأغمر نفسي في محاولة مهنية من نوع جديد، والذي قد يكون أداة من أجل الوصول إلى أشخاص ليسوا من القراء.

مؤخراً قرأتُ أنّ عشرة بالمئة تقريباً من الشعب الأمريكي يشترون حوالي «95%» من كلّ الكتب. بينما حوالي تسعون بالمئة من السكان البالغين لا يشترون كتباً على الإطلاق. وعلى النقيض، حوالي مئة بالمئة من الشعب يرتادون دور عرض الأفلام «السينما»، أو يُشاهدون الأفلام في المنزل. هذه الإحصائيات المُقلقة بالنسبة إليّ تُبين أنّ وقتي في كتابة وإنتاج كتب عن التطوير الذاتي والروحانية يعني أنني كنت غير قادر على أن أصل إلى تسعين بالمئة تقريباً من البالغين في «أمريكا». إنّ فكرة التأثير على نحو إيجابي في نسبة كبيرة من السكان الذين هم غير مُتأثرين بعمل حياتي هو احتمال مُثير بالنسبة إليّ.

إنها رغبتني في أن أحصل على عشرة ملايين شخص يُشاهدون هذا الفيلم، المُعنون بإسم «النقلة». هذا الرقم يمثل تقريباً 3.14 بالمئة من سكان «الولايات المتحدة الأمريكية» و«كندا». تذكّرتُ من أيامي وأنا أكافح في الجبر والهندسة أنّ الرقم 3.1416، يُسمّى بي « π »، وتذكّرتُ عندما سمعتُ هذه النسبة من السكان فكرة جديدة جوهريّة، شبيهة لما يُسمّى في الفيزياء «المرحلة الانتقالية»، وأطلقتُ رسالة إلى الأعضاء المُتبقين من السكان كي يدوؤوا بالانتقال ومُحاذاة أولئك الذين يُشكّلون الكتلة الحرجة المُنحازة مؤخراً.

في التجارب الفيزيائية النوعية، عندما يكون رقم معين من الإلكترونات في داخل الذرة مُصطفاً بطريقة مُحددة، وتَمّ الوصول إلى الكتلة الحرجة، فإنّ الإلكترونات الأخرى غير الملموسة تبدأ تصطفّ آلياً مع تلك التي في التجمّع التجريبي. أُحببتُ هذه الفكرة: احصل على رقم كبير من الناس في تجمّع كي ينقلوا وعيهم إلى مكان أكثر إدراكاً للآله، وبغضّ النظر عن أيّ قوى خارجية أخرى «مثل القضايا السياسية، حالة الاقتصاد، أرقام البطالة، الممارسات الثقافية، نماذج الطقس، الحروب، الصراعات،

وغيرها وغيرها»، فإنَّ الشعب بأكمله سيُسحب جوهرياً إلى مُحاذاة أكثر روحانية. عندما يبدأ قسم كاف منا يختار الوعي الأعلى، سنصل إلى الكتلة الحرجة.

لقد شعرتُ دائماً أنَّ التغييرات الجذرية الكبيرة لن تأتي من خلال جهود القادة السياسيين في صنع تغييرات في النظام، بل ستكون من خلال أفراد أكفاء في داخل النظام اختاروا أن ينقلوا وعيهم الخاص، وهذا ما سيؤثر على الوعي الجمعي بأكمله، دون الارتباط بما يُحاول أي شخص أن يفرضه على الأغلبية.

أُحبُّ هذه الفكرة من الانتقال. إنَّ التركيز الأساسي لهذا الفيلم سيكون عن الانتقال من «الأنثا»، التي تُركّز على الطموح والأشياء المُكتسبة، إلى «المعنى»، حيث الرغبة الداخلية الأولية هي خدمة الآخرين، وخلق عالم يكون فيه إدراك الإله حقيقة عالمية، أكثر من كونه مثالية ميؤوس منها من عدد قليل من الحالمين الروحيين المُتطوِّرين جداً.

ستلعب «بورتيا دي روسي» إحدى شخصيات البطولة في الفيلم. بعد عدة أشهر طلبت «بورتيا» وخطبتها «إيلين دي جينيريس»، مني أن أتولى قُداس حفل زواجهما، والذي من المُخطط له أن يكون في الخامس عشر من آب، مُباشرة في منتصف جدول تصوير الفيلم. وافقتُ بسعادة، وشعرتُ بالحماسة بأن أكون الشخص الذي يُعلنهما شرعياً كزوجين.

وصلتُ إلى «آسيلومار» كي أقضي الأسابيع القليلة التالية غائصاً بعمق في هذا العالم الجديد الساحر من صنع الأفلام. التقيتُ مع كامل فريق الإنتاج، بما فيهم «بورتيا» وبقية الفنانين. كل شخص له علاقة بصناعة هذا الفيلم هو مئة بالمئة على اللائحة مع الأهداف الموضوعية بوضوح وعلى نحو قاطع من قبلنا أنا و«مايكل غوريغيان» في اجتماعنا الأولي. أشعر قليلاً بالخوف من احتمال كوني في فيلم مع هؤلاء الفنانين الخبيرين وطاقم الإخراج. بقيتُ أذكر نفسي أنني فقط أمثل نفسي، وأنَّ الأمر ما زال تمثيلاً.

إنه اليوم ما قبل بدأ التصوير، وقد رتّب «مايكل» كي يُعطيني درسي الأول والوحيد في التمثيل. أمضينا ساعتين معاً نمشي عبر مشهد خيالي. في نهاية الجلسة شعرتُ أنني واثق من استطاعتي جعل هذا يحدث على مستوى أعلى. مع ذلك، حالما بدأ التصوير، أصبحتُ مُستاءً من إعادة اللقطات، الأمر الذي لا ينتهي والمطلوب لأسباب مُتنوعة.

كانت الظلال مُظلمة جداً، وقد اختار مهندس الصوت زقزقة الطيور كمقدمة، ويريد المخرج أن نحصل على إعادة تصوير من أجل الأمان، واستمر الأمر. إنَّ هذا أصعب من أي شيء فعلته مسبقاً.

عندما أتحدّث إلى الجماهير مباشرة، أمشي ببساطة على خشبة المسرح وأقوم بالطيران في مُدّة الساعات القادمة، أتحدّث من قلبي وأُخبر قصصاً تُشكّل نقطة أريد صنعها. إذا سعلتُ، أسعل وأمضي في مُحاضراتي. إذا تعثرتُ قليلاً، أجمع شملي وأمضي في الحديث. إذا كان هناك عطل في لاقط الصوت، أو أي تشويش من أي نوع، يتمّ تصحيحه ونمضي. ليس كما هو الأمر هنا في إعداد هذا الفيلم. على الرغم من أنَّ الأمر مُضجر، ولكنه أيضاً مُبهج، وأنا مأسور بكمية الوقت، الطاقة، الخبرة، والحبّ الداخل في سير هذه العملية من صناعة الفيلم.

في اليوم الثالث من التصوير قمتُ بنقلتي الخاصة، وحصلتُ على لحظة نوعية من أجلي. طوال اليومين الماضيين كنتُ أحاول أن أتذكّر أسطري وأبدو طبيعياً، ولكن الأمر كلّه بدا مُصطنعاً ومُزيفاً بالنسبة إليّ. لقد كنتُ أقوم بالأمر كما تمّ توجيهي وتشجيعي من قبل الفنانين في الفيلم، بيد أنني لم أشعر بالطريقة نفسها التي أشعر بها عندما أكون على خشبة المسرح، أو في مُقابلة تلفزيونية عندما أكون نفسي.

من أجل ذلك قال لي «مايكل»: «واين، انسَ أمر النص، انسَ السطور التي تحفظها، فقط تحدّث إلى الناس الآخرين في هذه المشاهد وكأنك تتحدّث إليهم في حالة مُشابهة للواقع. مهما كان ما تقوله سيكون بالضبط ما نريده من أجل انتهاء العمل».

تركّت الأمر يمشي بسلاسة، وكأنني كنتُ أقوم به منذ سنين عديدة، تركتُ الإله يتولى الأمر. قلبتُ الأمر إلى جانب أعلى من نفسي، إلى الإله داخلي الذي يعرف بالضبط كيف يكون الأمر، وأبحرتُ عبر بقية الفيلم.

في الرابع عشر من شهر آب، في منتصف الطريق أثناء التصوير، أكملتُ «بورتيا» جميع مشاهدتها، ثم سافرتُ إلى «لوس آنجلوس» كي أؤدي حفل الزفاف الأول، كتبتُ رسالة قلبية إلى «إلين» و «بورتيا» سأقرأها لهما في الزفاف. في الخامس عشر من شهر آب، كان المصوّرون يُحلّقون فوق رؤوسنا في الطائرات الحوامة، فتجمّع أفراد

العائلة مباشرة في الطابق الأرضي مع العروسين، وكانت جميع النوافذ مغطاة كي تمنع أيّ مصورين سيئ السلوك من اقتحام حفل هذا الزفاف الخاص جداً. أعلنت هذين الشخصين المميزين جداً معاً كزوجين رسميين.

في الصباح التالي طرأت عائداً إلى «آسيلومار» وأكملت الجدول اليومي من اثنا عشرة إلى أربع عشرة ساعة تصوير. في بداية أيلول كان لدينا تجمع نهائي مع اكتمال الفيلم. لقد انتهى عملي الآن، وبقي العمل الأكبر في التحرير، ووضع كل شيء في صيغة فيلم جاهز، على عاتق المخرج وطاقم التحرير الخاص به. أنا مُقدّر جداً لكل الأشخاص المُخلصين الذين عملوا الكثير من الساعات كي يجعلوا هذا العمل يُؤتي ثماره. أنا مُتحمّس جداً لهذا الفيلم الذي يُعطي رسالة تجاوز نداء الأنا، ويحثّ المُشاهدين من خلال سلسلة من القصص الدرامية المُتشابكة أن يجدوا هدفهم الخاص.

بعد عدة أشهر، كانت لديّ الفرصة كي أراجع العديد من التعديلات على الفيلم. إنه الآن مُنتج جاهز بعنوان From ambition to meaning «من الطموح إلى المعنى»، وكان من المُخطط أن أقوم بجولة عبر البلاد من أجل تقديم الفيلم إلى الجماهير في مدينة «نيويورك»، «شيكاغو»، «لوس أنجلوس».

سافرت إلى هذه المدن الرائدة في صناعة الأفلام مع المُنتج التنفيذي «ريد تريسي»، والمُخرج «مايكل غورجيان»، والصديقة الروحية المُميزة جداً «تيفاني سايا». ركبنا جميعنا في حافلة مأجورة، بيد أنه بقي لديّ اعتراض يخصّ عنوان فيلمنا. قلتُ إنني أحبُّ صناعة الأفلام، وأنني مُتحمّس بشأن ردات فعل الجمهور ووقفات التصفيق. ولكن ما يُزعجني هو العنوان، ولو كنتُ سأقوم به مرة أخرى، فسأغيّر العنوان لأنه يُشبه كثيراً عنوان فيلم وثائقي أو مُحاضرة مباشرة. سأسميه The Shift «النقطة»، والذي هو موضوع رئيس يتكرر خلال الفيلم. علّق «ريد» أنّ الأمر سيكون مُكلفاً لو قمنا بذلك، ولكنه قادر على تحمّل نفقات إضافية كي يُعطي العنوان الجديد، والذي وافق كل شخص على أنه أكثر دلالة على محتوى الفيلم.

إنه الآن شهر آذار من عام 2009، وقد أضفتُ لقباً جديداً على سيرتي الذاتية كنجم سينمائي. هل هذه معجزة أم ماذا؟. عندما أنظر إلى الخلف إلى كل الأحداث التي كانت

تتجمّع من أجل أن أصبح القوّة الدافعة وراء مشروع الفيلم هذا، أستطيع أن أرى بوضوح أنّ هنالك نوع ما من اليد الإلهية تعمل كي تُحوّله من فكرة إلى حقيقة مُتجسّدة. منذ أن كنتُ صبيّاً صغيراً عرفتُ أنّ الأفكار «المجنونة» التي تدور في تفكيري، كانت تُعدّ من أجل جمهور أكبر فأكبر. سواء أكان الأمر كتابةً أم تحدّثاً، كان هنالك دائماً وعي داخلي بأنّ أشارك هذا الأمر مع الكثير من الناس قدر المستطاع.

لقد بدا أنّ هذا المشروع بأكمله يحظى بمباركة صامتة من قبل قوّة سماوية كانت تُراقب كلّ واحد منا. تمّ تصوير الفيلم على أراضي «أسيلومار» والتي تقع على شاطئ ولاية على مساحة مئة وسبعة فدان من أرض شاطئ البحر المُتنوّعة بيئياً من شبه جزيرة «مونتيري» على ساحل المحيط الهادي، «كاليفورنيا». لقد تجمّع أكثر من تسعين طاقماً للأفلام في هذا الجمال الرائع في «أسيلومار» والتي تعني باللغة الإسبانية «ملجأ قبالة البحر». هناك أرقام كبيرة من الزوار يحضرون العديد من الأعمال المُتنوّعة خلال هذه السنة هنا، وخصوصاً في أشهر الصيف عندما تجمّعنا على هذه الأراضي مع شاحنات كبيرة تحمل الإضاءة، مُعدات الصوت، ومجموعة واسعة من الفنيين ومُوظفي الدعم الذين كانوا مطلوبين من أجل صنع فيلم من هذا العيار. كلّ يوم وبكلّ طريقة بدا كلّ شيء في مكانه بالنسبة إلينا.

في وقت تصويرنا كان هناك مؤتمر كبير للأشخاص ذوي النزعة الروحانية المُرتبطين بالوحدانية والكنائس العلمية الدينية عبر «أمريكا». لقد رصدني بعض الحاضرين وسألوني هل أرغب بإعطائهم عناوين مفتاحية، لأنّ مُتحدّثهم المُتميزة كانت مُجبرة عليّ إلغائها مُحاضرتها المُقررة. عندما قُدمتُ للجمهور، كانوا مُتفاجئين بسعادة أنني سأقدّم لهم مُحاضرة مجانية، مع «ألين دي جينيرس» و«بورتيا دي روسي» الجالسات في الصفّ الأمامي كضيوف شرف من المشاهير. عندما احتجنا زيادة المُمثلين من أجل العديد من المشاهد في الفيلم، كان أولئك الذين في تلك المُحاضرة سعداء جداً بأنّ يلتزموا معنا في بداية التصوير.

عندما احتجنا غطاءً سحائباً، ظهر على نحو سحري. عندما احتجنا أن تتفرّق الغيوم بدا وكأنها تُطيع مُخرجاً تنفيذياً غير مرئي وتفهّم حاجتنا. هذه الأنواع من

المُعجزات الصغيرة كانت تُلاحظ باستمرار، ويُعلّق عليها من قبل كلّ شخص مُرتبط بصنع فيلم « النقلة ».

استطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ صناعة هذا الفيلم كانت موعداً مُنسقاً على نحو إلهي. لقد كنتُ أحاضر عن مفاهيم الكمّ للكتلة الحرجة، المرحلة الانتقالية، تأثير القرد المئة على مدى عقود، بيد أنّ كلّ ذلك يحدث الآن بنمط مُختلف. من مسافة ما بإمكانني رؤية الحقيقة في فكرة أنني عندما اتّبعْتُ مُتعتي، وازيتُ نفسي مع مَنْ أنا على أنني كائن رباني. لقد نشأت البهجة والتفاؤل والشعور بالنعيم الداخلي عندما تأملتُ ما عرفته حقيقة بأنّ ما عليّ فعله هو إدراك الإله. عندما بقيتُ في تلك الحالة من اتباع نعيمي، أصبح كلّ شيء أخذته بلا جهد، وليس ذلك فقط وإنما على نحو أكثر أهمية، كنتُ مدعوماً على نحو كامل من الكون كذلك.

إنّ فكرة خلق فيلم درامي كامل الطول، بإمكانه مُساعدة الناس على الانتقال من مطالب الأنا الأنانية إلى حياة أكثر معنى روحياً، حفّز حماسي بطريقة كبيرة جداً. أكثر من ذلك، فإنّ فكرة الوصول إلى كلّ هؤلاء الناس الذين لم يقرؤوا كتباً أبداً، ويُشكّلون كتلة حرجة يُمكن أن تُساعد في حدوث النقلة عالمياً، كانت فكرة مُثيرة لا أمتلك كلمات كي أصفها. عندما اتّبع حماسي مع الاستقامة، أعلم أنني حقيقة على المسار الذي قصدتُ أن أكون عليه في هذه الحياة.

إنّ القيام بهذا الفيلم في عمر الثامنة والستين لم يكن فقط مُهمّة جديدة كي أشغل وقتي أو أجذب المُعجبين، ولا بسبب شعور المُتعة، بل كان رسالة إليّ من مصدر وجودي الإلهي الذي قال: «عليك القيام بهذا، فذاكك العليا تطلب هذا. لا يُمكن تجاهل الأمر». أنا أرى بوضوح الآن أنّ حماسي هي الدلالة، إنها أنا.

ما إن ترسّخت هذه الفكرة بثبات في خيالي وشعرتُ بالإثارة، حتى عرفتُ أنني سأكون مدعوماً على نحو كامل من العقل الإلهي الكوني والذي خُلقتُ منه بالأصل. اكتشفتُ ذلك عندما اتّبعْتُ حماسي، أصبح الأمر أقرب إلى تحويل المشروع بأكمله كي يكون بين يديّ الإله، ومُشاهدة التدفق اللانهائي من المُعجزات المُتزامنة التي تتكشف على نحو كامل. لقد كان العمل بأكمله في صنع هذا الفيلم يسري بلا جهد،

بال تأكيد أنني هنا كي أتعلّم وأعلّم حقيقة جوهرية كانت جزءاً من تجربة حياتي الخاصة منذ بداية ظهوري هنا على كوكب الأرض في عام 1940: علينا جميعاً أن نعمل في اتجاه كوننا مُخلصين في امتناعنا عن أفكار السوء المُوجّهة نحو أنفسنا ونحو الآخرين، وأن نرفض ببساطة أيّ حكم، نقد، أو استنكار نحو أيّ شخص أو أيّ جزء من خلق الإله. أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ هذا هو جزء من «النقلة» المُتضمّنة في الفيلم.

ليس الأمر مُصادفة أنّ «بورتيا» التي لمعت في الفيلم، جنباً إلى جنب مع العديد من الفنانين الآخرين الرائعين والمُمتازين، جعلت الفيلم جاهزاً كي يُساعد عالمنا بأكمله كي ينتقل إلى وعي إلهي مُحبب. لقد قامت بذلك من خلال الوقوف علناً والزواج من المرأة التي أحبّها، والتي كانت إحدى أكثر المشاهير عالمياً الذين لا يُطلقون الأحكام، الانتقادات، والتي كان لي الشرف أن أدعوها صديقة. هذا ما تحدّث الفيلم عنه. هذا ما كان كلّ من «بورتيا» و«إلين» عليه.

إنّ المُساعدة في صنع هذه النقلة على كوكبنا هو ما يُعرّف حياتي حقيقة. لقد كان هذا أحد أعظم اللحظات النوعية فخراً بالنسبة إليّ، ولم يكن ليأتي تماماً في وقت أكثر مُلاءمة، من مُنتصف صناعة فيلم بعنوان «النقلة».

ملاحظة: لقد صدر فيلم «النقلة» في «أستراليا» بعنوان «من الطموح إلى المعنى».



• بعد بضعة شهور من الفيلم، عدتُ إلى مساحة كتابتي في «ماوي» في خريف عام 2008. عملتُ على موضوع كتاب جديد عن القضاء على نزعة صنع الأعذار، فقد جمعتُ لائحة من أكثر الأعذار شيوعاً والتي أعتقد أنها تُبعد الناس عن عيش مرحلتهم العليا من الإدراك الذاتي. لقد سمعتُ هذه الأعذار طوال الحياة، ولقد وظفتُ هذه الأعذار بنفسني، عندما أخذتُ مؤقتاً مسار اللوم أكثر من تحمّل المسؤولية الذاتية.

أنا أيضاً أقرأ كتاباً منشوراً ذاتياً ومُحفّزاً جداً بعنوان The Biological of belief «بيولوجية الاعتقاد» للمؤلف الدكتور «بروس ليتون»، عالم الأحياء البارز المُختصّ بالخلايا. لاحظتُ باهتمام أنه كتب: «وصلتُ إلى مُلخص أننا لسنا ضحايا مُورثاتنا ولكننا أسياذ مصائرنا، إنّ أولوية شريط المورثات DNA في السيطرة على حياتنا ليست حقيقة علمية».

كنتُ أستمع إلى مُقابلة على قناة «سي إن إن»، وقد سمعتُ الشخص الذي تُجرى المُقابلة معه يشرح لماذا أوصل نفسه إلى النمط الذي هو فيه. قال بنوع من الواقعية نوعاً ما: «لم أستطع مُساعدة نفسي كيلا أتصرّف بالطريقة التي قمتُ بها، في النهاية، إنها جيناتي الوراثية في DNA، وكلّ أحد يعرف أنه لا يُمكن لأيّ أحد أن يُغيّر التركيبة الجينية، فهذا ما وُلدنا به».

أعلم أنني قد عبّرتُ عن مشاعر مُماثلة بنفسني من خلال المُعتقد الخاطيء بأن جيناتنا تُشكّل إنسانيتنا في الصميم، وليس بإمكانها على نحو واضح أن تتغيّر بتأثير تفكيرنا، أو أيّ مقدار من قوّة الإرادة. لقد ترعرعتُ في زمن الحتمية الوراثية، وحتى

• إنه الربيع من عام 2011، ولقد عشتُ مع تشخيص إصابتي باللويميا قرابة سنتين. لقد كنتُ مريضاً بإشراف طبيين للأورام، وأُجري فحصاً للدم من أجل تعداد كريات دمي البيضاء على نحو مُنتظم. كنتُ أتبع نظام الأكل المُحدد والمُراقب من قبل صديقتي «بام ماكدونالد»، وهي مُمرضة مُتدربة وخبيرة في الطبّ البديل. بقيتُ بعيداً عن «اليوغا» الحارة «بيكرام» في السنة الفائتة بناءً على نصيحة أطبائي. كنتُ أمارس حكمة «انصرفي أيتها الأعذار!» يومياً، وضمّنتُ تشخيص مرض «اللويميا» في مُحاضراتي كمثال عن كيفية تعاملتي مع هذه الحالة في جسمي. أخذ تلفزيون أخبار العالم ABC هذه القصة وبثّ مقطعاً محلياً عن تشخيص مرضي باللويميا الذي بدأ في اليوم التالي بعد عيد الشكر في السنة الماضية.

لقد سمعتُ خبراً من الدكتورة «راينا بيسكوف»، جراحّة العيون التي تدرّبت في «ماديرا، كاليفورنيا»: «سأقوم بجولة ثانية إلى «البرازيل» كي أرى المُعالج «جون المُقدّس»، وأريدك بشدة أن تأتي كذلك، لا أستطيع على نحو كافٍ إبراز مدى شعوري بأهمية هذا الأمر لك».

لقد كان هناك رجل يُعرف بإسم «جون الالهي» يُعالج الناس منذ أكثر من أربعين سنة في مدينة «آبديانا، البرازيل». لقد أتى الملايين من الناس من كلّ أنحاء العالم إلى هذه القرية الصغيرة كي يتلقوا العلاج من هذا الرجل والذي يُنجز عملياته الجراحية عن طريق كيانات تدخل جسده.

• إنه منتصف شهر حزيران من عام 2011، وقد عدتُ إلى «آسيبي». قبل عدة أشهر رتبتُ مع «ريد تريسي»، صديقي المُقرب والمُدير التنفيذي في دار «هاي هاوس»، ناشري الحصري على مدى السنوات الاثنتي عشرة الماضية، كي يُرَوِّج لهذه الرحلة التي ندعوها Experiencing The Misaculous اختبار المعجزة. أخذنا المسار كي نظير إلى أماكن مُقدَّسة في «آسيبي»، «لورديس»، «ميدجوجورجي» بواسطة طائرة خاصة. في كلٍّ من هذه الأماكن الثلاثة، حيث حدثت مُعجزات قابلة للتحقق، سأقوم بتقديم مُحاضرة مُدَّتْها ساعتين. لقد سجَّل مئة واثنان وستين شخصاً، وهو الرقم الأكبر من المقاعد على طائرنا المُستأجرة، من أجل رحلة العمر هذه.

هذه زيارتي الثالثة إلى منزل القديس الذي كان مُساهماً كثيراً في تطوُّر الروحي منذ أكثر من عشرين سنة مضت، وقد عرفتُ عندما كنتُ أخطط لهذه الأوديسة الروحية أنه عليَّ أن أرجع إلى هنا. إنَّ رؤيتي هي أن أعيش فعلاً المثاليات التي حدَّت حياة القديس «فرانسيس الأسيسي»، والذي كان قوَّة هائلة في حياتي عبر العقود العديدة الماضية.

عندما دخلتُ الفندق، قُدِّم إليَّ ثوب بني اللون كي أستخدمه، مُصمَّم كما تصميم ملابس رهبان الفرانسيسكان القديمة «تماماً كما ارتدى القديس فرانسيس بنفسه عندما أوجد هذا النظام الروحي منذ أكثر من ثمانمئة سنة». ارتديتُ الثوب ومشيتُ عبر أراضي الفندق هنا في هذه القرية في شمالي «إيطاليا»، وأنا في حالة من الروعة من العودة إلى المكان الذي واجهتُ فيه تلك المُعجزات في الشفاء في التسعينيات. لمسْتُ ركبتَي

• سألتني مع ثلاثمئة وخمسين شخص من الذين وافقوا على الحضور معي في رحلة إلى البحر المتوسط، على متن سفينة إكوينوس الرائعة المخصصة لرحلات المشاهير البحرية. أعلنتُ للمجموعة أنني ربتُ كي أقدم خمس مُحاضرات مُدّة ساعتين لكل مُحاضرة في البحر، بينما نُسافر بين «روما»، «سانتوريني»، «استانبول»، «أثينا»، «ميكونوس»، «نابولي»، بالإضافة إلى أنني خطّطُ كي أقدم مُحاضرة مُدتها ساعة في موقع منزل «مريم العذراء»، في «إفسوس، تركيا». كان عنوان هذه المُحاضرة الخاصة: «في أعقاب أجدادانا الروحيين» والذي هو أيضاً موضوع هذه الأوديسة.

أثناء الأسبوعين السابقين، قدّمتُ مُحاضرتين للعموم في «سكوتلندا» و«إنكلترا»، حيث أمضيتُ الوقت في التحضير من أجل تاريخ خاص هو الثلاثين من أيلول 2012. في هذا التاريخ كنّا سنجتمع في البيت الحجري الذي يُعتقد أنه البيت الذي أخذت إليه والدة «المسيح» من قبل القديس «يوحنا» بعد صلب «المسيح»، حيث عاشت حتّى معراجها. يُشكل هذا المنزل الآن مزاراً كاثوليكياً وإسلامياً في آن واحد، ويتربع على قمة «كوريسوس» في مُحيط «إفسوس، تركيا». ستقدّم مُحاضرتي خارج البيت الحجري حيث المئات، إن لم يكن الآلاف من الناس يمرّون من هنا. سيُسجّل طاقم الفيلم هذا الحدث، كما كانوا يفعلون في جميع المُحاضرات والزيارات إلى تلك المواقع التاريخية في حوض البحر المتوسط.

كنتُ أفكر بالقديس الروحي الذي سكن في مكان غير بعيد عن هذا الموقع في

«الرومي» و «شمس» كليهما، وكذلك «مريم» بعد رؤيتها للمرة الأولى بعد سنين طويلة من التواصل، وخاصة أنها مُرتبطة بتعاليم هذين الاثنين من عمالقة العالم الروحيين. لقد ذهبت هذه التعاليم أبعد من الدين، ومثلت جوهر الحب الإلهي، حيث أرى نفسي الآن طالباً ومُعلماً لنوع من الحب الذي لا يتغير ولا يختلف أبداً. إنه ذات الحب المُوجه إلى كل البشرية من الإله.

وصلتُ عبر هذه السفينة السياحية الرائعة، وهي مدينة عائمة بالفعل، إلى «أفسس»، ثم صعدنا مرة أخرى في الحافلة. سُمضي مجموعتنا يوماً كاملاً في المدينة القديمة، والتي تُخفي ما تبقى من مستوطنة العصر الحجري الحديث والتي ترجع إلى ستة آلاف سنة قبل الميلاد، وتحتوي أيضاً على المجموعة الأوسع من الأطلال الرومانية شرق البحر الأبيض المتوسط. إنه مكان ساحر يستحق أن تراه وتذكر أنه قد تمّ التنقيب فقط عن خمسة عشرة بالمئة منه.

حالما مشيتُ إلى الحافلة، رأيتُ «مريم» مرة أخرى. لقد غيّرتُ خططها في أن تطير عائدة إلى «طهران»، وركبتُ في رحلة طيران، ثم في القطار، ثم في الحافلة كي تنضم إليّ في هذه الزيارة إلى «إفسس». بالتأكيد أرادت أيضاً أن تحضر مُحاضرتي عن «الرومي» و «شمس»، حيث أنّ مُعظمها كان مجموعاً من المادة التي أرسلتها لي منذ حوالي ثلاثين سنة مضت. فكّرتُ في الوقت، العناء، والكلفة التي مرّت بها «مريم» ونظرتُ إليها ورأيتُ البهجة الخالصة التي كانت تشعر بها من تحقيق حلم حياتها أخيراً في أن تلتقي بي شخصياً.

أنا في حالة صدمة وحماسة. إنّ كون «مريم» تُرافقني وكذلك ابنتي عبر المدينة الأثرية في «إفسس» يجعلني أشعر وكأنني في حلم، والآن ستكون مُحاضرتي عن «الرومي» في منزل «مريم العذراء» معها أمام العموم أمراً مليئاً بالتحديّ والاثارة كذلك. قرأتُ هذه المرأة أعمال «الرومي» كلّها، بما فيها المُجلدات المثنوية الستة، والتي هي كتابة روحية تُعلّم الصوفيين كيف يصلون إلى هدفهم من الوجود من خلال المُحاذاة الحقيقية مع الإله.

استقلنا الباص إلى قمة جبل «العندليب»، حيث موقع منزل «مريم العذراء» في

«لاو تزو»، وآخرين كانوا في مراحل مُبكرة في حياتي.

أن أحظى بوجود «مريم»، التي كانت أول من قدّم لي أعمال «الرومي» و«شمس» قبل ثلاثين سنة مضت، حيث ظهرت على نحو غير متوقع كلياً، ووقفت جانبي عندما تحدثت وألقيت شعر «الرومي»، كان موعداً إلهياً بالنسبة إليّ. لقد بدا ذلك مُهماً على نحو خاص منذ أن حدث هذا في الوجود الأرضي الأخير لوالدة «المسيح»، والتي شكّت «مريم» أنها قد تكون مُساهمة في شفائها من شلل الأطفال الذي عانت منه حتّى صارت في عمر السادسة.

أستطيع أن أرى بوضوح اليوم أنّ كلّ هذه «التزامات» التي اندمجت في عيد ميلاد «الرومي» في «أفسس» جعلتني أعرف معنى الكلمات المنسوبة إليه في تحية مُعلّمه الذي أحبه بإعجاب ومن غير شرط. بالنسبة إلى «الرومي»، كان الحبّ هو الدافع إلى لمّ شمل الروح، وهو المعبود والهدف الذي تتحرّك نحوه الأشياء. إنّ الوهم هو أننا منفصلون عن مصدرنا الإلهي. كلّ جهودنا في الحبّ، بالنسبة إلى «الرومي» كي نصبح أقرب وأقرب إلى طبيعتنا الأصلية. كان ذلك الدرس الأساسي لكُلّ من «فرانسيس» و«لاو تزو» كي يندمجا في الوحدانية مع الإله. أن تتخلّى عن مُتطلبات الأنا، وتعيش من مكان الحبّ الإلهي، ذاك الحبّ الذي لا يتغيّر أبداً ولا يختلف، الحبّ الراسخ الذي لا يتزحزح أبداً، كما هو الحبّ عند «المسيح»، «بوذا»، وجميع المُعلّمين الروحيين الربانيين.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنني كنتُ مُتوجّهاً كي أذهب أبعد حتّى من معرفة أننا جميعاً من الإله، وأن أختبر الشعاع الداخلي الذي أتى إلينا عندما عرفنا هذا في النهاية على المستوى التجريبي. وصلتُ إلى مرحلة جديدة من التبصر من كلّ ما كنتُ أقرأه في الأسابيع التي أفضّت إلى الاجتماع مع «مريم» وحديثي عن أعمال هذا المُعلّم الصوفي الرائع الذي تجاوز كلّ الأديان والهويات الثقافية. هذه الرسالة الأساسية كانت وما تزال، أنّ كل شيء في الكون يُطيع قانون الحبّ الإلهي، والذي هو حركة التطوّر والبحث عن الوحدانية مع الإله الذي ينبثق منه.

هذه الأسطر الشعرية تُعبّر عن تعاليم «الرومي» وندائي للحبّ الإلهي:

الخلاصة

رؤية حياتك بوضوح أكبر، الآن!

هنالك العديد من المنافع التي يُمكن أن تحدث لك إذا كنت قادراً على أن تتفحص قصتك الشخصية الخاصة من منظور امتلاكك عقلاً مُفتحاً، ومع نية رؤية كلّ ما يأتي في طريقك بروية أوضح. في أثناء ربط كلّ الظروف التي كانت نقاط تحوّل أساسية في حياتي خلال صفحات هذا الكتاب، اكتشفتُ بعض الحقائق التي أرغب بمُشاركتها معك كي يُصبح بإمكانك أيضاً أن تتمتع بفوائد النظر إلى حياتك، حينها والآن، من خلال عدسات نظر صافية.

إنّ النظرة الغالبة الواحدة التي كانت لديّ هي أننا جميعاً نعيش في كون يمتلك عقلاً خلف الحياة، وذاك العقل شيء فطري في كلّ مخلوق. هذا العقل الكوني تامّ داخل كلّ منا، وعلينا فقط أن نكتشفه كي يُصبح لنا بكامل قوته وكماله.

أحثك على أن تُطبّق نظرة غير مُعاقبة على كلّ شيء حصل لك، وعلى كلّ شخص مرّ في حياتك. أنت جزء من القوّة المُبدعة التي هي منشأ كلّ شيء. إنّ الأحداث أو الأشخاص الذين ظهروا في حياتك لم يظهروا بسبب المُصادفة.

عندما تتسلّح بوعي أنّ «المُصادفات» لا يُمكن أن تحدث في عالم مُوجّه من قبل عقل واع وذكي، وأنّ هناك نوع مُعيّن من الهدف مُرتبط بكلّ شيء يصل إلى حياتك بسبب أنّك جزء من منشأ كلّ شيء، عندها تستطيع أن تبدأ بالقيام بما كنت أقوم به خلال كتابة هذا الكتاب. ابدأ بإعطاء انتباه أكبر ورؤية كلّ حدث وكلّ ظرف، وعلى نحو خاص تلك التي تنتج من انتقالات حزينة، كدليل وتوجيه من هذا العقل الإلهي الواعي. على مرّ التاريخ كان هناك الكثير من الأسماء الشائعة لهذه القوّة التي تُلهم الكائنات

أن أرى الآن بوضوح أكبر أنّ معظم ما دفعني إلى درجات أعلى على ذلك السُّلم الذي وصفه «الرومي» على أنه باب النجاة من هذا العالم المادي، كان استخدام خيالي الخاص. عندما استطعتُ الحصول على صورة أوضح لنفسِي مُركّزاً على صورة جديدة داخل خيالي، واستطعتُ تدريب نفسي كي أتصرّف وكأنّ تلك الصورة الداخلية حقيقة حاضرة، فإنّ بقية العمل من الحصول عليها كلّها بدا وكأنه تقريباً بلا جهد.

عندما كنتُ في البحرية، أعلنتُ لنفسِي سأحضر الكلية. في محاولة هربي من حرب الحدود في «تركيا»، رأيتُ نفسي أغادر طريق البلاد قبل أن تُقدّم الفرصة نفسها فعلياً. خلال التعامل مع مُقاومة ناشري الأول، حصلتُ في خيالي على صورة مُختلفة تماماً عما كان في ذهن الخبراء عني وعن كتابي، وكذلك كان الأمر بالنسبة الأعظم من حياتي.

استخدم خيالك الخاص على أنه برنامج عمل داخلي من أجل ما نويته كلياً أن يتجلّى، ثمّ تصرّف وكأنّ ذاك الحلم الحالي هو حقيقة حاضرة. كانت هذه استراتيجيتي السرية من أجل تجلّي الحياة التي نويتُ أن أعيشها. أحثك على أن تقوم باستخدام كامل لهذه العملية التي ذكرت بالتفصيل في كتابي «أمنيات مُحققة». تفحص اللحظات ذات الصلة في حياتك الخاصة، عندما شعرتُ بالدافع كي تتحرّك في اتجاه مُعين، آخذاً في عين الاعتبار مدى الثقة التي كنتُ قادراً على أن تضعها في ذلك المكان السحري المُبدع في داخلك «في خيالك». إنّ كلّ شيء يتواجد الآن في حياتك وفي هذا العالم المادي بأكمله، من المُفترض أن يكون تخيلاً في بداية الأمر. إذا لم تستطع تخيله والتصرّف على أنه حقيقة مُنجزّة، فلن تستطيع على الأرجح أن تجعله يتحقّق في واقعك.

استخدمتُ تعبير أنا أكون على أنه تصريح عن الحقيقة، بغضّ النظر عما يقوله أيّ شخص عني، أو حتى ما قد تُخبرني آذاني وعيوني أنه حقيقي. أنا أكون هو ذات الاسم الذي استخدمه الإله كي يُعرّف نفسه إلى «موسى» وإلى جميع الأجيال المُستقبلية. أشجّعك على أن تستخدم هاتين الكلمتين كي ترى أولاً في خيالك ما الشيء الذي تنوي أن تراه، فمّ بالتجلّي إلى عالمك المادي. أعلن كلّ يوم: أنا بخير، أنا في صحة تامة، أنا سعيد، أنا الحُب، أنا إله. لا أحتاج أن أنظر إلى الأرقام على التقرير الطبي، أو أسمع رأي أيّ شخص آخر عن صحتي.

هذا هو المكان حيث نعيش كلانا أنا وأنت. هذا بدقة كيف تصل إلى رؤية حياتك بوضوح أكبر من ذي قبل. لاحظ فقط، ثم لاحظ من يلاحظ، وذكر نفسك أنه أنت، وأنه جوهرك الحقيقي.

لقد لاحظت من خلال كتابة هذا الكتاب ومراجعة العديد من العوامل البارزة التي دفعتني إلى درجة أعلى على ذلك السُّلم أنه كلما تماهيتُ أقل مع ما أريد إنجازه، أصبحت أكثر حرية بالسماح له أن يتجلى.

فقط من خلال الجلوس والمُشاهدة على أنني مُراقب مُستمتع غير مُتعلق، كنتُ قادراً على نحو مُتكرر أن أذهب بعيداً وحتى أبعد من ممّا كنتُ ألاحظه. كلما شعرتُ أنني أقلّ تعلقاً بما أردتُ إنجازه في حياتي، وكلّما زاد غرسي لفكرة الشاهد هذه، كنتُ قادراً على أن أنظر إلى المرحلة التالية من حياتي بروية جديدة أقلّ قلقاً. لقد أحببتُ ما توضع أمامي، ولكن لم يكن لديّ أيّ تعلق بالنتيجة.

لقد وصلتُ إلى نهاية النظر إلى الخلف إلى حياتي حتى الآن، أنا مُمتنّ أنني كنتُ قادراً على أن أرى بوضوح كبير جداً كيف ولماذا ظهرت العديد من الأحداث، الظروف، والمُعلّمين كي يُرشدوني على هذا المسار من اكتشاف الذات. طوال حياتي أردتُ أن أشعر بالحماسة من كوني شخصاً سوف ويستطيع أن يصنع تميّزاً في هذا العالم. كان هنالك دليل غير مرئي هنا من أجلي في كلّ خطوة على الطريق، تماماً كما يوجد من أجلك أيضاً.

من أجل الوصول إلى ذاك الدليل، أشجّعك على أن تصنع التزاماً بأن تكون على ثقة مُطلقة بذاك السر الذي لا يوجد في أيّ مكان غير داخلك. هذا هو السرّ العظيم من الرؤية بوضوح أكبر على الإطلاق، وعيش حياتك من مكان من الشغف والهدف.

مع حبي،

أنا «واين».

لمحة عن الكاتب

الدكتور «واين داير» هو كاتب معروف عالمياً ومُتحدّث في مجال تطوير الذات. إنه مؤلّف أكثر من أربعين كتاباً، أنتج العديد من البرامج الصوتية والمرئية، وقد ظهر في الآلاف من البرامج التلفزيونية وبرامج الراديو. لقد كانت كتبه: «أظهر قدرك»، «حكمة العصور»، «هناك حلٌ روحي لكل مشكلة»، من الكتب الأكثر مبيعاً على لائحة «نيويورك تايمز»، وقد ظهرت كتبه: «الأسرار العشرة للنجاح والسلام الداخلي»، «قوة النية»، «الالهام»، «غير أفكارك، غير حياتك»، «انصرفي أيتها الأعذار!»، «الأمانيات المُحققة» جميعها في برامج خاصة على شبكة الرائي المحلية.

يحمل واين شهادة دكتوراه في الإرشاد التربوي من جامعة «واين ستيت» وكان بروفيسوراً مساعداً في جامعة «سانت جون» في نيويورك.

الموقع الإلكتروني: www.DrWayneDyer.com



الفهرست

93	الفصل السادس عشر	9	الفصل الأول
103	الفصل السابع عشر	15	الفصل الثاني
111	الفصل الثامن عشر	19	الفصل الثالث
117	الفصل التاسع عشر	25	الفصل الرابع
123	الفصل العشرون	31	الفصل الخامس
129	الفصل الحادي والعشرون	35	الفصل السادس
137	الفصل الثاني والعشرون	43	الفصل السابع
143	الفصل الثالث والعشرون	51	الفصل الثامن
149	الفصل الرابع والعشرون	55	الفصل التاسع
157	الفصل الخامس والعشرون	63	الفصل العاشر
163	الفصل السادس والعشرون	69	الفصل الحادي عشر
173	الفصل السابع والعشرون	73	الفصل الثاني عشر
183	الفصل الثامن والعشرون	79	الفصل الثالث عشر
189	الفصل التاسع والعشرون	83	الفصل الرابع عشر
193	الفصل الثلاثون	89	الفصل الخامس عشر

199	الفصل الحادي والثلاثون	325	الفصل التاسع والأربعون
205	الفصل الثاني والثلاثون	333	الفصل الخمسون
213	الفصل الثالث والثلاثون	339	الفصل الحادي والخمسون
219	الفصل الرابع والثلاثون	347	الفصل الثاني والخمسون
227	الفصل الخامس والثلاثون	355	الفصل الثالث والخمسون
235	الفصل السادس والثلاثون	365	الفصل الرابع والخمسون
243	الفصل السابع والثلاثون	373	الفصل الخامس والخمسون
251	الفصل الثامن والثلاثون	381	الفصل السادس والخمسون
257	الفصل التاسع والثلاثون	289	الفصل السابع والخمسون
263	الفصل الأربعون	297	الفصل الثامن والخمسون
271	الفصل الحادي والأربعون	407	الخلاصة
279	الفصل الثاني والأربعون	421	لمحة عن الكاتب
287	الفصل الثالث والأربعون		
293	الفصل الرابع والأربعون		
299	الفصل الخامس والأربعون		
305	الفصل السادس والأربعون		
311	الفصل السابع والأربعون		
317	الفصل الثامن والأربعون		

